كاتب حققت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

المنطقة الميتة

DEAD ZONE

رواية

مكتبة
Telegram
Network
2020

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

المنطقة الميتة

DEAD ZONE

المنطقة الميتة

DEAD ZONE

ستيڤن كينغ

STEPHEN KING

ترجمة

أوليغ عوكي

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

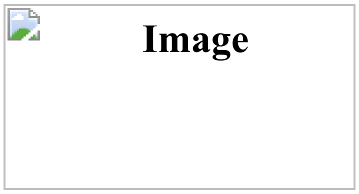

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Stephen King: The Dead Zone

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2019 by Stephen King, 1979

All rights reserved

Arabic Copyright © 2019 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: شباط/فبراير 2020 م - 1441 هـ

ردمك 978-614-02-3843-5

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: (+961-1) 785107 – 785108 – 786233
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: (+961-1) 786230 – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص

مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

تمهيد

1

حين تخرَّج من الكلّية، كان جون سميث قد نسي كل شيء عن السقطة القوية التي تعرَّض لها على الجليد ذلك اليوم في يناير 1953. في الواقع، كان من الصعب عليه أن يتذكّرها حتى حين تخرَّج من مدرسة النحو. ولم يعرف أبوه وأمه عنها أبداً.

كانوا يتزلّجون على رقعة خالية في بركة رانأراوند في دورهام. الفتيان الأكبر سناً يلعبون الهوكي بعُصي قديمة مربوطة بأشرطة لاصقة ويستخدمون سلّتَي بطاطا كمرميين. والأولاد الصغار يضيّعون الوقت فحسب بالطريقة التقليدية للصغار منذ غابر العصور - كواحلهم تنحني هزلياً إلى الداخل والخارج، أنفاسهم تُنفَخ في الهواء القارس البالغة حرارته ناقص سبع درجات. في إحدى زوايا رقعة الجليد الخالية عجلتان مطاطيتان تحترقان بشكل سُخامي، وبضعة أهالي يجلسون على مقربة يراقبون أولادهم. كان عصر الدرّاجات الثلجية لا يزال بعيداً ولا تزال متعة الشتاء تتألف من تدريب جسمك وليس محرِّكاً يعمل على البنزين.

نزَل جوني من منزله، فوق خط پاونال مباشرة، معلِّقاً حذاء تزلّجه على الجليد على كتفه. في سنّ السادسة، كان متزلّجاً مقبولاً جداً. لم يكن جيداً كفايةً بعد ليشارك الأولاد الكبار في مباريات الهوكي، لكنه قادر على التزلّج في دوائر حول معظم طلاب الصف الأول الآخرين الذين يلوِّحون أذرعتهم دائماً للتوازن أو يسقطون على مؤخراتهم.

راح يتزلَّج ببطء الآن حول الحافة الخارجية للرقعة الخالية، ويتمنّى لو يمكنه السير عكسياً مثل تيمي بينيدِكس، وهو يستمع إلى الجليد يفرقع بشكل غامض تحت الغطاء الثلجي عن بُعد، ويستمع أيضاً إلى صراخ لاعبي الهوكي، ولعلعة شاحنة جذوع أشجارٍ تعبر الجسر في طريقها إلى

شركة يو أس جيبسم في ليسبون فولز، وهمسْ محادثات الراشدين. كان مسروراً جداً من أنه حيّ في ذلك اليوم البارد من الشتاء. لا يعاني من أي خطب، لا شيء يُشغِل باله، لم يرغب بشيء... ما عدا أن يكون قادراً على التزلّج عكسياً، مثل تيمي بينيدِكس.

تزلَّج متجاوزاً النار ورأى أن اثنين أو ثلاثة من الراشدين يمرّرون زجاجة شراب فيما بينهم.

«أعطني بعضاً من هذا!»، صرَخ لتشاك سبير، الذي كان يرتدي قميص حطّاب كبيراً وسروال ثلج أخضر.

ابتسم له تشاك. «ابتعد من هنا يا ولد. أسمع أمك تناديك».

تابع جوني سميث ذو السنوات الست تزلّجه مبتسماً. وإلى جانب منطقة التزلّج، رأى تيمي بينيدِكس نفسه ينزل المنحدر، وأبوه خلفه.

«تيمي!»، صرَخ. «راقب هذا!».

استدار وبدأ يتزلّج عكسياً بشكل أخرق. دون أن يُدرك ذلك، كان يتزلّج نحو منطقة مباراة الهوكي.

«يا ولد!»، صرَخ شخص. «ابتعد عن الطريق!».

لم يسمع جوني. كان يفعلها أخيراً. كان يتزلّج عكسياً! وقد التقَط الإيقاع الصحيح - فجأة. كان في نوعٍ من تمايل الأرجل...

أخفَض نظره، مفتوناً، ليرى ما الذي تفعله رِجلاه.

قرص الهوكي الذي يلعب به الأولاد الكبار، القديم وذو الندوب والمقوَّر عند حافاته، أزَّ قربه بشكل غير منظور. وأحد الأولاد الكبار، ليس متزلّجاً بارعاً جداً، يطارده بانقضاض أعمى متهوِّر تقريباً.

رأى تشاك سبير ماذا كان سيحصل. نهض إلى قدمَيه وصرخ، «*جوني! احذر!*».

رفع جون رأسه - وفجأة اصطدم المتزلّج الأخرق، بكل كيلوغراماته السبعين، بجون سميث الصغير بسرعة كاملة.

طار جوني، فاتحاً ذراعيه في الهواء. بعد لحظة فقط قبَّل رأسه الجليد واسودَّت الدنيا.

اسودَّت الدنيا ... جليد أسود .. اسودَّت الدنيا ... جليد أسود .. أسود. أسود.

أخبَروه أنه فقَدَ وعيه. كل ما كان متأكداً منه حقاً هو تلك الفكرة الغريبة المتكرّرة وفجأة وجد نفسه ينظر إلى دائرة وجوه - لاعبو هوكي خائفون، راشدون قلقون، أولاد صغار فضوليون. تيمي بينيدِكس يبتسم بتكلّف. وتشاك سبير يحضنه.

جليد أسود. أسود.

«ماذا؟»، سأل تشاك. «جوني... هل أنت بخير؟ لقد تلقيتَ صدمة لعينة».

«أسود»، قال جوني بصوتٍ أجش. «جليد أسود. توقف عن القفز عليه يا تشاك».

نظرَ تشاك حوله، خائفاً قليلاً، ثم عاد ونظرَ إلى جوني. لمَس الكدمة الكبيرة التي بدأت ترتفع على جبهة الفتى.

«آسف»، قال لاعب الهوكي الأخرق. «لم أره أبداً. يُفترَض بالأولاد الصغار أن يبقوا بعيدين عن الهوكي. إنها القواعد». نظرَ حوله بارتياب طلباً للدعم.

«جوني؟»، قال تشاك. لم يعجبه مظهر عينَي جوني. كانتا داكنتين وشاردتين، شاردتين وباردتين. «هل أنت بخير؟».

«توقف عن القفز عليه»، قال جوني دون أن يُدرك ما يقوله، وهو يفكِّر فقط بالجليد - بالجليد الأسود. «الانفجار. الحمض».

«هل تظن أن علينا أخذه إلى الطبيب؟»، سأل تشاك بيل جِندرون. «لا يعرف ما الذي يقوله».

«أعطه دقيقة»، نصَح بيل.

أعطوه دقيقة، ولم يصفَ ذهن جوني. «أنا بخير»، تمتم. «ارفعوني». لا يزال تيمي بينيدِكس يبتسم بتكلّف، تباً له. قرَّر جوني أنه سيُظهِر لتيمي شيئاً أو شيئين. سيتزلّج في حلقات حول تيمي قبل نهاية الأسبوع... عكسياً *وكذلك* إلى الأمام.

«تعال واجلس قرب النار لبرهة»، قال تشاك. «تلقيتَ صدمةً لعينةً».

تركهم جوني يساعدونه إلى النار. كانت رائحة المطاط الذائب قوية ولاذعة - مما جعله يشعر ببعض الغثيان في معدته. لديه صُداع. لمس الكدمة فوق عينه اليسرى بفضول. شَعَر أنها ناتئة كيلومتراً.

«هل يمكنك أن تتذكَّر مَن أنت وكل شيء؟»، سأل بيل.

«بالتأكيد. بالتأكيد يمكنني. أنا بخير».

«مَن أبوك وأمك؟».

«هيرب وڤيرا. هيرب وڤيرا سميث».

نظرَ بيل وتشاك إلى بعضهما البعض وهزّا كتفيهما.

«أعتقد أنه بخير»، قال تشاك ثم أضاف، للمرة الثالثة، «لكنه تلقّى صدمة لعينة، أليس كذلك؟ مدهش».

«الأولاد»، قال بيل وهو ينظر بحنان إلى إبنتيه التوأم ذات السنوات الثماني، تتزلّجان يداً بيد، ثم عاد ونظرَ إلى جوني. «كانت لتقتل شخصاً ناضجاً على الأرجح».

«ليس بولندياً»، ردَّ تشاك، وانفجرا في الضحك. استأنفت زجاجة الشراب جولاتها مرة أخرى.

بعد عشر دقائق، عاد جوني إلى الجليد وقد خفَّ صُداعه من قبل، والرضّة بارزة على جبهته مثل علامة تجارية غريبة. حين عاد إلى المنزل لتناول الغداء، كان قد نسي كل شيء عن السقطة، وفقدان الوعي، في فرح اكتشافه كيفية التزلّج عكسياً.

«يا إلهي!»، قالت ڤيرا سميث عندما رأته. «كيف حصلتَ على هذه؟».

«سقطتُ»، قال، وبدأ يشرُق حساء الطماطم.

«هل أنت بخير يا جون؟»، سألت وهي تلمسه بلطف.

«بالتأكيد يا ماما». كان بخير، ما عدا من الأحلام المزعجة العَرَضيّة التي بقيت تأتيه على مدى الشهر القادم تقريباً... الأحلام المزعجة ومَيل إلى الشعور بنعاس قوي أحياناً في أوقات من

اليوم لم يشعر فيها بأي نعاس أبداً من قبل. وتوقف ذلك عن الحصول عند توقف الأحلام المزعجة تقريباً.

كان بخير.

في منتصف فبراير، نهض تشاك سبير في صباح أحد الأيام ووجد أن بطارية سيارته الديسوتو القديمة موديل 1948 ميتة. حاوَل تشغيلها بواسطة بطارية شاحنته. عندما أوصلَ الملزمة الثانية ببطارية الديسوتو، انفجَرت في وجهه، وأمطرته بجزئيات وحمض البطارية الأكّال. فقَدَ عيناً. قالت ڤيرا إنه محظوظ بعدم فقدان عينيه الاثنتين. شَعَر جوني أنها مأساة فظيعة وذهَب مع أبيه لزيارة تشاك في مستشفى لويستون العام بعد أسبوع من الحادث. منظر تشاك الكبير ممدَّداً على ذلك السرير في المستشفى وهو يبدو هزيلاً وصغيراً بشكل غريب هزَّ جوني في الصميم - وحلَم تلك الليلة أنه هو الممدَّد هناك.

من وقت لآخر في السنوات التي تلت ذلك، ازداد حدس جوني قوةً - كأن يعرف مثلاً الأغنية التالية على الراديو قبل أن تُبَثّ، وأشياء من هذا القبيل - لكنه لم يربط ذلك أبداً بذلك الحادث على الجليد. فقد كان قد نسيه وقتها.

ولم يكن ذلك الحدس من النوع المُفزِع أبداً، ولم يكن يتكرَّر كثيراً. فلم يحدث معه أي شيء مُجفِل جداً قبل ليلة معرض المقاطعة والقناع. قبل الحادث الثاني.

لاحقاً، بدأ يفكِّر في ذلك كثيراً.

ما حصل مع عجلة الحظ حصل قبل الحادث الثاني.

مثل تحذيرٍ من طفولته.

2

اجتاز البائع المتجوّل طرقات نبراسكا وأيوا ذهاباً وإياباً بلا كلل تحت أشعة الشمس الحارقة في صيف 1955 ذاك. جلَس خلف مِقوَد سيارة سيدان ميركوري موديل 1953 كانت قد سارت من قبل أكثر من مئة وعشرة آلاف كيلومتر، وقد بدأت تطوِّر أزيزاً واضحاً في صماماتها. البائع المتجوّل رجل ضخم لا تزال تبدو عليه ملامح فتى من الغرب الأوسط تربّى على الذرة؛ في صيف

1955 ذاك، بعد أربعة أشهر فقط من إفلاس شركته في أوماها لطلاء المنازل، كان غريغ ستيلسون في الثانية والعشرين من عمره فقط.

كان صندوق الميركوري ومقعدها الخلفي مليئين بالكراتين، والكراتين مليئة بالكتب. معظمها مراجع. بكل الأشكال والأحجام. هناك عنوانك الأساسي، طريق الحقيقة الأميركية، المزوَّد برسوم ملوَّنة والمجلَّد بغراء الطائرات، ثمنه 1.69$ وسيبقى متماسكاً لعشرة أشهر على الأقل؛ ثم لشراة كتب الجيب الرديئة النوعية هناك *طريق الحقيقة الأميركية العهد الجديد* ثمنه 65 سنتاً، من دون ألوان لكن بعض الكلمات الرئيسية فيه مطبوعة بالأحمر؛ وللمُنفِقين الكبار هناك *طريق الحقيقة الأميركية الطبعة الفاخرة* ثمنه 19.95$ ملوَّن ومجلَّد بجلد أبيض اصطناعي، وسيُطبَع اسم مالكه بلون ذهبي على غلافه الأمامي، ويحتوي على قسم في وسطه لتدوين تواريخ الولادة والزيجات والوفيات. يمكن أن تبقى الطبعة الفاخرة متماسكة كقطعة واحدة حتى حدود السنتين. هناك أيضاً كرتونة كتب ورقية الغلاف عنوانها *أميركا وطريق الحقيقة: المؤامرة الشيوعية اليهودية ضد ولاياتنا المتحدة*.

مبيعات غريغ من هذا الكتاب الورقيّ الغلاف المطبوع على ورق رخيص أفضل من مجموع مبيعات كل المراجع الأخرى مجتمعةً. فهو يروي كل شيء عن كيفية سيطرة عائلات روتشيلد وروزفلت وغرينبلات على الاقتصاد الأميركي والحكومة الأميركية. هناك رسوم بيانية تُظهِر كيف ارتبط اليهود مباشرة بمحور الشيوعيين - الماركسيين - اللينينيين - التروتسكيين، ومن هناك بالمشعوذ الدجّال نفسه.

لم تكن أيام المكارثية قد انتهت منذ زمن طويل في واشنطن؛ ولم يخبُ نجم جو مكارثي في الغرب الأوسط بعد، وكانت مارغريت تشايس سميث من ماين تُلقَّب «تلك السافلة» لخطابها الشهير *إعلان الضمير*. بالإضافة إلى الأمور عن الشيوعية، بدا لغريغ ستيلسون أنه لدى مواطني دائرته الانتخابية الريفيّة اهتمام مَرَضي بفكرة أن اليهود يحكمون العالم.

انعطف غريغ الآن إلى الممر الخاص المليء بالغبار لبيت مزرعةٍ يبعُد حوالي ثلاثين كيلومتراً غرب آيمز، أيوا. بدا مهجوراً - الستائر مسدولة وأبواب الحظيرة مُغلقة - لكن لا يمكنك أن تجزم أبداً إلى أن تحاول. هذا الشعار نفعَ غريغ ستيلسون جيداً في السنتين تقريباً منذ أن انتقلت أمه من أوكلاهوما إلى أوماها. لم تكن شركة طلاء المنازل جيدة جداً، لكنه احتاج إلى الابتعاد عن

المراجع لبعض الوقت. لكنه عاد إلى مكانه الآن - ليس إلى منبر الوعظ أو جهة الإحياء هذه المرة، وكان مريحاً نوعاً ما الخروج من مهنة ترويج الأعاجيب أخيراً.

فتَح باب السيارة وبينما خرَج منها إلى غبار الممر الخاص، تقدَّم كلب مزرعة ضخم من الحظيرة مُسدلاً أذنيه إلى الخلف. أطلقَ وابلاً من النباح. «مرحباً يا پُوتش»، قال غريغ بصوته المنخفض اللطيف لكن ذي المدى البعيد - في سنّ الثانية والعشرين كان مسبقاً صوت خطيب مفوَّه مدرَّب.

لم يردّ پُوتش على المَودّة في صوته. بل بقي يتقدَّم بنيّة ضخمة لئيمة أن يتناول بائعاً متجوّلاً كغداء مُبكر. تراجع غريغ وجلَس في السيارة، أغلق بابها، وأطلق بوقها مرتين. سال العرق على وجهه وحوَّل بذلته الكتّانية البيضاء إلى رمادية داكنة في بُقع دائرية تحت ذراعيه وعلى شكل شجرة متفرّعة على ظهره. أطلق بوق السيارة مرة أخرى، لكن لم يكن هناك أي جواب. لقد حمَّل الريفيون الخُرْق أنفسهم على حصّادتهم أو جرّاراتهم وذهبوا إلى البلدة.

ابتسم غريغ.

بدلاً من التعشيق إلى الخلف والتراجع على الممر الخاص، مدَّ يده إلى المقعد الخلفي وأخذ مرشّة - معبأة بنشادر وليس بمبيدات حشرية.

سحب غريغ المكبس إلى الخلف، وخرَج من السيارة مرة أخرى، مبتسماً. الكلب، الذي كان قد استوى على وركَيه، نهض فوراً وبدأ يتقدَّم نحوه مزمجراً.

استمر غريغ بالابتسام. «هذا صحيح يا پُوتشي»، قال بذلك الصوت اللطيف ذي المدى البعيد. «واصِل التقدّم. تقدَّم ونَل نصيبك». كان يكره كلاب المزرعة البشعة التي تركض في فناءاتها الشاسعة كأنها قياصرة متغطرسة صغيرة: تُخبرك أيضاً شيئاً عن مالكيها.

«مجموعة لعينة من الريفيين الخُرْق»، قال همساً. كان لا يزال يبتسم. «هيا أيها الكلب».

اقترب الكلب. شدَّ وركَيه لينقضّ عليه. خارت بقرةٌ في الحظيرة، وأصدرت الرياح حفيفاً هادئاً في الذرة. عندما وَثَب، تحوَّلت ابتسامة غريغ إلى تكشيرة حادّة ومرّة. ضغطَ مكبس المرشّة وتطايرت سحابة نشادر لاسعةٌ نحو عينَي الكلب وأنفه مباشرة.

تحوَّل نباحه الغاضب إلى نباح قصير معذَّب فوراً، ثم إلى عواء ألم حالما استقرّ النشادر فيه. استدار ليهرب، فلم يعد كلب حراسة بل مجرّد كلب هجين مهزوم.

اكفهرّ وجه غريغ ستيلسون. انسدلت عيناه إلى شقَّين بشعَين. تقدَّم بسرعة وسدَّد ركلةً صافرةً إلى وركَي الكلب. أطلق الكلب عويلاً صاخباً، ثم مدفوعاً من الألم والخوف، حدَّد مصيره المحتوم بأن استدار ليعارك مسبِّب بؤسه بدلاً من الهرب نحو الحظيرة.

انقضّ عليه مزمجراً، وعضَّ ثنية الساق اليمنى لبنطلون غريغ الكتّاني الأبيض، ومزَّقها.

«أيها السافل!»، صرَخ بغضب جافل، وركلَ الكلب مرة أخرى، بقوة كافية هذه المرة ليجعله يتدحرج على الغبار. تقدَّم نحو الكلب مرة أخرى، وركله مجدداً وهو لا يزال يصيح. أدرك الكلب الآن، بعينين دامعتين وأنف متألم جداً وضلعٍ مكسور وضلعٍ ناتئ بشكل سيئ، الخطر المُحدق فيه من هذا المجنون، لكن الأوان فات.

طارَده غريغ ستيلسون في فناء المزرعة المليء بالغبار وهو يلهث ويصرخ، والعرق يسيل على خدّيه، وركلَ الكلب إلى أن بدأ يصرخ وبالكاد يقدر على جرّ نفسه على الغبار. كان ينزف من ستة مواضع. كان يموت.

«ما كان عليك أن تعضّني»، همَس غريغ. «هل تسمع؟ هل تسمعني؟ ما كان عليك أن تعضّني، أيها الكلب التافه. لا أحد يعترض طريقي. هل تسمع؟ لا أحد». سدَّد ركلةً أخرى بحذاء ملطَّخ بالدم، لكن الكلب لم يعد قادراً على إصدار أكثر من صوت مختنق منخفض. هذا غير مُرضٍ كثيراً. شعَر غريغ بألم في رأسه. إنها الشمس. مطاردة الكلب في الشمس الحارة. كان محظوظاً أنه لم يفقد وعيه.

أغمض عينيه للحظة، وراح يتنفّس بسرعة، والعرق يسيل على وجهه مثل دموع ويختبئ في شعره القصير مثل جواهر، والكلب المحطَّم يُحتضَر عند قدمَيه. بُقع ملوَّنة من الضوء، تدوّي في إيقاعٍ مع نبضات قلبه، عامت في الظلمة خلف جفنَيه.

رأسه يؤلِمه.

يتساءل أحياناً إن كان يُصاب بالجنون. مثل الآن. أراد فقط رشَّ الكلب ببعض النشادر ودفعه إلى الهرب إلى الحظيرة لكي يتمكن من ترك بطاقة تعريف مهنته في شقّ باب المنخل. ويعود في

وقت آخر ليُجري عملية بيع. انظروا الآن. انظروا إلى هذه الفوضى. لا يمكنه أن يترك بطاقته الآن، أليس كذلك؟

فتَح عينيه. الكلب ممدَّد عند قدمَيه، يلهث بسرعة، والدم يسيل من خَطْمه. عندما أخفَض غريغ ستيلسون نظره، لعَق له الكلب حذاءه بتواضع، كما لو أنه يقرّ له بتفوّقه عليه، ثم عاد إلى مهمة احتضاره.

«ما كان عليك أن تمزِّق بنطلوني»، قال له. «ثمنه خمسة دولارات، أيها الكلب اللعين».

عليه الخروج من هنا. لن يستفيد شيئاً إذا عاد الغبي وزوجته وأولادهما الستة من البلدة الآن على جرّارهم ورأوا فيدو يُحتضَر هنا والبائع الشرير واقف فوقه. سيخسر وظيفته. فشركة *طريق الحقيقة الأميركية* لا توظِّف باعةً يقتلون كلاباً مُلك أشخاص متخشّعين.

قهقه غريغ بعصبية وهو يعود إلى الميركوري، ركبها، وقادها بسرعة على الممر الخاص. استدار شرقاً على الطريق الترابي الممتدّ مثل سلسلة عبر الذرة، وسرعان ما وصل إلى سرعة مئة كيلومتر بالساعة مخلّفاً سحابة غبار خلفه طولها ثلاثة كيلومترات.

طبعاً لم يرغب أن يفقد وظيفته. ليس بعد. كان يجني مالاً جيداً منها - فبالإضافة إلى الأبعاد التي تعرف عنها شركة *طريق الحقيقة الأميركية*، أضاف غريغ بضعة أبعاد خاصة به لا تعرف عنها. كان يحقّق مراده الآن. بالإضافة إلى التجوّل والسياحة، يتسنّى له أن يلتقي عدداً كبيراً من الأشخاص... عدداً كبيراً من الفتيات. إنها حياة جيدة، ما عدا -

ما عدا أنه لم يكن مسروراً.

تابع يقود سيارته، ورأسه يدوّي. لا، لم يكن مسروراً. شَعَر أنه وُلد ليُنجز أكثر من مجرّد القيادة في الغرب الأوسط وبيع مراجع والتلاعب باستمارات العمولة لكي يجني دولارين إضافيين في اليوم. شَعَر أنه وُلد لـ... لـ...

للعَظَمة.

نعم، هذا ما وُلد من أجله بالتأكيد. منذ بضعة أسابيع عاشر فتاةً في مخزن التبن كان والداها في دافنبورت يبيعان حمولة شاحنة من الدجاج. بدأت القصة بسؤالها إياه إن كان يريد كوب

ليموناضة وبعد كلمة من هنا وكلمة من هناك ومعاشرته لها قالت إن الأمر يشبه تقريباً التعرّض لغشّ من واعظ فصفَعها، لا يعرف لماذا. صفَعها ثم رحل.

حسناً، لا.

في الواقع، صفَعها ثلاث أو أربع مرات. إلى أن بدأت تبكي وتصرخ طالبةً المساعدة فتوقَف وبطريقة أو بأخرى - اضطر إلى استخدام كل ذرّة سحر فطري لديه - تمكّن من إصلاح الأمور معها. بدأ رأسه يؤلمه لحظتها أيضاً، وبُقع السطوع المدوّي تُبهر مجال بصره، وحاوَل إخبار نفسه أن الحرّ هو السبب، الحرّ المتفجِّر في مخزن التبن، لكن الحرّ لم يكن السبب الوحيد لألم رأسه. كان نفس الشيء الذي شَعَر به في الفناء عندما مزَّق الكلب بنطلونه، شيءٌ داكنٌ ومجنونٌ.

«لستُ مجنوناً»، قال بصوتٍ عالٍ في السيارة. فتح النافذة بسرعة لكي يدخل حرّ الصيف ورائحة الغبار والذرة والرَوث. شغَّل الراديو ورفع الصوت عالياً والتقَط أغنيةً لپاتي پايج. عاد صُداعه قليلاً.

المسألة بأكملها تنحصر بالسيطرة على نفسك و - وإبقاء سجلك نظيفاً. إذا فعلتَ تلك الأشياء، لا يمكنهم لمسك. وكان يزداد براعة في هذين الأمرين. لم يعد يرى أحلاماً عن أبيه في أغلب الأحيان، أحلاماً يقف فيها أبوه فوقه وخوذته مائلة على رأسه، ويصيح: «*لستَ جيداً أيها القزم! لستَ جيداً أيها اللعين!*».

لم يعد يرى الأحلام كثيراً لأنها غير حقيقية. لم يعد قزماً. حسناً، كان يمرض كثيراً في صغره، ولم يكن كبير الحجم، لكنه كبُر، برعاية أمه -

وقد مات أبوه. لا يستطيع أبوه أن يرى. لا يمكنه جعل أبيه يسحب كلامه لأنه مات في انفجار برج بئر نفطٍ، ولمرة واحدة، مرة واحدة فقط، يودّ غريغ لو ينبش قبره ويصرخ في وجهه المتآكل *كنتَ مخطئاً يا بابا، كنتَ مخطئاً بشأني!* ثم يركله ركلةً قويةً على غرار الركلة التي سدَّدها نحو الكلب.

عاد الصُداع، قليلاً.

«لستُ مجنوناً»، قال مرة أخرى تحت صوت الموسيقى. غالباً ما كانت أمه تُخبره أنه وُلد لشيء كبير، شيء عظيم، وغريغ يصدِّقها. لا يتطلّب منه ذلك سوى إبقاء الأمور تحت السيطرة - مثل صفع الفتاة أو ركل الكلب - وإبقاء سجله نظيفاً.

مهما تكن تلك العَظَمة، سيعرفها عندما تأتي إليه. إنه متيقّن من ذلك.

تذكَّر الكلب مرة أخرى، والذكرى هذه المرة رسمت له ابتسامة خفيفة، من دون فكاهة أو شفقة.

عَظَمته في طريقها إليه. قد لا تزال تحتاج إلى عدة سنوات لتصل إليه - كان يافعاً، بالتأكيد، لا عيب في أن تكون يافعاً طالما أنك تفهم أنه لا يمكنك الحصول على كل شيء دفعةً واحدةً. طالما أنك تصدِّق أنها ستأتي في نهاية المطاف. وهو يصدِّق ذلك.

وليكن الله في عون أي شخص يعترض طريقه.

أخرج غريغ ستيلسون مِرفقاً محترقاً من الشمس عبر النافذة وبدأ يصفِّر مع أنغام الراديو. زاد ضغطه على دوّاسة الوقود، دافعاً تلك الميركوري القديمة إلى سرعة مئة وعشرة، وتدحرَج على طريق أيوا الزراعية المستقيمة نحو المستقبل الذي ينتظره.

القسم الأول

عجلة الحظ

الفصل الأول

1

الأمران اللذان تذكَّرتهما سارة لاحقاً عن تلك الليلة هما سلسلة حظه عند عجلة الحظ والقناع. لكن مع مرور الوقت، سنواتٍ منه، القناع هو الذي فكَّرت فيه - عندما كان بالإمكان إجبار نفسها على التفكير بتلك الليلة الرهيبة.

عاش في مبنى سكني في كليفز ميلز. وصلت سارة إلى هناك عند الثامنة إلا رُبعاً، ركنت عند الناصية، ورنّت الجرس ليُسمح لها بالدخول. كانا سيستقلان سيارتها هذه الليلة لأن سيارة جوني موضوعة في ورشة تيبتس في هامبدن بسبب عطل في سناد العجلة أو شيء من هذا القبيل. شيء مُكلِف، أخبَرها جوني عبر الهاتف، ثم ضحِك ضحكة جوني سميث النموذجية. كانت سارة لتبكي لو كانت سيارتها - *محفظتها*.

اجتازت سارة البهو إلى السلالم، متجاوزةً اللوحة المعلَّقة هناك والمليئة ببطاقات إعلانات عن درّاجات نارية، قِطع لأجهزة الستيريو، خدمات طباعة، مناشدات من أشخاص يحتاجون إلى أن يُوصلهم أحدٌ إلى كنساس أو كاليفورنيا، وأشخاص يقودون إلى فلوريدا ويحتاجون إلى ركّاب ليشاركوهم القيادة وكلفة الوقود. لكن اللوحة هَيمنت عليها هذه الليلة لافتة كبيرة تُظهِر قبضة مشدودة على خلفية حمراء غاضبة تُوحي بحريقٍ. الكلمة الوحيدة على المُلصق الإعلاني هي *إضراب!* إنه أواخر أكتوبر 1970.

يُقيم جوني في الشقة الأمامية في الطابق الثاني - يسمّيها الشقة في أعلى المبنى - حيث يمكنك أن تقف في بذلة سهرتك مثل رامون ناڤارو، حاملاً كوباً كبيراً من شراب العنب، وتنظر بازدراء إلى القلب النابض لكليفز ميلز: الحشود المسرعة بعد انتهاء العرض، سيارات الأجرة الصاخبة، لافتات النيون. هناك حوالي سبعة آلاف قصة في المدينة العارية. هذه إحداها.

في الواقع، كان كليفز ميلز في الأغلب شارعاً رئيسياً فيه إشارة توقَّف وانطلِق عند التقاطع (تتحوَّل إلى ضوء وامض بعد السادسة مساءً)، حوالي دزينتَي متاجر، ومَصنع صغير لأحذية جلدية من دون كعب. مثل معظم البلدات التي تحيط أورونو، حيث توجد جامعة ماين، صناعتها الحقيقية هي تزويد الأشياء التي يستهلكها الطلاب - شراب شعير، شراب عنب، وقود، موسيقى روك أند رول، وجبات سريعة، مخدّرات، بقالة، مساكن، أفلام. صالة السينما تدعى *الظل*، وتعرض أفلاماً فنيةً وأفلاماً من حقبة الأربعينيات خلال العام الدراسي. وفي الصيف، تعود إلى أفلام الوسترن المعكرونية لكلينت إيستْوود.

توقف جوني وسارة عن التدريس لسنة، بعد أن كانا يدرِّسان في ثانوية كليفز ميلز، وهي إحدى الثانويات القليلة في المنطقة التي لم تتوحَّد في مقاطعة من ثلاث أو أربع بلدات. يستخدم أساتذة الجامعة وموظفوها الإداريون وكذلك طلابها بلدة كليفز كغرفة نومهم، وللبلدة قاعدة ضريبية تُحسَد عليها. كما تحتوي على ثانوية ممتازة تضم قسم إعلام جديد. قد يتذمَّر أبناء البلدة من حشود الجامعة وكلامهم المنمَّق ومسيراتهم الشيوعية لإنهاء الحرب وتطفّلهم على سياسة بلدتهم، لكنهم لم يرفضوا أبداً دولارات الضريبة التي تُدفَع سنوياً على منازل هيئة التعليم الدمِثة والمباني السكنية في المنطقة التي يسمّيها بعض الطلاب الفدادين النَزِقة ويسمّيها البعض الآخر الزقاق الدنيء.

طَرَقت سارة على باب جوني وسمعت صوته المكتوم بشكل غريب ينادي، «الباب مفتوح يا سارة!».

عابسةً قليلاً، فتَحت الباب. كانت شقة جوني في ظلمة تامة ما عدا من الوهج الأصفر المتقطّع للضوء الوامض في منتصف الشارع. كان الأثاث في عدة ظلال سوداء مكتئبة.

«جوني...؟».

متسائلةً إن تعطَّل قاطع أو شيء ما، خطت خطوةً متردِّدةً - ثم ظهر الوجه أمامها، عائماً في الظلمة، وجهٌ رهيبٌ خارجٌ من كابوس. توهَّج طيفاً أخضر متعفِّناً. إحدى عينيه مفتوحة بالكامل ويبدو أنها تحدِّق فيها في خوف مجروح. والعين الأخرى مغمضة بالكامل في خبث شرير. بدا النصف الأيسر للوجه، النصف ذو العين المفتوحة، طبيعياً. لكن النصف الأيمن كان وجه وحش، مسلول وغير بشري، شفتاه السميكتان مسحوبتان إلى الخلف لكشف أسنان ناتئة تتوهج أيضاً.

زعقت سارة زعيقاً صغيراً مخنوقاً وخطت خطوة متعثرة إلى الخلف. ثم أُضيئت الأضواء وكانت مجرّد شقة جوني مرة أخرى وليست جحيماً أسود، نيكسون على الجدار يحاول بيع سيارات

مستعملة، السجادة التي حاكتها والدة جوني على الأرض، زجاجات شراب العنب المحوَّلة إلى شمعدانات. توقف الوجه عن التوهّج ورأت أنه مجرّد قناع هالووين من متجر رخيص. كانت عين جوني الزرقاء تتلألأ عبر مَحجِر العين المفتوح فيه.

نزعه عنه ووَقَف مبتسماً لها بلطف في سروال جينز باهت وكنزة بنّية.

«هالووين سعيد يا سارة»، قال.

كان قلبها لا يزال ينبض بسرعة. لقد أخافها حقاً. «مضحك جداً»، قالت واستدارت لترحل. لا يعجبها أن يخيفها أحدٌ هكذا.

أمسكها عند المدخَل. «مهلاً... آسف».

«حسناً، من الأفضل لك أن تكون آسفاً». نظرت إليه ببرودة - أو حاوَلت ذلك. كان غضبها قد بدأ يخفّ من قبل. لا يمكنك أن تبقى غاضباً من جوني، هذه هي المشكلة. سواء كانت تحبّه أم لا - وهذا لغز لا تزال تحاول حلّه - من المستحيل أن تبقى حزينة منه لمدة طويلة، أو أن تشعر بالامتعاض منه. تساءلت إن نجح أي شخص في يوم من الأيام بالحقد على جوني سميث، وكانت الفكرة مضحكة جداً لدرجة أنها اضطرت أن تبتسم رغماً عنها.

«آه، هذا أفضل. يا للهول، اعتقَدتُ أنكِ ستتخلّين عني».

«لستُ هَولاً».

رمقها بنظرة هزلية، «لاحظتُ ذلك».

كانت ترتدي معطف فرو ضخماً - راكون اصطناعي أو شيء سوقيّ ما - وفِسقه البريء جَعَلها تبتسم مرة أخرى. «لا يمكنك الجزم في هكذا شيء».

«آه، بلى، يمكنني أن أجزم»، قال. وَضَع ذراعه حولها وقبّلها. لم تكن ستعيد له القبلة في البدء، لكنها فعلت ذلك بالطبع.

«آسف أنني أخفتُك»، قال وفرك أنفها بأنفه بمَوَدّة قبل أن يفلتها. رَفَع القناع عالياً. «اعتقَدتُك ستتحمّسين له. سأرتديه في غرفة الاستشارات الطلابية يوم الجمعة».

«آه يا جوني، هذا لن يكون جيداً جداً للانضباط».

«سأُفقدهم صوابهم قليلاً»، قال مبتسماً.

كانت تأتي إلى المدرسة كل يوم مرتديةً نظّارات كبيرة ورابطةً شعرها على شكل كعكة مشدودة كثيراً لدرجة بدت أنها على شفير الصراخ. كما ترتدي تنانيرها حتى الركبة في موسمٍ ترتدي فيه معظم الفتيات تنانيرهن تحت حافة سروالهن الداخلي بقليل (وساقيَّ أفضل من كل سيقانهن، فكَّرت سارة في سرّها بامتعاض). وتحافظ على مخططات جلوس أبجدية يُفترَض بها أن تساعد، وفق قانون المعدلات الوسطية، على الأقل، في إبقاء مثيري المتاعب بعيداً عن بعضهم البعض، وترسل بلا تردّد الطلاب المشاغبين إلى مساعِد المدير، ومبدأها في ذلك هو أنه يقبض خمسمئة دولار إضافية سنوياً لكي يتصرّف كمراقب صارم على عكسها هي. ومع ذلك كانت أيامها كفاحاً مستمراً مع عفريت ذلك الأستاذ. الانضباط، والشيء المزعج أكثر هو أنها بدأت تشعر بوجود هيئة محلّفين جماعية غير مُعلَنة - نوع من الوعي المدرسي، ربما - تعقد جلسات مشاورات حول كل أستاذ جديد، وأن الحُكم الذي صدر بحقها لم يكن جيداً جداً.

جوني، ظاهرياً، بدا نقيض كل شيء يجب أن يكون عليه الأستاذ الجيد. فيمشي متمهلاً من صف إلى آخر كأنه مُصاب بدوار خفيف، ويصل متأخراً في أغلب الأحيان لأنه توقَّف ليدردش مع شخصٍ بين الأجراس. يدع الأولاد يجلسون حيث يريدون وبالتالي لا يكون نفس الوجه أبداً على نفس المقعد من يوم إلى آخر (وبالتأكيد ينجذب سفّاحو الصف إلى المقاعد الخلفية). لن تكون سارة قادرة على حفظ أسمائهم بهذه الطريقة قبل مارس، لكن جوني بدا أنه حفظها عن ظهر قلب فوراً.

كان رجلاً طويلاً لديه مَيل إلى أن يكون أخرق، وقد سمّاه الأولاد فرانكشتاين. بدا أن جوني يستمتع بذلك بدلاً من أن يغضب منه. ومع ذلك كانت حصصه هادئة في الأغلب وتشهد حُسناً في التصرّف، رغم أن بعض الطلاب يتغيَّبون عنها (تعاني سارة من مشكلة مستمرة في تغيّب الأولاد عن حصصها)، وبدا لها أن نفس هيئة المحلّفين تلك تنحاز إليه. كان من صنف الأساتذة الذين، بعد عشر سنوات أخرى، سيُهدى لهم كتاب المدرسة السنوي. لم تكن من ذلك الصنف أبداً. ومجرّد التساؤل أحياناً يُفقدها أعصابها.

«هل تريدين شراب شعير قبل أن نذهب؟ كوب شراب عنب؟ أي شيء؟».

«لا، لكنني آمل أن تكون غنياً»، قالت وهي تمسك ذراعه بعد أن قرَّرت ألا تعود غاضبة منه. «أنا آكل دائماً ثلاثة نقانق على الأقل. خاصة عندما يكون آخر معرض في المقاطعة لهذه السنة». كانا ذاهبين إلى إستي، التي تبعد ثلاثين كيلومتراً شمالي كليفز ميلز، وهي بلدة سبب شهرتها

المُريب الوحيد هو أنها تُقيم «آخر معرض زراعي على الإطلاق للسنة في نيو إنغلاند». سينتهي المعرض ليلة الجمعة، ليلة الهالووين.

«إذا احتسبنا راتب الجمعة، أنا بخير. حصلتُ على ثمانية دولارات».

«آه... يا... إلهي»، قالت سارة وقلبَت عينيها. «لطالما عرَفتُ أنني إذا أبقيتُ نفسي نقية سألتقي بعجوز ثري يوماً ما».

ابتسم وأومأ برأسه. «نحن القوّادون نجني الكثيير من المال يا عزيزتي. دعيني أُحضر معطفي ونخرج».

راحت تنظر إليه بمَوَدّة ساخطة، والصوت الذي كان يطفو في ذهنها في أغلب الأحيان - في الدُش، بينما تقرأ كتاباً أو تحضّر مادة حصّتها أو تُعدّ العشاء لشخص واحد - ظهرَ مرة أخرى، مثل أحد إعلانات الخدمات العامة على التلفزيون التي مدتها عشرون ثانية: *إنه رجل لطيف جداً وكل ذلك، سهل الانسجام معه، مسلٍ، لا يجعلك تبكين أبداً. لكن هل هذا حبٌّ؟ أعني، هل هذا كل ما ينطوي عليه؟ حتى عندما تعلَّمتِ ركوب الدراجة الهوائية بعجلتين فقط، كان عليك الوقوع بضع مرات وكشط رُكبتَيك. اعتبري ذلك من شعائر العبور إلى مرحلة جديدة في حياتك. وذلك كان مجرّد شيء بسيط.*

«سأستخدم الحمّام»، ناداها.

«حسناً». ابتسمت قليلاً. جوني أحد أولئك الأشخاص الذين يُعلنون عن حاجتهم إلى التبويل - لسبب لا يفهمه أحد.

ذهبت إلى النافذة ونظرت إلى الشارع الرئيسي. الأولاد يدخلون مرأب السيارات بجانب مطعم مايك المحلي للبيتزا وشراب الشعير. تمنّت فجأة لو أنها عادت معهم، لو كانت واحدةً منهم، مع وجود هذه الأمور المُربكة خلفها - أو لا تزال أمامها. الجامعة آمنة. كان نوعاً من عالم نيفرلاند يستطيع كل شخص فيه، حتى الأساتذة، أن يكون جزءاً من عصابة بيتر پان ولا يكبروا أبداً. وسيكون هناك دائماً نيكسون أو أغنو ليلعب دور القبطان خطّاف.

لقد التقت جوني عندما بدأا يدرِّسان في سبتمبر، لكنها عرفت وجهه من مقرّرات إد التعليمية التي تشاركاها. كانت قد انضمت إلى أخوية دلتا تاو دلتا، وكل الأحكام التي انطبقت على جوني انطبقت على دان. كان وسيماً بدون أي عيب تقريباً، ظريفاً بطريقة واضحة ومضطربة جَعَلَتها دائماً

غير مرتاحة قليلاً، يتناول الكثير من الشراب، حبيباً شهوانياً. يصبح لئيماً أحياناً عندما يُكثر من تناول الشراب. تذكَّرت ليلةً في مقصف الحاجز النحاسي حصل فيه ذلك. فقد راح الرجل في الكشك المجاور يمزح بشأن شيء قاله دان عن فريق كُرة القدم في جامعة ماين، وسأله دان إن كان يريد العودة إلى منزله ورأسه مفتول إلى الخلف. اعتذَر الرجل، لكن دان لم يكن يريد اعتذاراً؛ أراد شجاراً. بدأ يُبدي ملاحظات شخصية عن المرأة الجالسة مع الرجل الآخر. وَضَعت سارة يدها على ذراع دان وطلبت منه أن يتوقف. نفض دان يدها عنه ونظر إليها نظرة غير سويّة بعينيه الضاربتين إلى الرمادي جَعَلت أي كلمات أخرى لم تنطقها بعد تختنق في حنجرتها. في نهاية المطاف، ذهب دان والرجل الآخر إلى الخارج حيث أشبعه دان ضرباً مبرحاً. بقي دان يضربه إلى أن بدأ الرجل الآخر، الذي كان في أواخر ثلاثيناته وذا بطن صغير، يصرخ. لم تسمع سارة رجلاً يصرخ من قبل - ولم ترغب أن تسمع ذلك مرة أخرى أبداً. اضطرا إلى المغادرة بسرعة لأن الساقي رأى كيف تسير الأمور واتصل بالشرطة. كانت لتعود إلى المنزل لوحدها تلك الليلة (*آه؟ هل أنتِ متأكدة؟* سألها ذهنها ببغض)، لكن الحرم التعليمي يبعُد عشرين كيلومتراً وقد توقفت الحافلات عن العمل منذ الساعة السادسة وكانت خائفة أن تعود مجاناً في سيارة أحدهم.

لم يتكلَّم دان في طريق العودة. كان لديه خدش على أحد خدَّيه. مجرّد خدش واحد. عندما عادا إلى مبنى هارت، مسكنها الجامعي، أخبَرته أنها لم تعد تريد رؤيته بعد الآن. «أي شيء تريدينه يا عزيزتي»، قال بلا مبالاة أصابتها بالقشعريرة - والمرة الثانية التي اتصل بها بعد حادث الحاجز النحاسي خرجت معه. جزءٌ منها كرهها على ذلك.

استمرت العلاقة طوال الفصل الدراسي الخريفي في سنتها الأخيرة. كانت خائفة منه ومنجذبة إليه في الوقت نفسه. كان حبيبها الحقيقي الأول، وحتى الآن، قبل يومين من هالووين 1970، كان حبيبها الحقيقي الوحيد. لم تضاجع جوني بعد.

كان دان جيداً جداً. لقد استغلّها، لكنه كان جيداً جداً. لم يكن يقبل أن يأخذ أي احتياطات، لذا كانت تضطر أن تذهب إلى مشفى الجامعة، حيث تتكلَّم بتلعثم عن آلام الحيض وتأخذ الحبة. جنسياً، هيمَن عليها دان كلياً. لم تصل إلى النشوة معه مرات عديدة، لكن خشونته أوصلتها إلى تلك الحالة بضع مرات، وفي الأسابيع التي سبقت انتهاء العلاقة، بدأت تشعر بطمع امرأةٍ ناضجةٍ للجنس الجيد، برغبةٍ متمازجةٍ بشكل مُربكٍ مع مشاعر أخرى: كره لدان ولنفسها، الشعور بأن أي جنس يعتمد كثيراً على الإذلال والهيمنة لا يمكن اعتباره «جنساً جيداً» حقاً، واحتقار ذاتي لعدم قدرتها على إيقاف علاقة بدت أنها ترتكز على مشاعر هدّامة.

انتهت بسرعة، باكراً هذه السنة. فقد رسَب. «إلى أين ستذهب؟»، سألته بخجل، وهي تجلس على سرير زميله في الغرفة بينما راح يرمي أغراضه في حقيبتَي سفر. أرادت أن تطرح أسئلة شخصية أخرى. هل ستكون قريباً من هنا؟ هل ستَشغل وظيفةً؟ تأخذ حصصاً ليليةً؟ هل هناك مكان لي في خططك؟ هذا السؤال، بالإضافة إلى كل الأسئلة الأخرى، لم تكن قادرةً على طرحه. لأنها لم تكن مستعدة لأي جواب. الجواب الذي أعطاه لسؤالها المحايد كان مروِّعاً كفاية.

«فييتنام، أظن».

«*ماذا؟*».

ذهب إلى رفٍ، وراح يبحث بين الأوراق هناك، ورمى لها رسالةً. كانت من مركز التجنيد في بانغور: أمر بالحضور لفحصه الجسدي.

«ألا يمكنك الإفلات من هذا؟».

«لا. ربما. لا أعرف». أشعَل سيجارةً. «لا أعتقد أنني حتى أريد المحاولة». راحت تحدِّق فيه مصدومةً.

«لقد ضجرتُ من هذا المشهد. الكلّية وشَغل وظيفة وإيجاد زوجة صغيرة. كنتِ تقدمين طلباً لمركز الزوجة الصغيرة، أظن. ولا تظني أنني لم أفكّر بالمسألة ملياً. لن تنجح. تعرفين هذا، وأنا أعرفه أيضاً. نحن غير منسجمَين يا سارة».

فرّت عندها، وقد تمت الإجابة على كل أسئلتها، ولم تره مرة أخرى أبداً. رأت زميل غرفته بضع مرات. تلقى ثلاث رسائل من دان بين يناير ويونيو. لقد تم تجنيده وأُرسِل إلى مكان ما جنوباً ليخضع لتدريبه الأساسي. وهذا آخر شيء سمِعه عنه زميل الغرفة. كان آخر شيء سمِعته سارة براكنَل أيضاً.

ظنّت في البدء أنها ستكون بخير. كل تلك الأغاني العاطفية الحزينة، الأغاني التي يبدو دائماً أنك تسمعها على راديو السيارة بعد منتصف الليل، لم تنطبق عليها. أو العبارات المبتذلة بشأن نهاية العلاقة أو نوبات البكاء غير المضبوطة. لم تتحرَّش برجلٍ كردّة فعل أو تبدأ بالتوارد إلى المقاصف. أمضت معظم أمسيات ذلك الربيع في الدراسة بهدوء في غرفة مسكنها الجامعي. كانت فترةً مريحةً. لم تكن فوضويةً.

فقط بعد أن تعرَّفت على جوني - عن طريق القرعة في سهرة رقص اجتماعية الشهر الفائت جاء كلاهما إليها برفقة شخص آخر - أدرَكت كم كان فصلها الدراسي الأخير مرعباً. كان ذلك من نوع الأشياء التي لا يمكنك رؤيتها عندما تكون فيها، عندما تكون قد انغسمت فيها بقوة. حماران التقيا عند عمود الربط في بلدةٍ غربيةٍ. أحدهما حمار بلدة لا شيء على ظهره سوى سرج. الآخر حمار منقِّبٍ محمَّل برُزم، معدات تخييم وطبخ، وأربعة أكياس معادن خام زنة الواحد منها خمسة وعشرون كيلوغراماً. ظهره مقوَّس نزولاً بسبب الوزن. يقول حمار البلدة، لديك حمولة ثقيلة. ويقول حمار المنقِّب، أي حمولة؟

في استعادتها الأحداث، الفراغ هو الذي أذعرها، فقد أمضت خمسة أشهر في حالة شاين - ستوكس التنفّسية. ثمانية أشهر إذا احتسبتَ هذا الصيف، عندما استأجرت شقة صغيرة في شارع فلاغ في ڤيزي ولم تفعل شيئاً سوى التقدّم لوظائف تدريس وقراءة روايات ورقيّة الغلاف. كانت تنهض، تتناول الفطور، تخرج إلى الحصة أو إلى مقابلات التوظيف المجدوَلة لها، تعود إلى المنزل، تأكل، تأخذ قيلولة (امتدّت القيلولات أربع ساعات أحياناً)، تأكل مرة أخرى، تقرأ حتى الحادية عشرة والنصف تقريباً، تشاهد كافِيت إلى أن تنعس، تأوي إلى السرير. لا يمكنها أن تتذكَّر أنها فكَّرت خلال تلك الفترة. كانت الحياة روتينية. شعرت أحياناً بنوع غامض من الوجع في خاصرتها، وجع غير مُشبَع، هكذا تعتقد أن الروائيات سمَّينه أحياناً، ولكي تداويه إما تأخذ دُشاً بارداً أو حمّاماً. بعد حين بدأ الاستحمام يصبح مؤلماً، وهذا أشعرها بنوع مرير من الرضى.

كانت خلال تلك الفترة تهنّئ نفسها من وقت لآخر حول سلوكها الراشد تجاه الحالة بأكملها. بالكاد فكَّرت بدان - دان مَن، ها - ها. أدرَكت لاحقاً أنها طوال ثمانية أشهر لم تفكِّر بشيء أو بأحد سواه. البلد بأكمله أُصيب بنوبات تشنّج خلال تلك الأشهر الثمانية، لكنها بالكاد لاحَظت ذلك. المسيرات، الشرطة مع خوذات وأقنعة غاز، الهجمات على الصحافة من أغنو، مذبحة ولاية كنتْ، صيف العنف مع نزول السود ومجموعات المتطرّفين إلى الشوارع - ربما حصلت تلك الأشياء في برنامجٍ تلفزيونيٍ يُبثّ في وقت متأخر. كان سارة غارقة كلياً في انبهارها المدهش بتجاوزها حقبة دان، كيف كانت تتأقلم جيداً مع وضعها الجديد، وكم كانت مرتاحة بإيجاد أن كل شيء بخير تماماً. أي حمولة؟

ثم بدأت التدريس في ثانوية كليفز ميلز، وشكَّل ذلك اضطراباً شخصياً، بما أنها أصبحت على الجهة الأخرى للمكتب بعد أن بقيت طالبة محترفة لست عشرة سنة. التعرّف على جوني سميث في تلك السهرة (وبالاسم السخيف جون سميث، هل يمكن أن يكون حقيقياً فعلاً؟). الخروج من نفسها

بما يكفي لترى طريقة نظره إليها، ليس بفسق، بل بتقدير صحي جيد لمظهرها في الفستان المُحاك الرمادي الفاتح الذي كانت ترتديه.

دعاها إلى مرافقته إلى السينما - كان المواطن كاين يُعرَض وقتها - وقبلت. أمضيا وقتاً ممتعاً وفكّرت في سرّها، *لا ألعاب نارية*. استمتعت بقبلته الوداعية وفكَّرت في سرّها، واضح أنه ليس إيرول فْلين. بقيت تبتسم من ثرثرته، التي كانت شنيعة، وفكَّرت في سرّها، يريد أن يكون هنري يونغمان عندما يكبُر.

في وقت لاحق من ذلك المساء، أثناء جلوسها في غرفة نومها تشاهد بيتي دايفس تؤدّي دور امرأة عاملة فاسقة في فيلم متأخر، عادت إليها بعض تلك الأفكار وتوقفت عن الحركة غارزةً أسنانها في تفاحةٍ، وهي تشعر بالصدمة من ظلمها الذاتي.

وكلَّمها فجأة صوتٌ بقي صامتاً حوالي سنةٍ - ليس صوت الضمير بقدر ما هو صوت وجهة النظر. ما تقصدينه هو، *واضح أنه ليس دان. أليس كذلك؟*

لا! طمأنت نفسها، غير مصدومة الآن. لم أعد أفكِّر في دان أبداً. هذا... حصل منذ زمن بعيد.

حفاضات الأطفال، ردَّ الصوت، هي التي حصلت منذ زمن بعيد. دان رحل البارحة.

أدرَكت فجأة أنها تجلس وحيدةً في شقة في وقت متأخر من الليل، تأكل تفاحةً وتشاهد فيلماً على التلفزيون لا يهمّها أبداً، وتفعل كل ذلك لأنه أسهل من التفكير، التفكير مُضجِر حقاً، عندما يكون كل ما لديك لتفكِّر فيه هو نفسك وحبّك المفقود.

شعرت بصدمة كبيرة الآن.

أجهشت بالبكاء.

لقد واعدت جوني في المرة الثانية والثالثة التي دعاها فيهما أيضاً، وذلك كان دلالةً على ما أصبحت عليه بالضبط. لم يكن بمقدورها أن تقول إن لديها موعداً آخر لأن الأمر لم يكن هكذا. كانت فتاةً ذكيةً وجميلةً، وقد دُعيت إلى مواعيد كثيرة بعد انتهاء علاقتها بدان، لكن المواعيد الوحيدة التي قَبِلتها كانت مواعيد لتناول الهمبرغر مع زميل غرفة دان، وأدرَكت الآن (خفَّت حدّة قرفها من

الفكاهة الحزينة) أنها وافقت على تلك المواعيد غير المؤذية بالكامل لكي تستنطق الشابّ المسكين عن دان. أي حمولة؟

اختفت معظم صديقاتها الجامعيات عن الرادار بعد التخرّج. ذهبت بيتي هاكمان مع فيلق السلام إلى أفريقيا، رغم رفض والديها الثريين، وكانت سارة تتساءل أحياناً عن انطباع الأوغنديين تجاه بيتي ببشرتها البيضاء المستحيل أن تسمرّ وشعرها الأشقر ومظهرها الجميل. دينيه ستابز في كلّية الدراسات العليا في هيوستن. رايتشل جورغنز تزوجت زميلها وهي حامل حالياً في مكان ما في براري ماساتشوستس الغربية.

مذهولةً قليلاً، أُجبرت سارة على استنتاج أن جوني سميث هو أول صديق جديد تحظى به منذ مدة طويلة جداً - وهي كانت قد انتُخبَت ملكة الشعبية في سنتها الدراسية الأخيرة. كانت قد وافقت على مواعدة أستاذين آخرين من كليفز، فقط لإبقاء الأمور في نصابها. أحدهما هو جين سيديكي، رجل الرياضيات الجديد - لكنه ممل جداً. والآخر، جورج راوندز، حاوَل التحرّش بها فوراً. صفَعت وجهه - وكانت لديه السفاهة الكافية في اليوم التالي ليغمزها أثناء مرورها في الرواق.

لكنّ جوني مسلٍ وسهل المعشر. ويجذبها إليه كثيراً - فقط لا يمكنها القول بأمانة ما مدى شدة ذلك، على الأقل ليس بعد. منذ أسبوع، بعد يوم الجمعة الإجازة الذي حصلوا عليه لمؤتمر أساتذة أكتوبر في ووترفيل، دعاها إلى شقته لتناول عشاء معكرونة محضّرة في البيت. بينما كانت الصلصة تغلي ببطء، نزل إلى آخر الشارع ليُحضر بعض شراب العنب وعاد مع زجاجتَي عصير تفاح. مثل إعلانه عن حاجته إلى التبويل، كان ذلك أسلوب جوني في التصرّف نوعاً ما.

شاهدا التلفزيون بعد وجبة الطعام، وتحوَّل ذلك إلى تقبيل والله أعلم إلى ماذا كان ذلك سيتحوّل لو لم يصل اثنان من أصدقائه، مدرِّسان من الجامعة، ومعهما مقال عن موقف هيئة التعليم تجاه الحرية الأكاديمية. أرادا أن يلقي جوني نظرة عليه ويُبدي رأيه فيه. فعلَ ذلك، لكن بنوايا حسنة أقل من عادته بشكل ملحوظ. لاحَظت ذلك بابتهاج سري دافئ كما أن الوجع في خاصرتها - *الوجع غير المُشبَع* - أبهجها أيضاً، ولم تقتله بحمّام تلك الليلة.

ابتعدت عن النافذة وسارت إلى الأريكة حيث ترَك جوني القناع.

«هالووين سعيد»، نخَرت، وضحِكت قليلاً.

«ماذا؟»، نادى جوني.

«قلتُ إنك إن لم تخرج سريعاً جداً فسأذهب من دونك».

«سأخرج حالاً».

«رائع!».

مرَّرت إصبعاً فوق قناع جيكل وهايد، الدكتور جيكل اللطيف النصف الأيسر، وهايد الضار غير البشري النصف الأيمن. أين سنكون قد أصبحنا يوم الشُكر؟ تساءلت. أو احتفال الشتاء؟

أرسلت الفكرة تشويقاً صغيراً متحمِّساً مضحكاً في كل جسمها.

إنه يروق لها. كان رجلاً لطيفاً عادياً تماماً.

أخفَضت نظرها إلى القناع مرة أخرى، هايد الرهيب يخرج من وجه جيكل مثل سرطان كثير الكتل. لقد طُلي بطلاء فلوري لكي يتوهَّج في الظلمة.

ما العادي؟ لا شيء، لا أحد. ليس حقاً. لو كان عادياً إلى هذا الحد، كيف يمكنه أن يخطِّط لارتداء شيء مثل هذا في غرفة الاستشارات الطلابية ويبقى واثقاً من الحفاظ على الهدوء؟ وكيف يمكن أن يسمّيه الأولاد فرانكشتاين ويحافظون على احترامهم له؟ ما العادي؟

خرجَ جوني، مارّاً عبر الستارة ذات الخرزات التي تفصل غرفة النوم والحمّام عن غرفة الجلوس.

إذا أرادني أن أضاجعه هذه الليلة، أظن أنني سأوافق.

وكانت فكرة دافئة، مثل العودة إلى المنزل.

«لماذا تبتسمين؟».

«لا شيء»، قالت، ورمت القناع على الأريكة.

«لا، حقاً. هل كان شيئاً جيداً؟».

«جوني»، قالت وهي تضع يداً على صدره وتقف على رؤوس أصابعها لتقبِّله بخفّة، «بعض الأشياء لن يُفصح عنها أبداً. هيا بنا نذهب».

2

توقفا قليلاً في البهو في الطابق السفلي بينما زرَّر سترته القماشية، ووجَدت عيناها قد انجذبتا مرة أخرى إلى المُلصق الإعلاني *إضراب!* بقبضته المشدودة وخلفيته الملتهِبة.

«سيكون هناك إضراب آخر للطلاب هذه السنة»، قال وهو يتبع عينيها.

«الحرب؟».

«ستكون فقط أحد أسبابه هذه المرة. فييتنام والمعركة بشأن تدريب ضباط الاحتياط، وولاية كنتْ أشعلت مزيداً من الطلاب أكثر من أي وقت مضى. أشكّ أن يكون حرم الجامعة قد شهد في السابق هذا العدد القليل من الناخرين».

«ماذا تقصد بالناخرين؟».

«أولاد يدرسون فقط لنيل علامات، دون أي اهتمام بالنظام ما عدا أنه يوفّر لهم وظيفة راتبها عشرة آلاف دولار في السنة عندما يتخرّجون. الناخر هو طالب لا يكترث لأي شيء أبداً غير شهادته. هذا انتهى. معظمهم استيقظ. ستحصل بعض التغييرات الكبيرة».

«هل هذا مهم لك؟ رغم أنك تخرّجت؟».

قوَّم ظهره. «سيدتي، أنا خريج جامعي. سميث، صف 1970. املئي كوبَين لعزيزتنا ماين».

ابتسمت. «هيا نذهب. أريد أن أركب السوط قليلاً قبل أن يُغلقوه لهذه الليلة».

«جيد جداً»، قال وهو يُمسك ذراعها. «يصدف أنني ركنتُ سيارتك عند الناصية».

«ومعك ثمانية دولارات. السهرة تتألق بشكل مقبول أمامنا.

كانت ليلة مظلمة لكن غير ماطرة، معتدلة لأواخر أكتوبر. وفوقهما هلالٌ يكافح ليشقّ طريقه عبر الغطاء السحابيّ. دسَّ جوني ذراعه حولها واقتربت منه.

«لعِلمك، أفكِّر كثيراً بك يا سارة». كانت نبرته مرتجَلة تقريباً، لكن فقط تقريباً. تباطأ قلبها قليلاً ثم تسارع لحوالي عشر نبضات بالثانية.

«حقاً؟».

«أظن أن ذلك الشابّ دان أذاك، أليس كذلك؟».

«لا أعرف ماذا فعل بي»، قالت بصدق. الضوء الوامض الأصفر، الذي أصبح خلفهما بعيداً الآن، جَعَل ظلّهما يظهران ويختفيان على الأسمنت أمامهما.

بدا أن جوني يفكِّر ملياً في هذا. «لن أريد فعل ذلك»، قال أخيراً.

«لا، أعرف ذلك. لكن يا جوني... أعطه وقتاً».

«نعم»، قال. «الوقت لدينا ذلك، أظن».

وذلك سيعود إليها، في يقظتها وحتى بقوة أكبر في أحلامها، بمقادير لا تُوصف من المرارة والخسارة.

انعطفا الناصية وفتَح لها جوني باب الراكب. مشى حول السيارة وجلس خلف المِقوَد. «تشعرين بالبرد».

«لا»، قالت. «إنها ليلة رائعة لذلك».

«صحيح»، وافَقها وانطلق مبتعداً عن حافة الرصيف. عادت أفكارها إلى ذلك القناع المضحك. نصف جيكل مع عيني جوني الزرقاوين مرئيتين خلف مَحجِر العين الجاحظة للطبيب المتفاجئ - *آه، هذا بعض الكوكتيل الذي اخترَعتُه ليلة أمس، لكنني لا أظن أنهم سيكونون قادرين على تقديمه في المقاصف* - ولا بأس بذلك الجزء لأنه يمكنك رؤية القليل من جوني في الداخل. جزء هايد هو الذي أخافها، لأن تلك العين كانت مغمضة إلى مجرّد شق. كان يمكن أن يكون أي شخص. أي شخص على الإطلاق. دان، مثلاً.

لكن حين وصلا إلى معرض إستي، حيث اللمبات العارية لباحة الألعاب تتلألأ في الظلمة والأشعة الطويلة لنيون دولاب الهواء تدور إلى الأعلى والأسفل، كانت قد نسيت القناع. إنها مع رجلها، وسيمضيان وقتاً ممتعاً.

مشيا إلى باحة الألعاب يداً بيد، دون أن يتكلّما كثيراً، ووجَدت سارة نفسها تستعيد ذكرى معارض شبابها. لقد ترعرعت في ساوث باريس، بلدة ورقية في ماين الغربية، والمعرض الكبير الوحيد كان في فرايبورغ. بالنسبة لجوني، فتى پاونال، الأرجح أنه كان معرض توبشام. لكنها كلها متشابهة، حقاً، ولم تتغيَّر كثيراً على مر السنوات. تركن سيارتك في مرأب ترابي وتدفع الدولارين عند البوابة، وفور دخولك أرض المعرض يمكنك شمّ رائحة النقانق، الفليفلة والبصل المقلي، اللحم المقدَّد، غزل البنات، نشارة الخشب، وبراز الأحصنة العطري العذب. تسمع الدوي الثقيل لأفعوانية الأطفال المسيَّرة بسلسلة، تلك التي يسمّونها الفأرة البرية. تسمع لعلعة الطلقات في أقسام الرماية، والهتاف الناشز لمُنادي أرقام البينغو من نظام الإعلانات العامة المركَّب حول الخيمة الكبيرة المليئة بطاولات طويلة وكراسٍ قابلة للطيّ المُستعارة من المَشرَحة المحلية، وموسيقى الروك أند رول التي تنافس الكاليوب على التفوّق. تسمع الصراخ المتواصل للمُنادين بأصوات جهيرة - طلقتين ببضعة سنتات، للفوز بأحد تلك الكلاب المحشوة لطفلك، يا هو - يا هو - إلى هنا، ارموا إلى أن تفوزوا. لم تتغيَّر. تعيدك طفلاً من جديد، مستعداً ومتلهّفاً لكي تُخدَع.

«هنا!»، قالت وهي توقفه. «السوط! السوط!».

«بالطبع»، قال جوني بنبرة معزّية. تخلّى عن دولار للمرأة الجالسة عند شباك التذاكر، فأعادت له تذكرتين حمراوين وعشرين سنتاً وهي بالكاد ترفع نظرها عن مجلتها فوتوبلاي.

«ماذا تقصد ‹بالطبع›؟ ولماذا قلتها بهذه النبرة؟».

هزَّ كتفيه. كان وجهه بريئاً جداً.

«لم يكن ما قلتَه يا جون سميث، بل طريقة قولك له».

انتهت الجولة. بدأ الركاب ينزلون ويتدفّقون بجانبهما، أغلبهم مراهقون في كنزات صوفية زرقاء أو معاطف مفتوحة. ساعدها جوني في صعود المنحَدَر الخشبي وسلَّم تذكرتيهما إلى مشغِّل السوط، الذي بدا كأنه أكثر مخلوق ضجِر في الكون.

«لا شيء»، قال بينما أجلسهما المشغِّل في إحدى الأصداف المستديرة الصغيرة وثبَّت قضيب الأمان في مكانه. «المسألة فقط هي أن هذه العربات تسير على مسارات دائرية صغيرة، صح؟».

«صح».

«والمسارات الدائرية الصغيرة مضمَّنة في طبق دائري كبير يدور ويدور في دوائر، صح؟».

«صح».

«حسناً، عندما تنطلق هذه الجولة بسرعتها القصوى فإن العربة الصغيرة التي نجلس فيها تنعطف بسرعة على مسارها الدائري الصغير وتراكم أحياناً ما يصل إلى سبعة جي، وهذا أقل فقط بخمسة مما يختبره روّاد الفضاء عندما ينطلقون من كايپ كينيدي. وكنتُ أعرف ولداً...»، قال جوني وقد بدأ يميل بوقار فوقها الآن.

«آه، ها هي إحدى كذباتك الكبيرة»، قالت سارة بانزعاج.

«عندما كان ذلك الولد في الخامسة، سقَط على الدرجات الأمامية مسبِّباً لنفسه تمزّقاً رفيعاً جداً في عموده الفقري أعلى عنقه. ثم - *بعد عشر سنوات* - ركب السوط في معرض توبشام... و...». هزَّ كتفيه ثم ربَّت لها يدها بودّ. «لكنك ستكونين بخير على الأرجح يا سارة».

«آه... أريد *النزوللل*...».

وانطلق بهما السوط، محوِّلاً أكشاك المعرض وباحة الألعاب إلى ضبابية أضواء ووجوه، فزعَقت وضحِكت وبدأت تضربه ضربات متكرّرة.

«تمزّق رفيع!»، صرَخت فيه. «سأعطيك تمزّقاً رفيعاً عندما ننزل أيها الكذّاب!».

«هل تشعرين بأي شيء يتراخى في عنقك؟»، استفسر بلطف.

«آه أيها الكذّاب!».

راحا يدوران، أسرع وأسرع، وعندما تجاوزا مشغِّل الجولة للمرة - العاشرة؟ الخامسة عشرة؟ - مالَ وقبَّلها، وصفَّرت العربة على مسارها، ضاغطةً شفتيهما على بعضهما في شيء ساخن ومشوِّق وضيق جداً. ثم بدأت الجولة تتباطأ، وراحت عربتهما تطقطق على مسارها على مضض، وتمايلت متوقفةً أخيراً.

خرَجا، وقرصت سارة عنقه. «تمزّق رفيع، أيها الأبله!»، همَست.

مرَّت بجانبهما سيدة بدينة ترتدي سروالاً فضفاضاً أزرق وخفّاً بلا أربطة. كلَّمها جوني وهو يهزّ إبهامه نحو سارة. «هذه الفتاة تزعجني يا سيدتي. إذا رأيتِ شرطياً هلاّ أخبرته؟».

«أنتم الشباب تظنّون أنفسهم أذكياء»، قالت السيدة البدينة بازدراء. تهادت مبتعدةً نحو خيمة البينغو، وهي تشدّ أكثر على جزدانها الذي تحمله تحت ذراعها». بدأت سارة تقهقه دون سيطرة.

«أنت مستحيل».

«سأصل إلى نهاية سيئة»، وافَقها جوني. «لطالما قالت أمي هذا».

مشيا في باحة الألعاب جنباً إلى جنب مرة أخرى، منتظرَين أن يتوقف العالم عن القيام بحركات غير مستقرة أمام عينيهما وتحت قدمَيهما.

«أمك متخشِّعة جداً، أليس كذلك؟»، سألت سارة.

«أجل»، وافَقها جوني. «لكنها لا تتطرَّف. تُبقي الأمور تحت السيطرة. لا يمكنها مقاومة إسماعي بعض النصائح عندما أكون في المنزل. أبي وأنا نتحمَّل هذا منها. كنتُ معتاداً على محاولة إثارة أعصابها بأن أسألها بعض الأسئلة الاستفزازية، لكنني قرَّرتُ أن هذا أمر لئيم نوعاً ما فتوقفتُ عن ذلك. منذ سنتين اعتقَدتُ أن باستطاعة يوجين مكارثي إنقاذ العالم، وعلى الأقل المتخشِّعون لا يرشّحون أحدهم للرئاسة».

«أبوك ليس متخشِّعاً؟».

ضحِك جوني. «بالتأكيد لا. ثم أضاف بعد لحظات من التفكير، «أبي نجّار»، كما لو أن هذا يفسّر المسألة. ابتسمت.

«ماذا ستقول أمك إن عرَفت أنك تواعد فتاة من غير طائفتها؟».

«ستطلب مني إحضارك إلى المنزل»، قال جوني بحزم، «لكي تتمكَّن من إعطائك بعض الكرّاسات».

توقَفت وهي لا تزال تمسك يده. «هل تودّ إحضاري إلى منزلك؟»، سألت وهي تنظر إليه عن كثب.

أصبح وجه جوني الطويل اللطيف جدّياً. «نعم»، قال. «أودّ أن تتعرَّفي عليهما... والعكس بالعكس».

«لماذا؟».

«ألا تعرفين السبب؟»، سألها بلطف، وفجأة جفّ حلقها ونبضَ رأسها كما لو أنها قد تبكي وشدَّت على يده بشكل محكم.

«آه يا جوني، أنت تعجبني حقاً».

«وأنا معجب بك حتى أكثر»، قال جدّياً.

«هيا نركب دولاب الهواء»، طالَبت فجأة، مبتسمةً. لا مزيد من هذا الصنف من الكلام إلى أن يكون قد تسنّى لها الوقت لتفكِّر في المسألة، لتفكِّر إلى أين يمكن أن تؤدّي. «أريد الصعود عالياً حيث يمكننا رؤية كل شيء».

«هل يمكنني أن أقبّلك عند القمة؟».

«مرتين، إذا كنت سريعاً».

تركها تقوده إلى كشك التذاكر، حيث تخلّى عن دولار آخر. أخبَرها بينما كان يدفع، «عندما كنتُ في الثانوية، كنتُ أعرف ولداً يعمل في المعرض، وقال لي إن معظم الأشخاص الذين يركبون دولاب الهواء ثملون جداً ويخلّفون وراءهم كافة أصناف...».

«اذهب إلى الجحيم»، قالت بمرح، «لا أحد يعيش إلى الأبد».

«لكن الجميع يحاولون، ألم تلاحظي هذا أبداً؟»، قال وهو يتبعها إلى إحدى العربات المتمايلة.

تمكَّن في الواقع من تقبيلها عدة مرات عند القمة، ورياح أكتوبر تنفش شعرهما وباحة الألعاب ممتدّة تحتهما مثل وجه ساعة متوهجة في الظلمة.

بعد دولاب الهواء ركبا دوَّامة الخيل، رغم أنه أخبَرها بصدق تام أنه شَعَر بالغباء. كانت رِجلاه طويلتين لدرجة أن بوسعه الوقوف منفرِج الساقين فوق أحد أحصنة الجصّ. وأخبَرته بخُبث أنها كانت تعرف فتاةً في الثانوية لديها قلب ضعيف، لكن لا أحد عرَف أن قلبها ضعيفٌ، وقد ركبت دوَّامة الخيل مع حبيبها و...

«ستأسفين يوماً ما»، أخبَرها بصدق هادئ. «العلاقة المرتكزة على الكذب ليست علاقة جيدة يا سارة».

أطلقت صفرةً ساخرةً.

بعد دوَّامة الخيل أتت متاهة المرايا، متاهة مرايا جيدة جداً في الواقع ذكَّرتها بمتاهة المرايا في رواية برادبُري، *شيء خبيث جاء من هنا*، حيث كادت المدرِّسة العجوز أن تتوه إلى الأبد. يمكنها رؤية جوني في جزء آخر منها، يبحث بارتباك، ويلوِّح لها. عشرات الجوني، عشرات السارة. تجاوزا بعضهما البعض، انعطفا حول زوايا غير أقليدية، وبدَوا أنهما اختفيا. انعطفت يساراً، انعطفت يميناً، صدَمَت أنفها بألواح زجاج شفاف، وقهقهت بعجز، جزئياً في ردّة فعل عصبية من رُهاب الأماكن الضيقة. حوَّلتها إحدى المرايا إلى قزم جالس القرفصاء. وأنشأت مرآة أخرى نسخة فارعة الطول منها بساقين طولهما أربعمئة متر.

هَرَبا أخيراً وأحضرَ لهما شطيرتَي نقانق مقلية وكوب ديكسي مليء ببطاطا مقلية دهنية مذاقها بالكاد يشبه مذاق البطاطا المقلية الشهية في صغرك حالما يتخطى سنّك الخامسة عشرة.

مرَّا بجانب ملهى وقفت أمامه ثلاث فتيات في تنانير وحمّالات صدر مُزدانة بالترتر. كنَّ يتمايلن على لحن قديم لجيري لي لويس بينما المُنادي يتصيَّد الزبائن عبر ميكروفون. «تعالي يا حبيبتي»، هتفَ جيري لي وأنغام البيانو تصدح بقوة في الأروقة المليئة بنشارة الخشب. «تعالي يا حبيبتي، حبيبتي أمسكت الثور بقرنيه... نحن لا نلفّق... لدينا الكثير من الهزّ...».

«نادي بلايبوي»، قال جوني متعجِّباً وضحِك. «كان يوجد مكان مماثل لهذا على شاطئ هاريسون. وكان المُنادي يُقسِم أن بإمكان الفتيات رفع النظّارات عن أنفك وأيديهن مربوطة خلف ظهورهن».

«تبدو هذه طريقة مثيرة للاهتمام لالتقاط مرض اجتماعي»، قالت سارة، وزأر جوني من الضحك.

أصبح الصوت المضخَّم للمُنادي خلفهما مجوَّفاً أكثر فأكثر مع المسافة وقد امتزج به بيانو جيري لي، والموسيقى مثل صوت سيارة قديمة مجدَّدة منبعِجة كانت قوية جداً لكي تموت، تلعلع من حقبة الخمسينات الميتة والصامتة مثل فألٍ. «تفضلوا أيها الرجال، تفضلوا، لا تخجلوا لأن هذه الفتيات غير خجولات على الإطلاق! كل شيء في الداخل... لن يكتمل تعليمكم إلا بعد أن تروا عرض نادي بلايبوي...».

«ألا تريد أن تعود وتُكمل تعليمك؟»، سألت.

ابتسم. «لقد أكملتُ مقرّري التعليمي الأساسي في ذلك الموضوع منذ بعض الوقت. أظن أنه يمكنني الانتظار قليلاً قبل الحصول على شهادة الدكتوراه».

ألقت نظرة سريعة على ساعتها. «آه، لقد تأخر الوقت يا جوني. وغداً يوم دراسيّ».

«نعم. لكنه على الأقل يوم جمعة».

تنهَّدت وهي تفكِّر بحصتها الخامسة في القاعة الدراسية وحصتها السابعة عن الأدب الخرافي الجديد، كلتاهما صاخبة إلى حد لا يُصدَّق.

شقّا طريقهما إلى الجزء الرئيسي لباحة الألعاب. كان الحَشد ينخفض عدداً، ولعبة الدوّامة أقفلت أبوابها. كان عاملان ناتئةٌ سيجارتان بلا فلتر من طرفَي فمَيهما يغطيان لعبة الفأرة البرية بقماش مشمَّع. والرجل في لعبة «ارمي إلى أن تفوز» يُطفئ أضواءه.

«هل تفعلين أي شيء السبت؟»، سأل بحياء مفاجئ. «أعرف أنها مهلة قصيرة، لكن...».

«لديَّ خطط»، قالت.

«آه».

ولم تستطع تحمُّل تعبيره المكتئب، فمن اللؤم حقاً مضايقته بشأن ذلك. «أنا أفعل شيئاً معك».

«حقاً؟... آه. هذا جيد». ابتسم لها وابتسمت له بدورها. الصوت في ذهنها، الذي كان حقيقياً لها أحياناً كما لو أنه صوت إنسان آخر، تكلَّم فجأة.

أنتِ تشعرين بالرضى مرة أخرى يا سارة. تشعرين بالسعادة. أليس هذا جيداً؟

«نعم، هذا جيد»، قالت. رفعت نفسها على رؤوس أصابعها وقبّلته بسرعة. أجبرت نفسها على متابعة الحديث قبل أن تفقد جرأتها. «تخيّم الوحدة في ڤيزي أحياناً. ربما يمكنني... تمضية الليلة معك».

نظرَ إليها نظرة ودّ دافئة، ونظرة تخمين جَعَلتها ترتعش في أعماقها. «هل هذا ما تريدينه يا سارة؟».

أومأت برأسها. «ما أريده نعم».

«حسناً»، قال ووضع ذراعه حولها.

«هل أنتَ متأكد؟»، سألت سارة ببعض الخجل.

«أخشى فقط أن تغيِّري رأيك».

«لن أغيِّر رأيي يا جوني».

عانَقها بقوة أكثر. «إذاً الليلة ليلة سعدي».

كانا يمرّان بجانب عجلة الحظ عندما قال ذلك، وستتذكَّر سارة لاحقاً أنه الكشك الوحيد الذي كان لا يزال مفتوحاً في تلك الجهة من باحة الألعاب لثلاثين متراً في الاتجاهين. الرجل الجالس خلف المنضدة أنهى للتو البحث بين الأتربة المتراكمة في الداخل عن أي عشرات سنتات احتياطية ربما تكون قد سقطت من لوحة اللعب خلال نشاط الليلة. هذه مهمته الأخيرة على الأرجح قبل أن يُغلق كشكه، فكَّرت في سرّها. خلفه توجد عجلته الكبيرة ذات القضبان والمزنَّرة بلمبات كهربائية صغيرة جداً. لا شك أنه سمِع تعليق جوني، لأنه أخذ يذيع إعلانه تلقائياً تقريباً، وعيناه لا تزالان تتفحّصان أرضية كشكه الترابية بحثاً عن بريق الفضة.

«يا هو - يا هو - يا هو، إذا كنتَ تشعر أنك محظوظ يا سيد، أدِر عجلة الحظ وحوِّل عشرات السنتات إلى دولارات. كل شيء خلف العجلة، جرِّب حظك، عشرة سنتات فقط تحرِّك عجلة الحظ هذه».

استدار جوني نحو صوته.

«جوني؟».

«أشعر أنني محظوظ، تماماً مثلما قال الرجل». ابتسم لها. «إلا إذا كنتِ تمانعين...؟».

«لا، تفضَّل. فقط لا تتأخر كثيراً».

نظرَ إليها مرة أخرى بتلك الطريقة التأملية التي جَعَلتها تشعر ببعض الضعف، وتساءلت كيف ستكون معه. انقبضت معدتها ببطء مما جَعَلها تشعر بالغثيان قليلاً مع حنين جنسي مفاجئ.

«لا، لن أتأخر». نظرَ إلى صاحب الكشك. كانت باحة الألعاب خلفهم فارغة بالكامل تقريباً الآن، ومع تبدّد دِثار السُحُب فوقهم أصبح الجو قارساً. بدأ ثلاثتهم يزفرون بخاراً أبيض من أنفاسهم.

«ستجرِّب حظك أيها الشابّ؟».

«نعم».

كان قد بدَّل كل نقوده إلى جيبه الأمامي عندما وصلا إلى المعرض، وأخرجَ الآن بقايا دولاراته الثمانية. لم يعد معه إلا دولاراً وخمسة وثمانين.

لوحة اللعب هي شريطٌ بلاستيكيٌ أصفر طُليت أرقامٌ واحتمالاتٌ على مربعاته. بدت أشبه بعجلة الروليت قليلاً، لكن جوني رأى فوراً أن الاحتمالات هنا ستجعل أي لاعب روليت في لاس فيغاس كئيباً. تركيبة المجموعة تُربحك ما نسبته اثنين إلى واحد فقط، وهناك رقمان للكشك، الصفر والصفر المزدوج. لفت نظر صاحب الكشك إلى ذلك، الذي اكتفى بهزّ كتفيه.

«تريد فيغاس، اذهب إلى فيغاس. ماذا يمكنني أن أقول؟».

لكن روح الدعابة لدى جوني هذه الليلة كانت راسخة. لقد انطلقت الأمور بشكل سيئ مع ذلك القناع، لكن كل شيء آخر بعد ذلك كان متفائلاً. في الواقع، كانت أفضل ليلة يمكنه أن يتذكَّرها منذ سنوات، ربما أفضل ليلة في حياته كلها. نظرَ إلى سارة. كانت متورِّدة، وعيناها متلألئتين «ما رأيك يا سارة؟».

هزَّت رأسها. «كل هذا مُبهم بالنسبة لي. كيف تلعب؟».

«تختارين رقماً. أو الأحمر/الأسود. أو الزوجي/الفردي. أو سلسلة عشرة أرقام. كل هذه تُربحك بنسب مختلفة». حدَّق في صاحب الكشك، الذي حدَّق فيه برقّة. «هذا هو المفترض، على الأقل».

«اختر الأسود»، قالت. «هذا مشوِّق نوعاً ما، أليس كذلك؟».

«الأسود»، قال وأفلت قطعة سنتاته العشرة على المربع الأسود.

حدَّق صاحب الكشك بقطعة السنتات العشرة الوحيدة على لوحة اللعب الفسيحة وتنهَّد. «لاعب خطير». استدار إلى العجلة.

تجوَّلت يد جوني إلى جبهته بذهن شارد ولمستها. «انتظر»، قال فجأة. وضع قطعة رُبع دولار على المربع 11- 20.

«هل هذا كل شيء؟».

«بالتأكيد»، قال جوني.

أدار صاحب الكشك العجلة التي راحت تدور داخل دائرة أضوائها، دامجةً الأحمر والأسود. فَرَك جوني جبهته بذهن شارد. بدأت العجلة تتباطأ وأصبح بإمكانهم الآن سماع التكتكة التي تشبه صوت بندول الإيقاع للكُرة الخشبية الصغيرة التي تتنقَّل بين الدبابيس التي تفصل الأرقام عن بعضها. وَصَلت إلى 8، 9، وبدت أنها ستتوقف على 10، وانزلَقت إلى الخانة 11 بصوت نقرة أخيرة وتوقفت عن الحركة.

«السيدة تخسر، السيد يفوز»، قال صاحب الكشك.

«فزتَ يا جوني؟».

«يبدو ذلك»، قال جوني بينما أضاف صاحب الكشك رُبعين إلى رُبعه الأصلي. زعقت سارة زعيقاً خفيفاً، وبالكاد لاحظت صاحب الكشك يأخذ قطعة السنتات العشرة.

«أخبَرتُك أنها ليلة سعدي»، قال جوني.

«مرّتان يُعتبر حظاً، مرة واحدة يُعتبر مجرّد حظ عفوي»، علَّق صاحب الكشك. «يا هو - يا هو - يا هو».

«العب مرة أخرى يا جوني»، قالت.

«حسناً. تماماً كما هو الحال بالنسبة لي».

«جولة أخرى؟».

«نعم».

أدار صاحب الكشك العجلة مرة أخرى، وبينما دارت، همسَت له سارة بهدوء، «أليست كل عجلات الكرنفالات هذه قد عُبثَ بها؟».

«هكذا كانت في الماضي. الآن الولاية تتفحّصها وبالتالي تتكل فقط على نظام احتمالاتها الشنيع».

تباطأت العجلة إلى تكتكتها الأخيرة. تجاوزت الكُرة الرقم 10 ودخلَت مجموعة جوني، ولا تزال سرعتها تتباطأ.

«هيا، *هيا!*»، صاحت سارة. توقف مراهقان كانا في طريقهما للخروج لكي يشاهدا ما يجري.

تجاوزت الكُرة الخشبية، التي تتحرَّك ببطء شديد الآن، الرقمين 16 و17، ثم توقفت على الرقم 18.

«السيد يفوز مرة أخرى». أضاف صاحب الكشك ستة أرباع أخرى إلى كومة جوني.

«أنت غني!»، قالت سارة مبتهجةً، وقبَّلته على خده.

«انتصارات متواصلة يا صاح»، وافَقها صاحب الكشك بحماسة. «لا أحد يُنهي سلسلة انتصارات. يا هو - يا هو - يا هو».

«هل يجب أن أجرِّب مرة أخرى؟»، سألها جوني.

«لما لا؟».

«نعم، هيا يا رجل»، قال أحد المراهقَين. يُظهِر أحد الأزرار على سترته وجه جيمي هندريكس. «هذا الرجل خسرّني أربعة دولارات هذه الليلة. أحبّ رؤيته يتلقى هزيمة».

«أنتِ أيضاً إذاً»، قال جوني لسارة. أعطاها رُبعاً من كدسة أرباعه التسعة. بعد لحظة تردّد، وضعته على الرقم 21. الأرقام الواحدة تُربح عشرة أضعاف، بحسب ما تُعلنه اللوحة.

«ستلعب على المجموعة الوسطية، أليس كذلك يا صاح؟».

أخفَض جوني نظره إلى الأرباع الثمانية المكدّسة على اللوحة، ثم بدأ يفرك جبهته مرة أخرى، كما لو أنه شَعَر ببداية صُداع. فجأة كَنَس الأرباع عن اللوحة وراح يخشخشها في يديه المكوَّرتين.

«لا. أدِر العجلة للسيدة. سأراقب هذه الجولة».

نظرت إليه مُحتارةً. «جوني؟».

هزَّ كتفيه. «مجرّد شعور».

قَلَب صاحب الكشك عينيه في إيماءة تعني ليكن الله في عوني لكي أتحمّل هذين المغفَّلين وأدار عجلته مرة أخرى. دارت، تباطأت، وتوقفت. على الصفر المزدوج. «رقم الكشك، رقم الكشك»، أنشَد صاحب الكشك، واختفى رُبع سارة في مئزره.

«هل هذا عدلٌ يا جوني؟»، سألت سارة بألم.

«الصفر والصفر المزدوج يُربحان الكشك فقط»، قال.

«إذاً كنتَ ذكياً برفع مالك عن اللوحة».

«أظن ذلك».

«هل تريدني أن أدير هذه العجلة أم ستذهب لتناول القهوة؟»، سأل صاحب الكشك.

«أدره»، قال جوني، وأعاد وضع أرباعه في كدستين من أربعة على المجموعة الثالثة.

مع أزيز العجلة في قفص أضوائها، سألت سارة جوني، دون أن ترفع نظرها عن العجلة، «كم يمكن أن يجني مكانٌ كهذا في ليلة واحدة؟».

انضم أربعة عجائز إلى المراهقَين، رجلان وامرأتان. وقال رجلٌ ذو بنية جسدية تشبه بنية عمّال البناء، «ما بين خمسمئة وسبعمئة دولار».

قَلَب صاحب الكشك عينيه مرة أخرى. «آه يا رجل، أتمنّى لو كنتَ محقاً»، قال.

«مهلاً، لا تتظاهر بالفقر أمامي»، قال الرجل الذي بدا أنه عامل بناء. «كنتُ أؤدّي ضرب الاحتيال هذا منذ عشرين سنة. خمسمئة إلى سبعمئة في الليلة، وألفان ليلة السبت، بكل سهولة. وهذا مع عجلةٍ لم يتم العبث بها».

أبقى جوني عينيه على العجلة، التي كانت تدور ببطءٍ كافٍ الآن لقراءة الأرقام. تجاوزت الكُرة الرقمين 0 و00، المجموعة الأولى، لا تزال تتباطأ، المجموعة الثانية، لا تزال تتباطأ.

«أقسام كثيرة يا رجل»، قال أحد المراهقَين.

«انتظر»، قال جوني بنبرة غريبة. ألقت سارة نظرة سريعة عليه، وبدا لها وجهه الطويل اللطيف متوتراً بشكل غريب، عيناه الزرقاوان داكنتين أكثر من المعتاد، شاردتين إلى مكان بعيد.

توقفت الكُرة على الرقم 30.

«سلسلة انتصارات، سلسلة انتصارات»، أنشَد صاحب الكشك باستسلام بينما ابتهج الحَشد الصغير خلف جوني وسارة. الرجل الذي بدا أنه عامل بناء ربَّت على ظهر جوني بقوة كافية لجعله يترنَّح قليلاً. مدَّ صاحب الكشك يده إلى صندوق سيجار خشبي تحت المنضدة ووضع أربعة أرباع بجانب أرباع جوني الثمانية.

«كفى؟»، سألت سارة.

«جولة أخرى»، قال جوني. «إذا فزتُ، يكون هذا الرجل قد دفع ثمن معرضنا ووقودك. إذا خسرتُ، نكون قد بذّرنا حوالي نصف دولار».

«يا هو - يا هو - يا هو»، أنشَد صاحب الكشك. كان يسطع الآن وقد بدأ يستعيد إيقاعه. «ضعه حيث تريده. تفضَّلوا أيها السادة. هذه ليست رياضة للمتفرِّجين. ستدور وتدور ولا أحد يعلم أين ستتوقف».

اقترب الرجل الذي بدا أنه عامل بناء والمراهقان من جوني وسارة. بعد التشاور للحظة، أخرجَ المراهقان نصف دولار مشترك بينهما ووضعاه على المجموعة الوسطية. الرجل الذي بدا أنه عامل بناء، والذي عرَّف عن نفسه أنه ستيف برنارت، وضع دولاراً على المربع المعلّم زوجيّ.

«ماذا عنك يا صديقي؟»، سأل صاحب الكشك جوني. «هل ستلعب حسب الأرقام التي تقف عندها الآن؟».

«نعم»، قال جوني.

«آه»، قال أحد المراهقَين، «هذه مخاطرة كبيرة».

«أظن»، قال جوني، وابتسمت له سارة.

رمقَ برناردت جوني نظرةً تأمليةً ونقل دولاره فجأة إلى المجموعة الثالثة. «حسناً»، تنهَّد المراهق الذي كان قد أخبَر جوني أنه يخاطر مخاطرة كبيرة وبدَّل السنتات الخمسين التي له ولصديقه إلى نفس المجموعة.

«كل البيض في سلة واحدة»، أنشَد صاحب الكشك. «هكذا تريدون؟».

وَقَف اللاعبون صامتين ومتفائلين. اقترب حمّالان لمراقبة ما يجري، أحدهما برفقة صديقته؛ أصبح هناك الآن حَشد صغير أمام عجلة الحظ في الرِواق المظلم. أدار صاحب الكشك العجلة دورةً قويةً. راقبها اثنا عشر زوج عيون. وجَدت سارة نفسها تنظر إلى جوني مرة أخرى، وتفكِّر كم أن وجهه يبدو غريباً في هذه الإضاءة الجريئة لكن المستترة نوعاً ما. تذكَّرت القناع مرة أخرى - جيكل وهايد، الفردي والزوجي. انقبضت معدتها مرة أخرى، مما جعلها تشعر ببعض الضعف. تباطأت العجلة، وبدأت تتكتك. بدأ المراهقان يصرخان بها، يُلحّان عليها أن تستمر في الدوران.

«قليلاً بعد يا حبيبتي»، تملَّقها ستيف برناردت. «قليلاً بعد».

وصلت العجلة إلى المجموعة الثالثة وتوقفت على الرقم 24. صدحَ ابتهاجٌ من الحَشد مرة أخرى.

«لقد نجحت يا جوني، نجحت»، صاحت سارة.

صفَّر صاحب الكشك باشمئزاز وسدَّد الأرباح. دولار للمراهقَين، دولاران لبرناردت، اثنا عشر دولاراً لجوني. يوجد الآن ثمانية عشر دولاراً أمامه على اللوحة.

«سلسلة انتصارات، سلسلة انتصارات، يا هو - يا هو - يا هو. جولة أخرى يا صديقي؟ هذه العجلة صديقتك هذه الليلة».

نظرَ جوني إلى سارة.

«الأمر متروك لك يا جوني». لكنها شَعَرت بعدم الارتياح فجأة.

«هيا يا رجل»، ألحّ المراهق ذو زر جيمي هندريكس. «أحبّ رؤية هذا الرجل يتلقى هزيمة».

«حسناً»، قال جوني، «مرة أخيرة».

«ضعه حيث تريده».

نظروا كلهم إلى جوني، الذي وَقَف يفكِّر ملياً للحظة ويفرك جبهته. كان وجهه المبتهِج عادة جامداً وجدّياً ورصيناً وهو ينظر إلى العجلة في قفص أضوائها، وأصابعه تفرك بثبات البشرة الناعمة فوق عينه اليمنى.

«نفس المكان»، قال أخيراً.

بعض الهمس التخمينيّ من الحَشد.

«آه يا رجل، هذه مخاطرة كبيرة *حقاً*».

«الحظ بجانبه»، قال برنارد بارتياب. ألقى نظرة سريعة على زوجته، التي هزّت له كتفيها لتُظهِر كامل حيرتها. «وأنا مثلكَ».

ألقى المراهق ذو الزر نظرة سريعة على صديقه، الذي هزّ كتفيه وأومأ برأسه. «حسناً»، قال واستدار نحو صاحب الكشك. «نحن أيضاً».

دارت العجلة. سمِعت سارة خلفها أحد الحمّالين يراهن زميله خمسة دولارات على وقوف الكُرة في المجموعة الثالثة مجدداً. انقبضت معدتها مرة أخرى لكنها لم تتوقف هذه المرة؛ بل تابعت تنقبض مرة تلو الأخرى وأدركت أنها تُصاب بالغثيان. سالَ عرق بارد على وجهها.

بدأت العجلة تتباطأ عند المجموعة الأولى، ورفرف أحد المراهقَين يديه باشمئزاز. لكنه لم يبتعد. تجاوزت الكُرة الأرقام 11 و12 و13. بدا صاحب الكشك سعيداً أخيراً. استمرّت التكتكة، 14، 15، 16.

«ستصل»، قال برنارد. كانت هناك رهبة في صوته. نظرَ صاحب الكشك إلى عجلته كما لو أنه يتمنّى لو يستطيع مدَّ يده ويوقفها. تجاوزت الكُرة الرقمين 20 و21 واستقرّت في خانة الرقم 22.

علت صرخة انتصار أخرى من الحَشد، الذي وصل عدده الآن إلى حوالي عشرين. بدا أن كل الأشخاص الذي بقوا في المعرض تجمَّعوا هنا. سمِعت سارة بشكل خافت الحمّال الذي خسر رِهانه يتذمَّر من «حظ لعين» بينما دفَع لزميله. دوّى رأسها. شَعَرت فجأة بارتخاء كبير في رِجلَيها وبارتعاش في عضلاتها. طرفت عيناها بسرعة عدة مرات ولم تكسب من ذلك سوى لحظة غثيان من آلامها. بدا لها أن العالم يميل صعوداً بزاوية منحرفة، كما لو أنهما لا يزالان يركبان السوط، ثم استقرّت حالتها ببطء.

لقد أكلتُ قطعة نقانق سيئة، فكَّرت في سرّها بتجهّم. هذه نتيجة تجربة حظك في معرض المقاطعة يا سارة.

«يا هو - يا هو - يا هو»، قال صاحب الكشك دون حماسة كبيرة، وسدَّد الأرباح. دولاران للمراهقين، أربعة لستيف برناردت، ثم رزمة لجوني - ثلاث عشرات، خمسة، ودولار واحد. لم يكن صاحب الكشك يشعر بسعادة غامرة، لكنه كان متفائلاً. إذا جرَّب الرجل الطويل النحيل الذي برفقة الشقراء الجميلة المجموعة الثالثة مرة أخرى، فإن صاحب الكشك سيستردّ بكل تأكيد تقريباً كل ما دفعه سابقاً. لن يصبح المال مُلك الرجل النحيل إلى أن يرفعه عن اللوحة. وإذا ابتعد؟ حسناً، لقد جنى ألف دولار من العجلة اليوم، ويمكنه أن يتحمَّل تقديم بعض الأرباح القليلة هذه الليلة. سينتشر الخبر أن عجلة سول درامور تلقَّت ضربةً والرهانات غداً ستكون أضخم من أي وقت مضى. وجود فائزٍ هو إعلان جيد.

«ضعه حيث تريده»، أنشَد. اقترب عدد من الآخرين إلى اللوحة وبدأوا يضعون عشرات سنتات وأرباع دولارات. لكن صاحب الكشك نظر فقط إلى اللاعب الذي معه ماله. «ما رأيك يا صاح؟ هل تريد تجربة المستحيل؟».

أخفَض جوني نظره إلى سارة. «ما رأيك... مهلاً، هل أنتِ بخير؟ أنتِ بيضاء كالشبح».

«معدتي»، قالت وابتسمت جاهدةً. «أعتقد أن السبب نقانقي. هل يمكننا العودة إلى المنزل؟».

«بالتأكيد. طبعاً». كان يلملم الأوراق المالية المتجعِّدة عن اللوحة عندما وقعت عيناه على العجلة مرة أخرى. القلق الحميميّ تجاهها الذي كان فيهما تلاشى. بدا أنه اكفهرّ مرة أخرى، أصبح تأملياً بطريقة باردة. *إنه ينظر إلى العجلة مثلما ينظر فتى صغير إلى مستعمرة نمله الخاصة*، فكَّرت سارة في سرّها.

«دقيقة فقط»، قال.

«حسناً»، أجابت سارة. لكنها شَعَرت بدوار في رأسها إلى جانب الغثيان في معدتها. وكانت هناك لعلعات في أسفل بطنها لم تعجبها. ليس إسهالاً. رجاءً.

فكَّرت في سرّها: *لن يرتاح باله إلى أن يخسر كل أرباحه.*

ثم بيقين غريب: *لكنه لن يخسر.*

«ما رأيك يا صاح؟»، سأل صاحب الكشك. «ستلعب أم ستنسحب، ستدخل أم ستخرج».

«ستبوِّل أم ستتبرَّز»، قال أحد الحمّالَين، وكان هناك ضحك متوتر. داخَ رأس سارة.

دفَع جوني فجأة الأوراق المالية والأرباع إلى زاوية اللوحة.

«ماذا تفعل؟»، سأل صاحب الكشك، مصدوماً بحقّ.

«المبلغ كله على الرقم 19»، قال جوني. أرادت سارة أن تئنّ لكنها ابتلعت ذلك. همسَ الحَشد.

«لا تبالغ»، قال ستيف برناردت في أذن جوني. لم يُجبه جوني. كان يحدِّق بالعجلة بلا مبالاة تقريباً. بدت عيناه بنفسجيتين تقريباً.

سُمع صوت جلجَلة مفاجئة ظنّته سارة في البدء أنه بلا شك في أذنَيها. ثم رأت أن الآخرين الذين كانوا قد وضعوا مالاً على اللوحة يعيدون سحبه مرة أخرى، تاركين جوني يلعب لوحده.

لا! وجَدت نفسها تريد أن تصرخ. *ليس هكذا، ليس لوحده، هذا ليس عدلاً ...*

عضَّت على شفتيها. فقد خشيت أن تتقيأ إذا فتَحت فمها. معدتها سيئة جداً الآن. بقيت كومة أرباح جوني لوحدها تحت الأضواء العارية. أربعة وخمسون دولاراً، وإصابة أحد الأرقام يُكسِب عشرة لواحد.

رطَّب صاحب الكشك شفتيه. «يا سيد، تقول الولاية إنه لا يُفترَض بي قبول أي رِهانات على رقم واحد تفوق الدولارين».

«هيا»، زمجَر برنارد. «لا يُفترَض بك قبول رِهانات على المجموعات تفوق عشرة دولارات وقد تركتَ الشابّ يراهن ثمانية عشر دولاراً للتو. ما المشكلة، هل بدأت مؤخرتك تعرق؟».

«لا، المسألة فقط...».

«هيا»، قال جوني فجأة. «قرِّر بسرعة. فتاتي مريضة».

تفحَّص صاحب الكشك الحَشد. راح الحَشد ينظر إليه بعيون عدائية. الوضع سيئ. لم يفهموا أن الشابّ يرمي ماله ببساطة وأنه يحاول منعه من فعل ذلك. تباً لهذا. لم يكن قراره سيُعجب الحَشد في كلا الحالتين. ليدع عناد الشابّ يتملّكه ويخسر ماله لكي يتمكن من إقفال الكشك هذه الليلة.

«حسناً»، قال، «طالما أن أياً منكم ليس مفتّش ولاية...». استدار إلى عجلته. «ستدور وتدور ولا أحد يعلم أين ستتوقف».

أدار العجلة، مرسلاً الأرقام في ضبابية فورية. لوقتٍ بدا أطول بكثير مما يمكن أن يكون عليه في الواقع، لم يكن هناك صوت غير أزيز عجلة الحظ، ورياح الليل تموِّج خيمةً قماشيةً في مكان ما، والدوّي المريض في رأس سارة. توسَّلت جوني في ذهنها أن يضع ذراعه حولها لكنه بقي هادئاً واضعاً يديه على لوحة اللعب وعيناه على العجلة، التي بدت مصمِّمة على أن تدور إلى الأبد.

تباطأت بما يكفي أخيراً لكي تصبح قادرةً على قراءة الأرقام ورأت الرقم 19، العددين 1 و9 مطليين بالأحمر الساطع على خلفية سوداء. إلى الأعلى والأسفل، إلى الأعلى والأسفل. تحوَّل أزيز العجلة الناعم إلى تكتكة هادئة كانت صاخبة جداً في السكون.

بدأت الأرقام الآن تسير تحت الكُرة بتشاورٍ متباطئٍ.

صاح أحد الحمّالَين متعجباً: «يا للهول، ستكون النتيجة قريبة، على أي حال!».

وَقَف جوني يراقب العجلة بهدوء، وبدا لها الآن (رغم أن السبب ربما هو المرض الذي بدأ يتدحرج الآن في بطنها على شكل موجات تقلّص تمعُّجية) أن عينيه سوداوان تقريباً. جيكل وهايد، فكَّرت في سرّها، وشعرت بشكل مفاجئ، بشكل عبثي، بالخوف منه.

تكتكة.

وصلت الكُرة إلى المجموعة الثانية، تجاوزت الرقمين 15 و16، تجاوزت الرقم 17، وبعد تردّد للحظة، تجاوزت الرقم 18 أيضاً. مع *تكّة* أخيرة، سقطت الكُرة في خانة الرقم 19. حبسَ الحَشد أنفاسه. أكملت العجلة دورانها ببطء، رافعةً الكُرة إلى الدبوس الصغير الفاصل بين الرقمين 19 و20. لرُبع ثانية، بدا أن الدبوس لا يستطيع إبقاء الكُرة في خانة الرقم 19؛ وأن بقايا سرعتها ستنقلها إلى خانة الرقم 20. ثم ارتدّت العجلة، فاقدةً قوتها، وتوقفت كلياً.

للحظة لم يصدر أي صوت من الحَشد. أي صوت على الإطلاق.

ثم قال أحد المراهقَين، بصوت ناعم ومرتعب: «يا رجل، لقد ربحتَ للتو خمسمئة وأربعين دولاراً».

ستيف برناردت: «لم أر في حياتي جولةً مثل هذه. *أبداً*».

ثم ابتهَج الحَشد. رُبِّت على ظهر جوني، وضُرب ضربات متكرّرة. تدافع الأشخاص حول سارة للوصول إليه، للمسه، ولحظة انفصالها عنه شَعَرت بالبؤس والذعر. خائرة القوى، راحت تُدفَع في هذا الاتجاه وذاك، ومعدتها تتقلَّب بجنون. دزينة صور تِلْويّة للعجلة دارت باكتئاب أمام عينيها.

بعد لحظة كان جوني معها ورأت بسرور ضعيف أنه جوني *حقاً* وليس الشكل الهادئ الذي يشبه دمية عرض الأزياء الذي كان يراقب العجلة في جولتها الأخيرة. بدا مرتبكاً وقلقاً بشأنها.

«آسف يا حبيبتي»، قال، وقد أحبَّته على ذلك.

«أنا بخير»، أجابته دون أن تعرف إن كانت بخير أم لا.

تنحنح صاحب الكشك. «العجلة مقفلة»، قال. «العجلة مقفلة».

همهمة قبول معكَّرة المزاج من الحَشد.

نظرَ صاحب الكشك إلى جوني. «أنا مضطر أن أعطيك شيكاً أيها الشاب. لا أحتفظ بهذا القدر من السيولة النقدية في الكشك».

«بالتأكيد، أي شيء»، قال جوني. «فقط أسرِع. السيدة هنا مريضة حقاً».

«بالتأكيد، شيك»، قال ستيف برناردت بازدراءٍ لا متناهٍ. «سيعطيك شيكاً سيُرتجَع فوراً وسيكون قد أصبح في فلوريدا لفصل الشتاء».

«سيدي العزيز»، بدأ صاحب الكشك يقول، «أطمئنك...».

«آه، اذهب وطمئن أمك، ربما ستصدِّقك»، قال برناردت. أمالَ نفسه فجأة فوق لوحة اللعب وراح يتلمَّس تحت المنضدة.

«مهلاً!»، عوى صاحب الكشك. «هذه سرقة!».

لم يبدُ أن الحَشد تأثّر بإدعائه.

«رجاءً»، تمتمت سارة. كان رأسها يدور.

«لا أهتم بالمال»، قال جوني فجأة. «دعونا نمرّ، رجاءً. السيدة مريضة».

«آه يا رجل»، قال المراهق ذو زر جيمي هندريكس، لكنه تنحّى وصديقه جانباً على مضض.

«لا يا جوني»، قالت سارة رغم أنها كانت تمتنع عن التقيؤ الآن بفعل الإرادة فقط. «خذ مالك». خمسمئة دولار هي راتبه لثلاثة أسابيع.

«ادفع له أيها المتبجِّح الحقير!»، زأر برناردت. أخرجَ صندوق السيجار الخشبي من تحت المنضدة، دفَعَه جانباً دون حتى أن ينظر إلى داخله، راح يتلمَّس مرة أخرى، وأخرجَ هذه المرة صندوق أمانات فولاذياً مطلياً بأخضر صناعي. خَبَطه على لوحة اللعب. «إن لم يحتو على خمسمئة وأربعين دولاراً، فسآكل قميصي أمام كل هؤلاء الأشخاص». ألقى يداً ثقيلةً على كتف جوني. «انتظر لحظة يا بُنيّ. ستقبض مالك وإلا لن يكون اسمي ستيف برناردت».

«حقاً يا سيد، لا أملك هذا القدر من...».

«ادفع»، قال ستيف برناردت، ومال صوبه، «وإلا سأضمن لك أنك ستتوقف عن العمل. أنا جدّي. ولا أكذب بشأن هذا».

تنهَّد صاحب الكشك ومدَّ يده داخل قميصه. أخرجَ مفتاحاً على سلسلة رفيعة. تنهَّد الحَشد. لم تعد سارة قادرة على البقاء. شَعَرت بانتفاخ في معدتها وجمدت فجأة مثل الموت. كل شيء سيخرج، كل شيء، وبسرعة فائقة. تعثَّرت بعيداً عن جوني وشقّت طريقها بعنف بين الحَشد.

«حبيبتي، هل أنتِ بخير؟»، سألها صوت أنثوي، وهزَّت سارة رأسها دون إدراك.

«سارة؟ *سارة!*».

لا يمكنكِ الاختباء... من جيكل وهايد، فكَّرت في سرّها بشكل غير متماسك. بدا لها أن القناع الفلوري عالق بشكل مُغثٍ أمام عينيها في ظلام باحة الألعاب بينما تجاوزت دوَّامة الخيل مسرعةً. ارتطم كتفها بعمود إنارة، ترنَّحت، أمسكته، وتقيأت. بدا لها أن كل شيء يأتي صعوداً من أخمص قدمَيها، مشنِّجاً معدتها مثل قبضة ملساء مريضة. تركت نفسها تتقيأ أقصى ما يمكنها.

رائحته تشبه رائحة غزل البنات، فكَّرت في سرّها، ومع تأوهٍ أعادت الكرّة مرة أخرى، ثم مرة أخرى. رقَصت بُقعٌ أمام عينيها. الجيَشان الأخير أحضَر معه بعض المُخاط والهواء.

«يا للهول»، قالت بضعف، وتشبَّثت بعمود الإنارة لتمنع نفسها من السقوط. في مكان ما خلفها كان جوني ينادي اسمها، لكن لا يمكنها أن تجيب بعد، لم ترغب أن تجيب. لقد بدأت معدتها تهدأ قليلاً وللحظة واحدة أرادت فقط أن تقف هنا في الظلمة وتهنّئ نفسها على أنها حيّة، على أنها صمَدَت ليلتها في المعرض.

«سارة؟ *سارة!*».

بصَقت مرتين لتنظف فمها قليلاً.

«هنا يا جوني».

مشى حول دوَّامة الخيل بأحصنة جصّها المجمَّدة في قفزةٍ في الهواء. رأت أنه يُمسِك بذهول رزمة سميكة من أوراق نقدية خضراء في يده.

«هل أنتِ بخير؟».

«لا، لكنني أفضل. لقد تقيأتُ».

«آه. آه، يا إلهي. هيا نذهب إلى المنزل». أمسك ذراعها بلطف.

«حصلتَ على مالك».

نظرَ إلى رزمة المال ثم حشرها بذهول في جيب بنطلونه. «صح. بعضه أو كله، لا أعرف. ذلك الرجل القوي البنية عدَّه».

أخذت سارة منديلاً من جزدانها وبدأت تفرك فمها به. بعض الماء، فكَّرت في سرّها. سأبيع روحي لقاء كوب من الماء.

«عليك أن تهتم»، قالت. «فهذا مبلغ كبير».

«المال السهل يجلب الحظ السيئ»، قال بحزن. «أحد أقوال أمي. لديها مليوناً منها. وهي بارعة في ألعاب الحظ».

«مخلصة متخشِّعة»، قالت سارة، ثم ارتجفت بتشنّج.

«هل أنتِ بخير؟»، سألها قلقاً.

«القشعريرة»، قالت. «عندما نركب السيارة أريد مسخّن الهواء بكامل طاقته، و... آه، يا إلهي، سأعيد الكرّة».

استدارت بعيداً عنه وتقيأت بُصاقاً بصوت تأوهٍ. ترنَّحت. أمسكها بلطف لكن بإحكام. «هل يمكنك العودة إلى السيارة؟».

«نعم. أنا بخير الآن». لكن رأسها يؤلِمها، والمذاق في فمها كريه، وشَعَرت أن كل عضلات ظهرها وبطنها منفصلة عن مفاصلها، مرهقة وملتهبة.

سارا ببطء في باحة الألعاب، يجرّان أقدامهما فوق نشارة الخشب، يمرّان بخيم أُغلقت بإحكام لهذه الليلة. انسلَّ ظلٌّ خلفهما وألقى جوني نظرة سريعة حوله بحدّة، ربما مُدركاً المبلغ الكبير الذي في جيبه.

كان أحد المراهقَين - في حوالي الخامسة عشرة من عمره. ابتسم لهما بخجل. «آمل أنك تشعرين بتحسّن»، قال لسارة. «أنا أكيد أنها تلك النقانق. يمكنك الحصول على قطعة سيئة بسهولة».

«آخ، لا تتكلَّم عن هذا»، قالت سارة.

«هل تحتاج إلى مساعدة لإيصالها إلى السيارة؟»، سأل جوني.

«لا، شكراً. نحن بخير».

«حسناً. عليَّ أن أرحل على أي حال». لكنه بقي واقفاً لبرهة إضافية، واتّسعت ابتسامته الخجولة إلى ابتسامة عريضة. «أحبّ رؤية ذلك الرجل يتلقى هزيمة».

وابتعد في الظلمة.

سيارة سارة الستايشن البيضاء الصغيرة هي السيارة الوحيدة الباقية في مرأب السيارات الداكن؛ كانت تربض تحت مصباح بخار الصوديوم مثل جرو بائس منسي. فتَح جوني باب الراكب وطوَت سارة نفسها بعناية عليه. انزلَق خلف المِقوَد وشغَّل المحرِّك.

«سيحتاج مسخّن الهواء إلى بضع دقائق»، قال.

«لا تهتمّ. أشعر بالحر الآن».

نظرَ إليها ورأى العرق يسيل على وجهها. «ربما من الأفضل أن نذهب إلى الطوارئ في مستشفى ماين الشرقية»، قال. «إذا أُصبتِ بالسلمونيلا، يمكن أن تكون صحتك في خطر».

«لا، أنا بخير. أريد فقط العودة إلى المنزل والنوم، وسأنهض غداً صباحاً لفترة تكفي للاتصال بالمدرسة والتبليغ عن غيابي بداعي المرض ثم أعود إلى النوم مرة أخرى».

«لا تتكبَّدي حتى عناء النهوض تلك الفترة الوجيزة. سأتصل نيابة عنك يا سارة».

نظرت إليه بامتنان. «حقاً؟».

«بالتأكيد».

وصلا إلى الطريق العام.

«آسفة أنه لا يمكنني العودة معك إلى منزلك. آسفة حقاً».

«ليس ذنبك».

«بالتأكيد ذنبي. لقد أكَلتُ النقانق السيئة. سارة المنحوسة».

«أحبّك يا سارة»، قال جوني. إذاً فقد نُطقَ ذلك، ولا يمكن سحبه، بل طافَ بينهما في السيارة المتحرِّكة منتظراً أن يفعل أحدٌ شيئاً بشأنه.

فعلت ما بوسعها. «شكراً يا جوني».

أكملا طريقهما في صمت مريح.

الفصل الثاني

1

كان منتصف الليل تقريباً عندما أدخلَ جوني السيارة في الممر الخاص لمنزلها، وكانت سارة تكبو.

«سارة»، قال وهو يُطفئ المحرِّك ويهزّها بلطف. «لقد وصلنا».

«آه... حسناً». استوت جالسة وشدَّت المعطف عليها أكثر.

«كيف تشعرين؟».

«أفضل. معدتي متقرِّحة وظهري يؤلمني، لكنني أفضل. جوني، عُد بالسيارة إلى كليفز».

«لا، من الأفضل ألا أفعل ذلك»، قال. «سيراها أحدهم مركونة أمام المبنى طوال الليل. لا نحتاج إلى هذا الصنف من الكلام».

«لكنني كنت سأعود معك...».

ابتسم جوني. «وذلك كان سيجعل المسألة تستحق المخاطرة، حتى ولو اضطررنا إلى السير ثلاثة مربعات سكنية. بالإضافة إلى ذلك، أريد أن تبقى السيارة معك في حال غيّرتِ رأيك بشأن قسم الطوارئ».

«لن أغيِّر رأيي».

«قد تغيِّرينه. هل يمكنني أن أدخل وأطلب سيارة أجرة؟».

«طبعاً».

دخلا وأضاءت سارة الأضواء قبل أن تهاجمها نوبة ارتعاش جديدة.

«الهاتف في غرفة الجلوس. سأستلقي وأتغطّى بلحاف».

كانت غرفة الجلوس صغيرة وعملية، ولا شيء يميّزها عن الثكنة إلا الستائر الزاهية - زهور في نمطٍ ولونٍ مخدِّرين - وسلسلة مُلصقات إعلانية على أحد الجدران: ديلان في فوريست هيلز، بايز في كارنيغي هول، جيفرسون إيربلاين في بيركلي، بيردز في كليفلاند.

تمدَّدت سارة على الأريكة وسحَبت لحافاً إلى ذقنها. نظرَ إليها جوني بقلق حقيقي. كان وجهها أبيض ما عدا من الدوائر الداكنة تحت عينيها. بدت مريضة جداً.

«ربما يُستحسن أن أقضي الليلة هنا»، قال. «فقط في حال حصل شيء، مثل...».

«مثل تمزّق رفيع في أعلى عمودي الفقري؟». نظرت إليه بفكاهة حزينة.

«حسناً، تعرفين. أي شيء».

اللعلعة المُنذِرة بالسوء في مناطق عالمها السفلي قرَّر عنها. كانت تنوي إنهاء هذه الليلة بمضاجعة جون سميث. لن يتم ذلك بهذه الطريقة. لكن هذا لا يعني أن عليها إنهاء الأمسية بوجوده معها بينما تتقيأ، تُسرِع إلى الحمّام، وتقرقر معظم زجاجة الدواء المضاد للحموضة.

«سأكون بخير»، قالت. «كانت مجرّد قطعة نقانق كرنفال سيئة يا جوني. كان من السهل جداً أن تأكلها أنت. اتصل بي خلال فترة استراحتك غداً».

«متأكدة؟».

«نعم».

«حسناً يا فتاة». رَفَع الهاتف دون أي جدال إضافي وطلب سيارة أجرة. أغمضت عينيها، وقد هدَّأها صوته وواساها. أحد أكثر الأشياء التي تعجبها فيه هو محاولته دائماً أن يفعل الصواب، أن يفعل الشيء الأفضل، من دون كلام فارغ لمصالحه الذاتية. هذا جيد. كانت مُتعَبة جداً وتشعر بضعف كبير لكي تلعب ألعاباً اجتماعيةً صغيرةً.

«تم الأمر»، قال وهو يغلق الخط. «ستصل سيارة الأجرة بعد خمس دقائق».

«على الأقل حصلتَ على كلفة سيارة الأجرة»، قالت مبتسمةً.

«وأنوي تقديم بخشيش كريم»، رَدَّ مقلِّداً صوت و. ك. فيلدز بشكل مقبول.

اقترب من الأريكة، جلس بجانبها، وأمسك يدها.

«جوني، كيف فعلتَ ذلك؟».

«هممم؟».

«العجلة. كيف تمكَّنتَ من فعل ذلك؟».

«كانت مجرّد فترة من الفوز المتواصل فقط لا غير»، قال وبدا غير مرتاح قليلاً. «كل شخص تصيبه هكذا فترة بين الحين والآخر. مثلما يجري في مضمار سباقات الأحصنة أو لعبة مطابقة عشرات السنتات».

«لا»، قالت.

«ماذا؟».

«لا أعتقد أن كل شخص تصيبه فترة من الفوز المتواصل بين الحين والآخر. كان ذلك خارقاً للطبيعة تقريباً. لقد... أخافني قليلاً».

«حقاً؟».

«نعم».

تنهَّد جوني. «تنتابني مشاعر بين الحين والآخر، هذا كل شيء. على حدّ ما أذكُر، منذ أن كنتُ ولداً صغيراً. ولطالما كنتُ بارعاً في إيجاد الأشياء التي يضيعّها الناس. مثل ليزا شومان الصغيرة في المدرسة. هل تعرفينها؟».

«ليزا الصغيرة، الحزينة، الخجولة؟»، ابتسمت. «أعرفها. إنها تهيم في سُحُب ارتباك في حصة قواعد الأعمال التي أدرِّسها».

«أضاعت خاتم المدرسة الخاص بها»، قال جوني، «وأتت إليَّ باكيةً. سألتُها إن بحثت في الزوايا الخلفية للرف العلوي في خزانتها. مجرّد تكهّن. لكنه كان هناك».

«وكنتَ دائماً قادراً على فعل ذلك؟».

ضحِك وهزَّ رأسه. «نادراً». خبَتْ الابتسامة قليلاً. «لكنه كان قوياً هذه الليلة يا سارة. كانت تلك العجلة...»، أغلَق قبضتيه بلطف ونظر إليهما، عابساً الآن. «معي هنا. وكان لديها أغرب ارتباط لعين معي».

«مثل ماذا؟».

«مطاط»، قال ببطء. «مطاط يحترق. وبرد. وجليد. جليد أسود. كانت تلك الأشياء في الجهة الخلفية لذهني. لا أعرف لماذا. وشعور سيئ. كأنه يحذّرني».

نظرت إليه عن كثب، ولم تقل شيئاً، وصفا وجهه ببطء.

«لكنه زال الآن، مهما كان. لا شيء على الأرجح».

«كان حظاً سعيداً قيمته خمسمئة دولار، على أي حال»، قالت. ضحِك جوني وأومأ برأسه. لم يتكلَّم بعد ذلك وغفت، مسرورةً من وجوده معها. عادت إلى اليقظة عندما غمرت أضواءٌ أماميةٌ من الخارج الجدار. سيارة أجرته.

«سأتصل بكِ»، قال وقبَّل وجهها بلطف. «متأكدة أنك لا تريدينني أن أبقى؟».

أرادت ذلك فجأة، لكنها هزَّت رأسها.

«اتصل بي»، قالت.

«الحصة الثالثة»، وعَد. ذهَب إلى الباب.

«جوني؟».

استدار.

«أحبك يا جوني»، قالت، وأضاء وجهه كالمصباح.

أرسَل لها قبلةً في الهواء. «استريحي»، قال، «وسنتكلَّم».

أومأت برأسها، لكنها لن تكلِّم جوني سميث مرة أخرى قبل أربع سنوات ونصف.

2

«هل تمانع إن جلستُ على المقعد الأمامي؟»، سأل جوني سائق سيارة الأجرة.

«لا. فقط لا تصدم ركبتك بالعدّاد. إنه حسّاس».

زلَّق جوني رِجلَيه الطويلتين تحت العدّاد ببعض الجهد وخبطَ الباب. خفَّض سائق سيارة الأجرة، وهو رجل في منتصف العمر ذو رأس أصلع وكرشٍ، علمه وانطلقت سيارة أجرته في شارع فلاغ.

«إلى أين؟».

«كليفز ميلز»، قال جوني. «الشارع الرئيسي. سأدلّك أين».

«عليَّ أن أسألك لأتقاضى أجرةً ونصف»، قال سائق سيارة الأجرة. «لا يعجبني هذا، لكن عليَّ أن أعود فارغاً من هناك».

أطبقت يد جوني لا إرادياً على كتلة النقود في جيب بنطلونه. حاوَل أن يتذكَّر إن حمل معه ذات يوم هذا المبلغ الكبير. مرةً. عندما اشترى شيفروليه عمرها سنتان بألف ومئتَي دولار. تملّكته نزوةٌ وقتها فطلَب المبلغ نقداً في مصرف التوفير، فقط ليرى كيف تبدو كل تلك النقود. لم تكن مدهشة جداً، لكن الدهشة على وجه تاجر السيارات عندما وضع جوني اثنتي عشرة ورقة من فئة المئة دولار في يده كانت لا تُفوَّت. لكن كتلة المال هذه لم تُعطه شعوراً جيداً أبداً، بل مجرّد انزعاج غامض، وتذكَّر مُسَلَّمة أمه: *المال السهل يجلب الحظ السيئ*.

«لا بأس بالأجرة والنصف»، أخبَر سائق سيارة الأجرة.

«فقط طالما أننا نفهم بعضنا البعض»، قال سائق سيارة الأجرة بصراحة أكثر. «لقد أتيتُ بسرعة لأنني تلقيتُ اتصالاً إلى ريفرسايد ولم يقبل أحدٌ أن يعترف به عندما وصلتُ إلى هناك».

«حقاً؟»، سأل جوني دون اهتمام كبير. راحت المنازل الداكنة تومض بجانبهما في الخارج. لقد فاز بخمسمئة دولار، ولا شيء مشابه أبداً حصل معه من قبل. تلك الرائحة الوهمية للمطاط المحترق... الشعور بالاستعادة الجزئية لذكرى شيء حصل معه عندما كان صغيراً جداً... وذلك الشعور بالحظ السيئ القادم ليوازن الحظ السعيد كان لا يزال معه.

«نعم، يتصل الثملون ثم يغيّرون رأيهم»، قال سائق سيارة الأجرة. «الثملون اللعينون، أكرههم. يتصلون ثم يقولون لأنفسهم تباً، سنتناول بعض شراب الشعير الإضافي. أو يشربون بثمن الأجرة بينما ينتظرون وعندما أدخل وأصيح ‹مَن يريد سيارة أجرة؟› لا يريدون أن يعترفوا».

«نعم»، قال جوني. على يسارهما انساب نهر البينوبسكوت، الداكن والمليء بالزيوت. ثم مرضت سارة وقالت إنها تحبّه بالإضافة إلى كل شيء آخر. قالت ذلك في لحظة ضعف على الأرجح، لكن آه لو كانت جدّية في قولها! لقد شَعَر بانجذاب نحوها منذ موعدهما الأول تقريباً. هذا هو حظه هذه الليلة وليس التغلّب على تلك العجلة. لكن ذهنه بقي يعود إلى العجلة، يقلق بشأنها. لا يزال قادراً على رؤيتها في الظلمة تدور، وقادراً على سماع التكتكة المتباطئة للكُرة تقفز فوق الدبابيس مثل شيء يُسمَع في حلم مزعج. المال السهل يجلب الحظ السيئ.

انعطف سائق سيارة الأجرة إلى الطريق 6، وقد انطلق بعيداً الآن في مونولوجه.

«لذا قلتُ، ‹أطفئها تعرف أين›. أعني، الولد مغرور، صح؟ لستُ مضطراً أن أتحمّل هُراءً مثل هذا من أي شخص، بما في ذلك إبني. إنني أقود سيارة الأجرة هذه منذ ست وعشرين سنة. سُرقتُ تحت تهديد السلاح ست مرات. وتعرَّضتُ لحوادث طفيفة لا تُحصى، رغم أنني لم أتعرَّض أبداً لأي حادث كبير، وأشكر الله على ذلك. وكل أسبوع، مهما تكن إيراداتي ضئيلة، أدّخر خمسة دولارات لكلّيته. منذ أن كان لا يزال رضيعاً. ومن أجل ماذا؟ لكي يمكنه القدوم إلى المنزل ذات يوم ويُخبِرني أن رئيس الولايات المتحدة حقيرٌ. تباً مضاعفة! الولد على الأرجح يعتبرني حقيراً *أنا أيضاً*، رغم أنه يعرف أنه إذا قال ذلك يوماً ما فسأغيِّر له ترتيب أسنانه. لذا هذا هو جيل هذه الأيام بالنسبة لك. لذا أقول، ‹أطفئها تعرف أين›».

«نعم»، قال جوني. الآن الغابات هي التي تنساب بجانبهما. وأصبح مستنقع كارسون على يسارهما. كانا يبعدان حوالي أحد عشر كيلومتراً عن كليفز ميلز. سجَّل العدّاد عشرة سنتات أخرى.

عشرة سنتات نحيلة، عُشر دولار. يا هو - يا هو - يا هو.

«ما هي وظيفتك؟ عفواً على السؤال»، قال سائق سيارة الأجرة.

«أدرِّس في ثانوية كليفز».

«آه، حقاً؟ إذاً أنت تعرف ما أعنيه. ما خطب الأولاد هذه الأيام، على أي حال؟».

حسناً، أكَلوا نقانق سيئة تدعى فييتنام وسبَّبت لهم تسمّماً غذائياً. رجلٌ يدعى ليندون جونسون باعهم إياها. لذا ذهَبوا إلى رجل آخر وقالوا له، «تباً يا سيد، نحن مرضى جداً». أجابهم ذلك الرجل الآخر، ويدعى نيكسون، «أعرف كيفية مداواة ذلك. كُلوا المزيد من النقانق». وهذا هو خطب الشباب الأميركي.

«لا أعرف»، قال جوني.

«تخطِّط كل حياتك وتفعل ما بوسعك»، قال سائق سيارة الأجرة، وكان هناك الآن ارتباك صادق في صوته، ارتباك لن يدوم طويلاً لأن سائق سيارة الأجرة دخلَ الدقيقة الأخيرة من حياته. وجوني، الذي لم يكن يعرف ذلك، شَعَر بشفقة حقيقية تجاه الرجل، بتعاطف لعدم قدرته على الفهم.

تعالي يا حبيبتي، لدينا الكثير من الهزّ.

«لن ترغب سوى الأفضل دائماً، ويأتي الولد إلى المنزل بشعر طويل يصل إلى مؤخرته ويقول إن رئيس الولايات المتحدة حقيرٌ. حقيرٌ! تباً، لا أعرف...».

«*انتبه!*»، صاح جوني.

كان سائق سيارة الأجرة قد أدار وجهه إليه في نصف استدارة، وبدا وجهه القصير والبدين المشابه لوجوه المحاربين الأميركيين القدامى جدّياً وغاضباً وبائساً في أضواء لوحة القيادة وفي التوهُّج المفاجئ للأضواء الأمامية المقترِبة. أعاد إدارة وجهه إلى الأمام الآن، لكن فات الأوان.

«*يا إلهي...*».

كانت هناك سيارتان، واحدة على كل جهة للخط الأبيض، تحتكان ببعضهما أثناء نزولهما التلة، ماستانغ ودودج تشارجر. يستطيع جوني سماع النحيب الصاخب لمحرِّكيهما. التشارجر متوجِّهة نحوهما مباشرة. لم تحاول الابتعاد عن طريقهما أبداً وتجمَّد سائق سيارة الأجرة خلف المِقوَد.

«*يا إلهي...*».

بالكاد لمحَ جوني الماستانغ تمرّ على يسارهما كالبرق. ثم التقت سيارة الأجرة والتشارجر وجهاً لوجه وشَعَر جوني بنفسه يرتفع عن مقعده ويطير إلى الخارج. لم يكن هناك ألم، رغم أنه أدرك بشكل طفيف أن فخذَيه اتصلا بعدّاد سيارة الأجرة بقوة كافية لينزعاه من إطاره.

سُمع صوت تحطّم زجاج، وارتفع لهبٌ ضخمٌ في سماء الليل. ارتطم رأس جوني بالزجاج الأمامي لسيارة الأجرة دافعاً إياه إلى الخارج. بدأ الواقع ينزل حفرةً. ألمٌ، خفيفٌ وناءٍ، في كتفَيه وذراعيه بينما تبَع باقي جسمه رأسه عبر الزجاج الأمامي المحطَّم. كان يطير. يطير إلى ليل أكتوبر.

فكرة برّاقة قليلاً: *هل أُحتضَر؟ هل سيقتلني هذا؟*

صوت داخلي يُجيبه: *نعم، هذه هي اللحظة على الأرجح.*

يطير. نجوم أكتوبر تُقذَف في الليل. دويّ صاخب لانفجار البنزين. توهُّج برتقالي. ثم ظلمة.

انتهت رحلته في الخلاء بدوّي عنيف وطرطشة. رطوبة باردة مع دخوله مستنقع كارسون، على بُعد سبعة أمتار من المكان الذي قذفت فيه التشارجر وسيارة الأجرة، الملتحمتين ببعضهما، ألسنة اللهب في سماء الليل.

ظلمة.

تلاشي.

إلى أن بدا له أن كل ما تبقّى هو عجلة حمراء وسوداء عملاقة تدور في فراغ مماثل للذي قد يكون موجوداً بين النجوم، جرِّب حظك، أول مرة صُدفة، ثاني مرة محظوظ يا هو - يا هو - يا هو. العجلة تدور إلى الأعلى والأسفل، حمراء وسوداء، الكُرة تتكتك على الدبابيس، وبذلَ جهداً لكي يرى إن كانت ستتوقف عند الصفر المزدوج أو رقم الكشك، الجميع يخسرون ما عدا الكشك. بذلَ جهداً لكي يرى لكن العجلة اختفت. لم يعد هناك سوى السواد وذلك الفراغ الكونيّ، السالب، الصديق العزيز، اللاشيء. نفق ذهني بارد.

بقي جوني سميث هناك لفترة طويلة، طويلة جداً.

الفصل الثالث

1

بُعيد الثانية بعد منتصف ليل 30 أكتوبر 1970، بدأ الهاتف يرنّ في القاعة في الطابق السفلي لمنزل صغير يبعُد حوالي مئتين وخمسين كيلومتراً جنوبي كليفز ميلز.

استوى هيرب سميث جالساً على السرير، مشوَّش الذهن، مسحوباً إلى عتبة النوم ومتروكاً عند مدخَله، مترنِّحاً ومشوَّش الذهن.

صوت ڤيرا بجانبه، مكتوماً بوسادةٍ. «الهاتف».

«نعم»، قال، ولوَّح برِجليه عن السرير. كان رجلاً ضخماً عريض المنكبين في أواخر أربعينياته، يفقد شعره، ويرتدي الآن سروال بيجامة أزرق. خرَج إلى رواق الطابق العلوي وأشعل الضوء. استمر الهاتف يدوّي في الأسفل.

نزل إلى ما تحبّ ڤيرا تسميته «خلوة الهاتف»، وهي تتألَّف من الهاتف ومن طاولة مكتب صغيرة غريبة حصلت عليها عبر طوابع خضراء منذ حوالي ثلاث سنوات. رفض هيرب من البداية أن يُلقي كيلوغراماته المئة والعشرة عليها. لذا عندما يتكلَّم على الهاتف، يفعل ذلك وقوفاً. جارور طاولة المكتب مليء بمجلات *الغُرف العليا والمختار والقدر*.

مدَّ هيرب يده إلى الهاتف، ثم تركه يرنّ مرة أخرى.

المكالمة الهاتفية في منتصف الليل تعني عادة شيئاً من ثلاثة أشياء: صديق قديم انتشى كلياً وقرَّر أنك ستفرح كثيراً بسماع صوته حتى عند الثانية بعد منتصف الليل؛ رقم خطأ؛ خبر سيئ.

آملاً أن يكون الخيار الوسطي، رفع هيرب سمّاعة الهاتف. «ألو؟».

قال صوت ذكوري جازم: «هل هذا مسكن هربرت سميث؟».

«نعم؟».

«مع مَن أتكلّم من فضلك؟».

«أنا هيرب سميث. ما...».

«هلاّ انتظرت لحظة؟».

«نعم، لكن مَن...».

فات الأوان. سمِع طقطقة خافتة في أذنه، كما لو أن الشخص على الطرف الآخر أفلت إحدى فردتَي حذائه. لقد وضعني *في حالة انتظار*. من الأشياء العديدة التي يكرهها في الهاتف - الاتصالات السيئة النوعية، الأولاد الكثيري المُزاح الذين يريدون معرفة إن كان لديك الأمير ألبرت في علبة، عمّال الهاتف الذين يبدون كأنهم كمبيوترات، والمعسولي اللسان الذين يريدونك أن تشترك بمجلتهم - وأكثر شيء يكرهه هو أن يُوضع فـي *حالة انتظار*. إنه أحد تلك الأشياء الماكرة التي تسلَّلت إلى الحياة العصرية دون أن يلحظها أحدٌ تقريباً في السنوات العشرة الأخيرة. في يوم من الأيام كان الشخص على الطرف الآخر يقول لك، «هلاّ انتظرت لحظة؟» ويضع السمّاعة من يده. على الأقل في تلك الأيام كنتَ قادراً على سماع المحادثات البعيدة، كلب ينبح، صوت راديو، طفل يبكي. التواجد في *حالة انتظار* هو عالمٌ مختلفٌ كلياً. يصبح الخط ميتاً، حزيناً. تجد نفسك في العدم. لماذا لا يقولون فحسب، «هلاّ انتظرت بينما أدفنك حياً لبعض الوقت؟».

أدرَك أنه خائف قليلاً فحسب.

«هربرت؟».

استدار والهاتف على أذنه. كانت ڤيرا عند أعلى السلالم في رداء حمّامها البنيّ الباهت، شعرها ملفوف على بكرات، وأحد أصناف المراهم متصلّب على خدّيها وجبهتها.

«مَن المتصل؟».

«لا أعرف بعد. لقد وضعوني في حالة انتظار».

«في حالة انتظار؟ عند الثانية والرُبع بعد منتصف الليل؟».

«نعم».

«ليس جوني، أليس كذلك؟ لم يحصل شيء لجوني؟».

«لا أعرف»، قال وهو يكافِح ليُبقي صوته هادئاً. أحدهم يتصل بك عند الثانية بعد منتصف الليل، يضعك في حالة انتظار، فتبدأ بإحصاء أنسبائك وتضع جردة بحالاتهم الصحية. تضع لوائح بالعمّات العجائز. تُحصي علل أجدادك، إذا كانوا لا يزالون أحياء. تتساءل إن كانت ساعة أحد أصدقائك توقفت عن التكتكة فحسب. وتحاول عدم التفكير بأن لديك ابناً واحداً تحبّه كثيراً، أو كيف يبدو أن هذه المكالمات تأتي دائماً عند الثانية بعد منتصف الليل، أو كيف أصبحت ربلتاك فجأة مشدودتين وثقيلتين من التوتّر...

أغمضت ڤيرا عينيها وطوت يديها عند وسط صدرها الرفيع. حاوَل هيرب السيطرة على غضبه ومنع نفسه من قول، «ڤيرا، مرجع الحكم القديمة يقترح بقوة أن تذهبي وتفعلي هذا في خزانتك». هذا كان قد أكسبه ابتسامة ڤيرا سميث العذبة المخصَّصة للأزواج غير المصدِّقين والملعونين. عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، *وفي حالة انتظار*، لم يعتقد أنه يمكنه تحمّل تلك الابتسامة بالذات.

طقطق الهاتف مرة أخرى وقال صوت ذكوري مختلف، صوت شخص عجوز، «ألو، سيد سميث؟».

«نعم، مَن معي؟».

«آسف لجعلك تنتظر يا سيدي. الرقيب مَغز من شرطة الولاية، فرع أورونو».

«هل هذا بشأن ابني؟».

دون أن يُدرك، ارتخى على مقعد خلوة الهاتف. شَعَر بضعف في كل أنحاء جسمه.

قال الرقيب مَغز، «هل لديك ابن يدعى جون سميث، بلا حرف أولي وسطي؟».

«هل هو بخير؟».

خُطى على السلالم. وَقَفت ڤيرا بجانبه. للحظة بدت هادئة، ثم انقضّت على الهاتف مثل نمرة. «ما الأمر؟ ماذا حصل لجوني؟».

انتزَع هيرب السمّاعة بعيداً عنها، كاسراً أحد أظافرها. ثم قال محدِّقاً فيها بحدّة، «إنني أتولّى هذا».

وَقَفت تنظر إليه، وعيناها الزرقاوان الباهتتان جاحظتان فوق اليد المُطبِقة على فمها.

«سيد سميث، هل أنت معي؟».

الكلمات التي بدت مطلية بالبروفوكاين سقطت من فم هيرب. «لديَّ ابن يدعى جون سميث، بلا حرف أولي وسطي، نعم. يعيش في كليفز ميلز. إنه أستاذ في الثانوية هناك».

«لقد تعرَّض لحادث سيارة يا سيد سميث. حالته حرجة جداً. آسف جداً لنقل هذا الخبر لك». كان صوت مَغز إيقاعياً، رسمياً.

«آه، يا إلهي»، قال هيرب. بدأت أفكاره تدور. ذات يوم في الجيش، أشبعه فتى جنوبي أشقر الشعر ضخم لئيم يدعى تشيلدرس ضرباً خلف مقصف أطلنطا. وقد شَعَر هيرب مثل هذا وقتها، فاقد الشجاعة، وكل أفكاره سقطت في بئر ملوَّث عديم الجدوى. «آه، يا إلهي»، قال مرة أخرى.

«هل مات؟»، سألت ڤيرا. «هل مات؟ هل *مات جوني؟*».

غطّى مَبسِم السمّاعة. «لا»، قال. «لم يمت».

«لم يمت! لم يمت!»، صاحت وسقطت على رُكبتَيها في خلوة الهاتف مُحدثةً دوياً مسموعاً. «يا إلهي، نشكرك من صميم قلبنا ونطلب منك أن تغمر ابننا بعطفك ورحمتك وتُنقذ حياته و...».

«*اصمتي يا ڤيرا!*».

للحظة صمتَ ثلاثتهم، كما لو أنهم يتأملون العالم وطرقه غير الظريفة: هيرب بجسمه المهروس على مقعد خلوة الهاتف ورُكبتَيه المحشورتين بأسفل المكتب وباقة زهور بلاستيكية في وجهه؛ ڤيرا برُكبتَيها المزروعتين على شبك سخّان الرواق؛ والرقيب مَغز غير المنظور الذي كان يشهد بطريقة سمعية غريبة على هذه الكوميديا السوداء.

«سيد سميث؟».

«نعم... أعتذر على الجَلَبة».

«مفهومة تماماً»، قال مَغز.

«ابني... جوني... هل كان يقود الفولكسفاغن؟».

«مصائد موت، مصائد موت، تلك الخنافس الصغيرة مصائد موت»، ثرثَرت ڤيرا. سالت الدموع على وجهها، وانزلقت فوق السطح الصلب الناعم لمرهم الليل مثل المطر على الكُروم.

«كان في سيارة أجرة صفراء لشركة بانغور وأورونو»، قال مَغز. «سأوضح لك الحالة مثلما أفهمها الآن. كانت هناك ثلاث مركبات مشتركة في الحادث، اثنتان منهما يقودهما ولدان من كليفز ميلز. كانا يتسابقان. ظَهَرا على ما يسمّى تلة كارسون على الطريق 6، متوجّهَين شرقاً. كان ابنك في سيارة الأجرة، متوجّهاً غرباً، نحو كليفز. سيارة الأجرة والسيارة المتواجدة على الجهة الخطأ للطريق اصطدمتا ببعضهما وجهاً لوجه. قُتل سائق سيارة الأجرة، وكذلك الفتى الذي يقود السيارة الأخرى. نُقل ابنك وراكبٌ من تلك السيارة الأخرى إلى مستشفى ماين الشرقية. أفهم أن كليهما في حالة حرِجة».

«حرِجة»، قال هيرب.

«حرِجة! حرِجة!»، أنَّت ڤيرا.

يا إلهي، نبدو مثل أحد عروض برودواي الغريبة تلك، فكَّر هيرب في سرّه. شَعَر بالإحراج من ڤيرا، ومن الرقيب مَغز الذي لا شك يسمع ڤيرا، كما لو أنها جوقة يونانية غريبة في الخلفية. تساءل عن عدد المحادثات المماثلة لهذه التي أجراها الرقيب مَغز في سياق عمله. قرَّر أنه بلا شك أجرى عدداً كبيراً منها. والأرجح أنه اتصل من قبل بزوجة سائق سيارة الأجرة ووالدة الفتى الميت لينقل لهما الخبر. كيف تفاعلتا؟ وهل هذا مهم؟ أليست ڤيرا محقّة في البكاء على ابنها؟ ولماذا على الشخص أن يفكِّر في هكذا أشياء مجنونة في وقت كهذا؟

«ماين الشرقية»، قال هيرب. دوَّن ذلك على كرّاسة. الرسم في أعلى الكرّاسة يُظهِر سمّاعة هاتف مبتسمة. والكلمتان صديق الهاتف مطبوعتان على سلك الهاتف. «كيف تأذّى؟».

«عذراً يا سيد سميث؟».

«أين تلقى الإصابة؟ الرأس؟ البطن؟ ماذا؟ هل احترَق؟».

زعَقت ڤيرا.

«*اصمتي رجاءً يا ڤيرا!*».

«سيكون عليك الاتصال بالمستشفى لتعرف هكذا أمور»، قال مَغز بعناية. «سأُنهي التقرير الكامل بعد ساعتين».

«حسناً. حسناً».

«سيد سميث، آسف لاضطراري إلى الاتصال بك في منتصف الليل بهكذا خبر سيئ...».

«إنه سيئ، صحيح»، قال. «عليَّ أن أتصل بالمستشفى أيها الرقيب مَغز. وداعاً».

«تصبح على خير يا سيد سميث».

أغلق هيرب الخط وبقي يحدِّق في الهاتف بغباء. حصل الأمر بكل بساطة، فكَّر في سرّه. ما رأيك بهذا يا جوني.

زعقت ڤيرا زعيقاً آخر، ورأى ببعض القلق أنها أمسَكت شعرها، بالبكرات وكل شيء، وبدأت تشدّه. «هذا عقاب! عقاب على طريقة عيشنا، على ذنوبنا، على شيء! هيرب، اركع على رُكبتَيك معي...».

«ڤيرا، عليَّ أن أتصل بالمستشفى. لا أريد أن أفعل ذلك على رُكبتيَّ».

«سنصلّي له... عدني أن تُحسن التصرّف... فقط إذا رافقتني أكثر إلى دار العبادة أعرف... ربما السبب هو سيجارك، تناول شراب الشعير مع أولئك الرجال بعد العمل... الشتْم... الحِلفان عبثاً... عقاب... هذا عقاب...».

وَضَع يديه على وجهها ليوقف هذيانها الجامح الموتّر للأعصاب. كان ملمس المرهم الليلي بغيضاً، لكنه لم يرفع يديه عنه. شَعَر بالشفقة عليها. لأنه خلال السنوات العشرة الأخيرة بقيت زوجته تسير في مكان رمادي بين تفانيها لإيمانها وبين ما اعتبره هوس تخشّعي خفيف. بعد خمس سنوات على ولادة جوني، وجَد الطبيب عدة أورام حميدة في رحمها. إزالتها جَعَل من المستحيل عليها إنجاب طفل آخر. بعد خمس سنوات، أورام أخرى حتَّمت خضوعها لعملية استئصال الرحم. في تلك اللحظة بدأت لديها الحالة حقاً، تخشّعٌ عميقٌ مقترنٌ بشكل غريب بمعتقدات أخرى. راحت تقرأ بشراهة كرّاسات عن أطلانتس، والمركبات الفضائية من السماوات، وأعراق «المتخشّعين الأنقياء» الذين ربما يعيشون في باطن كوكب الأرض. كما راحت تقرأ مجلة *القدر* بنفس وتيرة قراءتها مرجع الحكم القديمة تقريباً، مستخدمةً أحدهما في أغلب الأحيان لإنارة الآخر.

«ڤيرا»، قال.

«سنُحسن التصرّف»، همَست بعينين متوسّلتين. «سنُحسن التصرّف وسيعيش. سترى. سيعـ...».

«ڤيرا».

صمَتت وهي تنظر إليه.

«دعينا نتصل بالمستشفى ونرى مدى سوء حالته حقاً»، قال بلطف.

«حـ - حسناً. نعم».

«هل يمكنك الجلوس على الدرجات هناك والتزام الصمت كلياً؟».

«أريد أن أصلّي»، قالت بطفولية. «لا يمكنك منعي».

«لا أريد أن أمنعك. طالما أنك تلتزمين الهدوء».

«نعم. بهدوء. حسناً يا هيرب».

ذهَبت إلى الدرجات وجلست ولفَّت رداءها حولها بتزمّت. طوَت يديها وبدأت شفتاها تتحرّكان. اتصل هيرب بالمستشفى. بعد ساعتين كانا يتوجّهان شمالاً على طريق ماين الرئيسي المهجور تقريباً. هيرب خلف مِقوَد سيارة فورد الستايشن موديل 1966، وڤيرا تجلس منتصبةً على مقعد الراكب. كان مرجع حكمها القديمة على حُضنها.

2

أيقظ الهاتف سارة عند التاسعة والرُبع. ذهَبت لتردّ عليه ونصف ذهنها لا يزال نائماً على السرير. ظهرها يؤلمها من التقيؤ ليلة أمس وعضلات معدتها مرهقة، لكنها رغم ذلك شَعَرت بتحسّن كبير.

رَفَعت سمّاعة الهاتف متأكدةً أنه جوني. «ألو؟».

«مرحباً يا سارة». لم يكن جوني. كانت آنْ سترافورد من المدرسة. آنْ أقدم بسنة من سارة وفي سنتها الثانية في كليفز. تدرِّس الإسبانية. فتاةٌ مرحةٌ وسارة تحبّها كثيراً. لكنها بدت مهزومة هذا الصباح.

«كيف حالك يا آني؟ هذا مؤقَّت فقط. على الأرجح جوني أخبَرك. نقانق الكرنفال، أظن...».

«آه، يا إلهي، أنتِ لا تعرفين. أنتِ لا...». ابتلعت كلماتها في أصوات مختنِقة غريبة. راحت سارة تستمع إليها، عابسةً. تحوَّلت حيرتها الأولية إلى قلق مميت عندما أدرَكت أن آنْ تبكي.

«آنْ؟ هل من سوء؟ ليس جوني، أليس كذلك؟ ليس...».

«وقع حادثٌ»، قالت آنْ، وقد بدأت تشهق بقوة الآن. «كان في سيارة أجرة. حصل تصادم وجهاً لوجه. سائق السيارة الأخرى هو بْراد فرينو، درَّسته في مقرّر الإسبانية II، لقد مات، وماتت صديقته هذا الصباح، ماري تيبو، كانت في إحدى حصص جوني، حسبما سمِعتُ، هذا رهيب، رهيب...».

«*جوني!*»، صرَخت سارة في الهاتف. شعرت بالغثيان مرة أخرى. وأصبحت يداها وقدماها باردتين فجأة مثل أربعة شواهد قبور. «*ماذا بشأن جوني؟*».

«إنه في حالة حرِجة يا سارة. اتصل دايف پلسن بالمستشفى هذا الصباح. لا يُتوقع... حسناً، الوضع سيئ جداً».

اكفهرّ العالم من حولها. كانت آنْ لا تزال تتكلَّم لكن صوتها بدا بعيداً، مثلما قال إ. إ. كامينغز عن رجل البالون. واندفعت صور تتشقلب فوق بعضها البعض، وكلها لا تقدِّم أي معنى. عجلة مدينة الملاهي. متاهة المرايا. عينا جوني، البنفسجيتان بشكل غريب، والسوداوان تقريباً. وجهه العطوف المحبوب في الإضاءة القاسية لمعرض المقاطعة، واللمبات العارية المعلّقة على سلك كهربائي.

«ليس جوني»، قالت بصوتها البعيد، البعيد. «أنتِ مُخطئة. كان بخير عندما رحل من هنا».

وصوت آنْ العائد مثل ضربة إرسال سريعة في كرة المضرب، صوتها المصدوم جداً وغير المصدِّق أبداً، وغمرها شعور بالمهانة أن شيئاً كهذا يمكن أن يحصل لشخص في عمرها، شخص يافع وحيوي. «أخبَروا دايف أنه لن يستيقظ أبداً حتى ولو نجا من العملية. عليهم إخضاعه لعملية جراحية لأن رأسه... لأن رأسه...».

كانت ستقول مسحوقٌ؟ هل سحق رأس جوني؟

أُغمي عندها على سارة، ربما لتتجنَّب تلك الكلمة الحاسمة الأخيرة، ذلك الرعب الأخير. سقط الهاتف من يدها وجلَست في عالم رمادي ثم انزلَقت فيه وراح الهاتف يلوِّح ذهاباً وإياباً في قوس متناقص، وصوت آنْ سترافورد يخرج منه: «سارة؟... سارة؟... سارة؟».

3

عندما وصلت سارة إلى مستشفى ماين الشرقية، كانت الثانية عشرة والربع. نظرت الممرضة في مكتب الاستقبال إلى وجهها الأبيض المتوتر، وقدَّرت مدى تقبّلها لمزيد من الحقيقة، وأخبَرتها أن جون سميث لا يزال في غرفة العمليات. أضافت أن أمه وأباه في صالة الانتظار.

«شكراً»، قالت سارة. استدارت يميناً بدلاً من يساراً، ووصلت في نهاية المطاف إلى خزانة طبية، واضطرت أن تعود من حيث أتت.

كانت صالة الانتظار مطلية بألوان ساطعة أبهرت عينيها. هناك بضعة أشخاص فيها يتصفّحون مجلات ممزّقة أو ينظرون إلى الفراغ. دخلت امرأة رمادية الشعر من منطقة المصاعد، أعطت تصريح الزيارة الخاص بها إلى صديقة، وجلست. ابتعدت الصديقة وكعبها العالي يطقطق على الأرض. تابع بقيتهم الجلوس، بانتظار فرصتهم لزيارة والدٍ أُزيلت حصى من مرارته، أو والدةٍ اكتشَفت كتلةً صغيرةً تحت أحد ثدييها منذ ثلاثة أيام، أو صديقٍ ضُرب في صدره بمطرقة غير مرئية أثناء الهرولة. كانت وجوه المنتظرين متصنّعة رباطة جأشٍ بالكامل، وقد أُخفي القلق تحتها مثل أوساخ تحت سجادةٍ. شَعَرت سارة باللاواقعية تحوم فوقها مرة أخرى. في مكان ما رنّ جرسٌ هادئٌ. وراحت أحذية ذات نعال مطاطية تُصدر صريراً. كان بخير عندما غادر شقتها. من المستحيل تصديق أنه في أحد أبراج الطوب تلك، يتحضَّر للموت.

عرَفت السيد والسيدة سميث حالاً. بذلت جهدها لتتذكَّر اسميهما الأولين ولم تستطع ذلك فوراً. كانا يجلسان معاً بالقرب من الجهة الخلفية للغرفة، وخلافاً للآخرين هنا، لم يتسنَّ لهما الوقت بعد ليتوصَّلا إلى تفاهم مع ما حصل في حياتهما.

جلست أُم جوني واضعةً معطفها على الكرسي خلفها وحاملةً مرجع حكمها القديمة في يديها. كانت شفتاها تتحرّكان بينما تقرأ، وتذكَّرت سارة قول جوني إنها متخشّعة جداً - ربما متخشّعة

كثيراً، في مكان ما في تلك الأرض الوسطية الشاسعة بين التمايل المبجَّل وحمل الأفاعي، تذكَّرته يقول. وكان السيد سميث - هيرب، تذكّرت أن *اسمه* هيرب - يضع إحدى المجلات على رُكبتَيه، لكنه لم يكن ينظر إليها. كان ينظر خارج النافذة، حيث حرقَ خريف نيو إنغلاند طريقه نحو نوفمبر والشتاء الذي يليه.

اقتربت منهما. «السيد والسيدة سميث؟».

رفعا نظرهما نحوها، بوجهين متوتِّرين من الضربة المُرعِبة. اشتدّت قبضتا السيدة سميث على مرجع حكمها القديمة بحيث ابيضَّت مفاصل أصابعها. الشابة الواقفة أمامهما لا ترتدي الزيّ الأبيض للممرضات أو الأطباء، لكن ذلك لم يشكّل أي فرق لهما في تلك اللحظة. كانا ينتظران الضربة الأخيرة.

«نعم، نحن السيد والسيدة سميث»، قال هيرب بهدوء.

«أنا سارة براكنَل. جوني وأنا صديقان عزيزان. أفترض أنه يمكنكما القول إننا مقرَّبان. هل يمكنني أن أجلس؟».

«حبيبة جوني؟»، سألت السيدة سميث بنبرة حادة، اتهامية تقريباً. نظر بعض الآخرين نحوهم ثم عادوا سريعاً إلى مجلاتهم الممزَّقة.

«نعم»، قالت. «فتاة جوني».

«لم يكتب لنا أبداً أن لديه صديقة»، قالت السيدة سميث بنفس تلك النبرة الحادّة. «لا، لم يكتب لنا أبداً».

«اسكتي أيتها الوالدة»، قال هيرب. «اجلسي يا آنسة... براكنَل، أليس كذلك؟».

«سارة»، قالت بامتنان، وجلست على كرسي. «أنا...».

«لا، لم يكتب لنا أبداً»، قالت السيدة سميث بحدّة. «ابني يحبّ السماوات، لكنه ربما ابتعد عنها قليلاً مؤخراً. لعِلمك، عدالة السماوات مفاجئة. وهذا ما يجعل التراجع خطيراً جداً. لا أحد يعلم اليوم أو الساعة...».

«اسكتي»، قال هيرب. كان الأشخاص ينظرون نحوهم مرة أخرى. رمقَ زوجته بنظرة صارمة. بقيت تردّ له النظر بتحدٍّ للحظة، لكن نظره لم يلن أبداً. أخفضت ڤيرا عينيها. أغلقت مرجع الحكم القديمة لكن أصابعها بقيت تعبَث بلا هوادة على الصفحات، كما لو أنها تتوق للعودة إلى الطمأنينة التي يبثّها في نفسها.

«كنتُ معه ليلة أمس»، قالت سارة، وهذا جَعَل المرأة ترفع نظرها مرة أخرى، بطريقة اتهامية. في تلك اللحظة تذكَّرت سارة المعنى المرجعي القديم للتواجد «مع» أحدهم وشَعَرت أنها بدأت تتورّد خجلاً. كان كما لو أنه باستطاعة المرأة قراءة أفكارها.

«ذهَبنا إلى معرض المقاطعة...».

«أماكن ذنوب وشر»، قالت ڤيرا سميث بوضوح.

«هذه آخر مرة سأطلب منك فيها أن تسكتي يا ڤيرا»، قال هيرب بتجهّم، وشدّ إحدى يديه فوق يد زوجته. «أنا أعني ذلك، الآن. تبدو هذه الفتاة لطيفة، ولن أسمح لك أن تضايقيها. مفهوم؟».

«أماكن آثمة»، كرَّرت ڤيرا بعناد.

«هلاّ سكتِّ؟».

«دعني وشأني. أريد أن أقرأ مرجع حكمي القديمة».

دعاها وشأنها. شَعَرت سارة بإحراج مرتبك. فتَحت ڤيرا مرجع حكمها القديمة واستأنفت القراءة محرّكةً شفتيها.

«ڤيرا منزعجة جداً»، قال هيرب. «كلانا منزعج. أنتِ أيضاً، هذا واضح من مظهرك».

«نعم».

«هل أمضيتما وقتاً ممتعاً ليلة أمس؟»، سأل. «في المعرض؟».

«نعم»، قالت، ثم امتزجت كذبة وحقيقة تلك الكلمة البسيطة في ذهنها. «نعم أمضينا وقتاً ممتعاً، إلى أن... حسناً، أكَلتُ قطعة نقانق سيئة أو شيئاً من هذا القبيل. كانت سيارتي معنا وأعادني جوني إلى منزلي في ڤيزي. كنتُ مريضة جداً في معدتي. طلب سيارة أجرة عبر الهاتف. قال إنه سيبلّغ إدارة المدرسة بمرضي اليوم. وتلك كانت آخر مرة رأيتُه فيها». بدأت الدموع تنهمر ولم

ترغب أن تبكي أمامهما، بالأخص ليس أمام ڤيرا سميث، لكن لم تكن هناك أي طريقة لإيقافها. بحَثت بارتباك عن منديل في جزدانها ووضعته على وجهها.

«اهدئي الآن»، قال هيرب، ووضع ذراعه حولها. «اهدئي الآن». بكت، وبدا لها بطريقة غير واضحة أنه شَعَر بتحسّن لوجود شخص معه يمكنه أن يواسيه؛ فقد وجدت زوجته صنفها الداكن من المواساة في مرجعها وذلك لم يتضمنه.

استدار بضعة أشخاص ليحدِّقوا فيهما ببلاهة؛ بدوا حَشداً كبيراً عبر مواشير دموعها. كانت لديها معرفة مرّة بما يفكّرون فيه: *من الأفضل أن تكون هي وليس نحن، من الأفضل أن يكونوا ثلاثتهم وليس نحن، لا شك أن الشابّ يحتضَر، لا شك أن رأس الشابّ سُحق لكي تبكي هكذا. إنها مسألة وقت فقط قبل أن يأتي أحد الأطباء ويأخذهم إلى غرفة خاصة ليُخبرهم أنّ -*

تمكّنت من حبس دموعها بطريقة ما وتمالَكت نفسها. جلست السيدة سميث منتصبةً، كما لو أنها استيقظت جافلةً من كابوسٍ، ولم تلاحظ دموع سارة أو جهد زوجها لمواساتها. كانت تقرأ مرجع حكمها القديمة.

«رجاءً»، قالت سارة. «كم سيئة حاله؟ هل هناك أمل؟».

قبل أن يتمكَّن هيرب من أن يُجيبها، تكلَّمت ڤيرا. كان صوتها صاعقة موت محتوم: «هناك أمل في السماوات يا آنسة».

رأت سارة إمارات القلق في عينَي هيرب وفكَّرت في سرّها: *يعتقد أن الحادث أفقدها عقلها. وربما هو محقّ.*

4

امتدَّ بعد ظهرٍ طويلٍ إلى مساءٍ.

أحياناً بعد الثانية بعد الظهر، عندما تبدأ المدارس بإخراج طلابها، يبدأ عدد من طلاب جوني بالقدوم، مرتدين معاطف سُخرة وقبعات غريبة وسراويل جينز باهتة. لم تر سارة العديد من الأولاد الذين كانت تعتبرهم من الحَشد التقليدي - أولاد الريف الذين يضعون نُصب أعينهم دخول الكلّيات،

أصحاب العيون الصافية والجباه غير المجعَّدة. معظم الأولاد الذين تكبَّدوا عناء القدوم كانوا المنحرفين وأصحاب الشعر الطويل.

قلّة منهم اقتربوا من سارة وسألوها بنبرات هادئة ماذا تعرف عن حالة السيد سميث. لم يكن بإمكانها سوى أن تهزّ رأسها وتقول إنها لم تسمع شيئاً. لكن إحدى الفتيات، دُون إدواردز، التي كانت معجبة بجوني، قرأت عمق خوف سارة على وجهها. أجهشت بالبكاء. أتت ممرضة وطلبت منها المغادرة.

«أنا متأكدة أنها ستكون بخير»، قالت سارة وهي تضع ذراعاً وقائيةً حول كتفَي دُون. «فقط أعطها دقيقة أو دقيقتين».

«لا، لا أريد أن أبقى»، قالت دُون وغادرت على عجل، موقعةً أحد الكراسي البلاستيكية الصلبة بصوت قرقعةٍ صاخبةٍ. بعد بضع لحظات، رأت سارة الفتاة جالسةً على الدرجات في شمس بعد ظهر أكتوبر الباردة دافنةً رأسها بين رُكبتَيها.

قرأت ڤيرا سميث مرجع حكمها القديمة.

عند الساعة الخامسة غادر معظم الطلاب. دُون غادرت أيضاً؛ لم ترها سارة ترحل. عند السابعة مساءً، دخل صالة الانتظار شابٌّ معلَّقةٌ *الطبيب سْترونز* بشكل منحرف على طيّة صدر معطفه الأبيض، ألقى نظرة سريعة في الأرجاء، وسار نحوهم.

«السيد والسيدة سميث؟»، سأل.

أخذ هيرب نَفَساً عميقاً. «نعم. هذا نحن».

أغلقت ڤيرا مرجع حكمها القديمة بخبطةٍ.

«هلاّ أتيتما معي، رجاءً؟».

هذه هي اللحظة، فكَّرت سارة في سرّها. الذهاب إلى الغرفة الخاصة الصغيرة، ثم إذاعة الخبر. مهما يكن ذلك الخبر. ستنتظر، وعندما يعودان، سيُخبِرها هيرب سميث ما تحتاج إلى معرفته. إنه رجل لطيف.

«هل لديك أخبار عن ابني؟»، سألت ڤيرا بنفس ذلك الصوت الحاد، القوي، والهستيري تقريباً.

«نعم». ألقى الطبيب سْترونز نظرة سريعة على سارة. «هل أنتِ من العائلة يا سيدتي؟».

«لا»، قالت سارة. «صديقة».

«صديقة مقرّبة»، قال هيرب. أمسكت يدٌ دافئةٌ قويةٌ مِرفقها، تماماً مثلما أمسكت يدٌ أخرى ذراع ڤيرا العليا. ساعَدهما على النهوض إلى قدمَيهما. «سنذهب كلنا، إن لم يكن لديك مانع».

«على الإطلاق».

قادهم إلى ما بعد منطقة المصاعد وعبر رواقٍ إلى مكتب على بابه اسم قاعة المؤتمرات. أدخلهم إليه وأنار أضواء السقف الفلورية. كانت الغرفة مفروشة بطاولة طويلة ودزينة كراسي مكتب.

أغلَق الطبيب سْترونز الباب، أشعل سيجارة، ورمى عود الثقاب المحروق في إحدى المنافض الموزَّعة على طول الطاولة. «هذا صعب»، قال، كما لو أنه يقوله لنفسه.

«إذاً من الأفضل أن تقوله كما هو»، قالت ڤيرا.

«نعم، ربما هذا أفضل».

لم يكن مكانها لتسأل، لكن سارة لم تستطع منع نفسها من فعل ذلك. «هل مات؟ رجاءً لا تقل إنه مات...».

«إنه في غيبوبة». جلَس سْترونز وأخذ مجّة قوية من سيجارته. «تعرَّض السيد سميث لإصابات خطيرة في الرأس ولمقدار غير محدَّد من الضرر في الدماغ. ربما سمِعتم التعبير ‹ورم دموي تحت الجافية› في أحد البرامج الطبية. لقد تعرَّض السيد سميث لورم دموي تحت الجافية خطير جداً، وهذا نزيف موضعي في الجمجمة. كان لا مفرّ من إجراء عملية طويلة لتخفيف الضغط، وكذلك لإزالة شظايا العظام من دماغه».

جلس هيرب بتثاقل، بوجهٍ شاحبٍ مترهِّلٍ مذهولٍ. لاحَظت سارة يديه الجلفتين ذات الندوب وتذكَّرت جوني يُخبرها أن أباه نجّارٌ.

«لكن السماوات أنقذته»، قالت ڤيرا. «أعرف أنها ستنقذه. لقد صلّيتُ لإشارة».

«ڤيرا»، قال هيرب دون قوة.

«في غيبوبة»»، كرَّرت سارة. حاوَلت أن تلائم المعلومة في إطار عاطفي ووجدت أنها غير قادرة. جوني لم يمت، جوني خضع لعملية خطيرة في دماغه - كان يُفترض أن تجدِّد هذه الأشياء الأمل لديها. لكنها لم تفعل ذلك. لم تعجبها تلك الكلمة غيبوبة. تُخفي معنى شريراً. أليست كلمة لاتينية تعني «نوم الموت»؟

«ما الذي ينتظره؟»، سأل هيرب.

«لا أحد يمكنه الإجابة على هذا الآن»، قال سْترونز. بدأ يلعب بسيجارته، فينفضها بعصبية فوق المنفضة. انتاب سارة شعورٌ بأنه كان يجيب على سؤال هيرب حرفياً بينما يتجنَّب بالكامل السؤال الفعلي الذي طرحه هيرب. «إنه موصول بمعدّات دعم الحياة، بالطبع».

«لكن يجب أن تعرف شيئاً عن فرصه»، قالت سارة. «يجب أن تعرف...». أومأت بيديها بعجز وتركتهما تسقطان على جانبيها.

«قد يخرج منها في ثمانٍ وأربعين ساعة. أو أسبوع. شهر. قد لا يخرج منها أبداً. و... هناك احتمال كبير أن يموت. يجب أن أُخبِركم بصراحة أن هذا هو الاحتمال الأقوى. إصاباته... خطيرة».

«السماوات تريده أن يعيش»، قالت ڤيرا. «أعرف هذا».

كان هيرب قد وضع وجهه بين يديه وراح يفركه ببطء.

نظرَ الطبيب سْترونز إلى ڤيرا بانزعاج. «أريدكم فقط أن تكونوا مستعدين... لأي احتمال».

«هل يمكنك تحديد فرص خروجه منها؟»، سأل هيرب.

تردَّد الطبيب سْترونز، ونفخ دخان سيجارته بعصبية. «لا، لا يمكنني فعل ذلك»، قال أخيراً.

انتظَر ثلاثتهم ساعة أخرى ثم غادروا. الجو مظلم في الخارج، ورياح باردة تهبّ وتصفر في مرأب السيارات الكبير. تطاير شعر سارة الطويل خلفها. عندما تصل إلى المنزل لاحقاً، ستجد ورقة سنديان صفراء متموِّجة عالقة فيه. في الأعلى، القمر يغشى السماء، بحّارٌ باردٌ لليل.

حشرت سارة قصاصة ورق في يد هيرب مكتوب عليها عنوانها ورقم هاتفها. «هل ستتصل بي إذا سمعتَ شيئاً؟ أي شيء على الإطلاق؟».

«نعم، بالطبع». انحنى فجأة وقبّل خدّها، وأمسكت سارة كتفه للحظة في الظلمة العاصفة.

«آسفة جداً إن كنتُ قاسية معك سابقاً يا عزيزتي»، قالت ڤيرا، وكان صوتها لطيفاً بشكل مدهش. «كنتُ منزعجة».

«بالطبع كنتِ»، قالت سارة.

«اعتقَدتُ أن ابني قد يموت. لكنني صلّيتُ. كلَّمتُ السماوات عنه. مثلما تقول الأغنية، ‹هل نحن ضعفاء ومُثقَلين بالأحمال؟ مُثقَلين بالهموم؟ لا يجب أن نفقد الأمل أبداً. صلّوا للسماوات›».

«ڤيرا، علينا أن نذهب»، قال هيرب. «يجب أن ننام قليلاً ونرى كيف تبدو الأمور في...».

«لكنني سمِعتُ الآن من السماوات»، قالت ڤيرا وهي تنظر إلى القمر بنظرات حالمة. «جوني لن يموت. لم يحن أوانه بعد. استمَعتُ وسمِعتُ ذلك الصوت الخافت ينطق في قلبي، وقد اطمأنيتُ».

فتح هيرب باب السيارة. «هيا يا ڤيرا».

التفَتت إلى سارة وابتسمت. في تلك الابتسامة رأت سارة فجأة ابتسامة جوني المريحة اللامبالية - لكنها اعتقَدت في الوقت نفسه أنها أشنع ابتسامة رأتها في حياتها.

«وضعت السماوات بصمتها على جوني»، قالت ڤيرا، «وأنا مسرورة».

«تصبحين على خير يا سيدة سميث»، قالت سارة بشفتين خَدِرتين.

«تصبحين على خير يا سارة»، قال هيرب. ركب السيارة وأدار محرّكها. خرجت من مساحتها واجتازت مرأب السيارات إلى شارع ستايت، وأدرَكت سارة أنها لم تسألهما أين يقيمان. خمَّنت أنهما قد لا يعرفان ذلك بعد.

استدارت لتذهب إلى سيارتها وتوقفت مندهشةً من النهر الذي يجري خلف المستشفى، البينوبسكوت. كان ينساب كالحرير الداكن، والقمر المنعكس عالق في وسطه. رفعت نظرها إلى السماء، وقد أصبحت تقف لوحدها الآن في مرأب السيارات. نظرت إلى القمر.

وضعت السماوات بصمتها على جوني وأنا مسرورة.

القمر معلَّق فوقها مثل لعبة كرنفال مبهرَجة، عجلة حظ في السماء كل احتمالات الفوز فيها تميل لصالح الكشك، ناهيك عن أرقام الكشك - الصفر والصفر المزدوج. رقم الكشك، رقم الكشك، كلكم ستدفعون للكشك، يا هو - يا هو - يا هو.

طيَّرت الرياح أوراقاً مُخشخِشةً حول رِجلَيها. ذهَبت إلى سيارتها وجلست خلف المِقوَد. أيقنت فجأة أنها ستخسره. استيقظ الرعب والوحدة فيها. بدأت ترتعش. أدارت سيارتها أخيراً وقادت إلى المنزل.

6

شهد الأسبوع التالي سيلاً كبيراً من المواساة والتمنيات بالشفاء من هيئة كليفز ميلز الطلابية؛ أخبَرها هيرب سميث لاحقاً أن جوني تلقَّى أكثر من ثلاثمئة بطاقة. كلها تقريباً تضمَّنت ملاحظة شخصية متردّدة تقول إنهم يأملون شفاء جوني قريباً. أجابت ڤيرا على كل بطاقة منها بجملة شكر وعبارةٍ من مرجع الحكم القديمة.

اختفت مشكلة الانضباط في حصص سارة. وشعورها السابق بأن هيئة محلّفين من الوعي المدرسي تُصدر حُكماً في غير صالحها تغيَّر إلى العكس تماماً. أدرَكت تدريجياً أن الأولاد ينظرون إليها كبطلة مأساوية، حبّ السيد سميث الضائع. صدَمتها هذه الفكرة في غرفة الأساتذة خلال فترة استراحتها يوم الأربعاء الذي تلى الحادث، ودخلت نوبة ضحك مفاجئة تحوّلت إلى بكاء مرير. قبل أن تتمكن من تمالك نفسها، أخافت نفسها بشكل كبير. كانت لياليها تضطرب بأحلام متواصلة عن جوني - جوني في قناع الهالووين جيكل وهايد، جوني واقف عند عجلة الحظ بينما يُنشد صوتٌ بلا جسد، «آه، *أحبّ* رؤية هذا الرجل يتلقى هزيمة»، مراراً وتكراراً. جوني يقول، «كل شيء على ما يرام يا سارة، كل شيء بخير»، ثم دخوله الغرفة وقد اختفى قسم من رأسه فوق حاجبَي عينيه.

أمضى هيرب وڤيرا سميث الأسبوع في فندق بانغور هاوس، ورأتهم سارة بعد ظهر كل يوم في المستشفى ينتظران بصبر حصول شيء ما. لكن لا شيء حصل. بقي جوني ممدَّداً في غرفةٍ في جناح العناية المركَّزة في الطابق السادس، مُحاطاً بمعدّات دعم الحياة، ويتنفّس بمساعدة آلة. أصبح الطبيب سْترونز أقل تفاؤلاً. في يوم الجمعة الذي تلى الحادث، اتصل هيرب بسارة على الهاتف وأخبَرها أنه وڤيرا عائدان إلى المنزل.

«لا تريد ذلك»، قال، «لكنني جعلتُها تُصغي إلى المنطق. أعتقد».

«هل هي بخير؟»، سألت سارة.

ساد صمت طويل، طويل كفاية لجعل سارة تعتقد أنها تخطّت الحدود. ثم قال هيرب، «لا أعرف. أو ربما أعرف ولا أريد فحسب الإقرار أنها ليست بخير. لطالما كانت متخشّعة قوية وازدادت قوة تخشّعها كثيراً بعد عمليتها. عملية استئصال رحمها. الآن عادت سيئة من جديد. أصبحت تتكلَّم كثيراً عن نهاية العالم. وقد ربطت حادث جوني بيوم الآخرة، بطريقة أو بأخرى».

تذكَّرت سارة مُلصَقاً على مخفِّف صدمات رأته في مكان ما: *إذا كان يوم الآخرة هو اليوم، فليُمسِك أحدهم مِقوَدي!* «نعم، أعرف الفكرة»، قالت.

«حسناً»، قال هيرب بانزعاج، «بعض المجموعات التي... تتراسل معها... تصدِّق أن صحوناً طائرةً ستأتي للمخلصين. لكي تأخذهم إلى السماوات على متن الصحون الطائرة. تلك... الملل... أقنعت أفرادها أن السماوات موجودة في مكان ما في كوكبة الجبّار. لا؛ لا تسأليني كيف اقتنعوا بذلك. تستطيع ڤيرا إخبارك. هذا... حسناً يا سارة، هذا صعب قليلاً عليَّ».

«بالطبع يجب أن يكون صعباً».

قويَ صوت هيرب. «لكن لا يزال بإمكانها أن تفرِّق بين ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي. تحتاج إلى وقت لتتأقلم. لذا أخبَرتُها أنه يمكننا مواجهة أي شيء قادم في المنزل بنفس سهولة مواجهتها له هنا. عليَّ...». صمتَ قليلاً، وقد بدا مُحرَجاً، ثم تنحنح وأكمل كلامه. «عليَّ العودة إلى العمل. لديَّ التزامات. لقد وقَّعتُ عقوداً...».

«بالتأكيد، بالطبع». سكتت قليلاً. «ماذا بشأن التأمين؟ أعني، لا شك أن هذا يكلّف ثروةً...». أصبح دورها الآن لتشعر بالإحراج.

«لقد تكلَّمتُ مع السيد پلسن، مساعِد مديرك هناك في كليفز ميلز»، قال هيرب. «لدى جوني تأمين بلُو كروس القياسي، لكن ليس ذلك التأمين مايجر ميديكال الجديد. سيغطي بلُو كروس بعض الكلفة، ولديَّ وڤيرا مدّخراتنا».

انقبض قلب سارة. *لديَّ وڤيرا مدّخراتنا*. لكم من الوقت سيتحمّل دفتر مصرفي واحد كلفة مئتَي دولار أو أكثر لليوم الواحد؟ ولأي هدف في النهاية؟ لكي يستطيع جوني البقاء معلَّقاً مثل حيوان جامد، يبوِّل بغباء في أنبوب بينما يُفلس أباه وأمه؟ لكي تستطيع حالته إفقاد أمه صوابها بأمل كاذب؟ شَعَرت بالدموع تبدأ تنهمر على خدّيها ولأول مرة - لكن ليس لآخر مرة - وجَدت نفسها تتمنّى أن يموت جوني ويرقد بسلام. جزءٌ منها تقزَّز رعباً من فكرتها، لكنها بقيت.

«أتمنّى لكم كل الخير»، قالت سارة.

«أعرف هذا يا سارة. ونحن نتمنّى لك كل الخير. هل ستراسليننا؟».

«بالتأكيد».

«وتأتين لزيارتنا عندما تستطيعين. پاونال ليست بعيدة جداً». تردَّد. «يبدو لي أن جوني اختار لنفسه الفتاة المناسبة. كانت العلاقة جدّية جداً، أليس كذلك؟».

«نعم»، قالت سارة. كانت الدموع لا تزال تنهمر ولم تفُتها صيغة الماضي في جملته. «كانت جدّية».

«وداعاً يا عزيزتي».

«وداعاً يا هيرب».

أغلَقت سمّاعة الهاتف، وانتظرت ثانية أو ثانيتين، ثم اتصلت بالمستشفى وسألت عن جوني. ليس هناك أي تغيير. شكَرت ممرضة العناية المركَّزة وراحت تسير بلا هدف ذهاباً وإياباً في الشقة. تذكَّرت قدوم أسطول صحون طائرة لأخذ المخلصين إلى كوكبة الجبّار. بدا لها هذا منطقياً بنفس القدر تقريباً لجنون فكرة تقبُّل انسحاق دماغ جون سميث ودخوله غيبوبة لن تنتهي أبداً على الأرجح - إلا في حالة موت غير متوقع.

لديها مجلّد امتحانات يجب تصحيحها. أعدَّت كوب شاي لنفسها وجلست تصحّحها. إذا كانت هناك أي لحظة أطلقت فيها سارة براكنَل العنان لحياتها ما بعد جوني مرة أخرى، فهذه كانت

اللحظة.

الفصل الرابع

1

القاتل زلقٌ.

جلَس على مقعد في منتزه البلدة بالقرب من منصة الفرقة الموسيقية، وراح يدخِّن سيجارة مارلبورو ويهمهم أغنيةً من ألبوم البيتلز الأبيض - «لا تعرف كم أنت محظوظ أيها الفتى، هناك في، هناك في، هناك في الاتحاد السوفياتي...».

لم يصبح قاتلاً بعد، ليس حقاً. لكن الفكرة تراوده منذ وقت طويل، فكرة القتل. تغريه كثيراً. ليس بطريقة سيئة، لا. بل شعَر بتفاؤل كبير بشأنها. الوقت مناسب. ليس مضطراً أن يقلق بشأن القبض عليه. ليس مضطراً أن يقلق بشأن ملقط الغسيل، لأنه زلقٌ.

بدأ ثلج خفيف يتساقط من السماء. إنه 12 نوفمبر 1970، وعلى بُعد مئتين وستين كيلومتراً إلى الشمال الشرقي لبلدة ماين الغربية المتوسطة الحجم هذه، استمر نوم جون سميث بدون انقطاع.

تفحَّص القاتل المنتزه - مشاع البلدة، حسبما يحبّ السيّاح الذين يأتون إلى كاسل روك ومنطقة البحيرات تسميته. لكن لم يكن هناك سيّاح الآن. المشاع الذي كان أخضر جداً في الصيف أصبح الآن أصفر وأجرد وميتاً. انتظَر الشتاء لكي يغطيه بأناقة. الحاجز السلكي الموجود لحماية المتفرّجين من الكرات يقف صدئاً في ماسات متداخلة، منتصباً نحو السماء البيضاء. وتحتاج منصة الفرقة الموسيقية إلى طبقة جديدة من الطلاء.

المشهد مسبِّب للكآبة، لكن القاتل لم يكتئب. بل يكاد يطير من الفرح. أرادت قدماه أن ترقصا، أرادت يداه أن تصفّقا. لن يكون هناك نفور هذه المرة.

سحَق سيجارته تحت كَعب حذائه وأشعل واحدة أخرى فوراً. ألقى نظرة سريعة على ساعته. 3:02 بعد الظهر. جلَس يدخِّن. اجتاز فتَيان المنتزه وهما يتقاذفان كُرة قدم ذهاباً وإياباً، لكنهما لم يريا القاتل لأن المقاعد كانت منخفضة في منحدر. افترَض أنه مكانٌ يأتي إليه المتضاجعون البغيضون ليلاً عندما يكون الطقس أكثر دفئاً. إنه يعرف كل شيء عن المتضاجعين البغيضين والأشياء التي يفعلونها. فقد أخبَرته أمه، كما رآهم بنفسه.

ذكرى أمه جَعَلت ابتسامته تخفت قليلاً. تذكَّر عندما كان في السابعة من عمره ودخلت غرفته دون أن تقرع الباب - لم تقرعه أبداً - وقبضت عليه يلعب بعضوه. كادت تُصاب بالجنون. حاوَل إخبارها أن هذا لا شيء. أن هذا ليس شيئاً سيئاً. فقد انتصب ببساطة. لم يفعل أي شيء ليجعله ينتصب، بل انتصب من تلقاء نفسه. وقد اكتفى بالجلوس هناك يلوّحه ذهاباً وإياباً. لم يكن الأمر مسلياً كثيراً حتى، بل مضجراً إلى حد ما. لكن أمه أُصيبت بالجنون فحسب.

هل تريد أن تكون أحد أولئك المتضاجعين البغيضين؟ صرَخت فيه. لم يعرف حتى معنى تلك الكلمة - ليس كلمة بغيضين، فهو يعرف معناها، بل الكلمة الأخرى - رغم أنه سمِع بعض الأولاد الأكبر منه سناً يستخدمونها في ملعب إبتدائية كاسل روك. *هل تريد أن تكون أحد أولئك المتضاجعين البغيضين وتلتقط أحد تلك الأمراض؟ هل تريد أن يخرج القيح منه؟ هل تريد أن يصبح لونه أسود؟ هل تريده أن يتفسَّخ ويسقط؟ هل تريد؟ هل تريد؟ هل تريد؟*

بدأت عندها تهزّه ذهاباً وإياباً، وبدأ ينتحب خوفاً، حتى وقتها كانت امرأة ضخمة، عابرة محيطات مُهيمِنة ومستبِدة، ولم يكن قاتلاً وقتها، لم يكن زلقاً وقتها، كان فتى صغيراً ينتحب خوفاً، وقد تقلَّص عضوه محاولاً إعادة الاختباء في جسمه.

جَعَلته يضع ملقط غسيل عليه لساعتين، لكي يعرف الإحساس الذي تسبّبه تلك الأمراض.

كان الألم مُبرحاً.

انتهى تساقط الثلج الخفيف. طرد صورة أمه من ذهنه، وهو شيء يمكنه أن يفعله بسهولة عندما يكون شعوره جيداً، وشيء لا يمكنه أن يفعله أبداً عندما يشعر بالاكتئاب والضعف.

كان عضوه ينتصب الآن.

ألقى نظرة سريعة على ساعته. 3:07. رمى سيجارته نصف المدخَّنة. هناك شخص قادم.

تعرَّف عليها. إنها ألما، ألما فريشيت من *وعاء القهوة* في الجانب المقابل للشارع. انتهت نوبة عملها للتو. كان يعرف ألما؛ فقد واعدها مرة أو مرتين، وجعلها تمضي وقتاً ممتعاً. أخذها إلى تلة السكون في نابيلز. كانت راقصة جيدة. المتضاجعون البغيضون راقصون جيدون في أغلب الأحيان. سُرَّ أن ألما هي الشخص القادم.

كانت بمفردها.

هناك في الولايات المتحدة، هناك في الولايات المتحدة، هناك في الاتحاد السوفياتي -

«ألما!»، ناداها ولوَّح لها. جفلت قليلاً، نظرت حولها، ورأته. ابتسمت وسارت إلى حيث يجلس، وألقت عليه التحية مستخدمةً اسمه. نهض مبتسماً. لم يكن قلقاً بشأن قدوم أي شخص. كان لا يُمَسّ. كان سوبرمان.

«لماذا ترتدي هذا؟»، سألت وهي تنظر إليه.

«أملس، أليس كذلك؟»، قال مبتسماً.

«حسناً، لن أقول هذا بالضبط...».

«هل تريدين رؤية شيء؟»، سأل. «على منصة الفرقة الموسيقية. إنه أكثر شيء لعين».

«ما هو؟».

«تعالي وانظري».

«حسناً».

تم الأمر بهذه البساطة. ذهَبت معه إلى منصة الفرقة الموسيقية. لو رأى أي شخص قادم، لكان بقي قادراً على إلغاء العملية. لكن لم يأت أحدٌ. لم يمرّ أحدٌ. المشاع لهما فقط. والسماء البيضاء تحضنهما من فوق. ألما فتاة صغيرة ذات شعر أشقر فاتح. شعر أشقر مصبوغ، كان متأكداً تماماً من ذلك. الفاسقات يصبغن شعرهن.

قادها إلى منصة الفرقة الموسيقية المحصورة. أحدثت قدماهما أصداءً خاويةً ميتةً على الألواح الخشبية. رأى حاملة نوتات موسيقية مقلوبة في إحدى الزوايا، وزجاجة شراب فارغة. هذا مكان يأتي إليه المتضاجعون البغيضون بالتأكيد.

«ماذا؟»، سألت بصوت بدا مُحتاراً قليلاً الآن. متوتراً قليلاً.

ابتسم القاتل بفرح وأشار إلى يسار حاملة النوتات الموسيقية. «هناك. أترين؟».

تبَعت إصبعه. رأت واقياً ذكرياً مستخدَماً مرمياً على الألواح الخشبية مثل جلد أفعى ذابل.

اكفهرّ وجه ألما واستدارت لتذهب بسرعة كبيرة لدرجة أنها كادت تجتاز القاتل. «هذا ليس مضحكاً أبداً...».

أمسَكها ودفعها إلى الخلف. «أين تعتقدين أنك ذاهبة؟».

تيقَّظت عيناها وارتعبتا فجأة. «دعني أخرج من هنا. وإلا ستندم. ليس لديَّ أي وقت للمزاح السخيف...».

«هذه ليست مزحة»، قال. «هذه ليست مزحة، أيتها المتضاجعة البغيضة». شَعَر بالفرح يغمره من تسميتها هكذا، من تسميتها على حقيقتها. راح العالم يدور به.

استدارت ألما يساراً، وتوجَّهت نحو الدرابزين المنخفض الذي يُحيط منصة الفرقة الموسيقية بقصد أن تقفز فوقه. قبضَ القاتل على الجهة الخلفية لياقة معطفها الرخيص وشدّها مرة أخرى. تمزَّق القماش بصوت خرخرة منخفضة وفتَحت فمها لتصرخ.

خَبَط يده على فمها، هارساً شفتيها على أسنانها. شَعَر بدم دافئ يسيل فوق راحة يده. أخذت تضربه بيدها الأخرى الآن، تخمش لتتمسّك بشيء، لكن لم يكن هناك شيء لتتمسّك به. لم يكن هناك شيء لتتمسّك به لأنه...

زلقٌ!

رماها على الأرضية الخشبية. انفصلت يده عن فمها، الذي كان ملطَّخاً بالدم الآن، وفتَحت فمها لتصرخ مرة أخرى، لكنه حطَّ فوقها، لاهثاً، مبتسماً، وزُفر الهواء من رئتيها في هَبَّة صامتة. يمكنها الشعور به الآن، صلباً، هائلاً ومدوّياً، وتوقفت عن محاولة الصراخ وراحت تقاومه. خبطت أصابعها وانزلَقت، خبطت وانزلَقت. أجبَر رِجلَيها على الابتعاد بفظاظة وقبعَ بينهما. ارتدّت إحدى يديها عن جسر أنفه، مما جعل عينيه تدمعان.

«أيتها المتضاجعة البغيضة»، همَس، وأطبقت يداه على حنجرتها. بدأ يخنقها، رافعاً رأسها عن الألواح الخشبية لمنصة الفرقة الموسيقية ثم مُعيداً خَبْطه بها. انتفَخت عيناها. أصبح وجهها زهرياً، ثم أحمر، ثم أرجوانياً داكناً. بدأت مقاومتها تضعف.

«متضاجعة بغيضة، متضاجعة بغيضة، متضاجعة بغيضة»، قال القاتل لاهثاً بصوت أجش. كان حقاً القاتل الآن، وقد انتهت الآن أيام حفّ ألما فريشيت جسمها على كل أجسام الآخرين في تلة السكون. جحظت عيناها مثل عينَي بعض تلك الدمى المجنونة التي يبيعونها في باحات ألعاب الكرنفال. راح القاتل يلهث بصوت أجش. ترهّلت يداها على الألواح الخشبية الآن. كادت أصابعه تختفي عن الأنظار.

أفلَت حنجرتها، وهو على أهبّة الاستعداد ليُطبق عليها مرة أخرى إذا تحرَّكت. لكنها لم تتحرَّك. بعد لحظة فتح معطفها بعنف بيدين ترتعشان ورفَعَ تنورة زيّها الزهري للنادلات.

أشاحت السماء البيضاء بنظرها. كان مشاع بلدة كاسل روك مهجوراً. في الواقع، لم يعثر أحدٌ على جثة ألما فريشيت المخنوقة والمغتصَبة قبل اليوم التالي. افترضت نظرية المأمور أن عابر سبيل ارتكب هذه الفعلة. عمَّ الخبر عناوين الصحف على امتداد الولاية، وفي كاسل روك كان هناك توافق عام على فكرة المأمور.

بالتأكيد لا يُعقل أن يكون أحد فتيان البلدة قد فعل هكذا شيء مُرعِب.

الفصل الخامس

1

عاد هيرب وڤيرا سميث إلى پاونال واستأنفا روتين أيامهما. أنهى هيرب منزلاً في دورهام ذلك الديسمبر. تلاشت مدّخراتهما بالفعل، مثلما توقعت سارة، وقدّما طلباً إلى الولاية لشملهما في برنامج مواجهة الكوارث الاستثنائية. هذا كبَّر هيرب في السنّ بنفس المقدار تقريباً الذي كبَّره به الحادث بحدّ ذاته. فبالنسبة له، كان برنامج مواجهة الكوارث الاستثنائية مجرّد طريقة منمّقة لقول «إنعاش اجتماعي» أو «صَدَقة». لقد أمضى حياته يعمل بجهد وأمانة وظنَّ أنه لن يرى أبداً اليوم الذي يضطر فيه إلى قبول دولار واحد من الولاية. لكن ذلك اليوم حلَّ.

اشترَكت ڤيرا بثلاث مجلات جديدة تصلها بالبريد عند فواصل زمنية غير نظامية. ثلاثتها ذات طباعة رديئة، وربما الصور فيها صنع أولاد موهوبين. *الصحون الطائرة للسماوات والتجلّي القادم* و*الأعاجيب النفسانية للسماوات*. *أما الغرفة العليا*، التي لا تزال تصل شهرياً، فتقبع الآن أحياناً غير مفتوحة لما يصل إلى ثلاثة أسابيع متتالية، لكنها تقرأ تلك المجلات الأخرى مراراً وتكراراً حتى تكاد تبلى. وجَدت أشياء كثيرة فيها بدت أنها وثيقة الصلة بحادث جوني، وقرأت تلك الشذرات لزوجها المُتعَب على العشاء بصوت مرتفع ثاقب يرتعش بنشوة الفرح. وقد وجد هيرب نفسه يطلب منها أكثر وأكثر أن تلزم الصمت، وأحياناً يصرخ بها لتُعفيه من ذلك الهراء وتدعه وشأنه. عندما يفعل ذلك، تبدأ بإعطائه تلك النظرات المتألمة والصبورة على الأذى - ثم تنسَلّ إلى الطابق العلوي لتتابع دراساتها. بدأت تراسل تلك المجلات، وتتبادل رسائل مع المُساهمين ومع بقية أصدقائها بالمراسلة الذين مرّوا بخبرات مشابهة في حياتهم.

معظم مراسليها أشخاصٌ طيبو القلب مثل ڤيرا نفسها، أشخاصٌ أرادوا المساعدة وتخفيف عبء ألمها الذي لا يُحتمل تقريباً، فيرسلون لها صلوات وتمائم، ووعوداً بذكر جوني في طلباتهم

الليلية. لكن كان هناك آخرون ليسوا سوى رجال ونساء مخادعين، وبدأ قلق هيرب يزداد حول عدم قدرة زوجته على تمييزهم. تلقّت عرضاً للحصول على قطعة صغيرة من ذخيرة حقيقية بـ 99.98$. عرضاً للحصول على قارورة ماء من النبع في منطقة لُورد، والذي سيصنع أعجوبة بكل تأكيد عند فرك جبهة جوني به. كلفة القارورة 110$ زائد الطوابع البريدية. أما أرخص عرض (وأكثرها جاذبية لڤيرا) فكان شريط كاسيت يعمل باستمرار لفرقة الإنشاد الثالثة والعشرين بقيادة الواعظ الجنوبي بيلي هامبار. إذا تم تشغيل الشريط بجانب سرير جوني لعدة أسابيع فسيُحدث بكل تأكيد شفاءً مدهشاً، وفقاً للكرّاسة. وكهدية إضافية (لفترة محدودة فقط)، سيتم شمل صورة لبيلي هامبار موقَّعة منه شخصياً.

بدأ هيرب يجد نفسه مضطراً أن يتدخّل أكثر فأكثر بعد ازدياد شغفها بتلك الحُليّ الرخيصة الزائفة. أحياناً يمزِّق شيكاتها خلسةً ويعيد تعديل رصيد دفتر الشيكات. لكن عندما يحدِّد العرض أن الدفع نقداً حصراً، يضطر أن يأخذ موقفاً حاسماً - وبدأت ڤيرا تبتعد عنه، بدأت ترتاب من أنه آثم وزنديق.

2

واظبت سارة براكنَل على التدريس نهاراً. ولم تكن فترات بعد ظهرها وأمسياتها مختلفة كثيراً عما كانت عليه بعد انفصالها عن دان؛ كانت في فترة عدم يقين، تنتظر حصول شيء ما. توقفت محادثات السلام في باريس. وأمَرَ نيكسون بمواصلة قصف هانوي رغم ازدياد الاحتجاجات الداخلية والخارجية. عرضَ صوراً في مؤتمر صحفي تبرهن بشكل حاسم أن الطائرات الأميركية لم تكن تقصف المستشفيات الفييتنامية الشمالية، لكنه كان يستقلّ مروحية للجيش في كل تنقّلاته. التحقيقات في الاغتصاب والقتل الوحشيين لإحدى نادلات كاسل روك توقفت بعد إطلاق سراح رسام لافتات متجوّل كان قد أمضى ثلاث سنوات في مستشفى أوغستا الحكومي للأمراض الذهنية - خلافاً لتوقّعات الجميع، تبيَّن أن عذر رسام اللافتات سليمٌ. كانت جانيس جوپلن تصرخ البلوز. أمَرَت باريس (للسنة الثانية على التوالي) أن طول الفساتين يجب أن يزداد، لكن ذلك لم يحصل. كان إدراك سارة لكل تلك الأشياء غامضاً، على غرار الأصوات التي تأتي من غرفة أخرى تُقام فيها حفلة متواصلة لا يمكن فهم الأحاديث الجارية فيها.

تساقط أوائل الثلج - بشكل خفيف فقط - ثم تساقط للمرة الثانية، وقبل عشرة أيام من احتفال الشتاء، هبّت عاصفة أغلقت مدارس المنطقة لليوم، ولزمت منزلها تنظر إلى الثلج يملأ شارع فلاغ. علاقتها القصيرة مع جوني - لا يمكنها حتى تسميتها علاقة - أصبحت جزءاً من فصل آخر الآن، ويمكنها الشعور به يبدأ الانزلاق بعيداً عنها. كان شعوراً بالذعر، كما لو أن جزءاً منها يغرق. يغرق في الأيام.

قرأت الكثير عن إصابات الرأس، الغيبوبات، وضرر الدماغ. لم تكن كل تلك المقالات مشجِّعة جداً. اكتشفت أن فتاةً في بلدة صغيرة في ميريلاند لا تزال في غيبوبة منذ ست سنوات؛ وأن شاباً من ليفربول، إنكلترا تلقى صدمة من خطّاف تثبيت أثناء عمله على المراسي وبقي في غيبوبة لأربع عشرة سنة قبل أن يُتوفّى. أخذ ذلك الشاب المفتول العضلات يفقد صلاته بالعالم شيئاً فشيئاً، حيث بدأ شعره يتساقط، وأعصابه البصرية تنحلّ إلى دقيق شوفان خلف عينيه المُغمضتين، وجسمه يتقوقع تدريجياً إلى وضعية الجنين بعدما تقلّصت أربطته. لقد عكَس الزمن وعاد جنيناً من جديد يسبح في المياه المشيمية للغيبوبة بينما تحلّل دماغه. أظهَر تشريح جثته أن طيّات مخّه وتلافيفه أصبحت ملساء، تاركةً الفصّ الجبهي والفصّ أمام الجبهي ناعمين وفارغين تماماً.

آه يا جوني، هذا ليس عدلاً، فكّرت في سرّها وهي تراقب الثلج يتساقط في الخارج، يملأ العالم بياضاً فارغاً، ويدفن الصيف الذابل والخريف الذهبي الأحمر. *هذا ليس عدلاً، يجب أن يدعوك تذهب إلى حيث يجب أن تذهب*.

تصلها رسالة من هيرب سميث كل عشرة أيام أو أسبوعين - لدى ڤيرا أصدقاؤها بالمراسلة، ولديه أصدقاؤه بالمراسلة. يكتب لها بخط يد كبير مستخدماً قلم حبر قديم الطراز. «كلانا بخير. ننتظر لنرى ماذا سيجري تالياً مثلك أنتِ بالتأكيد. نعم، كنتُ أقوم ببعض القراءات وأعرف ما تمتنعين عن قوله بدافع اللطف والمحبة في رسالتك يا سارة. يبدو الوضع سيئاً. لكننا بالطبع نواصل الأمل. لستُ متخشّعاً بنفس القدر مثل ڤيرا، لكنني متخشّع بطريقتي الخاصة، وأتساءل لماذا لم يمت جون مباشرة إن كان سيموت في نهاية المطاف. هل هناك سبب؟ أظن أن لا أحد يعرف. نواصل الأمل فحسب».

في رسالة أخرى:

«اضطررتُ أن أقوم بمعظم التسوّق لاحتفال الشتاء هذه السنة بنفسي بما أن ڤيرا قرَّرت أن هدايا احتفال الشتاء عادةٌ آثمةٌ. هذا ما أعنيه بأن حالتها تزداد سوءاً باستمرار. لطالما اعتبرته يوماً

مبجَّلاً وليس احتفالاً - إذا فهمتِ قصدي - وإذا رأتني أسمّيه احتفال الشتاء بدلاً من كريسماس، أظن أنها ستُطلق عليّ النار كما لو أنني لصّ». كانت تقول دائماً إن علينا أن نتذكَّر أنه يوم للاحتفال بذكرى ولادة وليس للاحتفال بسانتا كلوز، لكنها لم تكن تمانع التسوّق سابقاً أبداً. في الواقع، كانت تستمتع بالقيام به. أما الآن فلا تكفّ عن الهزء به. يأتيها الكثير من تلك الأفكار المضحكة من الأشخاص الذين تراسلهم ويراسلونها. آه، أتمنّى لو تعود إلى سابق طبيعتها. لكن ما عدا ذلك كلينا بخير. هيرب».

وبطاقة احتفال شتاء بكت فوقها قليلاً: «أفضل التمنيّات لك من كلينا لاحتفال هذه السنة، وإذا كنتِ تريدين تمضية احتفال الشتاء مع ‹عجوزَين محافظَين› فإن غرفة النوم الاحتياطية جاهزة. ڤيرا وأنا بخير. نأمل أن تكون السنة الجديدة أفضل لنا جميعاً، وأنا أكيد أنها ستكون أفضل. هيرب *وڤيرا*».

لم تذهب إلى پاونال في عطلة احتفال الشتاء، جزئياً بسبب استمرار انطواء ڤيرا في عالمها الخاص - يمكن بوضوح قراءة غوصها أكثر في ذلك العالم بين أسطر رسائل هيرب - وجزئياً لأن صلة الوصل بينهم الآن بدت غريبة وبعيدة جداً. الشخص الجامد على سرير مستشفى بانغور كانت تراه فيما مضى بشكل مقرَّب، لكن بدا لها الآن أنها تنظر إليه دائماً من خلال الطرف الخطأ لتلسكوب الذاكرة؛ مثل رجل البالون، كان بعيداً وصغيراً جداً. لذا بدا لها أنه من الأفضل أن تبقى بعيدة عنهما.

ربما شَعَر هيرب بذلك أيضاً. فقد قلّت رسائله مع تبدّل 1970 إلى 1971. وأوشك في إحداها أن يقول لها إن الوقت حان لكي تواصل حياتها، وختم رسالته بالقول إنه يشكّ أن فتاةً بجمالها لا تتلقى الكثير من طلبات المواعدة.

لكنها لم تقبل أي طلب مواعدة، لم تكن تريدها. جين سيديكي، أستاذ الرياضيات الذي خرجت معه ذات ليلة بدت أنها حصلت منذ ألف سنة على الأقل، بدأ يدعوها إلى الخروج معه بشكل غير لائق بُعيد حادث جوني، وكان رجلاً من الصعب إثباط عزيمته، لكنها شعرت أنه بدأ يفهم أخيراً. كان يجب أن يحصل ذلك عاجلاً.

يدعوها رجال آخرون من وقت لآخر، وأحدهم، طالب قانون يدعى والتر هازليت، جذبها كثيراً. تعرَّفت عليه في حفلة ليلة رأس السنة في منزل آنْ سترافورد. كانت تنوي المغادرة سريعاً، لكنها بقيت لفترة لا بأس بها، تتكلَّم في المقام الأول مع هازليت. بدا لها الرفض صعباً بشكل مدهش،

لكنها رفضت، لأنها فهِمت مصدر الانجذاب بشكل جيد جداً - كان والت هازليت رجلاً طويلاً ذا شعر بنيّ جامح وابتسامة مائلة نصف ساخرة، ويذكِّرها بجوني كثيراً. هذا ليس أساساً صالحاً لبناء علاقة مع رجلٍ.

في أوائل فبراير، دعاها الميكانيكي الذي أصلح لها سيارتها في كليفز ميلز شيڤرون. كادت تقبل مرة أخرى، ثم تراجَعت. الرجل يدعى آرني تريمونت، وهو طويل القامة، ذو بشرة زيتونية اللون، ووسيم بطريقة مفترسة مُفرِحة. ذكَّرها قليلاً بجايمس برولِن، الآسيوي الثاني في برنامج الطبيب ويلبي التلفزيوني، وحتى ذكَّرها أكثر بأحد أعضاء دلتا تاو دلتا الذي يدعى دان.

من الأفضل الانتظار. الانتظار ورؤية إن كان شيءٌ سيحصل.

لكن لم يحصل شيء.

3

في صيف 1971 ذاك، جلس غريغ ستيلسون، الذي كبُر ست عشرة سنة وأصبح أكثر حكمةً من بائع مراجع الحكم القديمة الذي ركلَ كلباً حتى الموت في فناء مهجور في أيوا، في الغرفة الخلفية لشركة التأمين والعقارات التي أسَّسها حديثاً في ريدجواي، نيو هامبشاير. لا يبدو عليه أنه كبُر في السنّ كثيراً. هناك تجاعيد حول عينيه الآن، وأصبح شعره أطول (لكنه لا يزال مُحافِظاً جداً). لا يزال رجلاً ضخماً، ويُصدر كرسيه الدوّار صريراً عندما يتحرّك عليه.

جلَس يدخِّن سيجارة پولمول وينظر إلى الرجل الممدَّد بشكل مريح على الكرسي الذي أمامه. كان غريغ ينظر إلى ذلك الرجل مثلما سينظر عالِم حيوانات إلى عيّنة جديدة مثيرة للاهتمام.

«هل ترى أي شيء أخضر؟»، سأل صاني إيليمان.

يبلغ طول إيليمان متراً وخمسة وتسعين سنتيمتراً. كان يرتدي سترة جينز قديمة متيبّسة من الشحوم أُزيلت منها الذراعان والأزرار. لم يكن هناك قميص تحتها، بل فقط قلادة حديدية على صدره العاري معلَّقة فيها شعار النازيّة بلون أسود على كْروم أبيض. إبزيم الحزام الذي يطوِّق كرشه الكبير من كثرة تناول شراب الشعير عبارةٌ عن جمجمة كبيرة من العاج. تحت الأصفاد الوتديّة لسرواله الجينز تنتأ المقدمة البالية المربعة لحذاء صحراوي. يصل طول شعره إلى الكتف، وهو متشابك ويلمع من تراكم العرق الدهني وزيت المحرِّك عليه. من شحمة إحدى أذنيه يتدلّى قرط

شعار النازيّة، بلون أسود على كْروم أبيض أيضاً. راح يدوّر خوذةً على شكل دلو فحم على طرف إصبع فظّ. محيَّكٌ على الجهة الخلفية لسترته وجه شيطان أحمر ينظر شزراً بلسان متشعِّب. وفوق وجه الشيطان مكتوب *دزينة الشيطان*. وتحته: *صاني إيليمان، الرئيس*.

«لا»، قال غريغ ستيلسون. «لا أرى أي شيء أخضر، لكنني أرى شخصاً يبدو حقيراً».

تصلَّب إيليمان قليلاً، ثم استرخى وضحِك. رغم الأوساخ، ورائحة الجسم المحسوسة تقريباً، والشعارات النازيّة، لم تكن عيناه، الخضراوان الداكنتان، خاليتين من الذكاء وحتى من حسّ الفكاهة.

«لا يهمّني رأيك بالموضوع على الإطلاق يا رجل»، قال. «لقد حصل هذا من قبل. لديك الطاقة الآن».

«أنت تدرك ذلك، أليس كذلك؟».

«بالتأكيد. لقد ترَكتُ رجالي في الهامبتونز وأتيتُ إلى هنا لوحدي. إنها مسؤوليتي يا رجل». ابتسم. «لكن إذا قبضنا عليك في وضع مشابه في يوم من الأيام، ستأمل أن تكون كليتاك مستعدتين للمعركة».

«سأخاطر»، قال غريغ. راح يقيِّم إيليمان. كانا رجلين ضخمين. خمَّن أن إيليمان أثقل منه بعشرين كيلوغراماً، لكن الكثير منه عضلات شراب شعير. «يمكنني أن أهزمك يا صاني».

تجعَّد وجه إيليمان بروح دعابة لطيفة مرة أخرى. «ربما. ربما لا. لكن هذه ليست الطريقة التي نلعب بها يا رجل. كل حركات جون واين الأميركي الجيدة تلك». مال إلى الأمام، كما لو أنه سيكشف سراً كبيراً. «شخصياً، الآن، كلما حصلتُ على قطعة من فطيرة تفاح أمي، أجعلها مهنتي أن أتبرَّز عليها».

«لسان كريه يا صاني»، قال غريغ بلطف.

«ماذا تريد مني؟»، سأل صاني. «لماذا لا تدخل في صلب الموضوع؟ سيفوتك اجتماع جمعية الجيسيز».

«لا»، قال غريغ بصوت لا يزال هادئاً. «تنعقد اجتماعات الجيسيز ليالي الثلاثاء. لدينا كل الوقت في العالم».

صفَّر إيليمان صفيراً مشمئزاً.

«الآن ما اعتقَدتُه»، أكمل غريغ كلامه، «هو أنك تريد شيئاً مني». فتَح جارور مكتبه وأخرج منه ثلاثة أكياس بلاستيكية من الماريجوانا. وكانت هناك عدة كبسولات مادة هلامية ممزوجةً مع التبغ. «عثرتُ على هذه في كيس نومك»، قال غريغ. «بغيض، بغيض، بغيض يا صاني. فتى شقي. لا تتجاوز مربع الانطلاق، لا تقبض مئتَي دولار. اذهب مباشرة إلى سجن ولاية نيو هامبشاير».

«لم يكن معك أي إذن تفتيش»، قال إيليمان. «حتى محامي مبتدئ يستطيع تبرئتي، وأنت تعرف ذلك».

«لا أعرف أي شيء من هذا القبيل»، قال غريغ ستيلسون. مال إلى الوراء على كرسيه الدوّار ورفع خُفَّه، الذي اشتراه من ل.ل. بِينْ في ماين عند الجانب الآخر لحدود الولاية، على مكتبه. «أنا رجل مهم في هذه البلدة يا صاني. أتيتُ إلى نيو هامبشاير فقيراً مُعدماً تقريباً منذ بضع سنوات، ولديَّ الآن عمل لطيف هنا. لقد ساعدتُ مجلس البلدة بحلّ بضع مشاكل، من بينها ما الذي يجب فعله بكل أولئك الأولاد الذين يقبض عليهم رئيس الشرطة يتعاطون المخدَّرات... آه، لا أعني المشاغِبين مثلك يا صاني، الأشخاص غير المستقرين أمثالك نعرف ماذا نفعل بهم عندما نقبض عليهم ومعهم كنز صغير دفين مثل هذا الموجود على مكتبي الآن... أعني الأولاد المحليين اللطفاء. لا أحد يريد حقاً فعل أي شيء بهم، صح؟ هذا ما اقترحته عليهم. نجعلهم يعملون في مشاريع مجتمعية بدلاً من إرسالهم إلى السجن، هذا ما قلتُه. وقد نجح ذلك حقاً. لدينا الآن أكبر رأس في ناحية البلدات الثلاثة يدرِّب الدوري الصغير ويحقّق نجاحات جيدة في ذلك».

بدا إيليمان ضجِراً. أنزلَ غريغ قدمَيه فجأة بخبطةٍ قويةٍ، وأمسكَ مزهريةً عليها شعار جامعة نيو هامبشاير، ورماها على مقربة من أنف صاني إيليمان. أخطأته بأقل من سنتيمتر، طارت عبر الغرفة، وتحطَّمت على خزائن الملفات في الزاوية. لأول مرة بدا إيليمان جافلاً. وللحظة واحدة كان وجه هذا الغريغ ستيلسون الأكبر سنّاً والأكثر حكمةً وجهَ رجل أصغر سناً، ضارب كلاب بالهراوات.

«تريد أن تُنصت عندما أتكلَّم»، قال بلطف. «لأن ما نناقشه هنا هو مستقبلك للسنوات العشرة القادمة تقريباً. الآن إذا لم يكن لديك أي اهتمام بكسب رزقك من لصق *عِش حراً أو مُتْ* على لوحات

أرقام السيارات، عليك أن تُنصت لي يا صاني. تريد أن تتظاهر أن هذا هو أول يوم في المدرسة مرة أخرى يا صاني. تريد القيام بكل شيء بشكل صحيح من المرة الأولى يا *صاني*».

نظرَ إيليمان إلى الأجزاء المحطَّمة للمزهرية، ثم عاد ونظرَ إلى ستيلسون. بدأ هدوؤه السابق يتحوَّل إلى اهتمام حقيقي. لم يكن مهتماً حقاً بأي شيء منذ مدة لا بأس بها الآن. وقد لجأ إلى شراب الشعير لأنه كان ضجِراً. كما أتى لوحده لأن كان ضجِراً. وعندما أوقفه هذا الرجل الضخم، باستخدام ضوء أزرق وامض على لوحة قيادة سيارته الستايشن، افترَض صاني إيليمان أن ما عليه التعامل معه هو مجرّد شرطي آخر في بلدة صغيرة يحمي منطقته ويطرد الدَرّاجين الأشرار على درّاجات هارلي - دايفدسون معدَّلة. لكن هذا الرجل كان شيئاً آخر. كان... كان...

إنه مجنون! أدرَك صاني بابتهاجٍ من هذا الاكتشاف. *لديه جائزتا خدمة عامة على جداره، وصور له يتكلَّم مع أعضاء في نادي الروتاري ونادي الليونز، وهو نائب رئيس الجيسيز في هذه البلدة التافهة، وسيصبح الرئيس في السنة القادمة، وهو مجنون مثل بقّة فراش لعينة!*

«حسناً»، قال. «حصلتَ على انتباهي».

«لديَّ ما قد تسمّيه مهنة متقلّبة»، أخبَره غريغ. «شهدتُ نجاحات، لكنني شهدتُ إخفاقات أيضاً. وواجهتُ بعض المشاكل مع القانون. ما أحاول قوله يا صاني هو أنه ليست لديَّ أي مشاعر محدَّدة مسبقاً تجاهك. ليس مثل بقية السكان المحليين. فقد قرأوا في صحيفة اليونيون ليدر عما تفعله أنت وأصدقاؤك الدَرّاجون في الهامبتونز هذا الصيف ويودّون إخصاءك بشفرة جيليت صدئة».

«هذا ليس نادي دزينة الشيطان»، قال صاني. «نزلنا من الجزء الشمالي من ولاية نيويورك لنمضي بعض الوقت على البحر يا رجل. نحن في إجازة، ولا نسعى إلى تحطيم بعض مقاصف الهونكي تونك. هناك مجموعة عدائية من نادي حرّاس الجحيم، وجماعة من نادي الدرّاجين السود من نيوجيرسي، لكن هل تعرف مَن الأغلبية؟ مجموعة من طلاب الكلّيات». تجعَّدت شفة صاني. «لكن الصحف لا تحبّذ نشر ذلك، أليس كذلك؟ بل تفضّل إلقاء اللوم علينا وليس على سوزي وجيم».

«أنتم نابضون بالحيوية أكثر بكثير»، قال غريغ بلطف. «وويليام لوب في صحيفة اليونيون ليدر لا يحبّ نوادي الدرّاجات».

«ذلك اللص الأصلع»، تمتم صاني.

فتَح غريغ جارور مكتبه وأخرجَ زجاجة شراب ذرة صغيرة. «سأشرب بصحة هذا»، قال. نزع الختم عنها وشرِب نصفها بجرعة واحدة. زفرَ نَفَساً كبيراً، بعينين دامعتين، ومدَّ الزجاجة عبر المكتب. «أنت؟».

أفرغَ صاني باقي الزجاجة في حلقه. شبَّ حريق دافئ من معدته إلى حنجرته. «أشعِلني يا رجل»، قال لاهثاً.

رمى غريغ رأسه إلى الخلف وضحِك. «سننسجم يا صاني. لديَّ شعور بأننا سننسجم».

«ماذا تريد؟»، سأل صاني مرة أخرى، حاملاً الزجاجة الفارغة.

«لا شيء... ليس الآن. لكن لديَّ شعور...». شردت عينا غريغ وملأتهما الحيرة. «أخبَرتُك أنني رجل مهم في ريدجواي. سأترشّح لمنصب العُمدة عندما يشغَر في المرة المقبلة، وسأفوز. لكن...».

«هذه البداية فقط؟»، قال صاني فوراً.

«إنها بداية، على أي حال». كانت تلك الحيرة لا تزال هناك. «أنا أُنجِز المهام. الناس يعرفون ذلك. أنا بارع في ما أفعله. أشعر أن... هناك أموراً كثيرةً تنتظرني. السماء هي الحدود. لكنني لستُ... متأكداً... مما أعنيه».

اكتفى صاني بهزّ كتفيه.

خفّت حدّة الحيرة. «لكن هناك قصة يا صاني. قصة عن فأرةٍ نزعت شوكة من كفّ أسدٍ. فعلت ذلك لكي تفي دَينها للأسد لعدم أكله لها منذ بضع سنوات. هل تعرف القصة؟».

«ربما سمِعتُها عندما كنتُ صغيراً».

أومأ غريغ برأسه. «حسناً، إنها قبل بضع سنوات... مهما يكن يا صاني». دفَع الأكياس البلاستيكية عبر المكتب. «لن آكلك. يمكنني ذلك لو أردتُ. لن يستطيع محامي مبتدئ تبرئتك. في هذه البلدة، ومع اندلاع أعمال الشغب في الهامبتون على بُعد أقل من ثلاثين كيلومتراً، حتى كلارنس دارو اللعين لن يستطيع تبرئتك في ريدجواي. سيحبّ أولئك الأشخاص الطيبون رؤيتك تصعد».

لم يردّ إيليمان، لكنه شعَر أن غريغ محقّ. لم يكن هناك شيء ثقيل في أكياس مخدّراته - قاذفتان بنّيتان كانتا أثقل شيء - لكن الأهل الجماعيين للعزيزين جيم وسوزي سيُسرّون برؤيته حليق الرأس يكسِّر صخوراً في پورتسموث.

«لن آكلك»، كرَّر غريغ. «آمل أن تتذكَّر هذا بعد بضع سنوات إذا دخلت شوكةٌ كفّي... أو ربما كانت عندي وظيفة لك. هل ستتذكَّره؟».

لم يكن الامتنان بنداً في قاموس المشاعر البشرية المحدودة لصاني إيليمان، على عكس الاهتمام والحشرية. انتابه هذان الشعوران تجاه هذا الرجل ستيلسون. ذلك الجنون في عينيه يوحي بعدة أشياء، لكن الضجر ليس أحدها.

«مَن يعرف أين سنكون كلنا بعد بضع سنوات؟»، قال همساً. «يمكن أن نكون قد متنا كلنا يا رجل».

«فقط تذكَّرني. هذا كل ما أطلبه».

نظرَ صاني إلى شظايا المزهرية المحطَّمة. «سأتذكَّرك»، قال.

4

انقضى العام 1971. هدأت أعمال الشغب على شاطئ نيو هامبشاير، وتذمُّرات المستثمرين على شاطئ البحر كتمتها الأرصدة المتزايدة في دفاترهم المصرفية. أعلَن رجل غامض يدعى جورج ماكغفرن ترشّحه للرئاسة بشكل هزلي باكراً. أي شخص يتابع أخبار السياسة يعرف أن مرشّح الحزب الديموقراطي في العام 1972 سيكون إدموند مَسكي، وهناك بعض الذين شَعَروا أنه قد يصارع مارد سان كليمنتي فيغلبه ويثبّته على الحصيرة.

في أوائل يونيو، وقُبيل انتهاء العام الدراسي، التقت سارة طالب القانون اليافع مرة أخرى. كانت في متجر الأجهزة تريد شراء محمصة كهربائية، وكانت تبحث عن هدية للذكرى السنوية لزواج والدَيه. سألها إن كانت تريد الذهاب إلى السينما معه - بدأ عرض فيلم كلينت إيستْوود الجديد، *هاري القذر*، في البلدة. ذهَبت سارة. وأمضيا وقتاً مسلياً. كان والتر هازليت قد أطال لحيته، ولم يعد يذكِّرها بجوني كثيراً. في الواقع، أصبح أصعب عليها أن تتذكّر شكل جوني. فلا ترى وجهه بوضوح إلا في أحلامها، أحلام يقف فيها أمام عجلة الحظ، يراقبها تدور، بوجه بارد وعينين

زرقاوين مظلمتين إلى ذلك الظل البنفسجي الداكن المُربِك والمخيف قليلاً، يراقب العجلة كما لو أنها محمية طرائد شخصية خاصة به.

بدأت تواعد والت أكثر فأكثر. كان شخصاً سهل الانسجام معه. ليست لديه أي طلبات - أو إذا كانت لديه، فهي ذات طبيعة متزايدة تدريجياً بحيث لا تضايق. سألها في أكتوبر إن كان يمكنه أن يشتري لها ماسةً صغيرةً. سألته إن كان يمكنها التفكير بذلك خلال عطلة نهاية الأسبوع. ليلة السبت ذاك، ذهبَت إلى مركز ماين الشرقية الطبي، حصلت على ترخيص خاص أحمر الحاشية من مكتب الاستقبال، وصعدت إلى قسم العناية المركَّزة. جلَست بجانب سرير جوني لساعة. عصفت رياح الخريف في الظلمة في الخارج، واعدةً بالبرد، واعدةً بالثلج، واعدةً بموسم من الموت. مرَّت سنة ناقص ستة عشر يوماً منذ المعرض، العجلة، والتصادم وجهاً لوجه بالقرب من المستنقع.

جلَست تستمع إلى الرياح وتنظر إلى جوني. لقد زالت الضمادات. تبدأ الندبة على جبهته سنتيمترين فوق حاجب عينه اليمنى وتتلوّى صعوداً إلى تحت خط شعره. ابيضَّ شعره، مما ذكَّرها بذلك المحقق الخرافي في روايات *الدائرة السابعة والثمانين* - كوتون هاوز، هذا كان اسمه. بدا لعينَي سارة أنه لم يصبه أي تدهور، ما عدا خسارة الوزن المحتومة. كان مجرّد شابّ بالكاد عرَفته، مستغرقاً في نومه.

انحنت وقبَّلت فمه بلطف، كما لو أنه يمكن عكس القصة الخرافية القديمة وستتمكن قبلتها من إيقاظه. لكن جوني واصل نومه.

غادرت، عادت إلى شقتها في ڤيزي، تمدَّدت على سريرها وبكت بينما جابت الرياح العالمَ الداكنَ في الخارج، مطيِّرةً ما أمكنها من أوراق صفراء وحمراء. يوم الاثنين أخبَرت والت أنه إن أراد حقاً شراء ماسة لها - ماسة صغيرة، تحديداً - ستكون سعيدة وفخورة أن ترتديها.

هذا كانت العام 1971 لسارة براكنَل.

في أوائل 1972، أجهش إدموند مَسكي بالبكاء خلال خطاب حماسي خارج مكاتب الرجل الذي أشار إليه صاني إيليمان بـ «ذلك اللص الأصلع». قلَبَ جورج ماكغفرن موازين القوى في الانتخابات الأولية لاختيار مرشّح الحزب للرئاسة، وأعلَن لوب بمرح في صحيفته أن سكان نيو هامبشاير لا يحبّون البكّائين كالأطفال. في يوليو، تم ترشيح ماكغفرن. في نفس ذلك الشهر، أصبحت سارة براكنَل سارة هازليت. تزوَّجت والت في الدار الميثودية الأولى في بانغور.

على بُعد أقل من ثلاثة كيلومترات، واصل جوني سميث نومه. وخطرَ ببال سارة، فجأة وبشكل رهيب، بينما قبّلها والت أمام الأعزاء المجتمعين هناك لحضور العرس - جوني، فكَّرت في سرّها، ورأته مثلما كانت قد رأته عندما أُشعلت الأضواء، نصف جيكل ونصف هايد المزمجِر. تصلَّبت بين ذراعَي والت للحظة، ثم زالت تلك الحالة. ذاكرة، بصيرة، أياً تكن، فقد اختفت.

بعد تفكير طويل ونقاش مع والت، دعت والدَي جوني إلى العرس. جاء هيرب لوحده. في حفلة الاستقبال، سألته إن كانت ڤيرا بخير.

ألقى نظرة سريعة حوله، رأى أنهما لوحدهما في الوقت الحاضر، ورشفَ بسرعة باقي شرابه الاسكتلندي والمياه الغازية. لقد كبُر في السنّ خمس سنوات في الأشهر الثمانية عشرة الأخيرة، فكَّرت في سرّها. خفَّ شعره وتعمَّقت الخطوط على وجهه. كان يرتدي نظّارات بالطريقة الحذرة والخجِلة التي يتميَّز بها الأشخاص الذين بدأوا يرتدونها حديثاً، وخلف العدسات التصحيحية كانت عيناه حذِرتين ومتألمتين.

«لا... ليست بخير في الواقع يا سارة. الحقيقة هي أنها في فيرمونت. في مزرعة. تنتظر نهاية العالم».

«*ماذا؟*».

أخبَرها هيرب أن ڤيرا بدأت منذ ستة أشهر تتراسل مع مجموعة من حوالي عشرة أشخاص يسمّون أنفسهم *الجمعية الأميركية لآخر الزمان*، بقيادة السيد والسيدة هاري ل. ستونكرز من راسِين، ويسكنسن. يدّعي السيد والسيدة ستونكرز أن صحناً طائراً أخذهما بينما كانا في رحلة تخييم. أُصعدا إلى السماوات، التي لم تكن في كوكبة الجبّار بل على كوكب يشبه الأرض يدور حول أركتوروس (السِّماك الرامح). تواصلا بشكل حميم مع المقيمين هناك. أُبلِغ السيد والسيدة ستونكرز أن آخر الزمان وشيك. أُعطيا القدرة على التخاطر وأُعيدا إلى الأرض ليجمِّعا بضعة متخشّعين - لأول مكّوك إلى السماوات. لذا اجتمع عشرتهم، واشتروا مزرعة شمالي سانت جونزبوري، واستقرّوا فيها لحوالي سبعة أسابيع، بانتظار قدوم الصحن الطائر لكي يأخذهم.

«هذا يبدو...»، بدأت سارة تقول، ثم أغلقت فمها.

«أعرف كيف يبدو هذا»، قال هيرب. «يبدو ضرباً من الجنون. كلَّفهم المكان تسعة آلاف دولار. ليس سوى بيت مزرعة منهار مع فدّانين من الدِغال. كانت حصة ڤيرا سبعمئة دولار - هذا

كل ما أمكنها دفعه. لم أستطع إيجاد أي طريقة لإيقافها... ما عدا إدخالها مستشفى الأمراض العقلية». صمتَ قليلاً، ثم ابتسم. «لكن هذا ليس شيئاً علينا أن نتكلّم عنه في حفلة عرسك يا سارة. أنت وعريسك ستحظيان بأيام جميلة. أعرف ذلك».

ابتسمت له سارة بدورها بأفضل ما يمكنها. «شكراً يا هيرب. هل... هل تعتقد أنها سوف...».

«تعود؟ آه نعم. إذا لم ينتهِ العالم في الشتاء، أعتقد أنها ستعود».

«آه، أتمنّى لك الأفضل»، قالت، وعانَقته.

5

لا تتضمن المزرعة في فيرمونت سخّاناً، وعندما لم يأت الصحن الطائر في أواخر أكتوبر، عادت ڤيرا إلى المنزل. لم يأت الصحن الطائر لأنهم، حسب قولها، لم يصبحوا مثاليين بعد - لم يحرقوا نفاية حياتهم غير الأساسية والآثمة. لكنها ترقَّت روحياً. رأت إشارة في حلمها. ربما ليس مقدَّراً لها أن تذهب إلى السماوات على متن صحن طائر. شَعَرت أكثر فأكثر أنها ستكون مطلوبة لتُرشد ابنها، لتُظهِر له الطريق الصحيح، عندما يخرج من نشوته.

تفهَّمها هيرب، وأحبّها بقدر ما يستطيع - واستمرت الحياة. لا يزال جوني في غيبوبته منذ سنتين.

6

أُعيد انتخاب نيكسون. بدأ الشباب الأميركيون يعودون إلى الوطن من فيتنام. أجرى والتر هازليت امتحان الدخول إلى سلك المحاماة ودُعي لإجرائه مرة أخرى في تاريخ لاحق. استمرت سارة هازليت بالتدريس بينما تحضَّر للامتحان. الطلاب الذين كانوا ساذجين بلهاء في سنتهم الأولى عندما بدأت تدرِّس أصبحوا في سنتهم ما قبل الأخيرة الآن. الفتيات المسطَّحات الصدر أصبحن ناهدات الثديين. الضعفاء الذين كانوا غير قادرين على إيجاد طريقهم في أرجاء المبنى أصبحوا يلعبون كُرة السلة في الجامعة الآن.

«توقف»، قالت ڤيرا بحدّة ضاغطةً شفتيها إلى خطّين أبيضين رفيعين. «لا داعي لكي تسخر من شيء لا تفهمه».

«لم أكن أسخر يا ڤيرا»، قال بهدوء.

«لا أفهم لماذا الزنديق يسخر والوثني يغضب»، قالت. ظهرَ ذلك الضوء الفارغ في عينيها. كانا يجلسان إلى طاولة المطبخ، أمام هيرب مسمار ملولب معقوف قديم للسمكرة، وأمام ڤيرا كدسة مجلات ناشونال جيوغرافيك قديمة تتصفّحها بحثاً عن صور وقصص عن القطب الجنوبي. في الخارج، تفرّ سُحُبٌ مضطربةٌ غرباً وشرقاً وتتساقط الأوراق عن الأشجار. إنه أوائل أكتوبر مرة أخرى، وأكتوبر يبدو دائماً أنه أسوأ شهر لها. فهو الشهر الذي يزداد فيه الضوء الفارغ في عينيها ويبقى لفترة أطول. ودائماً في أكتوبر ما تتحوَّل أفكاره غدراً إلى تركهما والرحيل. زوجته المُختلّة العقل على الأرجح وابنه النائم، الميت من قبل على الأرجح وفق أي تعريف عملاني. جلسَ الآن يدوّر المسمار الملولب المعقوف في يديه وينظر خارج النافذة إلى تلك السماء المضطربة ويفكِّر في سرّه، *يمكنني أن أوضّب أمتعتي. فقط أرمي أغراضي في الجهة الخلفية للشاحنة وأرحل. فلوريدا، ربما. نبراسكا. كاليفورنيا. النجّار الجيد يستطيع كسب مال جيد في أي مكان لعين. فقط انهض وارحل.*

لكنه عرَف أنه لن يفعل ذلك. المسألة ببساطة أن أكتوبر شهره ليفكِّر بشأن الهروب، مثلما بدا أنه الشهر الذي تكتشف فيه ڤيرا نفقاً جديداً إلى السماوات والإنقاذ النهائي للولد الوحيد الذي كانت قادرةً على احتضانه في رحمها ذي المستوى ما دون القياسي.

مدَّ يده عبر الطاولة وأمسك يدها، الرفيعة والنحيلة بشكل رهيب - يد امرأةٍ عجوزٍ. رفعت نظرها، متفاجئة. «أحبك كثيراً يا ڤيرا»، قال.

ابتسمت له بدورها، وللحظة متلألئة عادت تقريباً تلك الفتاة التي تودَّد إليها وفاز بها، الفتاة التي خبطته على مؤخرته بفرشاة شعر ليلة عرسهما. كانت ابتسامة لطيفة، وبدت عيناها للحظةٍ محبّة ودافئة. في الخارج، أشرقت الشمس من خلف سحابة مكتنزة، غاصت خلف سحابة أخرى، ثم أشرقت مرة أخرى مرسلةً ظلالاً رائعةً لمصراع النافذة على حقلهما الخلفي.

«أعرف أنك تحبّني يا هربرت. وأنا أحبك».

وَضَع يده الأخرى فوق يدها واحتضنها.

«ڤيرا»، قال.

«نعم؟». كانت عيناها صافيتين جداً... أصبحت معه فجأة، معه كلياً، وهذا جَعَله يُدرِك كم ابتعدا عن بعضهما بشكل مُرعِب خلال السنوات الثلاثة الأخيرة.

«ڤيرا، إذا لم يستيقظ أبداً... لا سمح الله، لكن إذا لم يستيقظ... سيظل لدينا بعضنا، أليس كذلك؟ أعني...».

انتزعت يدها منه. لم تعد يداه تُمسكان شيئاً غير الهواء.

«لا تقل هذا *أبداً*. لا تقل *أبداً* أن جوني لن يستيقظ».

«كل ما قصدتُه هو أننا...».

«بالطبع سيستيقظ»، قالت وهي تنظر خارج النافذة إلى الحقل، حيث الظلال لا تزال تجتازه وتجتازه. «إنها خطة السماوات له. آه نعم. ألا تعتقد أنني أعرف؟ أنا *أعرف*، صدِّقني. تخبّئ السماوات أشياء عظيمة لجوني. لقد سمِعت صوتها في قلبي».

«نعم يا ڤيرا»، قال. «حسناً».

راحت أصابعها تتلمّس بحثاً عن مجلات الناشونال جيوغرافيك، عثرت عليها، وبدأت تتصفّحها مرة أخرى.

«أنا *أعرف*»، قالت بصوت مشاكس طفولي.

«حسناً»، قال بهدوء.

نظرت إلى مجلاتها. أسنَد هيرب ذقنه على راحتَي يديه ونظر خارجاً إلى أشعة الشمس والظلال وفكَّر كم يحلّ الشتاء سريعاً بعد أكتوبر الذهبي الغدّار. تمنّى لو يموت جوني. لقد أحبَّ الفتى من اللحظة الأولى. رأى الدهشة على وجهه الصغير عندما أحضَر هيرب ضفدعاً صغيراً إلى عربته ووضع المخلوق الحيّ الصغير في يديه. علَّمه كيف يصطاد السمك ويتزلّج ويُطلق النار. سهر معه طوال الليل خلال معركته الفظيعة مع الإنفلونزا عام 1951، عندما حلَّقت حرارته إلى أربعين درجة. أخفى دموعه في يده عندما تخرَّج جوني من الثانوية مُلقياً خِطاب الترحيب من الذاكرة دون أي ورقة بين يديه. ذكريات عديدة عنه - تعليمه قيادة السيارة، الوقوف عند مقدمة

البوليرو عندما ذهَبوا في عطلة إلى نوفا سكوشا ذات سنةٍ، جوني في الثامنة من عمره، يضحك متحمِّساً من حركة الزورق اللولبية، مساعدته في واجباته المدرسية، مساعدته في بناء العرزال، مساعدته في تعلّم استخدام البوصلة عندما كان في الكشّافة. كل تلك الذكريات تلخبطت ببعضها في ترتيب زمني عشوائي - جوني هو الخيط المشترك الوحيد بينها، جوني يكتشف بتلهّف العالم الذي شوَّهه بشكل سيئ في النهاية. والآن يتمنّى أن يموت جوني، آه كم يتمنّى ذلك، أن يموت، أن يتوقف قلبه عن النبض، أن تصبح الخطوط المنخفضة الأخيرة على مخطَّطِة الموجات الدماغية مسطَّحة، أن ينطفئ مثل شمعة مرتعشة في حوضٍ من الشمع: أن يموت ويحرّرهما.

7

وصل بائع مانعات صواعق إلى نُزُل الكاثي في سومرزوورث، نيو هامبشاير، في وقت مُبكر من بعد ظهر يوم صيفي ملتهِب بعد أقل من أسبوع على الرابع من يوليو في تلك السنة 1973»، وفي مكان ما ليس بعيداً جداً كانت هناك، ربما، عواصف تنتظر فقط أن تهبّ في التيارات الهوائية الصاعدة الدافئة للصيف.

كان رجلاً عطشاً جداً، وتوقَّف في الكاثي ليُخمده ببعض شراب الشعير وليس ليبيع بضاعته. لكن بفعل القوة الكبيرة لعادته الطويلة، رفع نظره إلى سطح المبنى المنخفض المشيَّد بطابع مزارع المواشي، وجعله العمود غير المكسور الذي رآه منتصباً في السماء النحاسية العاصفة يعود إلى سيارته ويُحضر حقيبته البالية التي تتضمن عيّناته.

الكاثي من الداخل داكنٌ وباردٌ وصامتٌ ما عدا من الهمهمة المكتومة للتلفزيون الملوّن المعلَّق على الجدار. كان هناك بضعة زبائن دائمين، وخلف المشرب يقف المالك يشاهد «مع دوران العالم» مع زبائنه.

أجلسَ بائع مانعات الصواعق نفسه على كرسي بلا ظهر ولا ذراعين عند المشرب ووضع حقيبة عيّناته على الكرسي الذي على يساره. أتى إليه المالك. «مرحباً يا صديقي. ماذا ستشرب؟».

«شراب شعير»، قال بائع مانعات الصواعق. «وخذ بعضاً لنفسك، إن كنت ترغب».

«أنا أرغب دائماً»، قال المالك. عاد ومعه زجاجتَي شراب شعير، أخذ دولار البائع، وترك ثلاثين سنتاً على المشرب. «بروس كاريك»، قال وهو يمدّ يده.

صافحه بائع مانعات الصواعق. «دوهاي»، قال، «أندرو دوهاي». أفرغ نصف زجاجة شراب شعيره.

«سعيد بلقائك»، قال كاريك. ابتعد ليقدِّم لشابةٍ ذات وجه صارم كوب شراب مكسيكي آخر وعاد إلى دوهاي في نهاية المطاف. «من خارج البلدة؟».

«نعم»، قال دوهاي. «بائع». ألقى نظرة سريعة حوله. «هل المكان هادئ هكذا دائماً؟».

«لا. يزدحم في عطل نهاية الأسبوع والحركة مقبولة خلال الأسبوع. الحفلات الخاصة هي المناسبات التي نكسب فيها رزقنا - هذا إن كسبناه. لا أتضوَّر جوعاً، لكنني لا أقود كاديلاك أيضاً». وجَّه سباسته إلى زجاجة دوهاي. «أجدِّد هذه؟».

«وأخرى لنفسك يا سيد كاريك».

«بروس». ضحِك. «لا شك أنك تريد بيعي شيئاً».

عندما عاد كاريك بشرابَي الشعير، قال بائع مانعات الصواعق: «دخَلتُ لأنفض عني الغبار، وليس لأبيع أي شيء. لكن بما أنك فتحت الموضوع...». رفع حقيبة عيّناته إلى المشرب بحركة بدا أنه معتاد عليها. جلجَلت بعض الأشياء داخلها.

«آه، ها هي قادمة»، قال كاريك، وضحِك.

اقترب اثنان من الزبائن الدائمين لفترة بعد الظهر، وعجوز ذو ثؤلول على جفنه الأيمن ورجل أصغر سناً في بزّة رمادية، ليروا ما الذي يبيعه دوهاي. أكملت المرأة ذات الوجه الصارم مشاهدة «مع دوران العالم».

أخرجَ دوهاي ثلاث مانعات، واحدة طويلة ذات كُرة نحاسية عند رأسها، واحدة قصيرة، وواحدة ذات موصِّلات خزفية.

«تباً، ما هذه...»، قال كاريك.

«مانعات صواعق»، قال العجوز المُحنَّك وقوقأ. «يريد إنقاذ هذا المقصف من غضب السماوات يا بْروسي. من الأفضل لك أن تُصغي إلى ما سيقوله».

ضحِك مرة أخرى، وانضم إليه الرجل ذو البزّة الرمادية، واكفهرّ وجه كاريك، وعرَف بائع مانعات الصواعق أن الفرصة التي كانت لديه ليبيع شيئاً ولو كانت ضئيلة طارت للتو. إنه بائع بارع، بارع كفاية ليُدرك أن هذه التركيبة الغريبة من الشخصيات والظروف تجتمع أحياناً وتُفسد أي فرصة لإتمام الصفقة حتى قبل أن يتسنّى له قول كلمة واحدة. تقبَّل الأمر بهدوء وبدأ كلامه المعسول على أي حال، بدافع قوة العادة في الأغلب:

«بينما كنتُ أنزل من سيارتي، لاحظتُ بالصدفة أن هذه المؤسسة الفاخرة غير مجهَّزة بمانعات صواعق - وأنها مشيَّدة من خشب. الآن بسعر زهيد جداً - وتقسيط مريح إذا أردتَ ذلك - يمكنني أن أكفل لك أن...».

«أن صاعقةً ستضرِب هذا المكان عند الرابعة بعد ظهر اليوم»، قال الرجل ذو البزّة الرمادية مبتسماً. قوقأ العجوز المُحنَّك.

«لا أقصد التقليل من شأنك يا سيد»، قال كاريك، «لكن هل ترى هذا؟». أشار إلى مسمار ذهبي على لوحة خشبية صغيرة بجانب التلفزيون بالقرب من مصفوفة الزجاجات المتلألئة. كانت هناك مجموعة أوراق مثبَّتة على المسمار. «هذه كلها فواتير. يجب دفعها قبل الخامس عشر من الشهر. كُتبَت بحبر أحمر. هل ترى الآن عدد الأشخاص هنا الذين يشربون الآن؟ يجب أن أكون يقظاً. يجب أن أكون...».

«قصدي بالضبط»، قاطعه دوهاي بنعومة. «عليك أن تكون يقظاً. وشراء ثلاث أو أربع مانعات صواعق هو خطوة يقظة. لديك تجارة جيدة هنا. لن تريد أن تقضي عليها صاعقةٌ في يوم صيفي، صح؟».

«لن يمانِع»، قال العجوز المُحنَّك. «سيقبض قيمة التأمين ويذهب إلى فلوريدا. أليس كذلك يا بْروسي؟».

نظرَ كاريك إلى العجوز بنفور.

«حسناً إذاً، دعنا نتكلَّم عن التأمين»، قال بائع مانعات الصواعق مقاطعاً. فقَدَ الرجل ذو البزّة الرمادية الاهتمام وابتعد. «ستنخفض أقساط تأمينك ضد الحريق...».

«كل بوالص التأمين مشمولة في حزمة واحدة»، قال كاريك بشكل قاطع. «اسمع، لا يمكنني تحمّل الثمن فحسب. آسف. الآن إذا كلّمتني مرة أخرى السنة القادمة...».

«حسناً، ربما سأفعل ذلك»، قال بائع مانعات الصواعق مستسلماً. «ربما سأفعل ذلك». لا أحد يعتقد أن صاعقةً يمكن أن تضربه إلى أن تضربه؛ هذه من الحقائق الثابتة في هذه المهنة. لا يمكنك جعل رجل مثل كاريك هذا يرى أنه أرخص أشكال التأمين ضد الحريق يمكنه شراءه. لكن دوهاي هادئ الطبع. وكان صادقاً في النهاية عندما قال إنه دخَل لينفض عنه الغبار.

ليبرهن ذلك، وليبرهن أنه لا يكنّ له أي ضغينة، طلبَ زجاجة شراب شعير أخرى. لكنه لم يطابقها هذه المرة بواحدة لكاريك.

أجلسَ العجوز المُحنَّك نفسه على الكرسي الذي بجانب دوهاي.

«منذ حوالي عشر سنوات أصابت صاعقةٌ رجلاً في ملعب الغولف»، قال. «قتلته فوراً. ذاك شخصٌ كان بإمكانه أن يستفيد من مانعة صواعق على رأسه، ألستُ محقّاً؟». قوقأ زافراً الكثير من الأنفاس المشبّعة برائحة شراب الشعير في وجه دوهاي. ابتسم دوهاي مجاملةً. «كل العملات المعدنية في جيوبه التحمت ببعضها. هذا ما سمِعتُه. الصواعق شيء مضحك. بالتأكيد. الآن، أتذكَّر مرةً...».

شيء مضحك، فكَّر دوهاي في سرّه، تاركاً كلمات العجوز تنساب فوقه بشكل غير مؤذٍ، وراح يومئ غريزياً عند الأماكن الصحيحة. شيء مضحك، صحيح، لأنها لا تهتمّ مَن أو ماذا تصيب. أو متى.

أنهى شراب شعيره وخرَج، حاملاً معه حقيبة تأمينه ضد غضب السماوات - ربما النوع الوحيد الذي اختُرع في يوم من الأيام. أصابه الحرّ مثل ضربة مطرقة، لكنه رغم ذلك توقف للحظة في مرأب السيارات المهجور في أغلبه، ورفع نظره إلى العمود غير المكسور على السطح. 19.95$ أو 29.95$ كحد أقصى، والرجل لا يستطيع تحمّل الثمن. سيوفّر سبعين دولاراً من مجموع بوالص تأمينه في السنة الأولى، لكن لا يمكنه تحمّل الثمن - ولا يمكنك إخباره خلاف ذلك مع وقوف كل أولئك المهرِّجين من حوله.

ربما سيندم يوماً ما.

ركب بائع مانعات الصواعق سيارته البويك، شغَّل مكيِّف الهواء بقوة، وقاد غرباً نحو كونكورد وبرلين، وحقيبة عيّناته على المقعد بجانبه تسبق أي عواصف قد تكون تصفِّر لتجمِّع الرياح خلفها.

8

أوائل 1974 نجح والت هازليت في امتحان الدخول إلى سلك المحاماة. أقام وسارة حفلة لكل أصدقائه وأصدقائها وأصدقائهما المشتركين - أكثر من أربعين شخصاً بالإجمال. تدفّق شراب الشعير مثل الماء بين المدعويين، وبعد أن نفد قال والت إنه يمكنهم عدّ نفسهم محظوظين لعدم طردهم من المنزل. عند مغادرة آخر الضيوف (عند الثالثة فجراً)، عاد والت من الباب ليجد سارة في غرفة النوم، عارية ما عدا من حذائها وقرطَيها الماسيين اللذين اقترض ليقدّمهما لها في ذكرى ولادتها. لم يضاجعها مرةً بل مرتين قبل أن يناما نوماً عميقاً لم يستيقظا منه إلا عند الظهر تقريباً، مُصابين بصُداع ما بعد الثمالة مُشِلّ. بعد حوالي ستة أسابيع، اكتشَفت سارة أنها حاملٌ. لم يشكّ أي واحد منهما أن الحمل حصل ليلة الحفلة الكبيرة.

في واشنطن، كان ريتشارد نيكسون يُحشر في الزاوية ببطء، ويُغرَق بمجموعة أشرطة مغنطيسية. في جورجيا، بدأ مُزارع فول سوداني، وهو جندي سابق في سلاح البحرية وحاكم حالي يدعى جايمس إيرل كارتر، يتكلّم مع عدد من أصدقائه المقرّبين عن الترشّح لمنصب السيد نيكسون الذي سيشغر قريباً.

في الغرفة 619 من مركز ماين الشرقية الطبي، واصل جوني سميث نومه. بدأ يتقوقع إلى شكل جنين.

الطبيب سْترونز، وهو الطبيب الذي تكلّم مع هيرب وڤيرا وسارة في قاعة المؤتمرات في اليوم التالي للحادث، مات من حروقٍ أواخر 1973. فقد اشتعَل منزله في اليوم التالي لاحتفال الشتاء. أظهرت تحقيقات مركز إطفاء بانغور أن الحريق نتجَ عن زينة معيوبة على شجرة احتفال الشتاء. أبدى طبيبان جديدان، وايزاك وبراون، اهتماماً بحالة جوني.

قبل أربعة أيام من استقالة نيكسون، وَقَع هيرب سميث على أساسات منزلٍ كان يبنيه في غراي، وحطَّ على عربة نقل يدوية، وكسر رِجله. احتاجت العظمة إلى وقت طويل لتشفى، لكنه لم يشعر أبداً أنها استردّت كامل عافيتها من جديد. فبدأ يعرج، ويستخدم عكّازاً في الأيام الرطبة. صلّت له ڤيرا، وأصَرَّت أن يلفّ رِجله بخرقة طهَّرها شخصياً الموقَّر فريدي كولتسمور من بَسْمر، ألاباما، كل ليلة عندما يأوي إلى السرير. كان سعر خرقة كولتسمور المطهَّرة (مثلما سمّاها هيرب) 35$. لم تنفعه بأي طريقة استطاع أن يشعر بها.

في منتصف أكتوبر، بُعيد تولّي جيرالد فورد منصب الرئيس، أصبحت ڤيرا متأكدة أن العالم سينتهي مرة أخرى. بالكاد اكتشف هيرب ما كانت تنوي أن تفعل في الوقت المناسب؛ فقد أجرت الترتيبات لتقدِّم النقود والمدّخرات القليلة التي نالاها كتعويض منذ حادث جوني إلى الجمعية الأميركية لآخر الزمان. وقد حاوَلت عرض المنزل للبيع، وأجرت الترتيبات مع السيد غُودْويل، الذي كان سيرسل شاحنةً بعد يومين لنقل كل الأثاث. عرَف هيرب عندما اتصل به السمسار العقاري ليسأل إن كان يستطيع إحضار شارٍ محتملٍ ليتفحّص المنزل بعد ظهر ذلك اليوم.

لأول مرة فَقَد أعصابه من ڤيرا بحقّ.

«بالله عليك ماذا كنتِ تعتقدين أنك فاعلة؟»، قال بحدّة بعد أن انتزع منها بقية القصة غير المعقولة. كانا في غرفة الجلوس، وكان قد أنهى للتو اتصاله بالسيد غُودْويل ليُخبره أن ينسى أمر الشاحنة. كان المطر ينهمر بغزارة في الخارج.

«لا تجدِّف يا هربرت. لا...».

«اصمتي! اصمتي! لقد سئمتُ من الاستماع لكلامك عن كل ذلك الهُراء!».

تراجعت إلى الوراء جافلةً.

راح يعرج نحوها، وعكّازه يدويّ على الأرض في طِباقٍ. جفلت إلى الخلف قليلاً على كرسيها ثم رفعت نظرها إليه بتعبير الشهيد العذب ذاك الذي جَعَله يريد، ليسامحه الله، أن يضرب رأسها بعكّازه اللعين.

«لم تفقدي عقلك إلى هذا الحدّ لكي لا تعرفي ما الذي تفعلينه»، قال. «لا تملكين هذا العذر. لقد تسلَّلتِ من خلف ظهري يا ڤيرا. أنتِ...».

«لا لم أفعل ذلك! هذا كذب! لم أفعل هكذا...».

«بلى!»، صاح. «اسمعيني يا ڤيرا. هذا هو المكان الذي أضع فيه حداً لك. تخشّعي قدر ما تشائين. التخشّع مجاني. اكتبي كل الرسائل التي تريدينها، فالطابع لا يزال لا يكلّف أكثر من ثلاثة عشر سنتاً. وإذا أردتِ الغوص في كل الكذبات الرخيصة المستهجَنة التي يُخبِرك إياها أولئك المنافقون، إذا أردتِ مواصلة تقبّل تلك الأوهام والخدع، واصلي ذلك. لكنني لستُ جزءاً منها. تذكَّري ذلك. *هل تفهمينني؟*».

«*هل تفهمينني؟*».

«*تعتقد أنني مجنونة!*»، صرَخت به، وتجعَّد وجهها وانحشر بطريقة فظيعة. انفجرت في النهيق البشع للهزيمة وخيبة الأمل المطلقتين.

«لا»، قال بهدوء أكثر. «ليس بعد. لكن ربما حان الوقت لبعض الكلام الصريح معك يا ڤيرا، والحقيقة هي أنني أعتقد أنك ستصبحين مجنونة إذا لم تُخرجي نفسك من هذا وتبدأي بمواجهة الواقع».

«سترى»، قالت وهي تشهق بالبكاء. «سترى. الحقيقة موجودة وتنتظرك أن تراها فحسب».

«فقط طالما أنك تفهمين أن الحقيقة لن تحصل على أثاثنا بينما تنتظر»، قال هيرب بتجهّم. «طالما أننا متفقان كلياً بشأن ذلك».

«إنه آخر الزمان!»، أخبَرته. «نهاية العالم وشيكة».

«حقاً؟ هذه المعلومة وخمسة عشر سنتاً ستشتريان لك كوب قهوة يا ڤيرا».

في الخارج استمر المطر بالهطول بغزارة. تلك كانت السنة التي بلغ فيها هيرب الثانية والخمسين، ڤيرا الحادية والخمسين، وسارة هازليت السابعة والعشرين.

لا يزال جوني في غيبوبته منذ أربع سنوات.

9

وُلد الطفل ليلة الهالووين. استمرّ مخاض سارة تسع ساعات. أُعطيَت نشقات خفيفة من الغاز عندما احتاجت إليها، وفي لحظة من اللحظات في شدّتها، خطر ببالها أنها في نفس المستشفى مثل جوني، ونادت اسمه مراراً وتكراراً. بعد ذلك بالكاد تذكَّرت ذلك، وبالطبع لم تُخبر والت أبداً. اعتقَدت أنها ربما حلَمت بذلك.

كان الطفل ذكراً. سمَّوه دينيس إدوارد هازليت. عاد وأمه إلى المنزل بعد ثلاثة أيام، وعادت سارة إلى التدريس بعد يوم الشُكر. حظي والت بما بدت أنها وظيفة جيدة في شركة محاماة في

بانغور، وإذا سار كل شيء على ما يرام، كانا يخطِّطان أن تتوقف سارة عن التدريس في يونيو 1975. لم تكن أكيدة كلياً أنها تريد ذلك. فقد تعوَّدت أن تحبّ مهنة التدريس.

10

في أول يوم من 1975، كان فتَيان صغيران، تشارلي نورتون ونورم لوسون، كلاهما من أوتيسفيلد، ماين، في الفناء الخارجي لمنزل عائلة نورتون يخوضان معركةً بكُرات الثلج. تشارلي في الثامنة، ونورم في التاسعة. كان اليوم مظلماً وماطراً.

مستشعراً أن نهاية معركة كُرات الثلج اقتربت ـ فقد حان وقت الغداء تقريباً ـ هجم نورم على تشارلي بوابل من كُرات الثلج. منحنياً لتفادي القذائف الثلجية وضاحكاً، اضطر تشارلي أن يتراجع في البدء، ثم استدار وهرب، قافزاً فوق الجدار الصخري المنخفض الذي يفصل فناء نورتون الخارجي عن الغابة. راح يركض على المسار الذي يقود نحو غدير ستريمر. لكن نورم أصابه إصابةً مباشرةً على الجهة الخلفية لقبعته.

ثم اختفى تشارلي عن الأنظار.

قفز نورم فوق الجدار ووَقَف هناك للحظة ينظر إلى الغابة المكسوة بالثلوج ويستمع إلى قطرات الماء الذائب من أشجار البتولا والصنوبر والتنّوب.

«عودي أيتها الدجاجة!»، صاح نورم وأصدر سلسلة أصوات كركرة مرتفعة.

لم يبلع تشارلي الطُعم. لم يكن هناك أثر له الآن، لكن المسار ينحدر نحو الغدير بشكل حادّ. كركرَ نورم مرة أخرى ونقل ثقل وزنه بغير ثقة من قدم إلى أخرى. هذه غابة تشارلي، وليست غابته. منطقة تشارلي. يحبّ نورم معركة كُرات الثلج الجيدة بينما يفوز فيها، لكنه لم يرغب حقاً أن ينزل إلى هناك إذا كان تشارلي مختبئاً في كمين له ومعه نصف دزينة كُراب جيدة جاهزة لتنطلق نحوه.

ومع ذلك أخذ ست خطوات نزولاً على المسار عندما ارتفعت صرخة لاهثة من تحته.

ابيضَّ لون نورم لوسون مثل بياض الثلج الذي كان حذاؤه المطاطي الأخضر مزروعاً فيه. كُرتا الثلج اللتان كان يمسكهما في يديه سقطتا أرضاً. ارتفعت الصرخة مرة أخرى، بشكل خفيف

لدرجة أنها كانت بالكاد مسموعة.

يا للهول، لقد سقط في الغدير، فكَّر نورم في سرّه، وهذا أيقظه من شلل خوفه. انزلق على المسار مسرعاً، وسقط على مؤخرته مرةً. راحت نبضات قلبه تدوّي في أذنيه. جزءٌ من مخيلته رأته يُخرج تشارلي من الغدير مباشرة قبل أن ينزل للمرة الثالثة ويُوصَف بالبطل في *حياة الفتيان*.

عند ثلاثة أرباع المسافة نزولاً على المنحدر، ظهر منعطف على المسار، وعندما انعطفه رأى أن تشارلي نورتون لم يسقط في غدير ستريمر في النهاية. وجد نفسه واقفاً في المكان الذي يستوي عنده المسار، وكان يحدِّق في شيء في الثلج الذائب. لقد سقطت قبعته وكان وجهه أبيض تقريباً مثل بياض الثلج نفسه. عندما اقترب نورم، أطلقَ تلك الصرخة اللاهثة الرهيبة مرة أخرى.

«ما بك؟»، سأل نورم وهو يقترب منه. «تشارلي، هل من سوء؟».

استدار تشارلي إليه بعينين ضخمتين وفم فاغر. حاوَل أن يتكلم لكن لم يخرج شيء من فمه ما عدا نخرتين غير واضحتين وخيط لعاب فضي. أشار بيده بدلاً من ذلك.

اقترب نورم ونظرَ. خارت كل القوة من رِجلَيه فجأة وجلَس بقوة. راح العالم يدور من حوله.

رأى رِجلين في سروال جينز أزرق ناتئتين من الثلج الذائب. هناك خُفّ في إحدى القدمين، لكن القدم الأخرى عارية، بيضاء، عزلاء. إحدى الذراعين ناتئة من الثلج، وبدت اليد عند طرفها كأنها تتضرَّع لنجدةٍ لم تأتِ أبداً. كان باقي الجسم لا يزال مخفياً بشكل رحوم.

لقد اكتشف تشارلي ونورم جثة كارول دانبارغر ذات السبعة عشر عاماً، الضحية الرابعة لخانق كاسل روك.

لقد مرَّت سنتان تقريباً منذ آخر جريمة قتل ارتكبها، وبدأ سكان كاسل روك (شكَّل غدير ستريمر الحدود الجنوبية بين بلدتَي كاسل روك وأوتيسفيلد) يسترخون، معتقدين أن الكابوس انتهى أخيراً.

لا لم ينتهِ.

الفصل السادس

1

بعد أحد عشر يوماً على اكتشاف جثة الفتاة دانبارغر، ضربت عاصفة ثلجية شمالي نيو إنغلاند، وهذا جعل الأمور تسير بشكل متأخر قليلاً في الطابق السادس لمركز ماين الشرقية الطبي. فقد وجد الكثير من الموظفين صعوبة في الوصول إلى وظائفهم، والذين وصلوا منهم وجدوا أنفسهم يبذلون جهوداً مضاعفةً لتسيير الأمور.

لم يحصل السيد ستاريت على فطوره الخفيف إلا بعد التاسعة صباحاً عندما أحضرته له إحدى المعاونات، شابة تدعى أليسون كونوفر. كان السيد ستاريت يتعافى من نوبة قلبية و«يدخل يومه السادس عشر» في العناية المركَّزة - الإقامة لِست عشر يوماً بعد عملية جراحية في القلب مسألة قياسية. كان السيد ستاريت يتعافى بشكل جيد. إنه موجود في الغرفة 619، وأخبَر زوجته سراً أن أكبر حافز لديه ليستعيد صحته هو أمل ابتعاده عن الجثة الحيّة على السرير الآخر في الغرفة. فالهمس الهادئ لجهاز تنفّس الشابّ المسكين، حسبما أخبَرها، صعَّب عليه النوم. يتملّكك الصوت بعد حين بحيث لا تعود تعرف إن كنت تريده أن يستمر في الهمس أو يتوقف. يتوقف كلياً، إذا جاز التعبير.

كان التلفزيون يبثّ عندما دخَلت أليسون، ووجدت السيد ستاريت مستوياً على سريره وزر التحكم في يده. لقد انتهى «اليوم»، ولم يقرِّر السيد ستاريت بعد تعتيم «فنائي الخارجي»، وهو برنامج الرسوم المتحركة الذي يليه. ذلك سيتركه لوحده مع صوت جهاز تنفّس جوني.

«كدتُ أفقد الأمل بوصولك هذا الصباح»، قال السيد ستاريت وهو ينظر إلى صينية فطوره التي تحتوي على عصير برتقال ولبن زبادي عادي ورقائق قمح من دون فرح كبير. ما يتوق إليه حقاً هو بيضتين غنيتين بالكوليسترول مقليتين بالزبدة، مع خمس شرحات لحم مقدَّد غير مقرمشة

كثيراً. صنف الطعام الذي أوصله، في الواقع، إلى هنا من الأساس. على الأقل وفقاً لأقوال طبيبه - الأبله.

«الطقس سيئ في الخارج»، قالت أليسون بعد قليل. لقد أخبَرها ستة مرضى من قبل أنهم فقدوا الأمل بوصولها هذا الصباح، وبدأت هذه الجملة تصبح مملة. أليسون فتاة لطيفة، لكنها قلِقة هذا الصباح.

«آه، آسف»، قال السيد ستاريت بتواضع. «الطرقات زلقة جداً، أليس كذلك؟».

«فعلاً»، قالت أليسون مبتسمةً قليلاً. «لو لم تكن سيارة زوجي الرُباعية الدفع معي اليوم، لما كنتُ وصلتُ أبداً».

ضغط السيد ستاريت الزر الذي يرفع سريره لكي يتمكن من تناول فطوره بشكل مريح. المحرِّك الكهربائي الذي يرفعه ويُخفضه صغير لكنه صاخب. والتلفزيون لا يزال صاخباً جداً - فالسيد ستاريت أصم قليلاً والشابّ على السرير الآخر، مثلما أخبَر زوجته، لم يشتكِ أبداً من الصوت المرتفع قليلاً، ولم يطلب أبداً رؤية ماذا يُعرَض على القناة الأخرى أيضاً. افترَض أن نكتةً كهذه سيئة جداً، لكن عندما تُصاب بنوبة قلبية وينتهي بك المطاف أن تتشارك غرفة العناية المركَّزة مع خُضرة بشرية، إما أنا تتعلَّم بعض الفكاهة السوداء أو ستُصاب بالجنون.

رفعت أليسون صوتها قليلاً لكي يسمعها فوق نحيب المحرِّك وضجيج التلفزيون بينما أنهت وضع صينية السيد ستاريت. «خرجت سيارات عديدة عن الطريق على طول تلة شارع ستايت».

على السرير الآخر قال جوني سميث بلطف، «المال كله على الرقم تسعة عشر. بطريقة أو بأخرى. حبيبتي مريضة».

«لعِلمك، هذا اللبن الزبادي ليس نصف سيئ»، قال السيد ستاريت. كان يكره اللبن الزبادي، لكنه لم يرغب أن يُترك لوحده إلا عند الضرورة القصوى. فعندما يبقى لوحده يستمر في قياس نبضاته. «مذاقه يشبه الجوز البري قليلاً و...».

«هل سمعتَ شيئاً؟»، سألت أليسون. نظرت حولها بارتياب.

أفلَت السيد ستاريت زر التحكم وتوقف نحيب المحرِّك الكهربائي. على التلفزيون، أطلق إلمر فادّ النار عشوائياً على باغز باني ولم يُصبه.

«لا شيء سوى التلفزيون»، قال السيد ستاريت. «ماذا فاتني؟».

«لا شيء، أظن. لا شك أنها الرياح حول تلك النافذة». يمكنها الشعور بصُداع إجهاد قادم - أمور كثيرة يجب إنجازها وعدد الموظفين هذا الصباح غير كافٍ لمساعدتها في ذلك - وفَرَكت صدغيها، كما لو أن ذلك سيزيل الألم قبل أن يُحكم قبضته عليها.

توقفت مؤقتاً في طريقها للخروج ونظرت للحظة إلى الرجل الممدَّد على السرير الآخر. هل يبدو مختلفاً بطريقة أو بأخرى؟ كما لو أنه غيَّر وضعيته؟ بالتأكيد لا.

خرجت أليسون من الغرفة وذهَبت إلى آخر الرواق وهي تدفع خزانة الفطور أمامها. الصباح فظيع مثلما خشيت أن يكون، كل شيء خارج عن السيطرة، وعند الظهر بدأ رأسها ينبض بسرعة. لقد نسيت بشكل مفهوم جداً كل شيء ربما تكون قد سمِعته ذلك الصباح في الغرفة 619.

لكن في الأيام التي تلت، وجَدت نفسها تنظر أكثر وأكثر إلى سميث، وبحلول شهر مارس أصبحت أليسون متأكدةً تقريباً أنه قوَّم نفسه قليلاً - خرجَ قليلاً مما سمّاه الأطباء وضعيته ما قبل الجنينية. ليس كثيراً - قليلاً فقط. فكَّرت في إخبار أحدهم بذلك، لكنها لم تفعل ذلك في النهاية. فهي مجرّد معاونة مطبخ.

هذا ليس مكانها حقاً.

2

خمَّن أنه حلم.

كان في مكان مظلم كئيب - رواقٌ من نوع ما. السقف مرتفع جداً لرؤيته. تائه في الظلال. الجدران فولاذ مطلي بكْروم داكن. تتفتَّح كلما ازدادت صعوداً. كان لوحده، لكن صوتاً عامَ صعوداً إلى حيث يقف، كما لو أنه آتٍ من مسافة بعيدة. صوت يعرفه، كلمات قيلت له في مكان آخر، في وقت آخر. الصوت أخافه. متأوهٌ وتائهٌ، يتردَّد صداه ذهاباً وإياباً بين ذلك الفولاذ المطلي بالكْروم الداكن مثل طائر علق في فخ تذكَّره من طفولته. كان الطائر قد دخل كوخ أدوات أبيه ولم يملك الدهاء ليعاود الخروج منه. فقد أصابه الذعر وبدأ ينقضّ ذهاباً وإياباً، يزقزق بنبرة يائسة، يخبط نفسه بالجدران إلى أن مات. لهذا الصوت نفس طابع الموت مثل ذلك الطائر المزقزق منذ زمن طويل. لن يهرب من هذا المكان أبداً.

«تخطِّط كل حياتك وتفعل ما بوسعك»، تأوهَ ذلك الصوت الطيفي. «لن ترغب سوى الأفضل دائماً، ويأتي الولد إلى المنزل بشعر طويل يصل إلى مؤخرته ويقول إن رئيس الولايات المتحدة حقيرٌ. حقيرٌ! تباً، لا أعرف...».

انتبه، أراد أن يقول. أراد تحذير الصوت، لكنه مكتومٌ. انتبه من ماذا؟ لم يعرف. حتى لم يعرف بالتأكيد مَن هو، رغم أن لديه شكّ أنه كان ذات يوم مدرِّساً أو واعظاً.

«*يا إلهي!*»، صَرَخ الصوت البعيد. الصوت المفقود، الميت، الغارِق. «*يا إلهيييي...*».

ثم الصمت. الأصداء تُحتضَر. تزول. ثم تبدأ من جديد بعد قليل.

لذا بعد حين ـ لم يعرف طول المدة، فقد بدا له أن لا معنى للزمن في هذا المكان ـ بدأ يتلمَّس طريقه في الرواق، منادياً بالمقابل (أو ربما منادياً في ذهنه فقط)، ربما على أمل أن يتمكَّن وصاحب الصوت من إيجاد طريق خروجهما معاً، ربما على أمل فقط تقديم بعض الراحة وتلقي بعض الراحة بالمقابل.

لكن الصوت بقي يبتعد ويبتعد، يخفت أكثر فأكثر

(بعيد وصغير جداً).

إلى أن أصبح مجرّد صدى لصدى. ثم اختفى. عاد لوحده الآن، يسير في رواق الظلال الكئيب والمهجور هذا. وبدأ يبدو له أنه لم يكن وهماً أو سراباً أو حلماً ـ على الأقل ليس من النوع العادي. كان كما لو أنه دخلَ نفقاً غريباً بين أرض الأحياء وأرض الأموات. لكن نحو أي مَخرج يسير؟

بدأت أشياءٌ تعود. أشياءٌ مزعجةٌ. كانت مثل أشباح انضمت إليه في نزهته، سقطت على جانبيه، أمامه، خلفه، إلى أن أحاطته في حلقة مُوحِشة ـ تنسج دائرةً حوله ثلاث مرات وتلمس عينيه برعب مبجَّل، هل هكذا سارت الأمور؟ يمكنه رؤيتها تقريباً. كل أصوات التطهير الهامسة. كانت هناك عجلة تدور وتدور في الليل، عجلة المستقبل، حمراء وسوداء، الحياة والموت، تتباطأ. أين وضع رِهانه؟ لا يمكنه أن يتذكَّر ويجب أن يكون قادراً على أن يتذكَّر، لأن الرهانات هي على وجوده. ستلعب أم لا؟ الجواب هو أحد هذين الخيارين. حبيبته مريضة. عليه إيصالها إلى منزلها.

بدأ الرواق يبدو أكثر إشراقاً بعد حين. اعتقَد في البدء أنه من نسج الخيال، حلمٌ ضمن حلمٍ إذا كان ذلك ممكناً، لكن بعد مدة زمنية مجهولة، أصبح السطوع ملحوظاً جداً ليكون وهماً. تجربة الرواق بأكملها بدت أنّ طابع الحلم خفَّ منها. تراجعت الجدران إلى أن أصبح بالكاد قادراً على رؤيتها، وتغيَّر اللون الداكن الممل إلى رمادي حزين وضبابي، إلى لون الشَفَق بعد ظهر يوم دافئ ومظلم من أيام مارس. بدأ يبدو له أنه لم يعد في رواق أبداً، بل في غرفة ـ *تقريباً* غرفة، تفصله عنها أرفع الأغشية، نوع من كيس مشيمي، مثل طفل ينتظر أن يُولد. سمِع الآن أصواتاً أخرى، ليس صدى بل أصواتاً مملةً ومكتومةً، مثل أصوات مَرَدة مجهولين ينطقون بألسنة منسية. ازداد وضوح تلك الأصوات شيئاً فشيئاً، إلى أن أصبح قادراً تقريباً على تمييز ما كانت تقوله.

بدأ يفتح عينيه من وقت لآخر (أو يظنّ أنه يفتحهما) ويمكنه في الواقع رؤية أصحاب تلك الأصوات: أشكال ساطعة، متوهجة، طيفية من دون الوجوه في البدء، تتحرَّك أحياناً في الغرفة، تنحني فوقه أحياناً. لم يخطر بباله أن يجرّب التكلّم معها، على الأقل ليس في البدء. خطر بباله أن هذا قد يكون نوعاً من أنواع الحياة ما بعد الموت، وتلك الأشكال الساطعة هي أشكال حرّاس البوابة.

بدأت الوجوه، مثل الأصوات، تزداد وضوحاً مع الوقت. رأى أمه ذات مرة، تدخل مجال بصره وتدوّي ببطء شيئاً بلا معنى كلياً في وجهه المقلوب إلى أعلى. رأى أباه ذات مرة أخرى. دايف پلسن من المدرسة. ممرضة كان يعرفها؛ يظن أن اسمها ماري. وجوه، أصوات، تقترب، تصبح هلامية.

شيء آخر تسلَّل إليه: شعور بأنه تغيَّر. لم يعجبه ذلك الشعور. ارتاب منه. بدا له أنه مهما يكن ذلك التغيير، فهو ليس جيداً. بدا له أنه يعني حزناً وأوقاتاً عصيبةً. فقد دخل الظلمة ومعه كل شيء، والآن يشعر أنه يخرج منها بلا شيء أبداً ـ ما عدا ببعض الغرابة السرية.

الحلم ينتهي. أياً كان الحلم فهو ينتهي. الغرفة حقيقية جداً الآن، *قريبة* جداً. الأصوات، الوجوه ـ

سيدخل الغرفة. وبدا له فجأة أن ما يريد فعله هو أن يستدير ويهرب ـ أن يعود إلى ذلك الرواق المظلم إلى الأبد. الرواق المظلم ليس جيداً، لكنه أفضل من هذا الشعور الجديد بالحزن والخسارة الوشيكة.

استدار ونظر خلفه، ونعم، كان هناك، المكان الذي تتغيَّر فيه جدران الغرفة إلى كْروم داكن، زاوية بجانب أحد الكراسي تصبح فيه الغرفة، دون أن يلحظ ذلك الأشخاص الساطعون الذين يأتون

ويذهبون، مسلكاً إلى ما يشتبه الآن أنها الأبدية. المكان الذي اختفى في الصوت الآخر، صوت - *سائق سيارة الأجرة.*

نعم. تلك الذكرى هناك الآن. النزهة في سيارة الأجرة، تحسُّر السائق على شعر ابنه الطويل، تحسُّره على حقيقة أن ابنه يعتبر نيكسون حقيراً. ثم الأضواء الأمامية تغمر التلة، زوج منهما على كل جهة من الخط الأبيض. الاصطدام. لا ألم، لكن معرفة أن فخذَيه ارتطما بعدّاد سيارة الأجرة بقوة كافية لينزعاه من إطاره. غمره إحساسٌ برطوبة باردة ثم الرواق المظلم والآن هذا.

اختر، همَس شيءٌ في الداخل. *اختر وإلا سيختارون عنك، سينزعونك من هذا المكان، أيما وأينما كان، مثلما ينزع الطبيب طفلاً من رحم أمه بعملية قيصرية.*

ثم أتاه وجه سارة - يجب أن تكون هناك في مكان ما، رغم أن وجهها لم يكن أحد الوجوه الساطعة التي انحنت فوقه. يجب أن تكون هناك، قلقة وخائفة. كانت له تقريباً، الآن. شَعَر بذلك. كان سيطلب يدها للزواج.

عاوده ذلك الشعور بالقلق، أقوى من أي وقت مضى، وهذه المرة ممزوجٌ بسارة. لكن رغبته بها كانت أقوى، وقد اتّخذ قراره. أدار ظهره للمكان المظلم، وعندما التفَت إلى الوراء لاحقاً، وجد أنه اختفى؛ لم يكن هناك شيء بجانب الكرسي سوى الجدار الأبيض الناعم للغرفة الممدَّد فيها. بعد وقت قصير بدأ يعرف أين يجب أن تكون الغرفة - إنها طبعاً غرفة مستشفى. تلاشى الرواق المظلم إلى ذكرى حالِمة، غير منسية بالكامل أبداً. لكن الشيء المهم أكثر، المباشر أكثر، هو حقيقة أنه جون سميث، ولديه حبيبة تدعى سارة براكنَل، وقد تعرَّض لحادث سيارة فظيع. شَعَر أنه بلا شك محظوظ جداً ليكون حيّاً، ولا يمكنه سوى الأمل أن كل معدّاته الأصلية لا تزال هناك ولا تزال تعمل. قد يكون في مستشفى كليفز ميلز العام، لكنه خمَّن أن مركز مستشفى ماين الشرقية مرجَّحٌ أكثر. من طريقة شعوره، خمَّن أنه هنا منذ بعض الوقت - ربما فقَدَ وعيه لما يصل إلى أسبوع أو عشرة أيام. لقد حان الوقت ليبدأ من جديد.

الوقت ليبدأ من جديد. هذه كانت الفكرة في ذهن جوني عندما تكثّفت الأشياء بالكامل أخيراً وفتَح عينيه.

إنه 17 مايو 1975. وقد عاد السيد ستاريت إلى منزله منذ مدة طويلة مع أوامر دائمة بالسير ثلاثة كيلومترات في اليوم وتحسين طرقه العالية الكوليسترول. في الطرف الآخر للغرفة عجوزٌ

يخوض جولةً خامسة عشرة مرهِقةً مع بطل العالم في الوزن الثقيل، كارسينوما. نام نوم المورفين، وكانت الغرفة فارغة خلاف ذلك. إنها 3:15 بعد الظهر وشاشة التلفزيون ظلٌ أخضر.

«ها أنا»، قال جوني سميث بصوت أجش للا أحد بالتحديد. صُدمَ من الضعف في صوته. لم يكن هناك تقويم في الغرفة، ولم تكن لديه أي طريقة على الإطلاق ليعرف أنه بقي في غيبوبة لأربع سنوات ونصف.

3

دخَلت الممرضة بعد حوالي أربعين دقيقة. ذهبت إلى العجوز على السرير الآخر، غيَّرت له كيس مصله، دخَلت الحمّام، وخرجت حاملةً إبريقاً بلاستيكياً أزرق. رَوت زهور العجوز. يوجد أكثر من ست باقات، ومجموعة كبيرة من بطاقات «بالشفاء العاجل» مفتوحة على طاولته وعتبة النافذة. راقَبها جوني تنفِّذ هذا العمل الروتيني الموحي بجو البيت، ولم يشعر بعد بحاجة ملحّة ليجرِّب صوته مرة أخرى.

وَضَعت الإبريق مكانه واقتربت من سرير جوني. *ستقلب لي وساداتي*، فكَّر في سرّه. التقت عيناهما لفترة وجيزة، لكن لا شيء تغيَّر في عينيها. *لا تعرف أنني مستيقظ. فقد كانت عيناي مفتوحتين من قبل. هذا لا يعني أي شيء لها*.

وَضَعت يدها على الجهة الخلفية لعنقه. كانت باردة ومريحة وعرَف جوني أن لديها ثلاثة أولاد وأن أصغرهم فقَد معظم نظره في إحدى عينيه في الرابع من يوليو الفائت. حادث مفرقعة نارية. الفتى يدعى مارك.

رَفَعت له رأسه، قلبت وسادته، وأخفضت رأسه بهدوء. همّت بالانصراف، وهي تعدّل زيّها النايلون عند الوركَين، ثم استدارت مُحتارة. فكَّرت في سرّها متأخرة أن هناك شيئاً جديداً في عينيه، ربما. شيئاً لم يكن هناك من قبل.

ألقت نظرة سريعة عليه بتبصّر، بدأت تهمّ بالانصراف مرة أخرى، وقال، «مرحباً يا ماري».

جمَدت في أرضها، وأمكنه سماع تكّة عاجيّة عندما انطبقت أسنانها ببعضها فجأة وبعنف. ضغطت يدها على صدرها مباشرة فوق انتفاخ ثدييها، حيث توجد قلادة ذهبية صغيرة معلَّقة هناك.

«يا إلهي»، قالت. «أنت مستيقظ. شعرتُ أنك تبدو مختلفاً. كيف عرفتَ اسمي؟».

«أظن أنني سمِعتُه بلا شكّ». كان التكلّم شاقاً، شاقاً جداً. لسانه أشبه بدودة بطيئة، غير مزيَّت على ما يبدو باللعاب.

أومأت برأسها. «بدأت تُطرح على بساط البحث منذ بعض الوقت الآن. من الأفضل أن أذهب إلى محطة الممرضات وأنادي الطبيب براون أو الطبيب وايزاك. سيريدان معرفة أنك عدت معنا». لكنها بقيت للحظة أخرى، وهي تنظر إليه بافتتان جليّ أربكه.

«هل نمت لديَّ عين ثالثة؟»، سأل.

ضحِكت بعصبية. «لا... بالطبع لا. اعذرني».

لمحت عينه حافة نافذته وطاولته المدفوعة نحوها. على الحافة زهرة بنفسجية أفريقية باهتة وصورة دينية - من صنف الصور التي تفضِّلها أمه. لكن الصورة - صفراء. *صفراء وبدأت أطرافها تتجعَّد.* اعتراه خوف مفاجئ مثل بطانية خانقة. «أيتها الممرضة!»، نادى. «أيتها الممرضة!».

استدارت عند المدخَل.

«أين بطاقاتي ‹بالشفاء العاجل›؟». وجد فجأة صعوبة في التنفس. «لدى ذاك الرجل الآخر... ألم يرسل لي أي شخص بطاقةً؟».

ابتسمت، لكنها كانت ابتسامة متكلّفة. ابتسامة شخص يُخفي شيئاً. أرادها جوني فجأة قرب سريره. سيمدّ يده ويلمسها. إذا استطاع أن يلمسها، سيعرف ما الذي تُخفيه.

«سأنادي الطبيب»، قالت، وخرجت قبل أن يتمكن من قول أي شيء آخر. نظرَ إلى الزهرة البنفسجية الأفريقية، إلى الصورة القديمة البالية، محتاراً وخائفاً. بعد قليل، غفا مرة أخرى.

4

«*كان* مستيقظاً»، قالت ماري ميشو. «كان متماسكاً بالكامل».

«حسناً»، أجاب الطبيب براون. «لا أشكّك بكلامك. إذا استيقَظ مرةً، فسيستيقظ مرة أخرى. على الأرجح. إنها فقط مسألة...».

أنَّ جوني. فتح عينيه. كانتا خاويتين، نصف مقلوبتين إلى أعلى. ثم بدا أنه رأى ماري، وتركَّز بصره. ابتسم قليلاً. لكن وجهه كان لا يزال ضعيفاً، كما لو أن عينيه فقط كانتا المستيقظتين وبقيته لا يزال نائماً. انتابها شعور مفاجئ بأنه لم يكن ينظر إليها بل *داخلها*.

«أعتقد أنه سيكون بخير»، قال جوني. «بعدما ينظِّفون تلك القرنية، ستعود عينه جديدة. هذا هو المفترض».

لَهَثت ماري بقوة، وألقى براون نظرة سريعة عليها. «ما الأمر؟».

«إنه يتكلَّم عن ابني»، همَست. «عن مارك».

«لا»، قال براون. «إنه يتكلَّم في نومه، فقط لا غير. لا تبالغي أيتها الممرضة».

«نعم. حسناً. لكنه ليس نائماً الآن، أليس كذلك؟».

«ماري؟»، سأل جوني. ابتسم بتردّد. «لقد كبَوتُ، صح؟».

«نعم»، قال براون. «كنت تتكلَّم في نومك. أجفلتَ ماري هنا. هل كنتَ تحلم؟».

«لا - لا... ليس حسبما أتذكَّر. ماذا قلتُ؟ ومَن أنت؟».

«أنا الطبيب جايمس براون. تماماً مثل اسم المغني. ما عدا أنني طبيب أمراض عصبية. لقد قلتَ، ‹أعتقد أنه سيكون بخير بعدما ينظِّفون تلك القرنية›. أعتقد أن هذا ما قلتَه، أليس كذلك أيتها الممرضة؟».

«سيُجري ابني تلك العملية»، قالت ماري. «ابني مارك».

«لا أتذكَّر أي شيء»، قال جوني. «أظن أنني كنتُ نائماً». نظرَ إلى براون. كانت عيناه صافيتين الآن، وخائفاً. «لا يمكنني رفْع ذراعيَّ. هل أُصبت بالشلل؟».

«لا. جرّب أصابعك».

جرّبها جوني. ارتعشت كلها. ابتسم.

«ممتاز»، قال براون. «أخبِرني اسمك».

«جون سميث».

«جيد، واسمك الوسطي؟».

«ليس لديَّ واحد».

«هذا جيد، مَن يحتاج إلى اسم وسطي؟ أيتها الممرضة، اذهبي إلى محطتك واستعلمي مَن هو طبيب الأعصاب المداوم غداً. أودّ بدء سلسلة كاملة من الاختبارات على السيد سميث».

«نعم أيها الطبيب».

«ويمكنك الاتصال بسام وايزاك. ستجدينه في منزله أو في ملعب الغولف».

«نعم أيها الطبيب».

«ولا مراسِلين صحفيين، رجاءً... بالله عليك!». كان براون يبتسم لكن نبرته جدّية.

«لا، بالطبع لا». خرجت وحذاؤها الأبيض يُصدر صريراً خافتاً. سيتعافى ابنها الصغير، فكَّر جوني في سرّه. سأُخبرها بالتأكيد.

«أيها الطبيب براون»، قال، «أين بطاقاتي ‹بالشفاء العاجل›؟ ألم يرسل لي أي شخص بطاقةً؟».

«بضعة أسئلة إضافية فقط»، قال الطبيب براون بهدوء. «هل تتذكَّر اسم أمك؟».

«بالطبع. ڤيرا».

«كنيتها قبل الزواج؟».

«نايسون».

«اسم أبيك؟».

«هربرت. هيرب. ولماذا قلتَ لها لا مراسِلين صحفيين؟».

«عنوانك البريدي؟».

«رفد 1#، پاونال»، قال جوني بحزم، ثم سكت. اعترى تعبير مفاجأة هزلية وجهه. «أقصد... حسناً، أعيش في كليفز ميلز الآن، في 110 الشارع الرئيسي الشمالي. لماذا أعطيتُك عنوان منزل والديَّ اللعين؟ لم أعش هناك منذ أن كنتُ في الثامنة عشرة».

«وكم عمرك الآن؟».

«جِده على رخصة قيادتي»، قال جوني. «أريد أن أعرف لماذا ليس لديَّ بطاقات 'بالشفاء العاجل'. منذ متى وأنا في المستشفى، على أي حال؟ وأي مستشفى هي هذه؟».

«مركز ماين الشرقية الطبي. وسنأتي إلى كل أسئلتك الأخرى إذا تركتني فقط...».

كان براون يجلس قرب السرير على كرسي أحضره من الزاوية - نفس الزاوية التي رأى فيها جوني ذات مرة الممر يقود بعيداً. كان يدوِّن ملاحظات على لوح مشبكي بنوع من الأقلام لا يستطيع جوني تذكُّر رؤيته من قبل. قلم له ماسورة بلاستيكية زرقاء سميكة ورأس ليفيّ. بدا كما لو أنه الذرّية الهجينة الغريبة لقلم حبر وقلم حبر جاف.

مجرّد النظر إليه أعاد له ذلك الرعب العديم الشكل، ومن دون أي تفكير، أمسك جوني فجأة يد الطبيب براون اليسرى بإحدى يديه. تحرّكت ذراعه مُصدرةً صريراً، كما لو أن هناك أثقالاً غير مرئية وزنها ثلاثون كيلوغراماً مربوطةً بها - بعضها تحت مِرفقه وبعضها فوقه. أمسك يد الطبيب بقبضة ضعيفة وشدَّ. خلَّف القلم المضحك خطاً أزرق سميكاً على الورقة.

نظر إليه براون، مجرّد نظرة فضولية في البدء. ثم ابيضَّ وجهه. اختفى تعبير الاهتمام من عينيه وحلّت محله نظرة خوف مشوّشة. انتزَع يده منه - لا يملك جوني أي قوة ليحافظ على قبضته عليها - وللحظة اعترت نظرة اشمئزاز وجه الطبيب، كما لو أن شخصاً مُصاباً بالجُذام لمسه.

ثم اختفت النظرة، وبدا متفاجئاً ومحتاراً فقط. «لماذا فعلت ذلك؟ سيد سميث...».

تلعثَم صوته. رأى أن وجه جوني تجمَّد في تعبير فهم جليّ. كانت عيناه عينَي رجل رأى شيئاً فظيعاً يتحرّك في الظلال، شيئاً فظيعاً جداً لكي يمكن شرحه أو حتى تسميته.

لكنه كان حقيقةً. يجب تسميته.

«خمسة وخمسون *شهراً*؟»، سأل جوني بصوت أجش. «حوالي خمس *سنوات*؟ *لا. يا إلهي*، لا».

«سيد سميث»، قال براون بصوت مضطرب كلياً الآن. «رجاءً، الإثارة غير جيدة لك...».

رفعَ جوني القسم العلوي من جسمه حوالي سبعة سنتيمترات عن السرير ثم عاد وخرَّ عليه، ووجهه يلمع من العرق. انقلبت عيناه بعجز في محجريهما. «أنا في السابعة والعشرين؟»، تمتم. «*السابعة* والعشرين؟ آه يا إلهي».

بلع براون ريقه وسمِع تكّةً واضحةً. عندما أمسَك سميث يده، شَعَر بموجة مفاجئة من المشاعر السيئة، طفولية في حدّتها؛ اجتاحته صور بدائية من الاشمئزاز. وجَد نفسه يتذكَّر نزهةً في الريف عندما كان في السابعة أو الثامنة، جالساً وواضعاً يده في شيء دافئ وزلق. نظرَ حوله ورأى أنه يضع يده في البقايا الكثيرة اليرقات لمرموطٍ بقي ممدَّداً تحت أجمّة غار طوال أغسطس الحار ذاك. صَرَخ وقتها، وشَعَر ببعض الرغبة في الصراخ الآن - ما عدا أن شعوره هذا بدأ يتلاشى، يتضاءل، ويحل محله سؤالٌ: *كيف عرَف؟ لقد لَمَسني وعرَف*.

ثم تغلّبت عليه عشرون سنة من العلم، ودفَع الفكرة جانباً. هناك حالات لا تُعدّ لمرضى في حالة غيبوبة تامة استيقظوا ولديهم معرفة غريبة بالعديد من الأشياء التي جرت حولهم بينما كانوا في الغيبوبة. فالغيبوبة، مثل أي شيء آخر، مسألة درجات. لم يصل جوني سميث أبداً إلى درجة الخُضرة؛ مخطِّطة موجاته الدماغية لم تُظهِر خطاً مستقيماً أبداً، ولو فعلَت ذلك، لما كان براون يتكلَّم معه الآن. الدخول في غيبوبة يشبه أحياناً الوقوف خلف زجاج أحادي الاتجاه. الناظر إلى المريض يظنّه مغمى عليه بالكامل، لكن أحاسيس المريض قد لا تزال تعمل عند مستوى متدنٍ. وهذه حالة جوني بالتأكيد.

عادت ماري ميشو. «تم تأكيد طبيب الأعصاب، والطبيب وايزاك في طريقه إلى هنا».

«أعتقد أن على سام انتظار الغد لكي يلتقي السيد سميث»، قال براون. «أريد إعطاءه خمسة ميلليغرامات من الفاليوم».

«لا أريد أي مسكِّن»، قال جوني. «أريد *الخروج* من هنا. أريد معرفة ماذا حصل!».

«ستعرف كل شيء في الوقت المناسب»، قال براون. «من المهم الآن أن تستريح».

«بقيتُ أستريح لأربع سنوات ونصف!».

«إذاً اثنتا عشرة ساعة أخرى لن تُحدث فارقاً كبيراً»، قال براون بقسوة.

بعد لحظات، مسحت الممرضة ذراعه العليا بمطهِّر، ولسعته إبرةٌ. بدأ جوني يشعر بالنعاس فوراً تقريباً. بدأ براون والممرضة يبدوان بطول أربعة أمتار.

«أخبِرني شيئاً واحداً على الأقل»، قال. بدا صوته آتياً من مكان بعيد، بعيد جداً. فجأة بدا له ذلك مهماً بأقصى الحدود. «هذا القلم. ماذا تسمّي هذا القلم؟».

«هذا؟»، رفعه براون من طوله الشاهق. جسم بلاستيكي أزرق ذو رأس ليفيّ. «هذا يسمّى قلماً خطّاطاً. نَم الآن يا سيد سميث».

ونام جوني، لكن الكلمة تبَعته إلى نومه مثل تعويذة غامضة، مليئة بمعنى أحمق: قلم خطّاط... قلم خطّاط... قلم خطّاط...

5

وضع هيرب السمّاعة من يده وراح ينظر إليها. بقي ينظر إليها لوقت طويل. جاء صوت التلفزيون من الغرفة الأخرى، مرفوعاً إلى الحد الأقصى تقريباً. كان أورال روبرتس يتكلّم عن كُرة القدم والحب الشفائيّ للسماوات - هناك رابط في مكان ما، لكنه فات هيرب. بسبب المكالمة الهاتفية. راح صوت أورال يطنّ ويزأر. سينتهي البرنامج التلفزيوني قريباً جداً وسيختمه أورال بإخبار جمهوره بثقة أن شيئاً جيداً سيحصل *لهم*. يبدو أن أورال محقٌّ.

ابني، فكَّر هيرب في سرّه. بينما بقيت ڤيرا تصلّي لحصول أعجوبة، بقي هيرب يصلّي لكي يموت ابنه. صلاة ڤيرا هي التي استُجيب لها. ما معنى هذا، وأين يتركه هذا؟ وماذا سيفعل بها؟

دخَل غرفة الجلوس. ڤيرا جالسة على الأريكة. قدماها، المحصورتان في خفّ زهري مطاطي، مرفوعتان على مسند للقدمين. كانت ترتدي رداءها الرمادي القديم وتأكل الفشار من آلة صنع الفشار مباشرة. منذ حادث جوني، ازداد وزنها حوالي عشرين كيلوغراماً وحلَّق ضغط دمها. أراد الطبيب إعطاءها دواءً بشكل دائم، لكن ڤيرا رفضت تناوله - إذا كانت إرادة السماوات أن تُصاب بضغط دم مرتفع، قالت، فستُصاب به. أشار لها هيرب ذات مرة إلى أن إرادة السماوات لم تمنعها أبداً من تناول البوفرين عندما تُصاب بصُداع.

أجابته بأحلى ابتسامة صبورة على الأذى وأمضى سلاح لديها: الصمت.

«مَن كان على الهاتف؟»، سألته دون أن تشيح بنظرها عن التلفزيون. كان أورال قد أحاط بذراعه الظهير الرُبعي المشهور لأحد فِرق الدوري، ويكلِّم حشداً صامتاً. والظهير الرُبعي يبتسم بتواضع.

«... وقد سمِعتم كلكم هذا الرياضي الطيب يُخبِركم هذه الليلة كيف أساء استخدام جسمه، مسكن روحه. كما سمِعتم...».

أطفأه هيرب.

«هربرت سميث!». كادت توقع فشارها وهي تستوي جلوساً. «كنتُ أشاهد! هذا كان...».

«جوني استيقَظ».

«... أورال روبرتس و...».

اختنقت الكلمات في فمها. بدت أنها سقطت على كرسيها، كما لو أنه وجَّه لكمة على وجهها. التفَت إلى الوراء، غير قادر على أن يقول المزيد، راغباً أن يشعر بالفرح لكنه خائف. خائف جداً.

«جوني...». توقَفت، بلعت ريقها، ثم حاوَلت مرة أخرى. «جوني... *ابننا* جوني؟».

«نعم. تكلَّم مع الطبيب براون لحوالي خمس عشرة دقيقة. يبدو أنه لم يكن الشيء الذي ظنّوه... استيقاظ خاطئ... في النهاية. إنه متماسك. يمكنه أن يتحرّك».

«جوني *مستيقظ*؟».

ارتفعت يداها إلى فمها. قامت آلة صنع الفشار، نصف الممتلئة، بشقلبة بطيئة على حُضنها ودوَّت على السجادة، ساكبةً الفشار في كل مكان. غطّت يداها النصف السفلي لوجهها. فوقهما جحظت عيناها أكثر فأكثر إلى أن خشي هيرب، لثانيةٍ مُرعِبةٍ، أنهما قد تخرجان من محجريهما وتتدليان في الهواء. ثم انغلقتا. خرج مواء خافت جداً من خلف يديها.

«ڤيرا؟ هل أنتِ بخير؟».

«أشكرك يا إلهي لما فعلته لجوني، لقد أعدتَه لي، سأشكرك كل يوم حتى مماتي لإعادتك لي جوني جوني *جونيييي* -». بدأ صوتها يرتفع إلى صراخ انتصار هستيري. تقدَّم نحوها، أمسك طيّات

ردائها، وهزّها. بدا فجأة كما لو أن الزمن انعكس، التفّ على نفسه مثل قطعة قماش غريبة - ربما عادا إلى ليلة وصول خبر الحادث إليهما، تبلّغاه من خلال نفس ذلك الهاتف في نفس ذلك المختلى.

المختلى أو المختلّ عقلياً، فكَّر هيرب سميث في سرّه بجنون.

«يا إلهي، يا إلهي، طفلي جوني، الأعجوبة مثلما قلتُ *الأعجوبة*...».

«*توقفي يا ڤيرا!*».

كانت عيناها داكنتين وضبابيتين وهستيريتين. «هل أنت حزين لأنه مستيقظ من جديد؟ بعد كل سنوات السخرية مني؟ من إخبارك الناس أنني مجنونة؟».

«ڤيرا، لم أُخبر أي شخص أبداً أنك مجنونة».

«*أخبَرتهم بعينيك!*»، صرَخت فيه. «لكن السماوات لم تكترث لسخريتك. أليس كذلك يا هربرت؟ *أليس كذلك؟*».

«لا»، قال. «لا أظنها اكترثت».

«لقد أخبَرتُك. أخبَرتُك أن للسماوات خطة لطفلي جوني. الآن ترى أن خطتها بدأت تعمل». نهضت. «عليَّ الذهاب إليه. عليَّ إخباره». سارت نحو الخزانة المعلَّق فيها معطفها، غير مُدركة على ما يبدو أنها ترتدي رداءها وقميص نومها. كان وجهها مذهولاً بالنشوة. بطريقة غريبة وتجديفية تقريباً ذكَّرته بالطريقة التي بدت بها يوم زفافهما. راح خفّها الزهري يسحق الفشار على السجادة.

«ڤيرا».

«عليَّ إخباره أن خطة السماوات...».

«ڤيرا».

استدارت إليه، لكن عينيها شاردتان بعيداً، إلى جوني.

ذهَب إليها ووضع يديه على كتفَيها.

«أخبريه أنك تحبّينه... أنك صلّيتِ... انتظَرتِ... ترقَّبتِ. مَن لديه الحق أكثر منك؟ أنت أمه. لقد نزَفتِ من أجله. ألم أشاهدك تنزفين من أجله طوال السنوات الخمسة الماضية؟ لستُ حزيناً على عودته إلينا، أنتِ مخطئة في قولك ذلك. لا أعتقد أنه يمكنني أن أستخلص من هذا ما تستخلصين منه، لكنني لستُ آسفاً. أنا نزَفتُ من أجله أيضاً».

«حقاً؟». كانت عيناها صوّانيتين، فخورتين، وغير مصدِّقتين.

«نعم. وسأُخبرك شيئاً آخر يا ڤيرا. ستُبقين فمك مغلقاً بشأن السماوات والأعاجيب والخطط العظيمة إلى أن يقف جوني على قدمَيه ويصبح قادراً على أن...».

«سأقول ما عليَّ أن أقوله!».

«... قادراً على أن يفكِّر بما يفعله. ما أقوله هو أنك ستعطينه فرصة ليستخلص شيئاً من هذا من تلقاء نفسه قبل أن توبِّخيه».

«ليس لديك الحق لتكلّمني بهذه الطريقة! أي حق على الإطلاق!».

«أمارس حقي كأب لجوني»، قال بتجهّم. «ربما للمرة الأخيرة في حياتي. ومن الأفضل لك ألا تعترضي طريقي يا ڤيرا. هل تفهمين؟».

حملَقت فيه بتجهّم ولم تقل شيئاً.

«سيكون لديه ما يكفيه لمجرّد التأقلم على فكرة أنه بقي منطفئاً مثل ضوءٍ لأربع سنوات ونصف. لا نعرف إن كان سيتمكن من السير مرة أخرى، رغم المعالِج الذي جاء. نعرف أنه لا مفرّ من إجراء عملية جراحية لأربطته، إن أراد حتى أن يجرّب؛ لقد أخبَرنا وايزاك ذلك. على الأرجح أكثر من مرة. والمزيد من العلاجات، والكثير منها سيؤلمه آلاماً مبرحة. لذا غداً ستكونين أمه فحسب».

«إياك أن تكلّمني بهذه الطريقة! *إياك!*».

«إذا بدأتِ بالوعظ يا ڤيرا، سأجرّك إلى خارج غرفته بشعر رأسك».

راحت تحدِّق فيه بوجه أبيض ومرتعش. اندلعت حرب طاحنة بين الفرح والحنق في عينيها.

«من الأفضل لكِ أن ترتدي ملابسك»، قال هيرب. «علينا أن نذهب».

كانت الرحلة طويلة وصامتة إلى بانغور. السعادة التي كان يجب أن يشعرا بها بينهما لم تكن هناك؛ فقط فرح ڤيرا المتّقد المقاتل. جلست منتصبةً على مقعد الراكب، ومرجع حكمها القديمة في حُضنها، مفتوحاً عند الفصل الثالث والعشرين.

6

عند التاسعة والرُبع صباح اليوم التالي، دخلت ماري غرفة جوني وقالت، «أمك وأبوك هنا، إذا كنتَ جاهزاً لرؤيتهما».

«نعم، يسرّني ذلك». شَعَر بتحسّن كبير هذا الصباح، بأنه أقوى وأقل ارتباكاً. لكن فكرة رؤيتهما أخافته قليلاً. فبالنسبة لذاكرته الواعية، رآهما منذ خمسة أشهر تقريباً. كان أبوه يعمل على أساسات منزل انتهى بناؤه الآن منذ ثلاث سنوات أو أكثر على الأرجح. وأمه خبزت له طبق حبوب وفطيرة تفاح وقوقأت من مدى نحالته.

أمسك يد ماري بضعف بينما استدارت لتخرج.

«هل يبدوان بخير؟ أعني...».

«يبدوان بخير».

«آه. جيد».

«لا يمكنك رؤيتهما لأكثر من نصف ساعة الآن. بعض الوقت الإضافي هذا المساء إذا لم تُظهِر سلسلة فحوصك العصبية أنك مُتعِب كثيراً».

«أوامر الطبيب براون؟».

«والدكتور وايزاك».

«حسناً. لبعض الوقت. لستُ متأكداً لكم من الوقت أريد أن أُنكَز وأُحَثّ».

تردَّدت ماري.

«هل من خطب؟»، سأل جوني.

«لا... ليس الآن. لا شكّ أنك متشوّق لرؤية والدَيك. سأُدخلهما».

انتظَر، متوتراً. السرير الآخر فارغٌ؛ فقد نُقل مريض السرطان بينما نام جوني بفعل الفاليوم.

فُتح الباب. دخَل أمه وأبوه. شعَر جوني بصدمةٍ وارتياحٍ في آن: بالصدمة لأنهما كبُرا في السنّ، كان كل هذا حقيقياً؛ وبالارتياح لأن التغييرات فيهما لم تبدُ مميتة بعد. وإذا كان يمكن قول ذلك عنهما، لربما يمكن قوله عنه أيضاً.

لكن شيئاً فيه تغيَّر، تغيَّر بشكل كبير - وقد يكون مميتاً.

كان هذا كل الوقت الذي تسنّى له للتفكير قبل أن تحتضنه ذراعا أمه، بعطر بنفسجها القوي في منخرَيه، وهي تهمس: «الحمد لله يا جوني، الحمد لله، الحمد لله أنك مستيقظ».

عانَقها بدوره بقدر ما يستطيع - لا تزال ذراعاه لا تملكان القوة للإمساك وسقطتا بسرعة - وفجأة، في غضون ست ثوانٍ، عرَف كيف كان الوضع معها، بما فكَّرت فيه في سرّها، وبما سيحصل لها. ثم زال كل شيء، تضاءل مثل حلم الرواق المظلم ذاك. لكن عندما توقفت عن معانقته لكي تنظر إليه، استُبدلت نظرات الفرح المتّقد في عينيها بنظرات تفكير مليّ.

بدا له أن الكلمات تخرج من فمه من تلقاء نفسها: «دعيهم يعطونك الدواء يا ماما. هذا أفضل لك».

اتّسعت عيناها، ورطَّبت شفتيها - ثم أصبح هيرب بجانبها، عيناه مغرورقتان بالدموع. لقد فقَدَ بعضاً من وزنه - ليس بنفس المقدار الذي زاد وزن ڤيرا به، لكنه أنحف بشكل ملحوظ. شعره يتساقط بسرعة لكن الوجه هو نفسه، ودود وعادي ومحبوب جيداً. أخرجَ رباط رأس كبير خاص بعامل الفرامل من جيبه الخلفي ومسَح عينيه به. ثم مدَّ يده.

«مرحباً يا بُنيّ»، قال. «تسرّنا عودتك».

صافح جوني يد أبيه بأفضل ما يستطيع؛ أصابعه الشاحبة والخائرة القوى ابتلعتها يد أبيه الحمراء. راح جوني ينظر من أحدهما إلى الآخر - أمه في بذلة نسائية زرقاء شاحبة ضخمة، وأبوه في سترة بشعة حقاً بدت كما لو أنها تخصّ بائع مكانس كهربائية في كنساس - وأجهش بالبكاء.

«آسف»، قال. «آسف، كل ما في الأمر...».

«هيا»، قالت ڤيرا وهي تجلس على السرير بجانبه. كان وجهها هادئاً وصافياً الآن. مقدار الأم الذي فيه أكبر من مقدار الجنون. «هيا ابكِ قدر ما تشاء، البكاء هو أفضل شيء أحياناً».

وبكى جوني.

7

أخبَره هيرب أن عمّته جيرماين ماتت. أخبَرته ڤيرا أن المال لتشييد مركز پاونال الثقافي تمّ جمعه أخيراً وبدأت أعمال البناء منذ شهر، حالما ذاب الجليد عن الأرض. أضاف هيرب أنه شارك في مزاد، لكنه يعتقد أن العمل الشريف باهظ الكلفة لكي يدفعا. «آه، اسكت أيها الخاسر الساخط»، قالت ڤيرا.

ساد صمت قصير ثم تكلَّمت ڤيرا مرة أخرى. «آمل أن تُدرِك أن شفاءك أعجوبة من السماوات يا جوني. لقد يئس الأطباء. يقول الفصل التاسع من مرجع الحكم القديمة...».

«ڤيرا»، قال هيرب بشكل تحذيري.

«بالطبع هي أعجوبة يا ماما. أعرف ذلك».

«تعرف ذلك... حقاً؟».

«نعم. وأريد أن أتكلّم معك عنها... أن أسمع رأيك عن معناها... فقط حالما أقف على قدميَّ من جديد».

كانت تحدِّق فيه فاغرة الفم. ألقى جوني نظرة سريعة على أبيه والتقت عيونهما للحظة. رأى جوني ارتياحاً كبيراً في عينَي أبيه. أومأ هيرب برأسه بشكل غير ملحوظ.

«اهتدى!»، قالت ڤيرا بصخب. «ابني اهتدى! الحمد لله!».

«اسكتي يا ڤيرا»، قال هيرب. «عليكِ أن تتكلمي بصوتٍ منخفضٍ عندما تكونين في مستشفى».

«لا أرى كيف لا يستطيع أي شخص اعتبارها أعجوبة يا ماما. وسنتكلَّم عنها كثيراً. فقط حالما أخرج من هنا».

«ستعود إلى المنزل»، قالت. «إلى المنزل الذي ترعرعت فيه. سأعتني بك مثل ممرضة إلى أن تستعيد صحتك وسنصلّي معاً».

كان يبتسم لها، لكن الابتسام يتطلب جهداً. «بالتأكيد. ماما، هلاّ ذهبتِ إلى محطة الممرضات وسألتِ ماري إن كنتُ أستطيع الحصول على بعض العصير؟ أو ربما مشروب غازي بطعم الزنجبيل؟ أظن أنني غير معتاد على التكلّم، وحنجرتي...».

«طبعاً سأذهب». قبَّلت خده ونهضت. «آه، أنت نحيل جداً. لكنني سأعالج هذه المشكلة عندما أعيدك إلى المنزل». خرجت من الغرفة مُلقيةً في طريقها نظرة انتصار واحدة صوب هيرب. سمِعا طرق حذائها من آخر الرواق.

«منذ متى وهي على هذه الحال؟»، سأل جوني بهدوء.

هزَّ هيرب رأسه. «حصل الأمر تدريجياً منذ حادثك. لكنه بدأ قبل ذلك بوقت طويل. أنت تعرف. أنت تتذكَّر».

«هل هي...».

«لا أعرف. هناك أشخاص في الجنوب يتعاملون مع الأفاعي. سأصفهم بالمجانين. هي لا تفعل ذلك. كيف حالك يا جوني؟ حقاً؟».

«لا أعرف»، قال جوني. «بابا، أين سارة؟».

مال هيرب إلى الأمام وشبكَ يديه بين رُكبتَيه. «لا أحبّ إخبارك هذا يا جون، لكن...».

«تزوجت؟ هل تزوَّجت؟».

لم يُجبه هيرب. بل أومأ برأسه دون أن ينظر إلى جوني مباشرة.

«آه، يا إلهي»، قال جوني بصوت أجوف. «خشيتُ ذلك».

«أصبحت السيدة والتر هازليت منذ حوالي ثلاث سنوات. إنه محامٍ. لديهما ابن. جون... لا أحد صدَّق حقاً أنك ستستيقظ. ما عدا أمك، بالطبع. لم يملك أحدٌ منا أي سبب ليصدِّق أنك ستستيقظ». بدأ صوته يرتعش الآن، أجشّ من الذنب. «قال الأطباء... آه، لا تهتمّ بما قالوه. حتى أنا يئستُ من

حالتك. يؤلمني جداً أن أعترف بذلك، لكنها الحقيقة: كل ما يمكنني أن أطلب منك هو أن تحاول أن تتفهّمني... وتتفهّم سارة».

حاوَل أن يقول إنه يتفهّم، لكن كل ما استطاع الخروج منه هو نقيقٌ من الصنف المريض. شَعَر بالغثيان والعجز، وغمره فجأة شعور بالخسارة. أصبح الوقت الضائع يجلس عليه فجأة مثل حمولة طوب - حمولة حقيقية، وليس بالمعنى المجازي فقط.

«جوني، لا تقلق. هناك أشياء أخرى. أشياء جيدة».

«سأحتاج... إلى بعض الوقت لأعتاد على ذلك»، تمكّن أن يقول.

«نعم. أعرف».

«هل تراها؟».

«نتراسل بين الحين والآخر. أصبحنا مقرَّبين بعد حادثك. إنها فتاة لطيفة، لطيفة حقاً. لا تزال تدرِّس في كليفز، لكنني فهمتُ أنها ستتوقف في يونيو هذا. إنها سعيدة يا جون».

«جيد»، قال ببلادة. «يسرّني أن شخصاً ما سعيدٌ».

«بُنيّ...».

«آمل أنك لا تكشف أسراراً»، قالت ڤيرا سميث بفرح كبير وهي تعاود دخول الغرفة. كانت تحمل إبريقاً مثلّجاً في يدها. «قالوا إنك غير جاهز لعصير الفاكهة يا جوني، لذا أحضَرتُ لك المشروب الغازي بطعم الزنجبيل».

«هذا جيد يا ماما».

نقلت نظرها من هيرب إلى جوني ثم إلى هيرب من جديد. «هل كنتَ تكشف أسراراً؟ لماذا هذان الوجهان الكئيبان؟».

«كنتُ فقط أُخبر جوني أن عليه بذل جهد كبير إذا أراد الخروج من هنا»، قال هيرب. «الكثير من العلاج».

«لماذا تريد التكلّم عن هذا الآن؟». صَبَّت المشروب الغازي بطعم الزنجبيل في كوب جوني. «سيكون كل شيء بخير الآن. سترى».

وضعت قشة مرنة في الكوب وسلَّمته إياه.

«الآن اشربه كله»، قالت مبتسمةً. «هذا مفيد لك».

شربه جوني كله. كان طعمه مرّاً.

الفصل السابع

1

«أغمض عينيك»، قال الطبيب وايزاك.

كان رجلاً قصيراً وبديناً وذا شعر مصفَّف بشكل غير معقول وسوالف سوداء. لم يستطع جوني غضّ النظر عن كل ذلك الشعر. فالرجل الذي له قصّة شعر مثل هذه في العام 1970 سيكون قد اضطر إلى إخراج نفسه بالقوة من كل مقصف في ماين الشرقية، والرجل في سنّ وايزاك سيُعتبر جاهزاً لدخول مستشفى الأمراض العقلية.

كل هذا الشعر. يا للهول.

أغمض عينيه. غُطي رأسه بنقاط تلامس كهربائية موصولة بأسلاك تدخل مخطِّطة موجات دماغية ذات وحدة تحكم مثبّتة على جدار. وَقَف الطبيب براون وممرضة قرب وحدة التحكم، التي كانت تنبثق منها بهدوء ورقة عريضة ذات مربعات. تمنّى جوني لو أن الممرضة كانت ماري ميشو. فهو خائف قليلاً.

لمَس الطبيب وايزاك جفنيه وارتعَش جوني.

«لا... لا تتحرّك يا جوني. هاتان آخر نقطتَي تلامس... ها قد انتهينا».

«حسناً أيها الطبيب»، قالت الممرضة.

همهمة خافتة.

«حسناً يا جوني. هل أنت مرتاح؟».

«أشعر كما لو أن هناك سنتات على جفنَي».

«نعم؟ ستعتاد على ذلك بلمح البصر. الآن دعني أشرح لك هذا الإجراء. سأطلب منك أن تتخيَّل عدة أشياء. لديك حوالي عشر ثوانٍ لكل شيء، وهناك عشرون شيئاً لتتخيَّلها بالإجمال. هل تفهم؟».

«نعم».

«ممتاز جداً. لنبدأ. الطبيب براون؟».

«كل شيء جاهز».

«ممتاز. جوني، أطلب منك رؤية طاولة. وعلى الطاولة برتقالةٌ».

فكَّر جوني بذلك. رأى طاولة صغيرة للعب الورق ذات أرجل فولاذية مطوية. وتستريح عليها، بعيداً عن الوسط قليلاً، برتقالة كبيرة مختومة الكلمة صنكيست على بشرتها الكثيرة البثور.

«جيد»، قال وايزاك.

«هل تستطيع هذه الآلة رؤية برتقالتي؟».

«لا... حسناً، نعم؛ رمزياً. الآلة تراقب موجاتك الدماغية. إننا نبحث عن سدود يا جوني. مناطق ضُعف. دلالات محتملة لاستمرار الضغط داخل الجمجمة. أطلب منك الآن التوقف عن طرح الأسئلة».

«حسناً».

«الآن أطلب منك رؤية تلفزيون. إنه مُضاء، لكنه لا يلتقط بث أي محطة».

رأى جوني التلفزيون الذي في شقته - الذي كان في شقته. الشاشة رمادية فاتحة بالثلج. وقد تم لفّ أطراف أذنَي الأرنب بورق ألومنيوم لالتقاط البث بشكل أفضل.

«جيد».

استمرت السلسلة. للبند الحادي عشر، قال وايزاك، «الآن أطلب منك رؤية طاولة نزهة على الجهة اليسرى لمَرجة خضراء».

فكَّر جوني بذلك، ورأى في ذهنه كرسي حديقة. عبس.

«هل من خطأ؟»، سأل وايزاك.

«لا، على الإطلاق»، قال جوني. فكَّر بقوة أكبر. نزهات. شراب شعير، موقد فحم... اربطها ببعضها، اللعنة، اربطها ببعضها. ما مدى صعوبة رؤية طاولة نزهة في ذهنك، فلم تر سوى ألف منها في حياتك؛ اربطها بعاداتك. ملاعق وشوَك بلاستيكية، أطباق ورقية، أبوه وقبعة طبّاخ على رأسه، حاملاً شوكة طويلة في يد ومرتدياً مئزراً مطبوع عليه شعارٌ بأحرف مترنّحة، *الطبّاخ يحتاج إلى شراب*. أبوه يُعدّ شطائر برغر ثم سيجلسون كلهم إلى -

آه، ها هي!

ابتسم جوني، ثم خبت الابتسامة. الصورة في ذهنه هذه المرة كانت أرجوحة شبكية. «تباً!».

«لا طاولة نزهة؟».

«هذا أغرب شيء. لا يبدو أنني... قادر على التفكير فيها. أعني، أعرف ما هي، لكن لا يمكنني رؤيتها في ذهني. هل هذا غريب، أم هل هذا غريب؟».

«لا تهتمّ. جرّب هذا: كرة أرضية جالسة على غطاء شاحنة».

كانت هذه الصورة سهلة.

في البند التاسع عشر، زورق تجذيف راسٍ تحت لافتة مرورية (مَن يفكِّر بهذه الأشياء؟ تساءل جوني)، حصَل الأمر مرة أخرى. هذا مُحبِطٌ. رأى كُرة شاطئ جالسة بجانب شاهد قبر. ركَّز أكثر ورأى معبراً فوق الطريق الرئيسي. هدّأ له وايزاك أعصابه، وبعد بضع لحظات أُزيلت الأسلاك عن رأسه وجفنَيه.

«لماذا لم أتمكن من رؤية تلك الأشياء؟»، سأل وعيناه تتنقّلان من وايزاك إلى براون. «ما المشكلة؟».

«من الصعب القول بأي يقين حقيقي»، قال براون. «قد يكون نوعاً من فقدان الذاكرة الموضعي. أو ربما أتلف الحادث جزءاً صغيراً من دماغك - وأعني جزءاً مِجهرياً حقاً. لا نعرف ما

المشكلة حقاً، لكن من الواضح جداً أنك فقدتَ عدة مسارات ذكريات. صدفَ أن اكتشفنا اثنين منها. ستكتشف المزيد على الأرجح».

قال وايزاك فجأة، «لقد تعرَّضتَ لإصابة في الرأس عندما كنتَ صغيراً، صح؟».

نظرَ إليه جوني بارتياب.

«توجد ندبة قديمة»، قال وايزاك. «هناك نظرية يا جوني يدعمها مقدار جيد من الأبحاث الإحصائية...».

«أبحاث غير مكتملة أبداً»، قال براون، بتزمّت تقريباً.

«هذا صحيح. لكن تلك النظرية تفترض أن الأشخاص الذين يميلون إلى الشفاء من غيبوبة طويلة الأجل هم الأشخاص الذين تعرّضوا لنوع من أنواع الإصابات في الدماغ في وقت سابق... الأمر يبدو كما لو أن الدماغ أجرى بعض التكيُّف نتيجة الإصابة الأولى مما مكّنه من النجاة من الإصابة الثانية».

«هذا غير مبرهَن»، قال براون. بدا أنه لا يوافق وايزاك حتى بذِكر هذا الموضوع.

«الندبة هناك»، قال وايزاك. «ألا تستطيع أن تتذكَّر ماذا حصل لك يا جوني؟ أظن أنك فقدتَ وعيك وقتها. هل سقطت على السلالم؟ حادث درّاجة هوائية، ربما؟ تقول الندبة إن هذا حصل لفتى يافع».

فكَّر جوني ملياً، ثم هزَّ رأسه. «هل سألتَ أمي وأبي؟».

«كلاهما لا يتذكَّران أي إصابة في الرأس... ألا تتذكَّر أي شيء؟».

للحظة، تذكَّر شيئاً - تذكَّر دخاناً، أسود ودهنياً ويعبق برائحة المطاط. بارد. ثم اختفى. هزَّ جوني رأسه.

تنهَّد وايزاك، ثم هزّ كتفيه. «لا شكّ أنك مُتعَب».

«نعم. قليلاً».

جلس براون على حافة طاولة الفحص. «إنها الحادية عشرة والرُبع. لقد عمِلتَ بجهد هذا الصباح. سأجيب والطبيب وايزاك على بضعة أسئلة، إذا أردتَ، ثم تصعد إلى غرفتك لتأخذ قيلولة.

موافق؟».

«موافق»، قال جوني. «الصور التي أخذتماها لدماغي...».

«المسح المقطعي»، أومأ وايزاك برأسه. «التصوير المقطعي المحوري الكمبيوتريّ». أخذ علبة تشكلتس ورمى ثلاث حبّات في فمه. «المسح المقطعي هو مجرّد سلسلة صور أشعة سينية للدماغ يا جوني. يلقي الكمبيوتر ضوءاً على الصور و...».

«ما الذي قالته لك؟ كم من الوقت لديَّ؟».

«ما هذا السؤال كم من الوقت لديَّ؟»، سأل براون. «يبدو كأنه جملة من فيلم قديم».

«سمِعتُ أن الأشخاص الذين يخرجون من غيبوبات طويلة الأجل لا يصمدون لفترة طويلة دائماً»، قال جوني. «تتدهور صحتهم. هذا يشبه اللمبة التي تصبح ساطعة جداً قبل أن تحترق».

ضحِك وايزاك بقوة. كانت ضحكة من صميم القلب، وبدا أنها أعجوبة أنه لم يختنق بلثته. «آه، يا لها من ميلودراما». وَضَع يده على صدر جوني. «تعتقد أنني وجيم طفلان في هذا الحقل؟ لا. نحن أطباء أمراض عصبية. ما تسمّونه أنتم الأميركيون موهبةً مُكلِفةً. مما يعني أننا أغبياء فقط بشأن وظائف الدماغ البشري ولسنا جَهولين بكل معنى الكلمة. لذا أُجيبك، نعم، تتدهور الصحة أحياناً. لكن صحتك لن تتدهور. أعتقد أنه يمكننا قول ذلك، أليس كذلك يا جيم؟».

«نعم»، قال براون. «لم نتمكن من إيجاد دلالات كثيرة على وجود ضُعف هام. جوني، هناك رجل في تكساس بقي في غيبوبة لتسع سنوات. وهو الآن مسؤول القروض في مصرفٍ، وباشر وظيفته تلك منذ ست سنوات. وقبل ذلك كان أمين الصندوق لسنتين. هناك امرأة في أريزونا بقيت في غيبوبة لاثنتَي عشرة سنة. حصل خطأ ما في جرعة التخدير بينما كانت في مخاضها. إنها مُقعدَة الآن، لكنها حيّة وواعية. استيقظت من غيبوبتها عام 1969 وقابلت طفلها الذي أنجبته قبل اثنتَي عشرة سنة. كان الطفل في الصف السابع وعلى لائحة الشرف».

«هل سأكون مُقعَداً؟»، سأل جوني. «لا يمكنني تقويم رِجليَّ. ذراعيَّ أفضل قليلاً، لكن رِجليَّ...» خفت صوته، وهزّ رأسه.

«الأربطة تقصُر»، قال وايزاك. «نعم؟ لهذا السبب يبدأ المرضى في حالة الغيبوبة التامة يتقوقعون إلى ما نسمّيه الوضعية ما قبل الجنينية. لكننا نعرف عن التدهور الجسدي الذي يحدث في

الغيبوبة أكثر مما كنا نعرف في السابق، وأصبحنا أفضل في منع حصوله. كنتَ تخضع لتمارين دورية من قِبل المعالِج الفيزيائي في المستشفى، حتى أثناء نومك. ويتفاعل المرضى المختلفون مع الغيبوبة بطرق مختلفة. كان تدهورك بطيئاً جداً يا جوني. مثلما تقول، ذراعاك مستجيبتان وقادرتان بشكل ملحوظ. لكن حصل بعض التدهور. سيكون علاجك طويلاً و... هل يجب أن أكذب عليك؟ لا، لا أعتقد. سيكون طويلاً ومؤلماً. ستذرف دموعاً. قد يحصل أن تكره معالِجك. قد يحصل أن تقع في غرام سريرك. وستخضع لعمليات - واحدة فقط إذا كنتَ محظوظاً جداً، لكن ربما يصل العدد إلى أربعة - لتطويل تلك الأربطة. لا تزال تلك العمليات جديدة. قد تنجح بالكامل، أو جزئياً، أو تفشل كلياً. لكن إن شاء الله، أعتقد أنك ستمشي من جديد. لا أعتقد أنك ستتمكّن من ممارسة رياضة التزلّج أو القفز فوق الحواجز، لكنك قد تركض وبالطبع ستسبح».

«شكراً»، قال جوني. شَعَر بموجة مفاجئة من المَوَدّة تجاه هذا الرجل ذي اللكنة وقصّة الشعر الغريبة. أراد أن يفعل شيئاً لوايزاك بالمقابل - وترافق ذلك الشعور بإلحاح كبير، بحاجة ماسّة تقريباً، إلى لمسه.

مدَّ يديه فجأة وأمسك يد وايزاك. يد طبيبه ضخمة، مكتنزة، دافئة.

«نعم؟»، قال وايزاك بلطف. «وما هذا؟».

وتغيَّرت الأمور فجأة. من المستحيل قول كيف. ما عدا أن وايزاك بدا فجأة واضحاً جداً له. بدا له أن وايزاك... يقف مكشوفاً، محاطاً بضوءٍ صافٍ جميلٍ. كل علامة وشامة وخط على وجه وايزاك بدت صافيةً. وكل خط يروي قصته. بدأ *يفهم*.

«أريد محفظتك»، قال جوني.

«محفـ...؟». تبادَل وايزاك وبراون لمحةً جافلةً.

«هناك صورة لأمك في محفظتك وأحتاج إلى الحصول عليها»، قال جوني. «رجاءً».

«كيف عرَفت ذلك؟».

«*رجاءً!*».

نظرَ وايزاك إلى وجه جوني للحظة، ثم مدَّ يده ببطء تحت ثوبه الفضفاض وأخرجَ محفظة لورد باكستون قديمة، منتفخة وفاقدة اللياقة.

«كيف عرفتَ أنني أحمل صورة لأمي؟ إنها ميتة، ماتت عندما احتلّ النازيون وارسو...».

انتزَع جوني المحفظة من يد وايزاك، الذي بدا وبراون مذهولين. فتَحها جوني، تجاهل جيوب الصور البلاستيكية، وبحث في الجيب الخلفي فوراً، منقِّلاً أصابعه بين بطاقات تعريف مهنة قديمة، فواتير، فحص مُلغى، تذكرة قديمة إلى وظيفةٍ سياسيةٍ. أخرجَ صورة صغيرة مجلَّدة بالبلاستيك. تُظهر الصورة شابةً ذات ملامح عادية وشعر مربوط تحت رباط رأس. ابتسامتها بهيجة وشبابية. تُمسك يد فتى يافع. بجانبها رجل في زيّ الجيش البولندي.

ضغَط جوني الصورة بين يديه وأغمض عينيه وللحظة عمّت الظلمة ثم مسرعةً من الظلمة أتت عربةٌ... لا، ليس عربةً، عربة موتى. عربة موتى تجرّها أحصنة. تم كتم مصابيحها بأكياس سوداء. بالطبع كانت عربة موتى لأنهم كانوا

(يموتون بالمئات، نعم، بالآلاف، ليسوا أنداداً لدبابات البانزر، للفيرماخت، خيّالة من القرن التاسع عشر ضد دبابات ورشاشات، انفجارات. رجال يصرخون، يُحتضَرون. حصانٌ نُسفت أحشاؤه وعيناه مقلوبتان بعنف، تُظهران بياضهما، مدفع مقلوب خلفه ولا يزالون يأتون. يأتي وايزاك، واقفاً على رِكابَي السرج، سيفه مرفوع في المطر الغزير لأواخر صيف 1939، رجاله يتبعونه، يخوضون الوحل بصعوبة. يتتبّعه رشاش دبابة التايغر النازيّة، يتعقّبه، يحصره، يُطلِق النار، وفجأة يختفي تحت خصره، السيف يطير من يده؛ وفي نهاية الطريق وارسو. الذئب النازيّ حرّ طليق في أوروبا).

«حقاً، علينا وضع حدّ لهذا»، قال براون بصوت بعيد وقلِق. «أنت تُفرط في إثارة نفسك يا جوني».

أتت الأصوات من بعيد، من رواقٍ في الزمن.

«وضع نفسه في نوع من النشوة»، قال وايزاك.

الجو حار هنا. بدأ يعرَق. بدأ يعرَق لأن

(المدينة مشتعلة، الآلاف يفرّون، تزأر شاحنةٌ من جهة إلى أخرى في شارع مرصوف بالحصى، والجهة الخلفية للشاحنة مليئة بجنود ألمان يلوِّحون في خوذات شكلها مثل دلو الفحم والشابة لا تبتسم الآن، إنها تفرّ، لا سبب لعدم الفرار. لقد أُرسل الولد بعيداً إلى برّ الأمان والآن تقفز

الشاحنة فوق حافة الرصيف، تصدمها الواقية من الوحول، تحطِّم لها وركها وتطيّرها نحو نافذة زجاجية لمتجر ساعات ويبدأ كل شيء يرنّ. يرنّ بسبب الوقت. وقت الرنين هو).

«الساعة السادسة»، قال جوني ببلادة. لقد انقلبت عيناه إلى البياض المنتفخ المرهَق. «2 سبتمبر 1939، وكل طيور الوقواق تغرّد».

«يا إلهي، ماذا لدينا هنا؟»، همَس وايزاك. كانت الممرضة قد تراجعت إلى وحدة تحكّم مخطِّطة الموجات الدماغية، وجهها شاحب وخائف. الجميع خائف الآن لأن الموت في الجو. إنه دائماً في الجو في هذا المكان، في هذه

(المستشفى. رائحة الأثير. إنهم يصرخون في مكان الموت. بولندا ماتت، بولندا سقطت أمام الحرب الخاطفة للفيرماخت. ورك مكسور. الرجل على السرير المجاور يصرخ طلباً للماء، يصرخ، يصرخ، يصرخ. تتذكَّر «الفتى بأمان». أي فتى؟ لا تعرف. أي فتى؟ ما اسمها؟ لا تتذكَّر. فقط أن).

«الفتى بأمان»، قال جوني ببلادة. «نعم. نعم».

«علينا وضع حدّ لهذا»، كرَّر براون.

«كيف تقترح أن نفعل ذلك؟»، سأل وايزاك بصوت هشّ. «لقد ذهب بعيداً جداً لكي...».

الأصوات تخبو. الأصوات موجودة تحت السُحُب. كل شيء موجود تحت السُحُب. أوروبا تحت سُحُب الحرب. كل شيء تحت السُحُب ما عدا القمم، قمم جبال

(سويسرا. سويسرا والآن اسمها بورنتز. اسمها جوهانا بورنتز وزوجها مهندس مدني أو مهندس معماري، أياً يكن مَن يبني الجسور. يبني في سويسرا وهناك حليب معزاة، جبن معزاة. طفل. آه المخاض! المخاض فظيع وتحتاج إلى دواء، مورفين، هذه الجوهانا بورنتز، بسبب الورك. الورك المكسور. لقد أُصلِح، لقد نام، لكنه استيقظ الآن وبدأ يصرخ بينما توسَّع حوضها ليدع الطفل يخرج، طفل واحد. طفلان. وثلاثة. وأربعة. لا يأتون دفعةً واحدةً، لا - إنهم حصاد سنوات، إنهم).

«الأطفال»، تهزَّج جوني، وبدأ يتكلَّم الآن بصوت امرأة وليس بصوته أبداً. كان صوت امرأة. خرج كلامٌ غير مفهوم من فمه.

«بحق الله...»، بدأ براون يقول.

«بولندية، هذا بالبولندية!»، صاح وايزاك وقد انتفخت عيناه وشحب وجهه. «إنها أغنية للسرير وهي بالبولندية، يا إلهي، ماذا لدينا هنا؟».

مال وايزاك إلى الأمام كما لو أنه يريد أن يجتاز السنوات مع جوني، كما لو أنه يريد تخطيها، كما لو أنه

(جسر في تركيا. ثم جسر في مكان حار في الشرق الأقصى، هل هذه لاوس؟ لا يمكنه أن يحدِّد، فقَدَ رَجلاً هناك، فقدنا هانس هناك، ثم جسر في فيرجينيا، جسر فوق نهر راباهانوك وجسر آخر في كاليفورنيا، إننا نقدّم طلباً للحصول على الجنسية الآن ونحضر حصصاً في غرفة صغيرة حارة في الجهة الخلفية لمكتب بريدٍ تعبق فيه رائحة الغراء دائماً. إنه العام 1963، نوفمبر، وعندما نسمع أن كينيدي قُتل في دالاس نبكي وعندما يحيّي الفتى الصغير تابوت أبيه نفكر «الفتى بأمان» ويُعيد لنا هذا ذكريات بعض الحرق، بعض الحرق الكبير والحزن، أي فتى؟ إنها تحلم عن الفتى. هذا يوجع لها رأسها. ويموت الرجل، يموت هلموت بورنتز وتعيش مع الأولاد في كارمل، كاليفورنيا. في منزل في. في. في. لا يمكنه رؤية اللافتة المرورية، إنه في المنطقة الميتة، مثل زورق التجذيف، مثل طاولة النزهة على المَرجة. إنه في المنطقة الميتة. مثل وارسو. يرحل الأولاد، تحضر احتفالات تخرّجهم الواحد تلو الآخر، ووركها يؤلمها. أحدهم يموت في فييتنام. البقية بخير. أحدهم يبني جسوراً. اسمها جوهانا بورنتز ولوحدها الآن في وقت متأخر من الليل تفكِّر أحياناً في ظلمة التكتكة: «الفتى بأمان»).

رفع جوني نظره نحوهما. شَعَر شعوراً غريباً في رأسه. ذلك الضوء الغريب حول وايزاك اختفى. شَعَر أنه عاد نفسه من جديد، لكنه ضعيف ويشعر ببعض الغثيان. نظرَ إلى الصورة التي في يديه للحظة ثم أعادها إلى وايزاك.

«جوني؟»، قال براون. «هل أنت بخير؟».

«مُتعَب»، تمتم.

«هل يمكنك أن تُخبِرنا ماذا حصل لك؟».

نظرَ إلى وايزاك. «أمك حيّة»، قال.

«لا يا جوني. لقد ماتت منذ سنوات عديدة. في الحرب».

«ناقلة جنود ألمانية طيّرتها إلى الواجهة الزجاجية لمتجر ساعات»، قال جوني. «استيقَظت في مستشفى فاقدةً الذاكرة. ليست معها أي بطاقة هوية، لا أوراق. اتّخذت لها الاسم جوهانا... كنية ما. لم أتمكّن من معرفة ذلك، لكن عندما انتهت الحرب ذهَبت إلى سويسرا وتزوجت سويسرياً... مهندساً، أعتقد. تخصصه بناء الجسور، ويدعى هلموت بورنتز. لذا اسمها بعد الزواج كان - هو - جوهانا بورنتز».

بدأت عيناه تتسّعان أكثر فأكثر. واكفهرّ وجه الطبيب براون، إما لأنه قرَّر أن جوني يخدعهم أو ربما لمجرّد أنه لم يحبّ رؤية جدول مواعيد اختباراته المُتقَنة يتعرقَل. لكن وجه وايزاك بقي جامداً ويفكِّر ملياً.

«أنجبت وهلموت بورنتز أربعة أولاد»، قال جوني بنفس ذلك الصوت الخافت الهادئ. «عمله يأخذه إلى كل أنحاء العالم. أقام في تركيا لبعض الوقت. في مكان ما في الشرق الأقصى، أعتقد لاوس، ربما كمبوديا. ثم أتى إلى هنا. فيرجينيا أولاً، ثم أماكن أخرى لم أكتشفها، كاليفورنيا أخيراً. حصل وجوهانا على الجنسية الأميركية. هلموت بورنتز مات. أحد أولادهما مات أيضاً. الآخرون أحياء وبخير. لكنها تحلم بك أحياناً. وتفكّر في أحلامها، «الفتى بأمان». لكنها لا تتذكَّر اسمك. ربما تعتقد أن الأوان فات».

«كاليفورنيا؟»، قال وايزاك بتبصّر.

«سام»، قال الطبيب براون. «لا يجب أن تشجِّع هذا حقاً».

«أين في كاليفورنيا يا جون؟».

«كارمل. عند البحر. لكنني لم أعرف أي شارع. كان الاسم هناك، لكنني لم أتمكن من رؤيته. إنه في المنطقة الميتة. مثل طاولة النزهة وزورق التجذيف. لكنها في كارمل، كاليفورنيا. جوهانا بورنتز. ليست عجوزاً».

«لا، بالطبع لن تكون عجوزاً»، قال سام وايزاك بنفس تلك النبرة البعيدة المفكِّرة ملياً. «كانت فقط في الرابعة والعشرين عندما غزا الألمان بولندا».

«حضرة الطبيب وايزاك، عليَّ أن أصرّ»، قال براون بحدّة.

بدا أن وايزاك يخرج من حالة تفكير عميق. نظرَ حوله كما لو أنه يلاحظ وجود زميله الأصغر سناً لأول مرة. «بالطبع»، قال. «بالطبع عليك. وقد أنهى جون فترة أسئلته وأجوبته... رغم أنني أعتقد أنه أخبَرنا أكثر مما أخبَرناه».

«هذا هُراء»، قال براون باقتضاب، وفكَّر جوني في سرّه: *إنه خائف. مرتعب بالكامل.*

ابتسم وايزاك لبراون، ثم للممرضة. كانت تنظر إلى جوني كما لو أنه نمرٌ في قفص مصنوع بشكل سيئ. «لا تتكلَّمي عن هذا أيتها الممرضة. لا تُخبري مُشرِفك، أمك، أخاك، أو حبيبك. مفهوم؟».

«نعم أيها الطبيب»، قالت الممرضة. *لكنها ستتكلَّم*، فكَّر جوني في سرّه، ثم ألقى نظرة سريعة على وايزاك. *وهو يعرف ذلك.*

2

نام معظم فترة بعد الظهر. حوالي الرابعة بعد الظهر نُقل في الرواق إلى المصعد، وأُخذ إلى قسم الأعصاب، وأُخضع لمزيد من الاختبارات. بكى جوني. بدا أن لديه سيطرة ضعيفة جداً على الوظائف التي يُفترَض أن يكون الراشدون قادرين على السيطرة عليها. في طريق العودة إلى غرفته، بوَّل على نفسه ووجب تغيير ملابسه مثل طفل. غمرته أول موجة كآبة عميقة (لكنها ليست الأخيرة على الإطلاق)، أضعفت معنوايته كثيراً، وتمنّى لو يموت. الشفقة على الذات رافَقت الكآبة وشَعَر كم أن هذا ظالمٌ. لقد قلَّد ريپ ڤان وينكل. لا يمكنه السير. حبيبته تزوَّجت رجلاً آخر وأمه تحت سيطرة مخادع استغلالي. لا يمكنه رؤية أي شيء في المستقبل يستحق العيش من أجله.

عند وصولهما إلى غرفته، سألته الممرضة إن كان يريد أي شيء. لو كانت ماري هي المناوِبة، لكان جوني طلب منها كوب ماء مثلَّج. لكن نوبتها انتهت عند الثالثة.

«لا»، قال، وتشقلب ليواجه الجدار. بعد قليل، نام.

الفصل الثامن

1

جاء أبوه وأمه لساعةٍ ذلك المساء، وترَكت له ڤيرا حزمة أوراق ترويجية.

«سنبقى حتى نهاية الأسبوع»، قال هيرب، «ثم، إذا كنتَ لا تزال بخير، سنعود إلى پاونال لبعض الوقت. لكننا سنزورك كل نهاية أسبوع».

«أريد أن أبقى مع ابني»، قالت ڤيرا بصخب.

«من الأفضل ألا تفعلي ذلك يا ماما»، قال جوني. خفّت الكآبة قليلاً، لكنه تذكَّر كم كانت نفسيته سوداء. إذا بدأت أمه تتكلّم عن الخطة العظيمة التي تخبئها له السماوات بينما هو في هذه الحالة، شكَّ أن يكون قادراً على كبْت ضحكاته الهستيرية.

«تحتاج إليَّ يا جون. تحتاج إليَّ لكي أشرح...».

«أحتاج أولاً إلى التماثل للشفاء»، قال جوني. «يمكنكِ أن تشرحي لي بعد أن أصبح قادراً على السير. اتفقنا؟».

لم تُجبه. اعترى وجهها تعبير عناد هزلي تقريباً - ما عدا أنه لم يكن هناك أي شيء مضحك فيه. *لا شيء على الإطلاق. لا شيء ما عدا مزحة من القدر، فقط لا غير. خمس دقائق قبل أو بعد على ذلك الطريق كانت لتغيّر كل شيء. الآن انظروا إلينا، قُضي علينا كلنا بشكل تام. وهي تصدِّق أنها خطة السماوات. أظن أنه ليس أمامها سوى تصديق ذلك وإلا فستُصاب بالجنون بالكامل.*

لكسر الصمت المُربك، قال جوني: «حسناً، هل أُعيد انتخاب نيكسون يا بابا؟ مَن ترشَّح ضده؟».

«أُعيد انتخابه»، قال هيرب. «ترشَّح ضد ماكغفرن».

«مَن؟».

«ماكغفرن. جورج ماكغفرن. سيناتور داكوتا الجنوبية».

«ليس مَسكي؟».

«لا. لكن نيكسون لم يعد الرئيس. لقد استقال».

«ماذا؟».

«كان كذّاباً»، قالت ڤيرا بصرامة. «تملّكه الغرور وأعادته السماوات إلى أرض الواقع».

«نيكسون استقال؟»، قال جوني بذهول. «*نيكسون؟*».

«كان أمامه إما الاستقالة أو الطرد»، قال هيرب. «كانوا يستعدون لعزله».

أدرَك جوني فجأة أن السياسة الأميركية شهدت بعض الاضطرابات الكبيرة والجذرية - بشكل مؤكد تقريباً نتيجة الحرب في فييتنام - وأن كل ذلك فاته. لأول مرة شَعَر حقاً أنه ريپ ڤان وينكل. كم تغيَّرت الأمور؟ كان خائفاً تقريباً من طرح السؤال. ثم خطرت بباله فكرة تقشعرّ لها الأبدان حقاً.

«أغنو... أغنو الرئيس؟».

«فورد»، قالت ڤيرا. «رجل صالح وصادق».

«*هنري فورد هو رئيس الولايات المتحدة؟*».

«ليس هنري»، قالت. «جيري».

راح يحدِّق من أحدهما إلى الآخر، أكثر من نصف مُقتنع أن كل هذا مجرّد حلم أو نكتة غريبة.

«أغنو استقال أيضاً»، قالت ڤيرا وقد زمَّت شفتيها حتى ابيضّتا. «كان لصاً. قَبِل رشوة في مكتبه دون أي حياء. هذا ما يقولونه».

«لم يستقل بسبب الرشوة»، قال هيرب. «بل بسبب بعض الفوضى في ميريلاند. أظن أنه كان غارقاً فيها حتى عنقه. نيكسون عيَّن جيري فورد ليصبح نائب الرئيس. ثم استقال نيكسون في أغسطس الفائت وتولّى فورد سدّة المسؤولية. وهو عيَّن نيلسون روكفلر ليكون نائب الرئيس. وهذا هو حالنا الآن».

«رجل مطلَّق»، قالت ڤيرا بتجهّم. «لا سمح الله أن يصبح الرئيس يوماً ما».

«ماذا فعل نيكسون؟»، سأل جوني. «يا إلهي، أنا...». ألقى نظرة سريعة على أمه التي اكفهرّ وجهها فوراً. «أعني، يا للهول، إذا كانوا سيعزلونه...

«لا داعي لأن تستخدم اسم السماوات عبثاً على مجموعة سياسيين فاسدين»، قالت ڤيرا. «السبب كان ووترغايت».

«ووترغايت؟ هل هذه عملية في فييتنام؟ شيء من هذا القبيل؟».

«فندق ووترغايت في واشنطن»، قال هيرب. «اقتحَم بعض الكوبيين مكاتب اللجنة الديموقراطية هناك وقُبض عليهم. عرَف نيكسون بشأن ذلك وحاوَل تغطية المسألة».

«هل تمزح؟»، تمكَّن جوني من أن يقول أخيراً.

«كانت الأشرطة»، قالت ڤيرا. «وذاك المدعو دين جون. ليس سوى جرذ يقفز من سفينة غارقة، هذا رأيي. واشٍ سوقيّ».

«بابا، هل يمكنك أن تشرح لي هذا؟».

«سأحاول»، قال هيرب، «لكنني لا أعتقد أن كل تفاصيل القضية انكشفت بعد. وسأُحضِر لك الكتب. صدر حوالي مليون كتاب عنها حتى الآن، وأظن أنه سيصدر مليونٌ آخر قبل أن تنتهي القضية أخيراً. قبل الانتخابات مباشرة، في صيف 1972...».

2

إنها العاشرة والنصف وقد رحل والداه. تم تعتيم الأضواء في الجناح. لا يستطيع جوني أن ينام. كل شيء يرقص في رأسه، خليطٌ مخيفٌ من معلومات جديدة. العالم تغيَّر بشكلٍ مدوٍ أكثر مما

ظنَّ أنه ممكن في هكذا وقت قصير. شَعَر أنه خارج مسار الأحداث والزمن.

ارتفعت أسعار البنزين حوالي مئة بالمئة، هكذا أخبَره أبوه. في وقت حادثه، كان يمكنك شراء غالون البنزين العادي بثلاثين أو اثنين وثلاثين سنتاً. أما السعر الآن فأربعة وخمسين سنتاً وأحياناً تكون هناك صفوف طويلة في محطّات الوقود. وأصبحت حدود السرعة القانونية في كل أرجاء البلاد ثمانية وثمانين كيلومتراً بالساعة وقد تظاهر سائقو الشاحنات البعيدة المدى ضد هذا القرار.

لكن كل ذلك ليس شيئاً يُذكر. فقد انتهت حرب فييتنام. الدولة هناك أصبحت شيوعية أخيراً. قال هيرب إن ذلك حصَل في نفس توقيت بدء إظهار جوني دلالاتٍ بأنه قد يخرج من غيبوبته. بعد كل تلك السنوات وسفك كل تلك الدماء، قلَبَ ورثة العمّ هُو الدولة مثل ملاءةٍ في غضون أيام.

زار رئيس الولايات المتحدة الصين الحمراء. ليس فورد، بل نيكسون. ذهبَ قبل أن يستقيل. نيكسون، من بين كل الناس. صيّاد المشعوِذات القديم نفسه. لو كان أي شخص آخر غير أبيه هو الذي أخبَره ذلك، لرفض جوني أن يصدِّق بشكل قاطع.

كان كل ذلك كثيراً جداً، مخيفاً جداً. فجأة لم يرغب بمعرفة المزيد، خوفاً من أن يُفقده ذلك أعصابه كلياً. ذلك القلم الذي يحمله الطبيب براون، ذلك القلم الخطّاط - كم عدد الأشياء الأخرى المماثلة له؟ مئات الأشياء الصغيرة، كلها توضّح الفكرة مراراً وتكراراً: لقد فقَدتَ جزءاً من حياتك، حوالي ستة بالمئة، إذا كان سيتم تصديق جداول تخمين المخاطر. لقد تخطاك الزمن. أغفَلك.

«جون؟»، قال صوت ناعم. «هل أنت نائم يا جون؟».

استدار. هناك صورة ظلّيّة معتمة واقفة عند المدخَل. رجل صغير ذو كتفَين مستديرين. إنه وايزاك.

«لا. أنا مستيقظ».

«أمَلتُ ذلك. هل يمكنني أن أدخل».

«نعم. تفضَّل رجاءً».

بدا وايزاك هذه الليلة أكبر سناً. جلَس قرب سرير جوني.

«كنتُ على الهاتف سابقاً»، قال. «اتصلتُ بمساعدة دليل الهاتف في كارمل، كاليفورنيا. طلَبتُ معرفة رقم سيدةٍ تدعى جوهانا بورنتز. هل تعتقد أن هناك هكذا رقم؟».

«إلا إذا لم يكن مذكوراً في دليل الهاتف أو ليس لديها هاتف من الأساس»، قال جوني.

«لديها هاتف. أُعطيتُ الرقم».

«آه»، قال جوني. شَعَر بالاهتمام لأن وايزاك يروق له، لكن هذا كان كل شيء. لم يشعر بحاجة إلى تأكيد صلاحية معرفته بجوهانا بورنتز، لأنه عرَف أنها معرفة صالحة - عرَف بنفس الطريقة التي عرَف بها أنه يستخدم يده اليمنى.

«جلَستُ لفترة طويلة أفكِّر بالمسألة»، قال وايزاك. «أخبَرتُك أن أمي ميتة، لكن هذا مجرّد افتراض حقاً. أبي مات دفاعاً عن وارسو. وأمي اختفت ببساطة، أليس كذلك؟ كان من المنطقي افتراض أنها قُتلَت في القصف... خلال الاحتلال... أنت تفهم. لم تظهر أبداً، لذا كان من المنطقي افتراض ذلك. فقدان الذاكرة... بصفتي طبيب أمراض عصبية يمكنني إخبارك أن الفقدان الدائم للذاكرة حالةٌ نادرةٌ جداً. على الأرجح نادرة أكثر من الفُصام الحقيقي. لم اقرأ أبداً عن حالة موثّقة دامت خمس وثلاثين سنة».

«شُفيَت من فقدان ذاكرتها منذ وقت طويل»، قال جوني. «أعتقد أنها حَجَبت كل شيء ببساطة. عندما عادت لها ذاكرتها، كانت متزوِّجة مجدداً وأماً لولدين... ربما ثلاثة. أصبح التذكُّر دائرة شعور بالذنب، ربما. لكنها تحلم بك. ‹الفتى بأمان›. هل اتصلت بها؟».

«نعم»، قال وايزاك. «طلَبتُها بشكل مباشر. هل تعرف أنه يمكنك فعل ذلك الآن؟ نعم. هذا شيء مريح حقاً. تطلب الرقم واحد، ثم رمز المنطقة، ثم الرقم نفسه. أحد عشر عدداً ويمكنك أن تصبح على تواصل مع أي مكان في البلاد. هذا شيء مدهش. شيء مخيف بطريقة ما. ردَّ فتى - لا، شابٌّ - على الهاتف. سألتُ إن كانت السيدة بورنتز في المنزل. سمِعتُه ينادي، «ماما، المكالمة لك». صوت خبطة السمّاعة على الطاولة أو المكتب أو مهما يكن. كنتُ أقف في بانغور، ماين، بعيداً أقل من ستين كيلومتراً عن المحيط الأطلسي وأستمع إلى شابّ يضع سمّاعة الهاتف على طاولة في بلدة على المحيط الهادئ. كان قلبي... يخفق بسرعة لدرجة أخافتني. بدا الانتظار طويلاً. ثم رَفَعت السمّاعة وقالت، ‹نعم؟ ألو؟›».

«ماذا قلتَ؟ كيف تولّيتَ الأمر؟».

«لم، مثلما تقول، أتولَّ الأمر»، رَدَّ وايزاك، وابتسم ابتسامة صفراء. «أغلَقتُ سمّاعة الهاتف. وتمنّيتُ لو معي شراب قوي، لكن لم يكن معي واحدٌ».

«هل شعرتَ بالرضى أنها كانت هي؟».

«جون، يا له من سؤال ساذج! كنتُ في التاسعة من عمري في العام 1939. لم أسمع صوت أمي منذ ذلك الوقت. كانت تتكلَّم البولندية فقط عندما كنتُ أعرفها. وأنا أتكلَّم الإنكليزية فقط الآن... لقد نسيتُ الكثير من لغتي الفطرية، وهو شيء مُخزٍ. كيف يمكن أن أشعر بالرضى بطريقة أو بأخرى؟».

«نعم، لكن هل *شعرتَ بالرضى*؟».

فَرَك وايزاك يده ببطء على جبهته. «نعم»، قال. «كانت هي. كانت أمي».

«لكنك لم تتمكن من التكلّم معها؟».

«لماذا عليَّ فعل ذلك؟»، سأل وايزاك بصوتٍ غاضبٍ تقريباً. «هي حرّة بحياتها، أليس كذلك؟ المسألة مثلما قلتَ. الفتى بأمان. هل يجب أن أُزعج امرأةً دخلت في سنوات سلامها؟ هل يجب أن أخاطر بتدمير توازنها إلى الأبد؟ مشاعر الذنب تلك التي ذكرتَها... هل يجب أن أُطلِق سراحها؟ أو حتى أخاطر بفعل ذلك؟».

«لا أعرف»، قال جوني. هذه أسئلة مزعجة، والأجوبة تتخطاه - لكنه شَعَر أن وايزاك يحاول قول شيء عما فعلَه عبر لفظه الأسئلة بوضوح. أسئلة لا يمكنه الإجابة عليها.

«الفتى بأمان، المرأة بأمان في كارمل. الدولة بينهما، وتركنا الوضع على ما هو عليه. لكن ماذا عنك يا جون؟ ماذا سنفعل بك؟».

«لا أفهم ماذا تقصد».

«هل عليَّ أن أُهجئها لك؟ الطبيب براون غاضب. غاضب مني، غاضب منك، وغاضب من نفسه، أظن، لنصف تصديقه شيئاً بقي متأكداً طوال حياته أنه مجرّد هُراء. الممرضة التي شهدت ما حصل لن تبقى صامتةً أبداً. ستُخبِر زوجها هذه الليلة على السرير، وقد تنتهي المسألة هناك، لكن زوجها قد يُخبِر مديره، ومن المحتمل جداً أن تشمّ الصحف رائحة هذا مساء الغد. ‹مريض غيبوبة يستيقظ مع بصيرة ثانية›».

«بصيرة ثانية»، قال جوني. «هل هذا ما لديَّ؟».

«لا أعرف ماذا لديك حقاً. هل أصبحتَ نفسانياً؟ عرّافاً؟ كلمات مفيدة لا تصف شيئاً، لا شيء على الإطلاق. لقد أخبَرتَ إحدى الممرضات أن الجراحة التي سيجريها ابنها في عينيه ستُكلَّل بالنجاح...».

«ماري»، همسَ جوني. ابتسم قليلاً. ماري تروق له.

«... وهذا الخبر انتشر في كل أرجاء المستشفى من قبل. هل رأيتَ المستقبل؟ هل هذا ما هي عليه البصيرة الثانية؟ لا أعرف. لقد وَضَعتَ صورةً لأمي بين يديك وكنتَ قادراً على إخباري أين تعيش اليوم. هل تعرف أين توجد الأشياء المفقودة وأين يمكن العثور على الأشخاص المفقودين؟ هل هذا ما هي عليه البصيرة الثانية؟ لا أعرف. هل يمكنك أن تقرأ الأفكار؟ أن تؤثر على كائنات العالم المادي؟ أن تداوي عبر لمسك بيديك؟ كل هذه أشياءٌ يسمّيها البعض ‹ظواهر نفسانية›. كلها مرتبطة بفكرة ‹البصيرة الثانية›. إنها أشياء يسخر منها الطبيب براون. يسخر؟ لا. لا يسخر. بل يستهزئ بها».

«على عكسك أنتَ؟».

«أتذكَّر إدغار كايسي وپيتر هوركوس. حاوَلتُ إخبار الطبيب براون عن هوركوس واستهزأ بي. لا يريد التكلّم عن الأمر؛ لا يريد المعرفة عنه».

لم يقل جوني شيئاً.

«لذا... ماذا سنفعل بك؟».

«هل يجب فعل شيء؟».

«أعتقد ذلك»، قال وايزاك. نهض. «سأتركك لتفكِّر بهدوء. لكن تذكَّر هذا: من الأفضل عدم رؤية بعض الأشياء، ومن الأفضل ترك بعض الأشياء مفقودة وعدم العثور عليها».

تمنّى لجوني أن يصبح على خير وتركه بهدوء. جوني مُتعَب جداً الآن، لكنه بقي أرِقاً لفترة طويلة.

الفصل التاسع

1

حُدِّد موعد الجراحة الأولى لجوني في 28 مايو. وقد شرح له وايزاك وبراون العملية بعناية. سيُعطى مخدِّراً موضعياً - لم يشعر كلاهما بضرورة المخاطرة باستخدام مخدِّر عام. ستكون هذه العملية الأولى على رُكبتَيه وكاحلَيه. ستتم إطالة أربطته، التي قصُرَت خلال نومه الطويل، بتركيبة من الألياف البلاستيكية العجائبية. البلاستيك الذي سيُستخدَم يُستخدم أيضاً في جراحة تخطي صمام القلب. لم يكن السؤال حول مدى تقبُّل أو رفض جسمه للأربطة الاصطناعية، أخبَره براون، بل حول قدرة رِجلَيه على التأقلم مع التغيير. إذا تحقّقت نتائج جيدة مع الرُكبتين والكاحلين فإن ثلاث عمليات أخرى تنتظره: واحدة للأربطة الطويلة في فخذَيه، واحدة لأربطة الكوع، وربما ثالثة لعنقه، الذي بالكاد يمكنه تحريكه. سيُجري الجراحة ريموند رُواپ، الذي ابتكر الأسلوب. سيأتي من سان فرانسيسكو خصيصاً لها.

«ماذا يريد رُواپ هذا مني، إذا كان نجماً مشهوراً إلى هذا الحد؟»، سأل جوني. نجم مشهور هو تعبير تعلّمه من ماري. فقد استخدَمته في إشارتها إلى مغنٍ أصلع يرتدي نظّارات يحمل الاسم البغيض إلتون جون.

«إنك تستخف بامتلاكك مميزات نجم مشهور أنت أيضاً»، أجابه براون. «هناك فقط حفنة من الأشخاص في الولايات المتحدة استيقظوا من غيبوبة طويلة كغيبوبتك. ومن بين تلك الحفنة، استيقاظك المترافق مع عدم وجود أضرار في الدماغ يُعتبر الحالة الأكثر جذرية ومُرضية».

كان سام وايزاك فظّاً أكثر. «أنت حقل تجارب، أليس كذلك؟».

«ماذا؟».

«نعم. انظر إلى الضوء، رجاءً». سلَّط وايزاك ضوءاً على بؤبؤ عين جوني اليسرى. «هل تعرف أنه يمكنني النظر إلى عصبك البصري مباشرةً بفضل هذا الشيء؟ نعم. العينان أكثر من مجرّد نافذة إلى الروح. إنهما إحدى أهم نقاط الصيانة للدماغ».

«حقل تجارب»، قال جوني بتجهّم وهو يحدِّق في نقطة الضوء الهمجية.

«نعم». انطفأ الضوء. «لا تشعر بأسف شديد على نفسك. العديد من الأساليب التي ستُستخدَم عليك - وبعضها استُخدِمَ من قبل - أُتقِنَت خلال حرب فييتنام. لا يوجد نقص بحقول التجارب في مستشفيات المحاربين القدامى، صح؟ ورجلٌ مثل رُواپ مهتم بك فقط لأنك فريد. فها هنا رجلٌ نام لأربع سنوات ونصف. هل يمكننا جعله يسير مرة أخرى؟ مشكلة مثيرة للاهتمام. إنه يرى الدراسة التي سيكتبها عنك في *مجلة نيو إنغلاند الطبية*. ويتطلّع إلى نشرها مثلما يتطلّع ولدٌ إلى فتح الألعاب الجديدة تحت شجرة احتفال الشتاء. إنه لا يراك، لا يرى جوني سميث في ألمه، جوني سميث الذي يجب أن يستخدم قَصرية السرير ويرنّ للممرضة لكي تحكّ له ظهره عند الحاجة. هذا جيد. لن ترتعش يداه. ابتسم يا جوني. رُواپ هذا يشبه موظف مصرف، لكنه على الأرجح أفضل جرّاح في أميركا الشمالية».

لكن جوني وجد صعوبة في الابتسام.

لقد قرأ طريقه بإخلاص عبر الكرّاسات التي تركتها له أمه. فقد أصابته بالاكتئاب وتركته خائفاً مرة أخرى على سلامة عقلها. إحداها، بقلم رجل يدعى سالم كيربان، صدمته بترقّبها الكبير لحصول نهاية دموية للعالم في حُفر الشواء في الجحيم. ووصفت كرّاسةٌ أخرى المشعوذ الدجّال القادم بمصطلحات مرعبة. أما الكرّاسات الأخرى فعبارة عن كرنفال مظلم من الجنون: صحون طائرة للمتخشّعين، نيويورك هي سدوم، ولوس أنجلوس هي عمورة. كانت تتعامَل مع طرد الأرواح الشريرة، مع المشعوِذات، مع كل أصناف الأشياء المنظورة وغير المنظورة. شَعَر أنه من المستحيل عليه أن يوفّق بين الكرّاسات وبين المرأة المتخشّعة التي عرفها قبل غيبوبته.

بعد ثلاثة أيام على واقعة تقديم وايزاك لمحة عن أمه، وقف مراسِل صحفي نحيل وداكن الشعر من صحيفة دايلي نيوز في بانغور يدعى دايفد برايت عند باب غرفة جوني وسأل إن كان يمكنه إجراء مقابلة قصيرة معه.

«هل سألت الأطباء؟»، سأل جوني.

ابتسم برايت. «في الواقع، لا».

«حسناً»، قال جوني. «في تلك الحالة، سيسرّني أن أتكلّم معك».

«أنت رجل مثلما يتمنّاه قلبي»، قال برايت. دخَل وجلس.

تمحورت أسئلته الأولى عن الحادث وعن أفكار جوني ومشاعره بشأن إفلاته من براثن الغيبوبة واكتشافه أنه أضاع حوالي نصف عقد من الزمن. أجاب جوني على تلك الأسئلة بأمانة وصراحة. ثم أخبَره برايت أنه سمِع من «مصدرٍ» أن جوني اكتَسَب نوعاً من الحاسة السادسة نتيجة الحادث.

«هل تسألني إن كنتُ نفسانياً؟».

ابتسم برايت وهزّ كتفيه. «هذا كافٍ في البداية».

فكَّر جوني جيداً بالأشياء التي قالها وايزاك. وكلما فكَّر أكثر، كلما بدا له أن وايزاك فعلَ الصواب تماماً عندما أغلَق سمّاعة الهاتف دون قول أي شيء. بدأ جوني يربط ذلك في ذهنه بقصة و. و. جاكوبز، «كفّ القرد». كان الكفّ للتمنّي، لكن الثمن الذي تدفعه لكل أمنية من أمانيك الثلاثة هو ثمن أسود. تمنّى العجوزان الحصول على مئة جنيه وفقدا ابنهما في حادث مطحنة - بلغَ تعويض المطحنة مئة جنيه بالضبط. ثم تمنّت العجوز أن يعود ابنها وقد عاد - لكن قبل أن تتمكّن من فتح الباب ورؤية الرعب الذي استدعته من قبره، استخدَم العجوز الأمنية الأخيرة ليعيده إلى قبره. مثلما قال وايزاك، ربما من الأفضل ترك بعض الأشياء مفقودة بدلاً من العثور عليها.

«لا»، قال. «لستُ نفسانياً أكثر منك».

«وفقاً لمصدري، أنت...».

«لا، هذا ليس صحيحاً».

ابتسم برايت بسخرية، وبدا أنه يفكّر في مواصلة الإلحاح على هذه المسألة، ثم قلبَ إلى صفحة جديدة في مفكرته. بدأ يسأل عن توقّعات جوني للمستقبل، مشاعره عن طريق العودة، وأجاب جوني على تلك الأسئلة أيضاً بأمانة قدر ما يستطيع.

«إذاً ماذا ستفعل عندما تخرج من هنا؟»، سأل برايت وهو يُغلق مفكرته.

«لم أفكّر في هذا حقاً. لا أزال أحاول التأقلم على فكرة أن جيرالد فورد هو الرئيس».

ضحِك برايت. «لستَ وحدك في هذا يا صديقي».

«أفترض أنني سأعود إلى التدريس. هذا كل ما أعرفه. لكن هذا لا يزال بعيداً جداً».

شَكَره برايت على المقابلة ورحل. ظهر المقال في الصحيفة بعد يومين، قبل يوم من الجراحة في رِجله، في أسفل الصفحة الأولى وبعنوان: «جون سميث، ريپ ڤان وينكل عصري، يواجه طريق عودة طويل». كانت هناك ثلاث صور، إحداها صورة جوني في كتاب ثانوية كليفز ميلز السنوي (التُقطَت قبل أقل من أسبوع من الحادث)، وصورة لجوني على سريره في المستشفى، يبدو نحيلاً ومفتولاً بذراعيه ورجليه في وضعيتهما الملتوية. وبين تلك الصورتين صورةٌ لسيارة الأجرة المدمَّرة كلياً تقريباً، جالسةً على جنبها مثل كلب ميت. لم يرد أي ذكر في مقال برايت عن الحاسة السادسة أو طاقات الاستبصار أو المواهب الجامحة.

«كيف استطعتَ تحييده عن مسألة الإدراك خارج الحواس؟»، سأله وايزاك ذلك المساء.

هزَّ جوني كتفيه. «بدا شاباً لطيفاً. ربما لم يرغب أن يصبغني بها».

«ربما لا»، قال وايزاك. «لكنه لن ينساها. ليس إذا كان مراسِلاً صحفياً بارعاً، وفهمتُ أنه بارع».

«فهمتَ؟».

«سألتُ عنه».

«تحاول حماية مصلحتي؟».

«كلنا نفعل ما بوسعنا، صح؟ هل أنت متوتر بشأن الغد يا جوني؟».

«لستُ متوتراً، لا. خائف هي كلمة دقيقة أكثر».

«نعم، بالطبع أنت خائف. أنا سأكون خائفاً لو كنتُ مكانك».

«هل ستكون هناك؟».

«نعم، في قسم المراقبة في غرفة العمليات. لن تكون قادراً على تمييزي عن الآخرين في الأثواب الخضراء، لكنني سأكون هناك».

«ارتدِ شيئاً»، قال جوني. «ارتدِ شيئاً لكي أعرفك».

نظرَ إليه وايزاك وابتسم. «حسناً. سأُشبك ساعتي بسترتي».

«جيد»، قال جوني. «ماذا عن الطبيب براون؟ هل سيكون هناك؟».

«الطبيب براون في واشنطن. سيقدّمك غداً لجمعية أطباء الأمراض العصبية. لقد قرأتُ مقاله. إنه جيد جداً. ربما مُبالَغ فيه».

«لم تتمّ دعوتك؟».

هزَّ وايزاك كتفيه. «لا أحبّ الطيران. هذا شيء يخيفني».

«وربما أردتَ أن تبقى هنا؟».

ابتسم وايزاك ابتسامة صفراء، وبسطَ يديه، ولم يقل شيئاً.

«لا يحبّني كثيراً، أليس كذلك؟»، سأل جوني. «الطبيب براون؟».

«لا، ليس كثيراً»، قال وايزاك. «يعتقد أنك تخدعنا. تختلق أشياء لسبب خاص بك. تريد لفت الانتباه، ربما. لا تحكم عليه بناءً على ذلك فقط يا جون. مزاجه يجعل من المستحيل عليه أن يعتقد خلاف ذلك. إذا أردتَ أن تشعر بأي شيء تجاه جيم، فاشعر ببعض الشفقة. إنه رجل رائع، وسيذهب بعيداً. لقد تلقّى عروضاً من قبل، وعما قريب سيسافر بعيداً عن تلك الغابات الشمالية الباردة ولن تعود بانغور تراه. سيذهب إلى هيوستن أو هاواي أو ربما حتى إلى باريس. لكنه محدود بفضول. إنه ميكانيكي أدمغة. لقد شرَّح الكثير من الأدمغة بمِبضَعه ولم يجد أي روح. لذا يعتقد أنها غير موجودة. مثل روّاد الفضاء الروس الذي داروا حول كوكب الأرض ولم يروا السماوات. إنها الفلسفة التجريبية للميكانيكي، والميكانيكي مجرّد ولد لديه تحكّم حركي متفوّق. لا يجب أن تُخبِره أبداً أنني قلتُ هذا».

«لا».

«والآن يجب أن تستريح. غداً يومك طويل.

2

كل ما رآه جوني من الطبيب رُواپ المشهور عالمياً خلال العملية هو زوج نظّارات ذات إطار عظمي سميك وبثرة كبيرة عند أقصى الجهة اليسرى لجبهة الرجل. أما الباقي فكان مغطى بقبعة وعباءة وقفّاز.

أُعطي جوني حُقنتين تحضيراً للعملية، إحداهما ديميرول والأخرى آلاتروبين، وعندما نُقل ممدَّداً على الحمّالة كان منتشياً عالياً مثل طائرة ورقية. اقتربت طبيبة التخدير حاملةً أكبر إبرة بروفوكاين رآها جوني في حياته. توقَّع أن تؤلمه الحقنة، ولم يكن مخطئاً. حُقن بين الفقرتين L4 وL5، الفقرتين القطنيتين الرابعة والخامسة أسفل الظهر، عند مستوى مرتفع كفاية لتجنُّب ذيل الفرس، حزمة الأعصاب تلك عند قاعدة العمود الفقري التي تشبه ذيل حصان تقريباً.

بقي جوني ممدَّداً على معدته وعضَّ ذراعه ليمنع نفسه من الصراخ.

بعد وقت بدا أنه لا ينتهي، بدأ الألم يخفّ إلى إحساس طفيف بالضغط. وإلا فإن النصف السفلي من جسمه زال كلياً.

لاح وجه رُواپ فوقه. قاطع الطريق الأخضر، فكَّر جوني في سرّه. جيسي جايمس في نظارات عاجيّة. مالَك أو حياتَك.

«هل أنت مرتاح يا سيد سميث؟»، سأل رُواپ.

«نعم. لكنني أفضِّل ألا أمرّ بهذه التجربة مرة أخرى قريباً».

«يمكنك أن تقرأ بعض المجلات إن أردتَ. أو يمكنك النظر في المرآة، إذا شعرتَ أن هذا لن يزعجك».

«حسناً».

«أيتها الممرضة، أعطني قياس ضغط الدم رجاءً».

«مئة وعشرون على ستة وسبعين أيها الطبيب».

«جميل. حسناً أيها الفريق، هلاّ بدأنا؟».

«اترك لي فخذاً»، قال جوني بضعف، وفاجأته الضحكة من صميم القلب. ربَّت رُواپ على كتفه المغطى بالملاءة بيدٍ مكسوةٍ بقفّازٍ رفيع.

راقَب رُواپ يأخذ مِبضَعاً ويختفي خلف الستائر الخضراء المعلَّقة فوق الطارة المعدنية المنحنية فوق جوني. كانت المرآة محدَّبة، وبإمكان جوني إلقاء نظرة جيدة نوعاً ما ولو مشوَّهة قليلاً على كل ما يجري.

«آه نعم»، قال رُواپ. «آه نعم، دي - دي - دي... هذا ما نريده... هَم - دي - هَم... حسناً... مشبك من فضلك أيتها الممرضة، هيا استيقظ هيا... نعم سيدي... الآن أعتقد أنني أريد أحد تلك... لا، مهلاً... لا تعطيني ما أطلبه، أعطيني ما أحتاج إليه... نعم، حسناً. حزام من فضلك».

بواسطة كُلاّب، سلَّمت الممرضة شيئاً إلى رُواپ بدا أنه حزمة أسلاك رفيعة مفتولة ببعضها. أمسكها رُواپ بعناية في الهواء بواسطة ملقط.

مثل عشاء إيطالي، فكَّر جوني في سرّه، *وانظروا إلى كل صلصة المعكرونة هذه*. هذا ما جَعَله يشعر بالغثيان، وأشاح بنظره. فوقه، على منصة المشاهدة، راحت بقية عصابة قاطعي الطرق تنظر إليه. بدت عيونهم شاحبة وعديمة الرحمة ومخيفة. ثم لمحَ وايزاك، الثالث من اليمين، وساعته معلَّقة بشكل أنيق بالجهة الأمامية لثوبه.

أومأ جوني برأسه.

أومأ له وايزاك برأسه.

هذا جَعَله يشعر بتحسّن طفيف.

3

أنهى رُواپ توصيل الروابط بين رُكبتَيه وربلتَيه، وقُلِب جوني. استمرت الأشياء. سألته طبيبة التخدير إن كان بخير. أخبَرها جوني أنه يعتقد أنه يشعر بخير بأفضل ما هو ممكن في هكذا ظروف. سألته إن كان يريد الاستماع إلى شريط وقال إن هذا سيكون لطيفاً جداً. بعد بضع لحظات، ملأ الصوت العذب لجوان بايز غرفة العمليات. أكمل رُواپ مهمته. شَعَر جوني بالنعاس وكبا.

عندما استيقَظ وجد أن العملية لا تزال جارية. ولا يزال وايزاك هناك. رفع له جوني يده وأومأ وايزاك برأسه مرة أخرى.

4

انتهت بعد ساعة. نُقل على الحمّالة إلى غرفة إنعاش بقيت فيها ممرضةٌ تسأله إن كان يمكنه إخبارها عن عدد أصابع قدميه التي تلمسها. استطاع جوني إخبارها ذلك بعد حين.

دخَل رُواپ وقناع قاطع الطريق الخاص به متدلّى عند جهةٍ.

«بخير؟»، سأل.

«نعم».

«سارت العملية بشكل جيد جداً»، قال رُواپ. «أنا متفائل».

«جيد».

«ستشعر ببعض الألم»، قال رُواپ. «بالكثير منه، ربما. العلاج نفسه سيُشعرك بالكثير من الألم في البدء. واظب عليه».

«واظب عليه»، تمتم جوني.

«طاب مساؤك»، قال رُواپ ورحل. على الأرجح، فكَّر جوني في سرّه، ليلعب جولة سريعة على ملعب الغولف المحلي قبل أن تُظلم كثيراً.

5

الكثير من الألم.

عند التاسعة مساءً، زال آخر مفعول البنج الموضعي، وأصبح جوني يتلوّى من الألم. كان ممنوعاً عليه تحريك رِجلَيه من دون مساعدة ممرضتين. شَعَر كما لو أنه تم لفّ حزامين مرصَّعين بالمسامير حول رُكبتَيه ثم أُحكمَ شدهما بوحشية. تباطأ الوقت إلى زحف قاتل. يلقي نظرة على

ساعته متأكداً أن ساعة مرَّت منذ آخر مرة تفقّدها فيها، ويرى بدلاً من ذلك أن أربع دقائق فقط مرَّت. أصبح متأكداً أنه لا يمكنه تحمّل الألم لدقيقة أخرى، ثم تمرّ الدقيقة، ويصبح متأكداً أنه لا يمكنه تحمّله لدقيقة أخرى.

راح يفكِّر بكل الدقائق المكدّسة أمامه، مثل عملات معدنية في أنبوب ارتفاعه ثمانية كيلومترات، وأقوى كآبة شَعَر بها يوم غمرته موجة عاتية وجرفته معها. سيعذِّبونه حتى الموت. عمليات على مِرفقَيه، فخذَيه، عنقه. علاج. جهاز مساعدة على السير، كراسي ذات عجلات، عكّاز.

ستشعر ببعض الألم... واظب عليه.

لا، أنت *واظب عليه*، فكَّر جوني في سرّه. *فقط اتركني وشأني. لا تقترب مني مرة أخرى بسكاكين الجزّار تلك. إذا كانت هذه هي فكرتك بالمساعدة، لا أريد أن أكون جزءاً منها.*

ألم مدوٍ متواصلٍ يحفر في لحمه.

دفء على بطنه، يتقاطر.

لقد بلَّل نفسه.

أدار جوني سميث وجهه نحو الجدار وراح يبكي.

6

بعد عشرة أيام على العملية الأولى وأسبوعين قبل موعد العملية التالية، رفع جوني نظره عن الكتاب الذي يقرأه - *كل رجال الرئيس* تأليف وودوارد وبيرنشتاين - ورأى سارة واقفةً عند المدخَل، وهي تنظر إليه بتردّد.

«سارة»، قال. «هذه أنتِ، أليس كذلك؟».

زفرت نَفَسها بتزعزع. «نعم. هذه أنا يا جوني».

وَضَع الكتاب من يديه ونظرَ إليها. بدت أنيقة في فستانها الكتّان الأخضر الفاتح وهي تُمسك حقيبة بنّية صغيرة أمامها مثل درعٍ. كانت قد وَضَعت مسحةً في شعرها وبدت جيدة. كما جَعَله هذا يشعر بغيرة حادّة قاتلة - هل هذه فكرتها أم فكرة الرجل التي تعيش وتنام معه؟ كانت جميلة.

«تفضّلي»، قال. «تفضّلي واجلسي».

اجتازت الغرفة وفجأة رأى نفسه مثلما تراه بلا شكّ - نحيل جداً، جسمه منهار قليلاً إلى إحدى الجهتين على الكرسي قرب النافذة، رِجلاه ممدودتان بشكل مستقيم على مسند القدمين، يرتدي ثوب المستشفيات ورداء حمّام رخيص.

«مثلما ترين فقد ارتديتُ بذلة سهرتي»، قال.

«مظهرك لائق». قبَّلت خده وتراءت مئة ذكرى بشكل ساطع في ذهنه مثل حزمة مُضاعَفة من أوراق اللعب. جلَست على الكرسي الآخر، وضعت ساقاً فوق ساق، وشدَّت حاشية فستانها.

راحا ينظران إلى بعضهما البعض دون قول أي شيء. رأى أنها متوتّرة جداً. إذا لمسها أحدهم على كتفها، فقد تنتفض عن مقعدها على الأرجح.

«لم أعرف إن كان يجب أن آتي»، قالت، «لكنني أردتُ ذلك حقاً».

«أنا مسرور أنك أتيت».

مثل غرباء في حافلة، فكّر في سرّه بتجهّم. *يجب أن يكون الأمر أكثر من هذا، أليس كذلك؟*

«إذاً كيف حالك؟»، سألت.

ابتسم. «لقد خضتُ الحرب. هل تريدين رؤية ندبات معركتي؟». رفع ثوبه فوق رُكبتَيه مُظهراً لها الشقوق المتعرّجة التي بدأت تلتئم الآن. كانت لا تزال حمراء ومخطَّطة بالغُرَز.

«آه، يا إلهي، ماذا *يفعلون* بك؟».

«إنهم يحاولون إعادة تركيب همبتي دمبتي مرة أخرى»، قال جوني. «كل أحصنة الملك، كل رجال الملك، وكل أطباء الملك. لذا أظن...»، ثم سكتَ، لأنها كانت تبكي.

«لا تتكلَّم بهذه الطريقة يا جوني»، قالت. «لا تتكلَّم بهذه الطريقة رجاءً».

«آسف. كانت مجرّد... كنتُ أحاول أن أمزح عن وضعي». هل كان هذا حقاً؟ هل كان يحاول إضحاكها أم مجرّد طريقة ليقول لها، *شكراً لقدومك لرؤيتي، إنهم يقطّعونني إلى قِطع؟*

«هل يمكنك؟ هل يمكنك أن تمزح عنه؟». كانت قد أخرجت منديلاً من حقيبتها وراحت تمسح عينيها به.

«ليس كثيراً. أظن رؤيتك مرة أخرى... ارتفعت الدفاعات يا سارة».

«هل سيُخرجونك من هنا؟».

«في نهاية المطاف. هذا يشبه المرور بين صفّين من المعاقِبين في الأيام الخوالي، هل قرأت عن هذا يوماً؟ إذا بقيتُ حيّاً بعد أن يلوِّح كل هندي في القبيلة فأسه عليَّ، سيدعونني أذهب بسلام».

«هذا الصيف؟».

«لا... لا أعتقد».

«يؤسفني جداً أنه حصَل»، قالت بصوتٍ منخفضٍ لدرجة أنه بالكاد استطاع سماعه. «أحاول معرفة السبب... أو كيف كانت الأمور ستتغيَّر... وهذا يسرق النوم من عينيَّ. لو لم آكل قطعة النقانق السيئة تلك... لو بقيتَ عندي بدلاً من العودة...». هزَّت رأسها ونظرت إليه بعينين حمراوين. «يبدو أحياناً أنه لا فائدة».

ابتسم جوني. «صفر مزدوج. الكشك يربح. مهلاً، هل تتذكَّرين ذلك؟ لقد هزمتُ تلك العجلة يا سارة».

«نعم. فزتَ بأكثر من خمسمئة دولار».

نظرَ إليها وهو لا يزال يبتسم، لكن الابتسامة ارتبكت الآن، جُرحَت تقريباً. «هل تريدين معرفة شيء مضحك؟ يظنّ أطبائي أن سبب نجاتي على الأرجح هو تعرّضي لإصابة ما في الرأس عندما كنتُ يافعاً. لكن لا يمكنني تذكُّر تعرّضي لأي إصابة، وكذلك أمي وأبي. لكن يبدو أنه كلما فكَّرت في ذلك، تعود صورة عجلة الحظ إلى ذهني... ورائحة تشبه مطاطاً يحترق».

«ربما تعرَّضتَ لحادث سيارة...»، بدأت تقول بارتياب.

«لا، لا أعتقد ذلك. لكن كما لو أن العجلة كانت تحذيري... وقد تجاهلتُه».

تململت قليلاً وقالت بانزعاج، «لا يا جوني».

هزَّ كتفيه. «أو كان ربما فقط أنني استنفَدتُ أربع سنوات من الحظ في ليلة واحدة. لكن انظري إلى هذا يا سارة». رفع رِجلاً عن مسند القدمين بعناية، بألم، وثناها إلى زاوية تسعين درجة، ثم عاد ومدَّدها على مسند القدمين مرة أخرى. «ربما يمكنهم إعادة تجميع همبتي مرة أخرى. عندما استيقَظتُ، لم أكن قادراً على فعل هذا، ولم أكن قادراً على بسط رِجليَّ مثلما أفعل الآن أيضاً».

«ويمكنك أن تفكِّر يا جوني»، قالت. «يمكنك أن تتكلَّم. كلنا ظننا أنك... أنت تعرف».

«أجل، جوني النبتة». ساد صمتٌ بينهما مرة أخرى، مُربكٌ وثقيلٌ. كسره جوني بقوله بابتهاج مصطنع، «إذاً كيف الأحوال معك؟».

«جيدة... لقد تزوجت. أظن أنك عرَفت ذلك».

«أخبَرني أبي».

«إنه رجل رائع»، قالت سارة. ثم أضافت بحدّة، «لم أستطع الانتظار يا جوني. هذا يؤسفني أيضاً. قال الأطباء إنك لن تستيقظ أبداً، وأنك ستغوص أكثر فأكثر إلى أن... تزول نهائياً. وحتى لو عرفتُ...». رفعت نظرها إليه وعلى وجهها تعبير دفاعي مرتبك. «حتى لو عرفتُ يا جوني، لا أعتقد أنني كنتُ سأستطيع الانتظار. أربع سنوات ونصف مدة طويلة».

«نعم، مدة طويلة»، قال. «إنها مدة طويلة حقاً. هل تريدين سماع شيء مَرَضي؟ جعلتهم يُحضرون لي أربع سنوات من مجلات الأخبار فقط لكي أتمكَّن من رؤية مَن مات. ترومان. جانيس جوپلن. جيمي هندريكس - يا إلهي، تذكّرتُه يُنجز «الضباب الأرجواني» وبالكاد استطعتُ تصديق الخبر. دان بلوكر. وأنتِ وأنا. تباعدنا وحسب».

«هذا يُحزنني كثيراً»، قالت بهمس تقريباً. «أشعر بذنب كبير. لكنني أحبّ الرجل يا جوني. أحبّه كثيراً».

«حسناً، هذا هو المهم».

«يدعى والت هازليت، وهو...».

«أعتقد أنني أفضِّل أن أسمع عن ابنك»، قال جوني. «لا أقصد التقليل من شأنه، واضح؟».

«إنه شخص محبوب»، قالت مبتسمةً. «عمره سبعة أشهر الآن. يدعى دينيس لكننا نناديه دينيه. سمّيناه على اسم جَدّه لأبيه».

«أحضِريه أحياناً. أحبّ رؤيته».

«سأفعل»، قالت سارة، وابتسما لبعضهما البعض بشكل كاذب، وهما يعرفان أن شيئاً من هذا القبيل لن يحصل أبداً. «جوني، هل هناك أي شيء تحتاج إليه؟».

فقط أنتِ يا حبيبتي. وأن تعود السنوات الأربعة والنصف الأخيرة.

«لا»، قال. «ألا تزالين تدرِّسين؟».

«لا أزال أدرّس، لبعض الوقت فقط»، وافَقت.

«ألا تزالين تتعاطين ذلك الكوكايين الخبيث؟».

«آه يا جوني، لم تتغيَّر. نفس المغيظ القديم».

«نفس المغيظ القديم»، وافَق، وساد صمتٌ بينهما مرة أخرى مع دويّ مسموع تقريباً.

«هل يمكنني أن أزورك مرة أخرى؟».

«بالتأكيد»، قال. «هذا سيكون رائعاً يا سارة». تردَّد، فلم يرغب أن ينتهي حديثهما بشكل غير حاسم، لم يرغب أن يؤذيها أو يؤذي نفسه إذا كان بمقدوره ذلك. أراد أن يقول شيئاً صادقاً.

«سارة»، قال، «لقد فعلتِ الصواب».

«هل فعلتُ الصواب حقاً؟»، سألت. ابتسمت، وارتعَشت الابتسامة عند زوايا فمها. «أتساءل. يبدو كل ذلك وحشياً و... لا يمكنني منع نفسي، *خاطئاً* جداً. أحبّ زوجي وطفلي، وعندما يقول والت إننا سنعيش يوماً ما في أفخم منزل في بانغور، أصدِّقه. يقول إنه سيترشَّح يوماً ما لمقعد بيل كوهين في مجلس النواب، وأصدِّق ذلك أيضاً. يقول إن شخصاً من ماين سيُنتخَب رئيساً يوماً ما، ويمكنني أن أصدِّق ذلك تقريباً. ثم أدخل إلى هنا وأرى رِجلَيك المسكينتين...»، بدأت تبكي مرة أخرى الآن. «تبدوان كما لو أنهما دخلتا خلاّطاً أو شيئاً من هذا القبيل وتبدو نحيلاً جداً...».

«لا يا سارة، لا».

«أنت نحيل جداً ويبدو هذا خطأ ووحشياً و*أكره* ذلك، *أكره* ذلك، لأنه ليس عدلاً أبداً، كله!».

«أظن أن لا شيء عادل أحياناً»، قال. «الحياة شاقة. على المرء أن يفعل ما بوسعه أحياناً ويحاول أن يتعايش مع الأمر. كوني سعيدة في حياتك يا سارة. وإذا أردتِ يوماً زيارتي ورؤيتي، تعالي بلا تردّد. وأحضِري معك لوح لعبة الكريبج».

«سأفعل»، قالت. «آسفة أنني بكيتُ. ليس أمراً رافعاً للمعنويات لك، أليس كذلك؟».

«لا تقلقي»، قال وابتسم. «عليك الإقلاع عن ذلك الكوكايين يا عزيزتي. سيسقط أنفك».

ضحِكت قليلاً. «جوني القديم نفسه»، قالت. انحنت فجأة وقبَّلت فمه. «آه يا جوني، بالشفاء العاجل».

نظرَ إليها بتبصّر وهي تبتعد.

«جوني؟».

«لم تتركيه»، قال. «لا، لم تتركيه أبداً».

«أترك ماذا؟»، قالت وهي تعبس من الحيرة.

«خاتم زواجك. لم تتركيه في مونتريال».

كان قد وَضَع يده على جبهته وبدأ يفرك بأصابعه البقعة التي فوق عينه اليمنى. ألقت ذراعه ظلاً ورأت بشيء يشبه كثيراً الخوف المصدِّق للخرافات أن وجهه نصف مضاء ونصف معتم. ذكّرها هذا بقناع الهالووين الذي أخافها به. لقد أمضت شهر العسل مع والت في مونتريال، لكن كيف استطاع جوني معرفة ذلك؟ إلا إذا أخبَره هيرب على الأرجح. نعم، لقد أخبره بكل تأكيد. لكن هي ووالت فقط يعرفان أنها أضاعت خاتم زواجها في مكان ما في غرفة الفندق. لا أحد غيرهما يعرف لأنه اشترى لها خاتماً آخر قبل أن يعودا إلى منزلهما. كانت مُحرَجة جداً لتُخبر أي شخص، حتى أمها.

«كيف...».

عبس جوني عميقاً، ثم ابتسم لها. سقطت يده عن جبهته وشبكت أختها التوأم على حُضنه.

«لم يكن قياسه صحيحاً»، قال. «كنتِ توضبين الحقائب، ألا تتذكَّرين يا سارة؟ كان قد خرج ليشتري شيئاً وكنتِ توضبين الحقائب. خرَج ليشتري... يشتري... لا أعرف. إنه في المنطقة الميتة».

المنطقة الميتة؟

«خرَج إلى متجر نثريات واشترى مجموعة كبيرة من التذكارات السخيفة. وسائد تُصدر أصوات إطلاق ريح عند الجلوس عليها وأشياء مماثلة. لكن كيف عرفت يا جوني أنني أضعتُ...».

«كنتِ توضبين الحقائب. لم يكن قياس الخاتم صحيحاً، بل كان كبيراً جداً. وكنتِ ستهتمين بالأمر عندما تعودين. لكن إلى أن تعودي، قمتِ... قمتِ...». بدأ ذلك العبوس المُحتار يعود، ثم زال فوراً. ابتسم لها. «قمتِ بحشوه مع ورق المرحاض!».

لا مفرّ من الخوف الآن. أخذ يتراكم بكسل في معدتها مثل الماء البارد. تسلَّلت يدها إلى حنجرتها وراحت تحدِّق فيه، كأنها منوَّمة مغنطيسياً تقريباً. *لديه نفس النظرة في عينيه، نفس تلك النظرة المستمتعة الباردة التي علت وجهه عندما كان يهزم العجلة تلك الليلة. ما الذي حصل لك يا جوني؟ ما أنت؟* لقد أظلَمَ أزرق عينيه إلى بنفسجي تقريباً، وبدا شارداً. أرادت أن تهرب. الغرفة نفسها بدت أنها تُظلم، كما لو أنه يمزِّق قماش الواقع بطريقة أو بأخرى، يمزِّق الروابط بين الماضي والحاضر.

«لقد انزلَق من إصبعك»، قال. «كنتِ تضعين عدّة حلاقته في إحدى تلك الجيوب الجانبية وانزلَق ببساطة. لم تلاحظي أنك أضعته إلا لاحقاً، لذا اعتقَدتِ أنه في مكان ما في الغرفة». ضحِك ضحكةً عاليةً رنّانةً منتشيةً - ليست ضحكة جوني الاعتيادية أبداً - بل ضحكةً باردةً... باردةً. «تباً، لقد قلبتما تلك الغرفة رأساً على عقب. لكنك وضّبته. لا يزال في جيب حقيبة السفر تلك. طوال هذا الوقت. اصعدي إلى العليّة وابحثي يا سارة. سترين».

في الرواق في الخارج، أوقع أحدهم كوب ماء أو شيئاً وشتَمَ متفاجئاً عندما انكسر. ألقى جوني نظرة سريعة نحو الصوت، وصفا نظره. التفَت إلى الوراء، رآها جامدة النظرات، وعبَس من الهمّ.

«ماذا؟ سارة، هل قلتُ أي شيء خطأ؟».

«كيف عرفتَ؟»، همَست. «كيف يمكنك معرفة هذه الأشياء؟».

«لا أدري»، قال. «سارة، آسف إن كنتُ...».

«جوني، عليَّ أن أذهب. دينيه مع الجليسة».

«حسناً. سارة، آسف أنني أزعجتُك».

«كيف يمكنك أن تعرف عن خاتمي يا جوني؟».

لم يكن بوسعه إلا أن يهزّ رأسه.

7

في منتصف رواق الطابق الأول، بدأ ينتابها شعور غريب في معدتها. وجَدت حمّام السيدات في الوقت المناسب. أسرعَت بدخوله، وأغلقت باب إحدى الحُجيرات، وتقيأت بعنف. شطفت خلفها ثم وَقَفت ترتعش مُغمضةً عينيها، لكن على وشك أن تضحك أيضاً. آخر مرة رأت فيها جوني، تقيأت أيضاً. عدالة صارمة؟ أقواس في الزمن، مثل مساند الكتب؟ وَضَعت يديها على فمها لتكبت الشيء الذي قد يحاول الخروج منه - ضحكة أو ربما صرخة. وبدا لها في الظلمة أن العالم يميل بشكل غير عقلاني، مثل طبقٍ، مثل عجلة حظ تدور.

8

لقد ترَكت دينيه مع السيدة لابَلّ، لذا عندما وصلت إلى المنزل وجدته صامتاً وفارغاً. صعدت السُلَّم الضيق إلى العليّة وضغطت الزر الذي يتحكَّم باللمبتين المتدلّيتين العاريتين. أمتعتهما مكدَّسة في إحدى الزوايا، ولا تزال ملصقات الرحلة إلى مونتريال مُلصقة على جانبَي حقائب السفر البرتقالية. كانت ثلاثتها هناك. فتَحت الأولى، وراحت تتحسَّس داخل الجيوب الجانبية المطاطية، ولم تجد شيئاً. في الثانية أيضاً. وفي الثالثة.

أخذت نَفَساً عميقاً ثم زفرته، وشعرت بالغباء وببعض خيبة الأمل - لكنها شعرت بالراحة في الأغلب. براحة كبيرة. لا خاتم. آسفة يا جوني. لكن من جهة أخرى، لستُ آسفة أبداً. كان الأمر ليبدو مخيفاً قليلاً خلاف ذلك.

بدأت تعيد جرّ حقائب السفر إلى مكانها بين كومة طويلة من كتب والت الجامعية القديمة ومصباح الأرضية الذي أوقعه كلب تلك المرأة المجنونة أرضاً والذي لم تملك سارة العزم لرميه أبداً. وبينما راحت تنفض الغبار عن يديها تحضيراً لتضع المسألة بأكملها خلفها، همَس لها صوتٌ صغيرٌ بعيدٌ داخلها، بنبرة منخفضة بالكاد يمكن سماعها، *بحثٌ سريعٌ نوعاً ما، أليس كذلك؟ لم ترغبي بإيجاد أي شيء حقاً، أليس كذلك يا سارة؟*

لا. لا، لم ترغب حقاً بإيجاد أي شيء. وإذا ظنَّ ذلك الصوت الخافت أنها ستفتح كل حقائب السفر تلك مرة أخرى، فهو مجنون. لقد تأخرت خمس عشرة دقيقة عن إحضار دينيه. ووالت سيُحضِر معه على العشاء في المنزل أحد الشركاء الرئيسيين في شركته (شخصية مهمة جداً)، وهي تَدين لبيتي هاكمان برسالة - من فيلق السلام في أوغندا، تزوَّجت بيتي مباشرة دون خطوبة ابن مربّي أحصنة فاحش الثراء في كنتاكي. عليها أيضاً أن تنظِّف الحمّامين، وتصفِّف شعرها، وتحمِّم دينيه. هناك أمور كثيرة حقاً عليها إنجازها أكثر أهمية من التسكّع في هذه العليّة القذرة الحارة اللعينة.

لذا فتحت كل حقائب السفر الثلاثة مرة أخرى وبحَثت هذه المرة في الجيوب الجانبية بعناية فائقة، ووجَدت خاتم زواجها مخبأً في قعر زاوية حقيبة السفر الثالثة. رفعته إلى وهج إحدى اللمبات العارية وقرأت النقش داخله، الذي لا يزال حديثاً مثلما كان يوم وضعَ والت الخاتم في إصبعها: والتر وسارة هازليت - 9 يوليو 1972.

بقيت سارة تتأمله لفترة طويلة.

ثم أعادت حقائب السفر إلى مكانها، أطفأت الأضواء، وعادت إلى الطابق السفلي. خلعت فستانها الكتّانيّ الذي أصبح ممتلئاً بالغبار، وارتدت سروالاً فضفاضاً وكنزة خفيفة. ذهَبت إلى منزل السيدة لابَلّ في آخر الشارع وأخذت ابنها. عادا إلى المنزل ووَضَعت سارة دينيه في غرفة الجلوس، حيث راح يزحَف بنشاط بينما حضَّرت المشاوي وقشَّرت بعض حبّات البطاطا. بعدما وضعت المشاوي في الفرن، دخَلت غرفة الجلوس ورأت أن دينيه نام على السجادة. رَفَعته ووضعته في مَهده. ثم بدأت تنظّف المرحاضين. ورغم كل شيء، رغم تسارُع الساعة نحو وقت العشاء، لم يجِد ذهنها عن الخاتم أبداً. لقد عرَف جوني. حتى يمكنها أن تحدِّد بدقة اللحظة التي تراءت له تلك المعرفة. عندما قبَّلته قبل أن تغادر.

مجرّد التفكير فيه جَعَلها تشعر بالضعف والغرابة، ولم تكن متأكدةً من السبب. كل شيء مشوَّش في ذهنها. ابتسامته الصفراء التي لا تزال على سابق عهدها، جسمه الذي تغيَّر بشكل رهيب وقد أصبح نحيلاً جداً، الطريقة الخالية من الحياة لشعره على فروة رأسه التي تتباين كثيراً مع الذكريات الغنية التي لا تزال لديها عنه. لقد *أرادت* تقبيله.

«توقفي»، همسَت لنفسها. بدا وجهها في مرآة الحمّام وجهَ شخص غريب. مغسول وحارّ و - لنعترف بالواقع، جذّاب.

أطبقت يدها على الخاتم في جيب سروالها الفضفاض، وقبل أن تُدرك تقريباً - لكن ليس تماماً - ماذا كانت ستفعل، رمته في الماء النظيف المائل إلى الأزرق لكرسي المرحاض. ماء نظيف متلألئ بحيث أنه إذا أراد السيد تراتشس من شركة باريبولت، تراتشس، مُورهاوس، وجِندرون أن يبوِّل خلال العشاء، لن يستاء من أي حلقة بشعة حول كرسي المرحاض، مَن يعرف ما هي العقبات التي قد تعترض طريق شابّ في مسيرته نحو مجلس المستشارين العظماء، صح؟ مَن يعرف أي شيء في هذا العالم؟

أحدَثَ طرطشة صغيرة جداً وغرِق ببطء إلى قعر الماء الصافي، وراح يتشقلب بكسل مراراً وتكراراً. اعتقَدت أنها سمِعت قرقعةً خافتةً عندما ارتطم بالخزف في الأسفل، لكن هذه مخيّلتها فقط على الأرجح. راح رأسها يدوّي. فالعليّة حارّة وبالية ومتعفِّنة. لكن قبلة جوني كانت عذبة. عذبة جداً.

قبل أن يمكنها التفكير بما كانت ستفعل (وقبل أن يتسنّى الوقت ليعيد المنطق فرض نفسه)، مدَّت يدها وشطفت المرحاض. صدرَ دويٌّ وزئيرٌ. بدا صاخباً أكثر من العادة، ربما لأنها كانت قد أغمضت عينيها. عندما فتَحتهما، كان الخاتم قد اختفى. لقد ضاع من قبل، وقد ضاع مرة أخرى الآن.

شَعَرت بوهنٍ في رِجلَيها فجأة وجلَست على حافة المغطس ووضعت يديها على وجهها. وجهها الحارّ جداً. لن تعود وترى جوني مرة أخرى. هذه ليست فكرة جيدة. فقد أزعجتها. والت سيُحضِر شريكاً رئيسياً معه إلى المنزل ولديها زجاجة موندافي وصينية مشاوي كاسرة للميزانية، هذه هي الأشياء التي عليها أن تفكِّر فيها. عليها أن تفكِّر في مقدار حبّها لوالت، وفي دينيه النائم في مَهده. عليها أن تفكِّر في كيفية اضطرار المرء إلى التعايش مع خياراته بعدما يتّخذها في هذا العالم المجنون. ليس عليها أن تفكِّر في جوني سميث وابتسامته الصفراء الفاتنة بعد الآن.

9

كان العشاء تلك الليلة ناجحاً نجاحاً باهراً.

الفصل العاشر

1

وصفَ الطبيب لڤيرا سميث دواءً لضغط الدم يدعى هايدروودايرل. لم يخفِّض لها ضغط دمها كثيراً («ليس قيد أنملة»، كانت مولَعةً أن تكتب في رسائلها)، لكنه جعلها تشعر بالغثيان والضعف. فأصبحت مضطرة أن تجلس وتستريح بعد تنظيف الأرض بالمكنسة الكهربائية. وصعود الدرج يجعلها تتوقف عند الأعلى وتلهث مثل كلب صغير بعد ظهر يوم حارّ في أغسطس. لو لم يُخبرها جوني أن الدواء لصالحها، لكانت رمت الحبوب من النافذة فوراً.

جرَّب طبيبها أن يصف لها دواء آخر، لكنه جَعَل قلبها ينبض بسرعة مخيفة فتوقفت عن تناوله.

«هذا إجراء يعمل بطريقة التجربة والخطأ»، قال الطبيب. «سنحلّ المسألة في نهاية المطاف يا ڤيرا. لا تقلقي».

«أنا لا أقلق»، قالت ڤيرا. «ثقتي كبيرة بالسماوات».

«نعم، بالطبع. هكذا يجب أن تكون أيضاً».

في نهاية يونيو، استقرّ الطبيب على تركيبة من هايدروودايرل ودواء آخر يدعى ألدومَت - حبوب صفراء ضخمة مُكلِفة بغيضة. عندما بدأت تأخذ الدواءين معاً، بدا لها أن عليها أن تبوّل كل خمس عشرة دقيقة. أخذ يصيبها صُداعٌ. وخفقان في القلب. قال طبيبها إن ضغط دمها انخفض إلى النطاق العادي من جديد، لكنها لم تصدِّقه. ما نفع الأطباء، على أي حال؟ انظروا إلى ما فعلوه بجوني، قطّعوه كأنه قطعة لحم، ثلاث عمليات حتى الآن، وأصبح يشبه وحشاً بكل تلك الغُرَز في ذراعيه ورجليه وعنقه، ولا يزال غير قادر على التنقّل من دون جهاز المساعدة على السير، مثل

ذاك الذي اضطرت العجوز سيلفستر إلى استخدامه. لو انخفض ضغط دمها حقاً، لماذا تشعر بهذا الضعف طوال الوقت؟

«عليكِ إعطاء جسمك الوقت الكافي لكي يعتاد على الدواء»، قال جوني. حصل ذلك في أول سبت من يوليو عندما جاء والداه لزيارته في عطلة نهاية الأسبوع. كان جوني قد عاد للتو من جلسة العلاج بالماء ويبدو شاحباً ومُنهَكاً، ويحمل في كل يد كُرة رصاصية صغيرة يرفعها ثم يُخفضها إلى حُضنه بينما تكلَّموا، لكي يثني مِرفقَيه وينمّي عضلاته ذات الرأسين وعضلاته الثلاثية الرؤوس. راحت الندبات المتماثلة للشفاء على طول مِرفقَيه وساعدَيه مثل شرطاتٍ تتوسَّع وتتقلَّص.

«ضع ثقتك في السماوات يا جوني»، قالت ڤيرا. «لا داعي لكل هذه الحماقة. ضع ثقتك في السماوات وستساعدك».

«ڤيرا...»، بدأ هيرب يقول.

«توقّف. هذه *حماقة!* ألا يقول مرجع الحكم القديمة، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم؟ لا داعي لكي آخذ ذلك الدواء الشرير ولا داعي لكي يترك ابني الأطباء يواصلون تعذيبه. هذا خطأ، هذا غير مفيد، وهو *عمل آثم!*».

وَضَع جوني الكُرات الرصاصية على السرير. كانت عضلات ذراعيه ترتعش. شَعَر بالغثيان في معدته وبالإنهاك والحنق فجأة من أمه.

«السماوات تساعد الذين يساعدون أنفسهم»، قال. «أنتِ لا تريدين السماوات على الإطلاق يا ماما. تريدين جنيّاً عجيباً يخرج من فانوس ويمنحك ثلاث أمنيات».

«جوني!».

«حسناً، هذا صحيح».

«لقد زرع أولئك الأطباء هذه الفكرة في ذهنك! كل هذه الأفكار المجنونة!». راحت شفتاها ترتعشان؛ وجحظت عيناها لكنهما لم تدمعا. «لقد أخرجتك السماوات من تلك الغيبوبة لكي تحقّق مشيئتها يا جون. وأولئك الآخرون، إنهم فقط...».

«فقط يحاولون إعادتي واقفاً على قدميَّ لكي لا أضطر إلى تحقيق مشيئة السماوات من كرسي ذي عجلات بقية حياتي».

«دعونا لا نناقش هذا»، قال هيرب. «لا يجب أن تتجادل العائلات». ولا يجب أن تهبّ الأعاصير، لكنها تهبّ كل سنة، ولا شيء يمكنه أن يقوله سيوقف ذلك. كان آتياً.

«إذا وَضَعت ثقتك في السماوات يا جوني...»، بدأت ڤيرا تقول دون أن تعير أي انتباه لما قاله هيرب.

«لم أعد أثق بأي شيء بعد الآن».

«يؤسفني سماعك تقول هذا»، قالت بصوت صارم وبعيد. «وكلاء إبليس في كل مكان. سيحاولون حرف أنظارك عن مصيرك. يبدو أنهم يحقّقون نجاحاً حقيقياً في ذلك».

«أنتِ مصرّة على استخلاص... شيء أبديّ من هذا، أليس كذلك؟ سأُخبِرك ماذا كان، كان حادثاً غبياً، ولدان يتسابقان وصدفَ أنني تحوّلتُ إلى لحم نقانق. هل تعرفين ماذا أريد يا ماما؟ أريد الخروج من هنا. هذا كل ما أريده. وأريدك أن تواصلي تناول دوائك و... وأن تحاولي إعادة وضع قدمَيك على الأرض. هذا كل ما أريده».

«أنا ذاهبة». نهضت. كان وجهها شاحباً ومرهَقاً. «سأصلّي لك يا جوني».

نظرَ إليها عاجزاً، مُحبَطاً، حزيناً. لقد زال غضبه. فقد صبّه عليها. «استمري بتناول دوائك!»، قال.

«أصلّي أن ترى النور».

خرجت من الغرفة بوجه جامد ومتجهّم كالحجر.

نظرَ جوني إلى أبيه بعجز.

«جون، أتمنّى لو أنك لم تفعل ذلك»، قال هيرب.

«أنا مُتعَب. وهذا لا يفعل أي شيء لرأيي. أو مزاجي».

«بلى»، قال هيرب. بدا على وشك أن يقول المزيد ثم أحجمَ.

«هل لا تزال تنوي الذهاب إلى كاليفورنيا لحضور تلك الندوة عن الصحون الطائرة أو مهما يكن؟».

«نعم. لكنها قد تغيِّر رأيها. لا أحد يعلم ماذا ستقرِّر بين يوم وآخر، ولا يزال بعيداً شهراً كاملاً».

«عليك أن تفعل شيئاً».

«حقاً؟ ماذا؟ أحتجزها؟ أحجر عليها؟».

هزَّ جوني رأسه. «لا أعرف. لكن ربما حان الوقت لكي تفكِّر في المسألة جدياً بدلاً من مجرّد التصرّف كما لو أنها غير واردة على الإطلاق. إنها مريضة. عليك رؤية ذلك».

قال هيرب بصخب: «كانت بخير قبل أن تتعرَّض...».

جفَل جوني كما لو أنه صُفِعَ.

«اسمع، أنا آسف يا جون. لم أقصد ذلك».

«لا بأس يا بابا».

«لا، لم أقصده حقاً». كان وجه هيرب لوحة بؤسٍ. «اسمع، عليَّ أن أذهب خلفها. الأرجح أنها توزّع مناشير في الأروقة الآن».

«حسناً».

«جوني، فقط حاول نسيان هذا وركِّز على التماثل للشفاء. إنها تحبّك، وأنا أيضاً. لا تقسو علينا».

«لا. كل شيء على ما يرام يا بابا».

قبَّل هيرب خدّ جوني. «عليَّ أن أذهب خلفها».

«حسناً».

خرجَ هيرب. عندما رحلا، نهض جوني وترنَّح الخطوات الثلاثة بين كرسيه والسرير. ليس إنجازاً كبيراً. لكنه شيء. بداية. تمنّى أكثر من أبيه لو أنه لم يصبّ جام غضبه على أمه بتلك الطريقة. تمنّى ذلك لأن صنفاً غريباً من اليقين بدأ يترسّخ لديه بأن أمه لن تعيش طويلاً.

2

توقَفت ڤيرا عن تناول الدواء. كلَّمها هيرب، ثم تملَّقها، ثم طالَبها أخيراً. لم ينفع كل ذلك. أظهرت له رسائل «شركائها في مراسلة السماوات»، معظمها مكتوبة بخط مخربَش ومليئة بأخطاء إملائية، وكلها تدعم موقفها وتعدها بالصلاة من أجلها. إحداها من سيدة في رود آيلند كانت أيضاً في المزرعة في فيرمونت تنتظر نهاية العالم (إلى جانب حيوانها الأليف البوميراني، أوتيس). «السماوات أفضل دواء»، كتبت تلك السيدة، «اطلبي منها وستشفيكي، ليس الأطباء الذين يشوِّشون على قدرة السماوات، الأطباء سبب كل سرطان في هذا العالم الشرير بتطفّلهم على الشيطان، أي شخص أجرى جراحة مثلاً، ولو طفيفة مثل استئصال اللوزتين، سيُصاب بالسرطان عاجلاً أم آجلاً، هذه حقيقة مبرهَنة، لذا اطلبي من السماوات، ادمجي إرادتك بإرادتها و*ستُشفَين*!!».

تكلَّم هيرب مع جوني على الهاتف، وفي اليوم التالي اتصل جوني بأمه واعتذر منها على كلامه الفظّ معها. طلب منها أن تستأنف رجاءً تناول دوائها - كرمى له. قَبِلت ڤيرا اعتذاره، لكنها رفضت العودة إلى الدواء. إذا أرادتها السماوات أن تواصل السير على كوكب الأرض، فسيراها تواصل السير عليها. وإذا أرادت استدعاءها إليها، فسيحصل ذلك حتى لو تناولت برميلاً من الحبوب كل يوم. كان جدالاً عقيماً، والحجّة الوحيدة لدى جوني كانت تلك التي لا يزال البعض يرفضها منذ ألف وثمانمئة سنة: أن السماوات تطبّق مشيئتها من خلال ذهن الإنسان مثلما تطبّقها من خلال روحه.

«ماما»، قال، «ألم تعتقدي يوماً أن السماوات أرادت أن يخترع طبيبٌ ما ذلك الدواء لكي تتمكني من العيش لمدة أطول؟ ألا يمكنك حتى أخذ هذه الفكرة بعين الاعتبار؟».

المسافة الطويلة ليست وسيطاً جيداً للجدال العقائدي. أغلَقت السمّاعة.

في اليوم التالي، دخلت ماري ميشو غرفة جوني، وضعت رأسها على سريره، وراحت تبكي.

«اهدئي، اهدئي»، قال جوني جافلاً وقلِقاً. «ما الأمر؟ هل من سوء؟».

«ابني»، قالت وهي لا تزال تبكي. «ابني مارك. أجروا له العملية الجراحية ونجحت مثلما قلتَ تماماً. إنه بخير. سيعاود الرؤية بعينه المعطوبة. الحمد لله».

عانَقت جوني وعانَقها بدوره بقدر ما يستطيع. دموعها الدافئة على خدّه جعلته يفكّر أن الذي حصل له لم يكن سيئاً بالكامل. ربما بعض الأشياء يجب أن تُقال، أو تُرى، أو يُعثر عليها من جديد. لم تكن فكرة أن السماوات *تعمل* من خلاله احتمالاً بعيداً جداً، رغم أن نظرته الشخصية لهذا المفهوم غائمة وغير محدَّدة. أمسك ماري وأخبَرها عن مدى سعادته. وطلب منها أن تتذكّر أنه ليس الشخص الذي أجرى العملية لمارك، وأنه بالكاد يتذكَّر ماذا قال لها بالتحديد. خرجت بُعيد ذلك وهي تجفِّف دموعها، تاركةً جوني لوحده ليفكِّر.

3

باكراً في أغسطس، أتى دايف پلسن ليزور جوني. كان مساعِد مدير ثانوية كليفز ميلز رجلاً صغيراً أنيقاً يرتدي نظّارات سميكة وحذاءً جلدياً وسترة رياضية صاخبة. من بين كل الأشخاص الذين زاروا جوني خلال صيف 1975 ذاك الذي لا ينتهي تقريباً، كان دايف أقل شخص تغيَّر بينهم، حيث اقتصر التغيير فيه على ازدياد كمية الرمادي في شعره بمقدار قليل جداً.

«كيف حالك؟ حقاً؟»، سأل دايف، عندما انتهيا من اللياقات.

«ليس سيئاً جداً»، قال جوني. «يمكنني السير لوحدي الآن إذا لم أبالغ في ذلك. يمكنني السباحة ست دورات في الحوض. أُصاب بصُداع أحياناً، قاتل حقيقي، لكن الأطباء يقولون إنه يمكنني توقع استمرار ذلك لبعض الوقت. ربما بقية حياتي».

«هل تمانع لو طرحتُ عليك سؤالاً شخصياً؟».

«إذا كنتَ ستسألني إن كنتُ لا أزال قادراً على المضاجعة»، قال جوني مبتسماً، «فجوابي نعم».

«من الجيد معرفة هذا، لكن ما أردتُ معرفته هو المال. هل يمكنك تحمّل هذه التكاليف؟».

هزَّ جوني رأسه. «أنا في المستشفى منذ حوالي خمس سنوات. لا أحد سوى روكفلر يستطيع تحمّل هذه التكاليف. أدخلني أبي وأمي في نوعٍ من البرامج على نفقة الدولة. ‘كارثة تامة’، أو شيء من هذا القبيل».

أومأ دايف برأسه. «برنامج الكوارث الاستثنائية. خمَّنتُ ذلك. لكن كيف أبقياك بعيداً عن المستشفى الحكومي يا جوني؟ ذلك المكان هو الأسوأ».

«اهتمّ الطبيبان وايزاك وبراون بذلك. وهما مسؤولان إلى حد كبير عن قدرتي على العودة بهذا المقدار الذي قطعتُه. لقد كنتُ... حقل تجارب، يقول الطبيب وايزاك. لكم من الوقت يمكننا منع هذا الرجل الذي في غيبوبة تامة من أن يتحوَّل إلى نبتة بالكامل؟ بقيت وحدة العلاج الفيزيائي تعمل عليَّ طوال السنتين الأخيرتين من غيبوبتي. وحُقنتُ بجرعات ضخمة من الفيتامينات... لا تزال مؤخرتي تشبه حالة إصابة بالجدري. ليس لأنهم كانوا يتوقَّعون أي عائدات من المشروع مني شخصياً. فقد افتُرضتُ أنني حالة ميؤوس منها منذ لحظة وصولي تقريباً. يقول وايزاك إن ما فعله وبراون معي هو 'دعم حياة عدواني'. يعتقد أنها بداية جوابٍ على كل الذين ينتقدون مساندة الحياة بعد فقدان أي أمل بالشفاء. على أي حال، لم يكن بوسعهما متابعة استخدامي لو أُرسلتُ إلى المستشفى الحكومي، لذا أبقياني هنا. كانا سينتهيان مني في نهاية المطاف، وكنتُ سأُرسل وقتها إلى المستشفى الحكومي».

«حيث أقصى درجة اهتمام ستلقاها هي قلب جسمك كل ست ساعات لمنع ظهور تقرُّحات الفراش»، قال دايف. «وإذا استيقظتَ في العام 1980، لوجدتَ أنك أصبحت عاجزاً».

«أعتقد أنني كنتُ سأصبح عاجزاً مهما يكن»، قال جوني. هزَّ رأسه ببطء. «أعتقد أنه إذا اقترح عليَّ أحدهم إجراء عملية جراحية أخرى، سأُصاب بالجنون. رغم أنه لا مفرّ الآن من أن أعرج في مشيتي ولن أتمكن أبداً من إدارة رأسي إلى أقصى اليسار».

«متى سيُخرجونك؟».

«بعد ثلاثة أسابيع، إن شاء الله».

«ثم ماذا؟».

هزَّ جوني كتفيه. «أظن أنني سأعود إلى المنزل. إلى پاونال. ستبقى أمي في كاليفورنيا لبعض الوقت بينما تشارك في... حدث دينيّ. يمكنني وأبي الاستفادة من ذلك الوقت لنعاود التعرّف على بعضنا. تلقيتُ رسالة من أحد كبار الوكلاء الأدبيين في نيويورك... حسناً، ليس منه بالضبط، بل من أحد مساعِديه. يعتقدون أنه يمكن تأليف كتاب حول ما حصل لي. فكَّرتُ أن أضع فصلين أو

ثلاثة ومخططاً عاماً، ربما سيتمكن ذلك الرجل أو مساعِده من بيعه. سيكون المال اللعين مفيداً جداً في هذا التوقيت، لا شكّ في ذلك».

«هل كان هناك أي اهتمام من وسائل إعلام أخرى؟».

«حسناً، الرجل من صحيفة دايلي نيوز في بانغور الذي نشر القصة الأصلية...».

«برايت؟ إنه بارع».

«يودّ أن يأتي إلى پاونال بعد خروجي من هذا المعتقل وينشر مقالاً خاصاً. يروق لي ذلك الرجل، لكنني أصدّه حالياً. لن يكون هناك أي مكسب مادي من هذا، وبصراحة، هذا ما أبحث عنه الآن. أنا مستعد أن أشارك في برنامج ‹قل الحقيقة› إذا وجدتُ أنه يمكنني جني مئتَي دولار منه. لقد تبخّرت مدّخرات والديَّ. باعا سيارتهما واشتريا واحدة خردة. وأخذ أبي رهناً ثانياً على المنزل في حين أنه كان عليه أن يفكِّر بالتقاعد وبيعه والعيش من عائداته».

«هل فكَّرتَ بالعودة إلى التدريس؟».

رفع جوني نظره إليه. «هل هذا عرضٌ؟».

«ليس عرضاً تافهاً».

«أنا ممنون»، قال جوني. «لكنني لن أكون جاهزاً في سبتمبر يا دايف».

«لم أكن أفكِّر بسبتمبر. لا شك أنك تتذكَّر صديقة سارة، آنْ سترافورد؟». أومأ جوني برأسه. «حسناً، إنها هي آنْ بيتي الآن، وستُرزق طفلاً في ديسمبر. لذا نحتاج إلى أستاذ لغة إنكليزية في الفصل الدراسي الثاني. البرنامج غير مُتعِب. أربع حصص، قاعة دراسة عليا واحدة، حصتين شاغرتين».

«هل تقدِّم لي عرضاً جدياً يا دايف؟».

«أجل».

«هذا جيد جداً منك»، قال جوني بصوت أجش.

«تباً لهذا»، قال دايف بسهولة. «كنتَ أستاذاً ممتازاً أيها اللعين».

«هل يمكنك إمهالي أسبوعين لكي أفكِّر بالمسألة؟».

«حتى الأول من أكتوبر، إذا أردتَ»، قال دايف. «أعتقد أنك ستبقى قادراً على العمل على كتابك. إذا بدا أن هناك احتمالاً بتأليف كتابٍ».

أومأ جوني برأسه.

«وقد لا ترغب بالإقامة لفترة طويلة في پاونال»، قال دايف. «فقد تجد المكان... غير مريح».

ارتفعت كلمات إلى شفتَي جوني واضطر أن يختنق بها ليكبتها.

ليس لفترة طويلة يا دايف. فأمي في طور تفجير دماغها الآن. لكنها لا تستخدم مسدساً. ستُصاب بسكتة. ستموت قبل احتفال الشتاء إلا إذا استطعتُ وأبي إقناعها بمعاودة تناول دوائها من جديد، ولا أعتقد أننا سننجح. ولي دور في ذلك - لا أعرف كم حجم ذلك الدور. لا أعتقد أنني أريد أن أعرف.

لكنه رَدَّ بدلاً من ذلك، «الأخبار تنتقل، أليس كذلك؟».

هزَّ دايف كتفيه. «فهمتُ من خلال سارة أن أمك تجد صعوبة في التأقلم. ستصطلح حالها يا جوني. في هذه الأثناء، فكِّر بالأمر».

«سأفعل. في الواقع، سأعطيك نعم مؤقتة الآن. سيكون من الممتع التدريس من جديد. العودة إلى الحالة الطبيعية».

«أحسنتَ»، قال دايف.

بعدما رحل، تمدَّد جوني على سريره وراح ينظر خارج النافذة. كان مُتعَباً جداً. *العودة إلى الحالة الطبيعية*. بطريقة أو بأخرى لم يعتقد أن هذا يمكن أن يحصل حقاً في يوم من الأيام.

شَعَر بأحد صُداعاته قادم.

حقيقة أن جوني سميث خرج من غيبوبته ومعه شيء إضافي وصل إلى الصحيفة أخيراً، ونُشر على الصفحة الأولى بقلم دايفد برايت. حصَل ذلك قبل أقل من أسبوع على خروج جوني من المستشفى.

كان في جلسة العلاج الفيزيائي، ممدَّداً على ظهره على وسادة أرضية، وكُرة طبية وزنها خمسة كيلوغرامات تستريح على بطنه، ومعالِجته الفيزيائية، آيلين ماغاون، تقف فوقه تعدّ له مرات تنفيذه تمرين المعدة. كان يُفترَض به أن ينفّذه عشر مرات، لكنه يكافح حالياً عند المرة الثامنة. العرق يسيل بغزارة على وجهه، والندبات المتماثلة للشفاء على عنقه بَرَزت بأحمر ساطع.

آيلين امرأة ودودة صغيرة الحجم ذات جسم نحيل وشعر أحمر أجعد فاتن وعينين خضراوين داكنتين مرقَّطتين بلون عسليّ. يسمّيها جوني أحياناً - بمزيج من الغضب والمرح - أصغر مدرّبة عسكرية في العالم. فقد أمرته وتملَّقته وطالَبته محوِّلةً إياه من مريض طريح الفراش بالكاد يمكنه أن يحمل كوب ماء إلى رجلٍ يمكنه أن يسير دون عكاز، ينفّذ تمرين السواعد ثلاث مرات متتالية، ويجتاز حوض السباحة في المستشفى ذهاباً وإياباً في ثلاث وخمسين ثانية - ليس رقماً أولمبياً، لكنه ليس سيئاً. إنها غير متزوجة وتعيش في منزل كبير في الشارع المركزي في البلدة القديمة مع قططها الأربعة. امرأةٌ صلبةٌ ولا تقبل جواباً سلبياً.

انهارَ جوني إلى الخلف. «لا»، قال لاهثاً. «آه، لا أعتقد يا آيلين».

«انهض يا فتى!»، صاحت بروح دعابة عالية ساديّة. «انهض! انهض! ثلاث مرات إضافية فقط ويمكنك أن تشرب الكولا!».

«أعطيني كُرة الكيلوغرامات الأربعة وسأعطيكي مرتين إضافيتين».

«كُرة الكيلوغرامات الأربعة تلك ستدخل كتاب غينيس للأرقام القياسية كأكبر تحميلة في العالم إذا لم تعطني ثلاث إضافية. انهض!».

«*آخخخخخ!*»، صاح جوني وهو يضغط إلى أعلى للمرة الثامنة. انهار إلى الخلف، ثم عاد وضغط إلى أعلى مرة أخرى.

«رائع!»، صاحت آيلين. «مرة أخرى، مرة أخرى!».

«*آخخخخخخخخخخخخخ!*»، صَرَخ جوني، واستوى جالساً للمرة العاشرة. انهار على الحصيرة، تاركاً الكُرة الطبية تتدحرج بعيداً. «لقد مزَّقتُ نفسي، هل أنتِ مسرورة؟ كل أمعائي ارتخت، وستعوم محتوياتها داخلي، سأُقاضيكي أيتها الوحشة اللعينة».

«يا للهول كم أنتَ طفل»، قالت آيلين وهي تمدّ له يدها. «هذا لا يُذكَر بالمقارنة مع ما أحضّره لك للمرة القادمة».

«واهمة»، قال جوني. «كل ما سأفعله المرة القادمة هو السباحة في...».

نظرَ إليها، وانتشر تعبير تفاجؤ على وجهه. اشتدّت قبضته على يدها إلى أن أصبحت مؤلمة تقريباً.

«جوني؟ هل من سوء؟ هل أُصبتَ بتشنّج؟».

«يا إلهي»، قال جوني بلطف.

«جوني؟».

استمرّ يُمسك لها يدها، وراح ينظر إلى وجهها بتأمل شارد حالِم وتّرها. لقد سمِعت أشياءَ عن جوني سميث، إشاعات تجاهَلتها بعنادها الذي يجنح إلى العملانيّة. فقد انتشر خبرٌ بأنه توقَّع أن ابن ماري ميشو سيكون بخير، حتى قبل أن يتأكد الأطباء مئة بالمئة أنهم يريدون تجربة العملية المحفوفة بالمخاطر. كما انتشرت إشاعة أخرى تقول إن جوني أخبَره الطبيب وايزاك أن أمه ليست ميتة بل تعيش في مكان ما على الساحل الغربي باسم آخر. أما بالنسبة لآيلين ماغاون، فالقصص هُراء بحت، ومماثلة لمجلات الاعتراف والروايات الرومانسية الزاخرة بالعنف الجنسي التي يقرأها عدد كبير من الممرضات في محطتهنّ. لكن طريقة نظره إليها الآن أخافتها. كانت كما لو أنه ينظر إلى داخلها.

«جوني، هل أنت بخير؟». كانا لوحدهما في غرفة العلاج الفيزيائي، والأبواب المزدوجة الكبيرة ذات ألواح الزجاج المصنفَر التي تؤدّي إلى الحوض مغلقة.

«يا إلهي»، قال جوني. «من الأفضل لكِ... نعم، لا يزال هناك وقت. لكنه ضيق».

«عما تتكلّم؟».

عاد إلى رشده عندها. أفلَت يدها... لكنه كان قد أمسَكها بقوة كافية ليخلّف أخاديد بيضاء على جهتها الخلفية.

«اتصلي بمركز الإطفاء»، قال. «نسيتِ أن تُطفئي موقد الغاز، وقد اشتعلت الستائر».

«ماذا...؟».

«موقد الغاز أشعلَ منشفة الأطباق ومنشفة الأطباق أشعلَت الستائر»، قال جوني بفارغ الصبر. «أسرعي واتصلي بهم. هل تريدين أن يحترق منزلك بالكامل؟».

«جوني، لا يمكنك أن تعرف...».

«لا تهتمّي بما لا يمكنني أن أعرفه»، قال جوني وهو يُمسك مِرفقها. دفعها لتتحرّك وسارا إلى الأبواب. راح جوني يعرُج بشكل سيئ على رِجله اليسرى، مثلما يفعل دائماً عندما يكون مُتعَباً. اجتازا الغرفة التي تتضمن حوض السباحة، وكعبَيهما يطقطقان بصوت أجوف على البلاط، ثم خرَجا إلى رواق الطابق الأول ونزلا إلى محطة الممرضات. وجدا هناك ممرضتين تشربان القهوة وممرضة ثالثة تتكلَّم على الهاتف وتُخبر شخصاً على الطرف الآخر كيف غيَّرت ديكور شقتها.

«هل ستتصلين أم أتصل أنا؟»، سأل جوني.

دخلَ ذهن آيلين في دوّامة. كان روتينها الصباحي مضبوطاً بدقة متناهية. فقد استيقظت وسلقت بيضةً واحدةً بينما أكَلت حبّة جريب فروت بأكملها، غير محلاّة، ووعاء حبوب. ارتدت ملابسها بعد انتهاء الفطور وقادت سيارتها إلى المستشفى. هل أطفأت موقد الغاز؟ بالطبع أطفأته. لا يمكنها أن تتذكَّر فعل ذلك الأمر بالتحديد، لكنها العادة. لا شكّ أنها أطفأته.

«جوني، لا أعرف حقاً من أين أتتك فكرة...».

«حسناً، أنا سأتصل».

كانا في محطة الممرضات الآن، وهي عبارة عن كشك مزجَّج مفروش بثلاثة كراسٍ مستقيمة الظهر ولوح تسخين. لوحة المناداة - صفوف الأضواء الصغيرة التي تومض بالأحمر عندما يضغط مريضٌ زر المناداة في غرفته - تهَيمن على الغرفة الصغيرة. هناك ثلاثة أضواء تومض الآن. أكملت الممرضتان شرب قهوتهما والتكلّم عن طبيبٍ ثملَ في مقصف بنيامين. وكان واضحاً أن الثالثة تتكلَّم مع أخصائي تجميلها.

«عذراً، عليَّ إجراء اتصال»، قال جوني.

غطّت الممرضة الهاتف بيدها. «هناك هاتف عمومي في الرد...».

«شكراً»، قال جوني، وأخذ السمّاعة من يدها. ضغط زر أحد الخطوط الشاغرة وطلب الرقم 0. حصل على إشارة مشغول. «ما مشكلة هذا الشيء؟».

«أنتَ!»، صاحت الممرضة التي كانت تكلِّم أخصائي تجميلها. «ماذا تظن أنك تفعل أيها اللعين؟ أعطني هذا!».

تذكَّر جوني أنه في مستشفى لديها سنترال خاص بها فطلب الرقم 9 ليحصل على خط خارجي. ثم أعاد طلب الرقم 0.

حاولت الممرضة المخلوعة، بخدّيها الملتهِبين من الحنق، انتزاع الهاتف منه. دفَعها جوني جانباً. استدارت، رأت آيلين، وخطت خطوةً نحوها. «آيلين، ما بال هذا المجنون؟»، سألت بحدّة. وضعت الممرضتان الأخريان كوبَي قهوتهما من يديهما وراحتا تحدِّقان في جوني فاغرتَي الفاه.

هزَّت آيلين كتفيها بانزعاج. «لا أعرف، إنه مجرّد...».

«أيها العامل».

«أيها العامل، أريد التبليغ عن حريق في أولدتاون»، قال جوني. «هل يمكنك أن تطلب لي الرقم الصحيح الذي يجب الاتصال به، رجاءً؟».

«مهلاً»، قالت إحدى الممرضات. «منزل مَن يحترق؟».

حرَّكت آيلين قدمَيها بعصبية. «يقول إنه منزلي».

الممرضة التي كانت تكلِّم أخصائي تجميلها قامت بردّة فعل متأخرة. «يا إلهي، إنه ذلك الرجل»، قالت.

أشار جوني إلى لوحة المناداة، التي أصبحت خمسة أو ستة أضواء عليها تومض الآن. «لما لا تذهبين لرؤية ما يريده أولئك الأشخاص؟».

أوصله عامل الهاتف بمركز إطفاء أولدتاون.

«اسمي جون سميث وأحتاج إلى التبليغ عن حريق. إنه في...»، نظرَ إلى آيلين. «ما عنوانك؟».

للحظة لم يظن جوني أنها ستعطيه عنوانها. تحرَّك فمها، لكن شيئاً لم يخرج منه. كانت شاربتا القهوة قد تخلّتا الآن عن كوبَيهما وانطوتا على نفسيهما في الزاوية البعيدة للمحطة وهما تتهامسان مثل فتاتين صغيرتين في حمّام مدرسة النحو. كانت عيناهما جاحظتين.

«سيدي؟»، سأل الصوت على الطرف الآخر.

«بالله عليكِ»، قال جوني، «هل تريدين أن تُشوى قططك؟».

«624 الشارع المركزي»، قالت آيلين على مضض. «جوني، أنت مجنون».

كرَّر جوني العنوان على الهاتف. «إنه في المطبخ».

«اسمك يا سيدي؟».

«جون سميث. إنني أتصل من مركز ماين الشرقية الطبي في بانغور».

«هل لي أن أسأل كيف حصلتَ على معلوماتك؟».

«يمكننا أن نبقى على الهاتف لبقية اليوم. معلوماتي صحيحة. اذهبوا الآن وأخمدوه». خَبَط سمّاعة الهاتف.

«... وقال إن والدة سام وايزاك لا تزال...».

سكتت ونظرت إلى جوني. شَعَر للحظة أنهن كلهن ينظرن إليه، عيونهن تضغط على بشرته مثل أوزان ساخنة صغيرة جداً، وعرَف ما سيأتي من هذا فانقبضت معدته.

«آيلين»، قال.

«ماذا؟».

«هل لديك صديق بين جيرانك؟».

«نعم... بيرت وجانيس في الشقة المقابلة...».

«هل أحدهما في المنزل؟».

«أظن جانيس ستكون، بالتأكيد».

«لما لا تتصلين بها؟».

أومأت آيلين برأسها وقد فهمت فجأة ماذا كان يحاول أن يفعل. أخذت الهاتف من يده وطلبت رقماً. وَقَفت الممرضات يراقبن بشراهة، كما لو أنهن انتقلن بالصُدفة إلى برنامج تلفزيوني مشوّق حقاً.

«ألو؟ جانيس؟ أنا آيلين. هل أنتِ في مطبخك؟... هلاّ ألقيتِ نظرة من نافذتك وأخبرتني إن كان كل شيء يبدو، حسناً، على ما يرام في شقتي؟... آه، صديقٌ لي يقول... سأُخبِرك بعد أن تلقين النظرة، اتفقنا؟». بدأت آيلين تتورَّد خجلاً. «نعم، سأنتظر». نظرت إلى جوني وكرَّرت، «أنت مجنون يا جوني».

ساد صمت مؤقت بدا أنه لن ينتهي. ثم بدأت آيلين تُنصت مرة أخرى. بقيت تُنصت لوقت طويل ثم قالت بصوت غريب خافت يختلف كلياً عن صوتها المعتاد: «لا، لا بأس يا جانيس. لقد تم الاتصال بهم. لا... لا يمكنني أن أشرح الآن لكنني سأُخبِرك لاحقاً». نظرت إلى جوني. «نعم، مضحك كيف استطعتُ أن أعرف... لكن يمكنني أن أشرح. على الأقل أعتقد أنه يمكنني ذلك. إلى اللقاء».

أغلَقت سمّاعة الهاتف. نظروا إليها كلهم، الممرضات بحشرية شرِهة وجوني بيقين ثقيل فحسب.

«تقول جانيس إن دخاناً يتصاعد من نافذة مطبخي»، قالت آيلين، وتنهَّدت الممرضات الثلاثة في آن واحد. استدارت عيونهن، الشاخصة والاتهامية نوعاً ما، إلى جوني مرة أخرى. *عيون هيئة محلّفين*، فكّر في سرّه بتجهّم.

«عليَّ أن أعود إلى المنزل»، قالت آيلين. لقد زالت المعالِجة الفيزيائية العدوانية المتملِّقة الإيجابية وحلت محلها امرأة صغيرة قلِقة بشأن قططها ومنزلها وأغراضها. «لا أعرف كيف أشكرك يا جوني... آسفة أنني لم أصدِّقك، لكن...»، وبدأت تبكي.

اقتربت منها إحدى الممرضات، لكن جوني سبقها إلى هناك. وَضَع ذراعه حولها وقادها إلى الرواق.

«يمكنك حقاً»، همَست آيلين. «ما قالوه...».

«اذهبي»، قال جوني. «أنا متأكد أن الأمور ستكون بخير. لن تكون هناك سوى بعض الأضرار الطفيفة من الدخان والماء. ذلك المُلصق الإعلاني لفيلم *بُوتش كاسيدي وصندانس* كيد، أعتقد أنك ستخسرينه، لكن هذا كل شيء».

«نعم، حسناً. شكراً يا جوني. بارك الله فيك». قبَّلته على خدّه ثم بدأت تخبّ في الرواق. التفَتت إلى الوراء مرةً، وكان التعبير على وجهها مشابهاً كثيراً للخوف المصدِّق للخرافات.

اصطفت الممرضات عند زجاج محطة الممرضات ورحن يحدِّقن فيه. ذكَّرنه فجأة بغربان على سلك هاتف، غربان تحدِّق في شيء برّاق ولامع، شيء يجب نقره وتمزيقه.

«اذهبن وأجبن على مناداتكن»، قال بفظاظة فجفلن من صوته. بدأ يعرج في الرواق نحو المصعد، تاركاً إياهن ليبدأن الثرثرة والنميمة. كان مُتعَباً. رِجلاه تؤلمانه. شَعَر كما لو أن هناك قِطع زجاج مكسور في مفاصل وركه. أراد أن يخلد إلى النوم.

الفصل الحادي عشر

1

«ماذا ستفعل؟»، سأل سام وايزاك.

«يا للهول، لا أعرف»، قال جوني. «كم شخصاً قلتَ إنه يوجد هناك؟».

«حوالي ثمانية. أحدهم مراسل الأسوشيتد برس في شمالي نيو إنغلاند. وهناك أشخاص من محطتين تلفزيونيتين معهم كاميرات وأضواء. مدير المستشفى غاضب جداً منك يا جوني. يشعر أنك كنتَ شقياً».

«لأن منزل سيدةٍ كان سيحترق بالكامل؟»، سأل جوني. «كل ما يمكنني قوله هو أنه كان بلا شك يوماً إخبارياً بطيئاً لعيناً».

«في الواقع لم يكن. فورد نقضَ قانونين. وقع انفجار في مطعم بيتزا. وشمَّ كلب الشرطة مئتَي كيلوغرام من الماريجوانا في المطار».

«ماذا يفعلون هنا إذاً؟»، سأل جوني. عندما دخلَ سام ليُبغلهم أن مراسِلين صحفيين يتجمّعون في الردهة، كانت أولى أفكاره المكتئبة هي ماذا يمكن أن تستخلص أمه من ذلك. إنها مع أبيه في پاونال، تستعدّ لرحلتها الطويلة إلى كاليفورنيا التي تبدأ الأسبوع القادم. لم يجد جوني أو أبوه أن الرحلة فكرة جيدة، والخبر بأن ابنها أصبح نفسانياً قد تجعلها بطريقة أو بأخرى تلغيها، لكن جوني خشيَ كثيراً في هذه الحالة أن يكون العلاج أسوأ شرَّين. شيءٌ كهذا يمكن أن يُبعدها إلى الأبد.

من جهة أخرى - خطرت هذه الفكرة بباله فجأة بكل قوة الإلهام - قد يُقنِعها ذلك باستئناف تناولها الدواء.

«إنهم هنا لأن ما حصل هو الأخبار»، قال سام. «فيه كل المكوّنات الكلاسيكية».

«لم أفعل أي شيء سوى...».

«سوى أنك أخبَرت آيلين ماغاون أن منزلها يحترق وكنت محقّاً»، قال سام بلطف. «بالله عليك يا جوني، لا شك أنك عرَفت أن هذا سيحصل عاجلاً أم آجلاً».

«لستُ طالب شهرة»، قال جوني بتجهّم.

«لا. لم أقصد ذلك. الزلزال ليس طالب شهرة. لكن المراسِلين الصحفيين يغطّون أخباره. الناس يريدون أن يعرفوا».

«ماذا لو رفضتُ التحدّث معهم؟».

«هذا ليس خياراً»، رَدَّ سام. «سيبتعدون وينشرون إشاعات مجنونة. ثم سيتحلّقون حولك عندما تخرج من المستشفى دافعين ميكروفوناتٍ في وجهك كما لو أنك سيناتوراً أو زعيم عصابة، أليس كذلك؟».

فكَّر جوني بالأمر. «هل برايت معهم؟».

«نعم».

«لنفترض أنني طلبتُ منه الصعود إلى هنا؟ يمكنه الحصول على القصة ويعطيها للبقية».

«يمكنك فعل ذلك، لكن هذا سيُحزن البقية كثيراً. والمراسِل الصحفي الحزين سيكون عدوك. نيكسون أحزنَهم فمزَّقوه إرباً».

«لستُ نيكسون»، قال جوني.

ابتسم وايزاك ابتسامة عريضة. «الحمد لله»، قال.

«ماذا تقترح؟»، سأل جوني.

نهض المراسِلون الصحفيون وتقدَّموا مزاحمين بعضهم عندما اجتاز جوني الباب المتأرجح إلى الردهة الغربية مرتدياً قميصاً أبيض، مفتوحاً عند الياقة، وسروال جينز أزرق كبيراً جداً عليه. بدا وجهه شاحباً لكن هادئاً، والندبات من العمليات الجراحية على أوتاره بَرَزت بوضوح على عنقه. أطلقت أضواء الكاميرات موجات دافئة نحوه أجفلته. وبدأ قصف الأسئلة.

«مهلاً! مهلاً!»، صرَخ سام وايزاك. «هذا مريض يتماثل للشفاء! يريد أن يدلي ببيان موجز وسيجيب على بعض أسئلتكم، لكن فقط إذا تصرّفتم بطريقة منظّمة! الآن تراجعوا ودعوه يتنفس!».

وَمَضت مجموعتان من أضواء التلفزيون مُغرقةً الردهة في وهج غير أرضي. تجمَّع الأطباء والممرضات عند مدخَل الصالة ليشاهدوا ما يجري. جفَل جوني من الأضواء، وتساءل إن كان هذا ما يقصدونه عندما يقولون محط الأنظار. شَعَر كما لو أن كل هذا يمكن أن يكون حلماً.

«مَن أنت؟»، صاح أحد المراسِلين الصحفيين بوايزاك.

«أنا ساموِيل وايزاك، طبيب هذا الشاب، واسمي يُلفَظ كقبلتين».

عمَّ الضحك وهدأ المزاج قليلاً.

«جوني، هل أنت بخير؟»، سأل وايزاك. لا تزال الأمسية في بدايتها، وبصيرته المفاجئة بأن مطبخ آيلين ماغاون يحترق بدت بعيدةً وغير مهمةٍ، ذكرى لذكرى.

«بالتأكيد»، قال.

«ما هو بيانك؟»، سأل أحد المراسِلين الصحفيين.

«حسناً»، قال جوني، «ها هو. معالِجتي الفيزيائية امرأةٌ تدعى آيلين ماغاون. إنها سيدة لطيفة جداً، وكانت تساعدني في استعادة قوتي. لقد تعرَّضتُ لحادث، و...». اقتربت إحدى كاميرات التلفزيون، كأنها عينٌ شاخصةٌ بشكلٍ خالٍ من أي تعبير، مما أفقده تركيزه للحظة. «... وأصبحت ضعيفاً جداً. عضلاتي انهارت نوعاً ما. كنا في غرفة العلاج الفيزيائي هذا الصباح، وقد أشرفنا على الانتهاء، وانتابني شعور بأن منزلها يحترق. بمعنى آخر، ولأكون دقيقاً أكثر...»، *يا إلهي، إنني أتكلّم كحقير حقيقي!* «شَعَرتُ أنها نسيت إطفاء موقدها وأن الستائر في المطبخ على وشك الاشتعال. لذا اتصلنا بمركز الإطفاء بكل بساطة وهذا كل ما في الأمر».

ساد صمت وجيز بينما هضَموا هذا - *انتابني شعور نوعاً ما، وهذا كل ما في الأمر* - ثم عاد وابل الأسئلة مرة أخرى، كل شيء متشابك ببعضه في يخنة أصوات بشرية. نظرَ جوني حوله بعجز، وشَعَر أنه مشوَّش وغير محصّن.

«بالدور!»، صاح وايزاك. «ارفعوا أيديكم! ألم تكونوا تلاميذ مدرسة أبداً؟».

راحت أيدي تلوِّح، وأشار جوني إلى دايفد برايت.

«هل تعتبر ما جرى معك خبرة نفسانية يا جوني؟».

«أعتبره شعوراً»، أجاب جوني. «كنتُ قد أنهيتُ تمرين المعدة للتو. أمسكت الآنسة ماغاون يدي لتساعدني على النهوض وعرَفتُ فحسب».

أشار إلى شخص آخر.

«مَنْ ألِن، صنداي تيليغرام من پورتلاند، يا سيد سميث. هل كان أشبه بصورة؟ صورة في ذهنك؟».

«لا، على الإطلاق»، قال جوني، لكنه لم يكن قادراً حقاً على تذكّر بما كان أشبه.

«هل حصل هذا معك من قبل يا جوني؟»، سألت شابة في بذلة نسائية.

«نعم، بضع مرات».

«هل يمكنك أن تُخبِرنا عن الحوادث الأخرى؟».

«لا، أفضّل عدم ذلك».

رفع أحد المراسِلين التلفزيونيين يده وأومأ له جوني برأسه. «هل حصلت معك إحدى تلك الومضات قبل الحادث والغيبوبة التي نتجت عنها يا سيد سميث؟».

تردَّد جوني.

بدت الغرفة صامتة جداً. كانت أضواء التلفزيون الدافئة على وجهه مثل شمس استوائية. «لا»، قال.

وابل آخر من الأسئلة. نظرَ جوني إلى وايزاك بعجز مرة أخرى.

«توقفوا! توقفوا!»، صاح. نظرَ إلى جوني مع همود الزئير. «هل انتهيت يا جوني؟».

«سأجيب على سؤالين آخرين»، قال جوني. «ثم... حقاً... كان يوماً طويلاً عليَّ... نعم، سيدتي؟».

كان يشير إلى امرأة بدينة حشرت نفسها بين مراسِلَين يافعَين. «سيد سميث»، قالت بصوتٍ صاخبٍ كالبوق، «مَن سيكون مرشّح الديموقراطيين للرئاسة السنة القادمة؟».

«لا يمكنني قول ذلك»، قال جوني متفاجئاً حقاً من السؤال. «كيف يمكنني أن أقول لك ذلك؟».

رُفع المزيد من الأيدي. أشار جوني إلى رجل طويل رصين الوجه يرتدي بذلة داكنة. خطا خطوة واحدة إلى الأمام. كان هناك شيء متزمِّت ومضطرب فيه.

«سيد سميث، أنا روجر دوسو، من صحيفة صن في لويستون، وأودّ أن أعرف إن كانت لديك أي فكرة لماذا يجب أن تمتلك هكذا قدرة مميزة... هذا إن كنتَ تمتلكها بالفعل. لماذا أنت يا سيد سميث؟».

تنحنح جوني. «مثلما فهمتُ سؤالك... أنت تطلب مني أن أبرِّر شيئاً لا أفهمه. لا يمكنني فعل ذلك».

«لا تبرِّر يا سيد سميث. فقط اشرح».

يعتقد أنني أخدعهم. أو أحاول خداعهم.

اقترب وايزاك من جوني. «أتساءل إن كان يمكنني الإجابة على هذا»، قال. «أو على الأقل أن أحاول شرح لماذا لا يمكن الإجابة عليه».

«هل أنتَ نفساني أيضاً؟»، سأل دوسو ببرادة.

«نعم، كل أطباء الأمراض العصبية يجب أن يكونوا هكذا، فهذا شرط إلزامي»، قال وايزاك. عمَّت موجة من الضحك وتورَّد دوسو.

«سيداتي سادتي الصحافيين. لقد أمضى هذا الرجل أربع سنوات ونصف في غيبوبة. ونحن الذين ندرس الدماغ البشري ليست لدينا أي فكرة لماذا فعلَ ذلك، أو لماذا استيقظ منها، والسبب بسيط

وهو أننا لا نفهم ما هي الغيبوبة حقاً أكثر مما نفهم النوم أو اليقظة. سيداتي سادتي، نحن لا نفهم دماغ الضفدع أو دماغ النملة. يمكنكم أن تنقلوا عني قولي هذه الأشياء... فلعِلمكم أنا جَسور، أليس كذلك؟».

مزيد من الضحك. لقد أحبّوا وايزاك. لكن دوسو لم يضحك.

«يمكنكم أن تنقلوا عني أيضاً قولي إنني أصدِّق أن هذا الرجل يمتلك الآن قدرة بشرية جديدة جداً، أو واحدة قديمة جداً. لماذا؟ إذا كنتُ وزملائي لا نفهم دماغ النملة، فهل يمكنني أن أقول لكم السبب؟ لا أستطيع. لكن يمكنني أن أقترح عليكم بعض الأشياء المثيرة للاهتمام، أشياء قد يكون أو قد لا يكون لها تأثير. جزءٌ من دماغ جون سميث تشوَّه بشكل غير قابل للإصلاح - جزء صغير جداً، لكن كل أجزاء الدماغ قد تكون حيوية. إنه يسمّي هذا «منطقته الميتة»، ويبدو أنه تُخزَّن هناك بعض مسارات الذكريات. يبدو أن كل تلك الذكريات الممسوحة جزءٌ من «مجموعة» - مجموعة شوارع وطرقات داخلية وطرقات عامة. مجموعة فرعية من مجموعة إجمالية أكبر. هذا خَرَس طفيف لكن إجمالي يبدو أنه يشمل مهارات اللغة والتخيُّل».

«لموازنة هذا، يبدو أن جزءاً صغيراً جداً آخر من دماغ جون سميث *استيقظ*. قسم من المخّ ضمن الفصّ الجداري. إنه أحد الأقسام ذات الأخاديد العميقة جداً في الدماغ «التقدّمي» أو «الخاص بالتفكير». الأجوبة الكهربائية من ذلك القسم من دماغ سميث متنافرة جداً مع ما يجب أن تكون عليه، أليس كذلك؟ إليكم شيئاً آخر. للفصّ الجداري علاقة ما بحاسة اللمس - لسنا متأكدين بالكامل كم كبيرة أو صغيرة تلك العلاقة - وعلى مسافة قريبة جداً من تلك المنطقة في الدماغ يتم فرز وتحديد مختلف الأشكال والبنيات. وقد تبيَّن لي شخصياً أن ‹ومضات› جون يسبقها دائماً بعض اللمس».

صمت. المراسِلون الصحفيون يدوِّنون بجنون. وعدسات كاميرات التلفزيون، التي كانت قد اقتربت للتركيز على وايزاك، تراجعت الآن لتشمل جوني في الصورة.

«هل أصبتُ يا جوني؟»، سأل وايزاك مرة أخرى.

«أظن...».

شقَّ دوسو فجأة طريقه بين المراسِلين الصحفيين. للحظة مرتبكة ظنَّ جوني أنه ذاهب لينضم إليهم أمام الأبواب، ربما بقصد دحض مزامعه. ثم رأى دوسو ينزع شيئاً من حول عنقه.

«دعونا نجرِّب»، قال وهو يحمل ميدالية على سلسلة ذهبية رفيعة. «دعونا نرى ماذا يمكنك أن تفعل بهذه».

«لن نرى أي شيء من هذا القبيل»، قال وايزاك. انقبض حاجبا عينيه الكثيفان المرقَّطان بظلال داكنة وفاتحة على بعضهما وراح يحدِّق في دوسو بحنق. «هذا الرجل ليس بهلواناً في سيرك يا سيد!».

«كنتُ على وشك أن أنخدع بك»، قال دوسو. «إما يمكنه ذلك أو لا يمكنه، صح؟ بينما كنتَ مشغولاً في اقتراح بعض الأشياء، كنتُ مشغولاً في اقتراح شيء على نفسي. ما أقترحتُه هو أن الأشخاص المماثلين لا يمكنهم أبداً تنفيذ ما يدّعونه عند الطلب، لأنهم أصليون تماماً مثل ورقة الدولارات الثلاثة».

نظرَ جوني إلى المراسِلين الصحفيين الآخرين. ما عدا برايت، الذي بدا مُحرَجاً، كانوا يراقبون بشراهة. شَعَر فجأة كأنه على حبل مشنقة في ساحة عامة. سيفوزون في الحالتين، فكَّر في سرّه. إذا استطعتُ إخباره شيئاً، سيحصلون على مقال للصفحة الأولى. وإذا لم أستطع، أو إذا رفضتُ أن أجرِّب، سيحصلون على نوع آخر من المقالات.

«إذاً؟»، سأل دوسو وهو يلوِّح الميدالية تحت قبضته.

نظرَ جوني إلى وايزاك، لكن وايزاك كان قد أشاح بنظره، مشمئزاً.

«أعطني إياها»، قال جوني.

سلَّمه دوسو الميدالية فوَضَعها جوني في راحة يده. كانت ميدالية سانت كريستوفر. أفلَت السلسلة الرفيعة فوقها في كومة صفراء صغيرة متموِّجة وأغلق يده فوقها.

ساد صمتٌ مطبقٌ في الغرفة. حفنة الأطباء والممرضات الواقفون عند مدخَل الصالة انضم إليهم ستة آخرون، بعضهم يرتدي ملابس عادية في طريقه للخروج من المستشفى بعد انتهاء نوبة عمله. كما تجمَّع حَشدٌ من المرضى في نهاية الرواق الذي يؤدي إلى تلفزيون الطابق الأول وصالة الألعاب. والأشخاص الذين أتوا لساعات الزيارة العادية في المساء الباكر انجرفوا من الردهة الرئيسية. عمَّ توتّر ثقيل في الأجواء مثل همهمة سلك طاقة.

وَقَف جوني بصمت، شاحباً ونحيلاً في قميصه الأبيض وسرواله الجينز الأزرق الأكبر من قياسه. راح يشدّ على ميدالية سانت كريستوفر بشكل محكم في يده اليمنى لدرجة أن الأوتار في مِعصَمه بَرَزت بشكل قوي في وهج أضواء كاميرات التلفزيون. وَقَف دوسو أمامه في موضع الخصم بكامل تركيزه وأحكامه في بذلته الداكنة. بدا أن اللحظة طالت إلى ما لا نهاية. لا أحد سعَلَ أو همَس.

«آه»، قال جوني بلطف... ثم: «هل هذا كل شيء؟».

ارتخت أصابعه ببطء. نظرَ إلى دوسو.

«إذاً؟»، سأل دوسو، لكن النبرة السلطوية اختفت فجأة من صوته. كما بدا أن الشابّ المُتعَب المتوتّر الذي أجاب على أسئلة المراسِلين الصحفيين اختفى أيضاً. ارتسمت شبه ابتسامة على شفتَي جوني، لكن لم يكن هناك أي دفء فيها. وأظلَمَ أزرق عينيه، وأصبحتا باردتين وشاردتين. رأى وايزاك ذلك وأصابته القشعريرة. أخبَر زوجته لاحقاً أنه كان وجه رجلٍ ينظر عبر مِجهَر عالي الدقة ويراقب جنساً مثيراً للاهتمام من جراثيم البراميسيوم.

«هذه ميدالية أختك»، قال لدوسو. «اسمها آنْ لكن الجميع ينادونها تيري. أختك الكبرى. كنتَ تحبِّها، بل تعشق الأرض التي تسير عليه».

فجأة وبشكل رهيب، بدأ صوت جوني سميث يرتفع ويتغيَّر. أصبح الصوت الأجش والمتردِّد لمراهِقٍ.

«هذه لحمايتكِ عندما تجتازين شارع لشبونة عكس الأضواء يا تيري، أو عندما تخرجين مع أحد أولئك الشباب. لا تنسي يا تيري... لا تنسي...».

المرأة الممتلئة التي كانت قد سألت جوني مَن سيرشِّح الديموقراطيون السنة القادمة أصدرت أنيناً خائفاً. وتمتم أحد المصوِّرين التلفزيونيين «يا إلهي!» بصوتٍ أجش.

«توقف»، همَس دوسو وقد شحُب وجهه بظلٍ رماديٍ. جحظت عيناه ولمعَ البُصاق كالكْروم على شفته السفلى في هذا الضوء الفظّ. تحرَّكت يداه نحو الميدالية الملفوفة الآن على سلسلتها الذهبية الرفيعة فوق أصابع جوني. لكنهما تحرّكتا من دون قوة أو سلطة. راحت الميدالية تلوِّح ذهاباً وإياباً، عاكسةً الضوء بأسلوب منوِّم مغنطيسياً.

«تذكَّريني يا تيري»، توسَّل صوت المراهِق. «حافظي على عفّتك يا تيري... رجاءً، بالله عليك حافظي على عفّتك...».

«*توقف! توقف أيها الوغد!*».

تكلَّم جوني الآن بصوته مرة أخرى. «السرعة كانت السبب، أليس كذلك؟ ثم المخدّرات. ماتت من نوبة قلبية في السابعة والعشرين. لكنها ارتدتها لعشر سنوات يا روجر. لقد تذكَّرتك. لم تنسك أبداً. لم تنسَ أبداً... أبداً... أبداً... أبداً».

انزلَقت الميدالية من أصابعه وارتطمت بالأرض مُحدثةً صوتاً موسيقياً خافتاً. بقي جوني يحدِّق بعيداً في الفراغ للحظة، بوجه هادئ وشارد. انحنى دوسو ليرفع الميدالية وهو يشهق بصوت أجش في الصمت المذهول.

فرقَع ضوء إحدى الكاميرات، فصفا وجه جوني وعاد وجهه من جديد. اعتراه الرعب، ثم الشفقة. ركَع بشكل أخرق بجانب دوسو.

«آسف»، قال. «آسف، لم أقصد أن...».

«أيها النصّاب، أيها المخادِع الوغد!»، صاح به دوسو. «إنها كذبة! كلها كذبة! كلها كذبة!». ضرَب جوني ضربة خرقاء بيدٍ مبسوطةٍ على عنقه فوَقَع جوني وارتطم رأسه بقوة بالأرض. رأى نجوماً.

صَخَب.

بالكاد أدرك أن دوسو يشقّ طريقه بتهوّر بين الحَشد ونحو الأبواب. تجمهر الأشخاص حول دوسو، حول جوني. رأى دوسو بين غابة أرجل وأحذية. ثم كان وايزاك بجانبه يساعده على النهوض.

«جون، هل أنت بخير؟ هل أذاك؟».

«ليس بقدر ما أذيتُه. أنا بخير». كافَح ليقف على قدمَيه وقد ساعدته يدان - ربما يدا وايزاك، ربما يدا شخص آخر. شَعَر بدُوار؛ غثيان تقريباً. هذه غلطة، غلطة فظيعة.

صَرَخ أحدهم بصوتٍ ثاقبٍ - المرأة البدينة التي كانت قد سألت عن الديموقراطيين. رأى جوني دوسو يسقط على رُكبتَيه، يتلمَّس كُمّ بلوزة المرأة البدينة ثم ينزلق إلى الأمام بتعب إلى البلاط القريب من المدخَل الذي كان يحاول الوصول إليه. كانت ميدالية سانت كريستوفر لا تزال في يده.

«لقد أُغمي عليه»، قال شخص. «أُغمي عليه تماماً. تباً».

«هذا ذنبي»، قال جوني لسام وايزاك. بدا صوته مخنوقاً من الخِزي، من الدموع. «كله ذنبي».

«لا»، قال سام. «لا يا جون».

لكنه ذنبه. انتزع نفسه من يدَي وايزاك وذهَب إلى حيث دوسو ممدَّد، وقد بدأ يستفيق الآن، وعيناه تومضان بذهول بالسقف. اقترب طبيبان من المكان الممدَّد فيه.

«هل هو بخير؟»، سأل جوني. استدار نحو المراسِلة الصحفية التي ترتدي بذلة نسائية وانكمَشت بعيداً عنه. اعترى تشنّج خوف وجهها.

استدار جوني في الاتجاه الآخر، نحو المراسِل التلفزيوني الذي سأله إن حصلت معه أي ومضات قبل الحادث. شَعَر فجأة أنه من المهم جداً أن يشرَح لأحدهم. «لم أقصد إيذاءه»، قال. «صدقاً، لم أقصد أبداً إيذاءه. لم أعرف...».

خطا المراسِل التلفزيوني خطوة إلى الوراء. «لا»، قال. «بالطبع لم تقصد. كان يستجلب ذلك لنفسه، أي شخص يمكنه رؤية ذلك. فقط... لا تلمسني، اتفقنا؟».

نظرَ إليه جوني بصمت، بشفتين ترتجفان. لا يزال مصدوماً لكنه بدأ يفهم. آه نعم. بدأ يفهم فعلاً. حاوَل المراسِل التلفزيوني أن يبتسم له ولم يستطع إنتاج أكثر من فم فاغر.

«فقط لا تلمسني يا جوني. رجاءً».

«الأمر ليس هكذا»، قال جوني - أو حاوَل أن يقول. لم يتيقّن لاحقاً إن كان قد خرج أي صوت منه.

«لا تلمسني يا جوني، اتفقنا؟».

تراجع المراسِل الصحفي إلى حيث كان مصوِّره يوضّب معداته. وَقَف جوني يراقبهما وهو يرتعش بالكامل.

3

«هذا لصالحك يا جون»، قال وايزاك. وَقَفت الممرضة خلفه شبحاً أبيض، متدرِّبة لدى لاعب خفّة، تحوم يداها فوق طاولة الدواء الصغيرة ذات العجلات، أمنية كل مدمن للأحلام السعيدة.

«لا»، قال جوني وهو لا يزال يرتعش. وبدأ الآن ينضح عرقاً بارداً أيضاً. «لا مزيد من الحُقن. لقد اكتفيتُ منها».

«حبة إذاً».

«لا مزيد من الحبوب أيضاً».

«لمساعدتك على النوم».

«هل سيكون قادراً على النوم؟ دوسو ذاك؟».

«هو استجلبه لنفسه»، همسَت الممرضة، ثم جفَلت عندما استدار وايزاك نحوها. لكن وايزاك ابتسم ابتسامة صفراء.

«إنها محقّة، أليس كذلك؟»، قال. «لقد استجلبه لنفسه. فقد اعتقَد أنك تبيع زجاجات فارغة يا جون. ليلة نوم جيدة ستمكّنك من إعطاء الموضوع حقّه».

«سأنام من تلقاء نفسي».

«جوني رجاءً».

كانت الحادية عشرة والرُبع، والتلفزيون في الغرفة انطفأ للتو بعد أن شاهد جوني وسام التقرير المصوَّر معاً. كان التقرير الثاني بعد التقرير عن القوانين التي نقضَها فورد. تقريري مشوِّق أكثر، فكَّر جوني في سرّه بفرح مَرَضي. فالتقرير المصوَّر عن أصلع جمهوري يتشدَّق أقوالاً مبتذَلةً عن ميزانية الدولة لا يُقارن بالمشهد الذي التقطه مصوِّر محطة WABI هنا سابقاً هذا المساء.

انتهى المشهد بدوسو يغطس نحو الأرض ويده تقبض على ميدالية أخته ومحاولاً التمسّك بالمراسِلة الصحفية مثلما يحاول الغريق أن يتمسّك بحبال الهواء.

عندما انتقل مُذيع نشرة الأخبار التلفزيونية إلى كلب الشرطة والمئتَي كيلوغرام من المخدّرات، عاد وايزاك بعد أن كان قد غادر لفترة قصيرة ومعه خبر أن سنترال المستشفى يغصّ بمكالمات له حتى قبل أن يُعرَض التقرير. جاءت الممرضة حاملة الدواء بعد بضع دقائق مما جعل جوني يقتنع أن سام ذهبَ إلى محطة الممرضات ليفعل أكثر من مجرّد تفقُّد كمية المكالمات الواردة.

في تلك اللحظة، رنَّ الهاتف.

شتمَ وايزاك همساً. «لقد أخبَرتُهم ألا يحوّلوا أي مكالمة. لا تردّ على الهاتف يا جون، أنا سوف...».

لكن جوني كان قد ردّ من قبل. أخذ يُنصت للحظة، ثم أومأ برأسه. «نعم، صحيح». وَضَع يده فوق السمّاعة. «إنه أبي»، قال. رفع يده عن السمّاعة. «مرحباً يا بابا. أظن أنك...». أنصتَ. خفّت الابتسامة الصغيرة على شفتيه وحلّ محلها رعب ثقيل. تحرّكت شفتاه بصمت.

«جون، ما الأمر؟»، سأل وايزاك بحدّة.

«حسناً يا بابا»، قال جوني بهمس تقريباً. «نعم. كمبرلاند العامة. أعرف العنوان. مباشرة فوق جيروزالم لوت. حسناً. حسناً يا بابا...».

خشُن صوته. كانت عيناه غير دامِعتين لكن تتلألآن.

«أعرف هذا يا بابا. أحبك أيضاً. آسف».

أنصتَ.

«نعم. نعم»، قال جوني. «أراك بخير يا بابا. نعم. إلى اللقاء».

أغلَق سمّاعة الهاتف، ووضع يديه على عينيه وضغط.

«جوني؟». انحنى سام وأبعد إحدى يديه وأمسكها بلطف. «هل هذا بشأن أمك؟».

«نعم. بشأن أمي».

«نوبة قلبية؟».

«سكتة»، قال جوني، وأصدرَ سام وايزاك هسهسة متألمة خافتة بين أسنانه. «كانا يشاهدان نشرة الأخبار... لم تكن لديهما أي فكرة... وظهرتُ على الشاشة... وأُصيبت بسكتة. يا إلهي. إنها في المستشفى. الآن إذا حصل شيء لأبي، سنصبح ثلاثة في التقرير الإخباري». ضحك ضحكة صاخبة. وراحت عيناه تتنقّلان بعنف من سام إلى الممرضة ثم عودة إلى سام مرة أخرى. «إنها موهبة جيدة»، قال. «يجب أن يمتلكها كل شخص». أتت الضحكة مرة أخرى، أشبه بصرخة.

«كم حالها سيئة؟»، سأل سام.

«لا يعرف». لوَّح جوني رِجلَيه عن السرير. كان قد أعاد تغيير ملابسه مرتدياً ثوب المستشفى وكانت قدماه عاريتين.

«ماذا تظن نفسك فاعلاً؟»، سأل سام بحدّة.

«ماذا يبدو لك؟».

نهض جوني، وللحظة بدا أن سام سيدفعه إلى السرير. لكنه اكتفى بمراقبته يعرج إلى الخزانة. «لا تكن سخيفاً. لستَ جاهزاً لهذا يا جون».

دون أن يكترث لوجود الممرضة - فقد رأوا مؤخرته العارية ما يكفي من مرات - تركَ جوني الثوب يسقط حول قدمَيه. بَرَزت الندبات المتعرّجة السميكة على مؤخرة رُكبتَيه ورِبلتيه النحيلتين. بدأ يفتِّش عن ملابس في الخزانة، ووجد القميص الأبيض وسروال الجينز اللذين ارتداهما في المؤتمر الصحفي.

«جون، أمنعك كلياً من فعل هذا. بصفتي طبيبك وصديقك دعني أقول لك إن هذا جنون».

«امنع كيفما تشاء، أنا ذاهب»، قال جوني. بدأ يرتدي ملابسه وقد اعترى وجهه تعبير الانهماك الشارد ذاك الذي ربطه سام بنشواته. وراحت الممرضة تحدِّق ببلاهة.

«أيتها الممرضة، يجدر بك أن تعودي إلى محطتك»، قال سام.

توجَّهت نحو الباب، وَقَفت هناك للحظة، ثم خرجت. على مضض.

«جوني»، قال سام. نهض، ذهَب إليه، ووضع يده على كتفه. «لستَ مَن فعل ذلك».

نفضَ جوني يده عنه. «بلى»، قال. «كانت تشاهدني عندما حصَل ذلك». بدأ يزرّر قميصه.

«ألحَّيتَ عليها أن تأخذ دواءها وتوقَّفت».

نظرَ جوني إلى وايزاك للحظة ثم عاد إلى تزرير قميصه.

«لو لم يحصل ذلك هذه الليلة، كان سيحصل غداً، الأسبوع القادم، الشهر القادم...».

«أو السنة القادمة. أو بعد عشر سنوات».

«لا. لما كانت صمدت عشر سنوات. أو حتى سنة. وأنتَ تعرف ذلك. لماذا تصرّ على إلقاء اللوم على نفسك؟ بسبب ذلك المراسِل الصحفي المعتدّ بنفسه؟ هل هذا ربما نوع معكوس من الشفقة على الذات؟ رغبة عارمة بتصديق أنك ملعون؟».

اكفهرّ وجه جوني. «كانت تشاهدني عندما حصَل ذلك. ألا تفهم؟ هل أنت بسيط لعين لدرجة أنك لا تفهم هذا؟».

«كانت تنوي القيام برحلة مرهِقة، وصولاً حتى كاليفورنيا ثم تعود، أنتَ أخبَرتني هذا بنفسك. ندوةٌ ما. من النوع العاطفي جداً، حسبما قلتَ. نعم؟ نعم. كان سيحصل وقتها بكل تأكيد. السكتة ليست برقاً من سماء زرقاء يا جوني».

زرَّر جوني سروال الجينز ثم جلس كما لو أن عملية ارتداء الملابس أرهقته كثيراً بحيث لم يعد قادراً على فعل أي شيء آخر. لا تزال قدماه عاريتين. «أجل»، قال. «أجل، قد تكون محقّاً».

«منطق! بدأ يفكّر بمنطق! الحمد لله!».

«لكن لا يزال عليَّ أن أذهب يا سام».

رمى وايزاك يديه عالياً في الهواء. «لتفعل ماذا؟ إنها بين يدَي أطبائها ويجب أن تفهم أنها أفضل حالاً من أي شخص آخر».

«سيحتاج لي أبي»، قال جوني بلطف. «أفهم هذا أيضاً».

«كيف ستذهب؟ إنه منتصف الليل تقريباً».

«بالحافلة. سأستقلّ سيارة أجرة إلى پيتر كاندلايتر. لا تزال الحافلات تتوقف هناك، أليس كذلك؟».

«لستَ مضطراً إلى فعل ذلك»، قال سام.

راح جوني يتلمَّس تحت الكرسي بحثاً عن حذائه ولم يجده. أخرجه سام من تحت السرير وأعطاه إياه.

«سأوصلك إلى هناك».

رفع جوني نظره إليه. «ستفعل ذلك؟».

«إذا أخذت حبّة مهدئة للأعصاب خفيفة، نعم».

«لكن زوجتك...»، أدرَك ببعض الارتباك أن الشيء الملموس الوحيد الذي يعرفه عن حياة وايزاك الشخصية هو أن أمه تعيش في كاليفورنيا.

«أنا مطلَّق»، قال وايزاك. «فالطبيب يضطر إلى البقاء خارج المنزل طوال ساعات الليل... إلا إذا كان طبيب أطفال أو طبيب أمراض جلدية، أليس كذلك؟ نظرت زوجتي إلى السرير كنصف فارغ بدلاً من نصف ممتلئ. لذا ملأته بتشكيلة من الرجال.

«آسف»، قال جوني مُحرَجاً.

«أنتَ تمضي مقدراً كبيراً من وقتك في التأسّف يا جون». كان وجه سام لطيفاً، لكن عينيه كانتا صارمتين. «ارتدِ حذاءك».

الفصل الثاني عشر

1

من مستشفى إلى مستشفى، فكَّر جوني في سرّه بأسلوب حالم، وهو يطير بلطف بفعل الحبة الزرقاء الصغيرة التي أخذها قبل أن يخرج من مركز ماين الشرقية الطبي مع سام ويركب سيارته الإلدورادو موديل 1975. من مستشفى إلى مستشفى، من شخص إلى شخص، من محطة إلى محطة.

استمتَع بالرحلة بطريقة سرية غريبة - فهي أول مرة يخرج فيها من المستشفى منذ قرابة خمس سنوات. كان الليل صافياً، ودرب اللبّانة يبسط نجومه في السماء في مهرجان أضواء نابضة بالحياة، ونصف قمر يتبعهما فوق خط الأشجار الداكنة بينما توجّها جنوباً عبر پالميرا، نيوبورت، پيتسفيلد، بنتون، كلينتون. سارت السيارة بصمت مُطبِق تقريباً. وصدحت موسيقى خافتة، هايدن، من مكبّرات الصوت الأربعة لنظام الستيريو.

لقد أتى إلى مستشفى في إسعاف كليفز ميلز، وذهَب إلى مستشفى أخرى في كاديلاك، فكَّر في سرّه. لم يدع ذلك يزعجه. فيكفيه أن يركب السيارة، أن يعوم على الطريق، أن يترك مشكلة أمه وقدرته الجديدة والأشخاص الذين أرادوا التطفّل على روحه (*لقد استجلبه لنفسه... فقط لا تلمسني رجاءً*) تستريح في نفق مؤقَّت. لم يتكلَّم وايزاك، بل هَمهَم مع الموسيقى من وقت لآخر.

راقَب جوني النجوم. راقَب الطريق الرئيسي، المهجور تقريباً في هذا الوقت المتأخر والمنبسط أمامهما إلى ما لا نهاية. اجتازا بوابة تعرفة المرور في أوغستا وقطعَ وايزاك تذكرةً. ثم أكملا طريقهما - غاردنر، ساباتّوس، لويستون.

قرابة خمس سنوات، أطول مما يمضيه بعض القتلة المُدانين في السجن.

نام.

حلَم.

«جوني»، قالت أمه في حلمه. «جوني، اجعلني أفضل، اجعلني بخير». كانت ترتدي ملابس متسوِّل. تزحف نحوه على حصى كبيرة. وجهها أبيض. دم رقيق يسيل من رُكبتَيها. قمل أبيض يفرفر في شعرها الخفيف. مدَّت إليه يدين ترتعشان. «إنها قوة السماوات تعمل فيك»، قالت. «هذه مسؤولية كبيرة يا جوني. ثقة كبيرة. يجب أن تكون جديراً بها».

أمسك يديها وقال، «أيتها الأرواح، ارحلي عن هذه المرأة».

نهضت. «لقد شُفيتُ!»، صاحت بصوتٍ ممتلئ بانتصار غريب رهيب. «*لقد شُفيتُ! ابني شفاني! عمله رائع على الأرض!*».

حاوَل أن يحتجّ، أن يُخبرها أنه لم يرغب أن يفعل أعمالاً رائعةً، أو أن يشفي، أو يتكلَّم بألسنة، أو يتوقَّع المستقبل، أو يجد الأشياء التي فُقدَت. حاوَل أن يُخبرها، لكن لسانه لم يُطِع أمر دماغه. ثم تجاوزته، وهي تمشي بخطى واسعة في الشارع المرصوف بالحصى، وقفتها متذلِّلة وخانعة لكن متغطرسة نوعاً ما في الوقت نفسه؛ راح صوتها يصدح مثل بوقٍ: «*أُنقذتُ! منقِذ! أُنقذتُ! منقِذ!*».

وما أرعبه هو رؤيته آلاف الآخرين خلفها، ربما ملايين الآخرين، كلهم مشوَّهون أو مرتعبون. كانت المراسِلة الصحفية البدينة هناك، تريد أن تعرف مَن سيرشِّح الديموقراطيون للرئاسة عام 1976؛ وكان هناك مُزارع بنظرات ميتة في رداء سروالي يحمل صورة ابنه الشابّ المبتسم في زيّ سلاح الجو والذي اعتُبر مفقوداً في معركة هانوي عام 1972، أراد أن يعرف إن كان ابنه حيّاً أم ميتاً؛ شابة تشبه سارة بلّلت الدموع خدّيها الناعمين، ترفع طفلاً رأسه مُصاب بمرض الاستسقاء وتبدو عليه أوردة زرقاء مثل أحرف رّونية؛ عجوز انعقفت أصابعه بسبب التهاب المفاصل؛ وآخرون. امتدّت صفوفهم لكيلومترات، سينتظرون بصبر، وسيقتلونه باحتياجاتهم الصامتة الغاصبة.

«*أُنقذتُ!*». أعاده صوت أمه بإلحاح. «*منقِذ! أُنقذتُ! أُنقذتُ!*».

حاوَل إخبارهم أنه لا يمكنه أن يداوي أو يُنقذ، لكن قبل أن يتمكن من فتح فمه ليقدِّم إنكاره، وضع الأول يديه عليه وراح يهزّه.

كان الهزّ حقيقياً كفاية. إنها يد وايزاك على ذراعه. ملأ ضوء برتقالي قوي السيارة، جاعلاً داخلها ساطعاً كضوء النهار - كان ضوء كابوسٍ حوَّل وجه سام اللطيف إلى وجه غُول. اعتقَد للحظة أن الكابوس لا يزال مستمراً ثم رأى أن الضوء آتٍ من مصابيح مرأب السيارات. يبدو أنهم غيَّروا هذه أيضاً بينما كان في غيبوبته. من أبيض ناصع إلى برتقالي غريب يقع على البشرة مثل طلاء.

«أين نحن؟»، سأل ببلادة.

«المستشفى»، قال سام. «كمبرلاند العامة».

«آه. حسناً».

استوى جالساً. بدا أن الحلم يتلاشى في جزيئات، ولا يزال يكسو أرضية ذهنه مثل شيء مكسور لم يُكنَس بعد.

«هل أنت جاهز للدخول؟».

«نعم»، قال جوني.

اجتازا مرأب السيارات وسط الصرير الناعم لجداجد الصيف ودرزات اليراعات في ظلمة الغابة. غمرته صورة أمه بقوة - لكن ليس إلى حدّ منعه من التمتّع برائحة الليل الناعمة والعطِرة والشعور بالنسيم الخفيف على بشرته. هناك وقت للتمتّع بصحة الليل، والشعور بالصحة يأتي من داخله. في سياق سبب تواجده هنا، بدت الفكرة مُجونيّة تقريباً - لكن بشكل تقريبي فقط. ولن تزول.

2

اجتاز هيرب الرواق ليلاقيهما، ورأى جوني أن أبيه يرتدي بنطلوناً قديماً، وحذاءً من دون جوارب، وقميص بيجامته. هذا أفهمَ جوني الكثير عن مباغَتة حصول الأمر. كما أفهمه أكثر مما أراد أن يعرف.

«بُنيّ»، قال. بدا أصغر حجماً إلى حدّ ما. حاوَل أن يقول المزيد ولم يستطع. عانَقه جوني وأجهش هيرب بالبكاء على قميص جوني.

«بابا»، قال. «لا بأس يا بابا، لا بأس».

وضع أبوه ذراعيه على كتفَي جوني وبكى. استدار وايزاك وبدأ يتفحّص الصور على الجدران، لوحات مائية فاترة بريشة فنانين محليين.

بدأ هيرب يتمالك نفسه. مسح عينيه بذراعه وقال، «انظر إليَّ، لا أزال في قميص البيجامة. تسنّى لديَّ وقت لأغيِّر ملابسي قبل وصول الإسعاف. أظن أنني لم أفكّر بذلك أبداً. لا شكّ أنني بدأت أخرف».

«لا، هذا غير صحيح».

«حسناً». هزَّ كتفيه. «هل أحضَرك صديقك الطبيب؟ هذا لطف منك أيها الطبيب وايزاك».

هزَّ سام كتفيه. «هذا شيء لا يُذكَر».

سار جوني وأبوه نحو صالة الانتظار الصغيرة وجلسا. «بابا، هل هي...».

«إنها تغرق»، قال هيرب. بدا أكثر هدوءاً الآن. «واعية لكنها تغرق. بقيت تسأل عنك يا جوني. أعتقد أنها تحاول الصمود حتى مجيئك».

«هذا ذنبي»، قال جوني. «كل هذا ذ...».

أجفله الألم في أذنه، وحدَّق في أبيه مندهشاً. كان هيرب قد أمسك أذنه وراح يشدّها بقوة. لم يدم طويلاً انعكاس الأدوار وبكاء أبيه على ذراعيه. كانت الخدعة القديمة بشدّ الأذن عقاباً يخصّصه هيرب لأفدح الأخطاء. لا يستطيع جوني أن يتذكَّر أن أذنه شُدَّت منذ أن كان في الثالثة عشرة عندما قُبض عليه يلهو بسيارتهم الرامبلر القديمة. فقد أرخى القابض عن غير قصد واندفعت السيارة القديمة بصمت على المنحدر واصطدمت بحظيرتهم الخلفية.

«لا تقل هذا أبداً»، قال هيرب.

«*تباً يا بابا!*».

أفلته هيرب، ولاحت ابتسامة صغيرة تحت زوايا فمه. «لقد نسيتَ عقاب شدّ الأذن، أليس كذلك؟ ظننتَ على الأرجح أنني نسيتُه أيضاً. لستَ محظوظاً إلى هذا الحدّ يا جوني».

راح جوني يحدِّق في أبيه وهو لا يزال مصعوقاً.

«لا تلُم نفسك أبداً».

«لكنها كانت تشاهد ذلك اللعين...».

«نشرة الأخبار، نعم. كانت في قمة سعادتها... ثم أصبحت على الأرض، وفمها العجوز المسكين يُفتَح ويُغلق كأنها سمكة خارج الماء». انحنى هيرب مقترباً من ابنه. «لن يتقدَّم الطبيب ويُخبِرني بشكل مباشر، لكنه سألني عن ‹العلاجات البطولية›. أخبَرتُه رفضي كل تلك الأمور. لقد اقترفَتْ نوعها الخاص من الذنوب يا جوني. افترَضت أنها تعرف مخططات السماوات. لذا لا تلُم نفسك أبداً على خطئها». تلألأت دموع جديدة في عينيه وخشُن صوته. «لقد أمضيتُ حياتي أحبّها وأصبح ذلك صعباً في الآونة الأخيرة. ربما هذا أفضل شيء».

«هل يمكنني رؤيتها؟».

«نعم، إنها في نهاية الرواق، الغرفة 35. إنهم يتوقعونك، وهي أيضاً. فقط شيء واحد يا جوني. وافق على أي شيء وكل شيء قد تقوله. لا... تدعها تموت وهي تظن أنها تحمّلت كل ذلك عن عبث».

«لا». صمتَ قليلاً. «هل ستأتي معي؟».

«ليس الآن. ربما لاحقاً».

أومأ جوني برأسه وسار في الرواق. كانت الأضواء قد خُفِّفَت استعداداً لليل. اللحظات الوجيزة في ليل الصيف الهادئ الناعم بدت بعيدة الآن، لكن كابوسه في السيارة بدا قريباً جداً.

الغرفة 35. ڤيرا هيلين سميث، قالت البطاقة الصغيرة على الباب. هل كان يعرف أن اسمها الوسطي هو هيلين؟ بدا له أنه عرَف ذلك بلا شكّ، رغم أنه لا يمكنه أن يتذكَّر. لكن يمكنه أن يتذكَّر أشياء أخرى: إحضارها له قرن بوظة ملفوف بمنديلها ذات يوم صيفي حار في أولد أورتشرد بيتش وهي تبتسم مبتهجةً. هو وأمه وأبوه يلعبون الهاند لمطابقة أوراق اللعب - لاحقاً، بعدما بدأت مسألة التخشّع تتعمَّق لديها، لم تعد تقبل بوجود أي أوراق لعب في المنزل، حتى للعب الكريبج. تذكَّر اليوم الذي لسعته نحلةٌ وركض إليها يصرخ بأعلى صوته، فقبَّلت له التورّم واستخرَجت الإبرة بملقط ثم لفَّت له الجرح بقطعة قماش غمَّستها ببيكربونات الصوديوم.

فتَح الباب ودخَل. وجدها عبارة عن سنام غامض على السرير وفكَّر جوني في سرّه، هكذا بدَوتُ أنا. كانت ممرضة تقيس معدل نبضات قلبها؛ استدارت عندما فُتح الباب ووَمَضت أضواء الرواق المعتمة على نظّاراتها.

«هل أنت ابن السيدة سميث؟».

«نعم».

«جوني؟»، ارتفع صوتها من السنام على السرير، جافاً ومجوَّفاً، يُخشخِش من الموت مثلما تُخشخِش بضع حصى في حبّة قرع فارغة. الصوت - ليكن الله في عونه - جعل بشرته تقشعر. اقترب منها ورأى أن وجهها منفتل على هيئة قناع مزمجِر على جهته اليسرى. واليد على اللحاف مجرّد مخلب. *سكتة*، فكَّر في سرّه. *ما يسمّيه العجائز صدمةً. نعم. هذا أفضل. هذا ما بدت عليه. كما لو أنها تلقت صدمة سيئة.*

«هل هذا أنت يا جون؟».

«هذا أنا يا ماما».

«جوني؟ هل هذا أنت؟».

«نعم يا ماما».

اقترب أكثر، وأجبر نفسه على إمساك المخلب النحيل. «أريد ابني جوني»، قالت بتذمّر.

رمقته الممرضة بنظرة شفقة، ووجَد نفسه يريد تحطيمها بقبضته.

«هلاّ تركتنا لوحدنا؟»، سأل.

«ليس عليَّ حقاً بينما...».

«بالله عليكِ هذه أمي وأريد بعض الوقت لوحدي معها»، قال جوني. «ما رأيك؟».

«حسناً...».

«أحضِر لي عصيري يا بابا!»، صاحت أمه بصوت أجش. «أشعر كما لو أنني قادرة على شرب ليتر كامل!».

«هلاّ خرجتي من هنا؟»، صاح بالممرضة وقد غمره حزنٌ فظيعٌ لا يستطيع حتى إيجاد نقطة مركزه. بدا كما لو أنه في دوَّامة ظلمة.

خرجت الممرضة.

«ماما»، قال وهو يجلس بجانبها. لم يبارحه الشعور الغريب بانعكاس الزمن. كم مرة جلسَت على سريره هكذا، ربما تُمسك يده الجافة وتكلِّمه؟ تذكَّر الفترة التي لا تنتهي عندما بدا أن الغرفة أطبقت عليه بقوة - كان يرى من خلال غشاء مشيمي رقيق كالشاش، وجه أمه المنحني فوقه، الأصوات الخرقاء المدوّية على وجهه المقلوب إلى أعلى.

«ماما»، قال مرة أخرى وقبَّل الخطّاف الذي حلّ محل يدها.

«أعطني تلك المسامير، يمكنني فعل ذلك»، قالت. بدت عينها اليسرى مجمَّدة في محجرها، وراحت الأخرى تدور بعنف. كانت عين حصانٍ مُصابٍ بطلقةٍ في أمعائه. «أريد جوني».

«ماما، أنا هنا».

«*جون - ني! جون - ني! جون - ني!*».

«*ماما*»، قال خائفاً من أن تعود الممرضة.

«أنت...»، قالت وأدارت رأسها نحوه قليلاً. «انحنِ إلى هنا حيث يمكنني أن أراك»، همَست.

فعلَ مثلما طُلب منه.

«لقد أتيتَ»، قالت. «شكراً. شكراً». بدأت الدموع تنهمر من العين الجيدة. أما العين السيئة، العين الواقعة على جهة وجهها التي تجمَّدت من الصدمة، فبقيت تحدِّق صعوداً بلا مبالاة.

«طبعاً سآتي».

«لقد رأيتُك»، همَست. «يا لهذه الطاقة التي وهبتك إياها السماوات يا جوني! ألم أُخبِرك؟ ألم أقل لك هذا؟».

«نعم، لقد قلتِ لي هذا».

«لديها وظيفة لك»، قالت. «لا تهرب من هذا يا جوني. لا تختبئ في كهف أو تجعلها ترسل سمكة كبيرة لتبتلعك. لا تفعل ذلك يا جون».

«لا. لن أفعل ذلك». أمسك يدها المخلب. دوّى رأسه.

«لستَ الخزّاف بل طين الخزّاف يا جون. تذكَّر هذا».

«حسناً».

«تذكَّر *هذا!*»، قالت بحدّة، وفكَّر في سرّه، *إنها تعود إلى أرض الهُراء*. لكنها لم تفعل ذلك؛ على الأقل لم تعد إلى هناك أكثر مما عادت منذ أن خرَج من غيبوبته.

«أنصِت جيداً للصوت الخافت الهادئ عندما يأتي إليك»، قالت.

«نعم يا ماما. سأفعل».

استدار رأسها قليلاً جداً على الوسادة و - هل *تبتسم*؟

«أظنك تعتقد أنني مجنونة». فتَلت رأسها قليلاً أكثر لكي تتمكن من النظر إليه مباشرة. «لكن هذا لا يهمّ. ستعرف الصوت عندما يأتي إليك. سيُخبِرك ماذا عليك أن تفعل. سيأتي إليك. سيُخبِرك. وعندما يحصل ذلك يا جوني... *أدِّ واجبك*».

«حسناً يا ماما».

«يا لهذه الطاقة»، همسَت. كان صوتها يزداد عمقاً وغموضاً. «يا لهذه الطاقة التي وهبتك إياها السماوات... كنتُ أعرف... لطالما عرَفتُ...». انخفت صوتها. انغلقت العين الجيدة. وبقيت الأخرى تحدِّق إلى الأمام بشكلٍ خالٍ من أي تعبير.

بقي جوني يجلس معها لخمس دقائق أخرى، ثم نهض ليرحل. عندما وصلت يده إلى مسكة الباب وبدأ يفتحه، صدحَ صوتها الجاف المُخشخِش مرة أخرى، مقشعراً له بدنه بأمره الإيجابي الشرِس.

«*أدِّ واجبك يا جون*».

«نعم يا ماما».

هذه آخر مرة كلَّمها فيها. فقد ماتت عند الثامنة وخمس دقائق صباح 20 أغسطس. في مكان ما شمالاً منهم، كان والت وسارة هازليت يتناقشان عن جوني إلى حدود الجدال تقريباً، وفي مكان ما جنوباً منهم، كان غريغ ستيلسون يجرِّح حقيراً رئيسياً.

الفصل الثالث عشر

1

«أنت لا تفهم»، قال غريغ ستيلسون بصوت صبور تماماً للولد الجالس في الصالة عند الجهة الخلفية لمخفر ريدجواي. كان الولد الذي لا يرتدي قميصاً مسترخياً على كرسي مبطَّن قابل للطي يشرب زجاجة بيبسي، ويبتسم ببراءة لغريغ ستيلسون دون أن يفهم أن غريغ ستيلسون لا يكرِّر كلامه أكثر من مرتين، وقد فهم أن هناك حقيراً رئيسياً واحداً في الغرفة، لكنه لم يفهم بعد مَن هو.

يجب إفهامه ذلك بوضوح.

وبالقوة، إذا لزم الأمر.

في الخارج، كان صباح أواخر أغسطس مشرقاً ودافئاً، والطيور تغرّد على الأشجار. شَعَر غريغ أن مصيره أقرب من أي وقت مضى. لهذا السبب سيكون حذراً مع هذا الحقير الرئيسي. لم يكن هذا فتىً طويل الشعر مهووساً بالدرّاجات لديه حالة سيئة من تقوّس الساقين ورائحة جسد كريهة؛ بل كان فتىً جامعياً ذا شعر طويل نسبياً لكن نظيفاً، وهو ابن أخت جورج هارفي. صحيح أن جورج لا يهتمّ لأمره كثيراً (لقد حارَب جورج في ألمانيا عام 1945، ولديه كلمتان لأولئك المنحرفين ذوي الشعر الطويل ليستا *عيداً سعيداً*)، لكنه من لحمه ودمه. وجورج رجلٌ مُعتبَرٌ في مجلس البلدة. *حاول أن ترى ما يمكنك أن تفعله معه*، قال جورج لغريغ عندما أبلَغه غريغ أن الرئيس وِيغنز اعتقَل ابن أخته. لكن عينيه قالتا، *لا تؤذه. إنه من لحمي ودمي*.

راح الولد ينظر إلى غريغ بازدراء كسول. «أفهم»، قال. «نائبك دوغ أخذ قميصي وأريد استرجاعه. ومن الأفضل *لك* أن تفهم شيئاً. إذا لم أسترجعه، سأجعل الاتحاد الأميركي للحريات

المدنية ينهش عنقك الأحمر».

نهض غريغ، ذهَب إلى خزانة الملفات الحديدية الرمادية الموجودة مقابل آلة المياه الغازية، أخرجَ حمّالة مفاتيحه، واختار مفتاحاً فتح به الخزانة. أخذ قميصاً تائياً أحمر موضوعاً فوق كومة استمارات حوادث وحركة مرور. بسطه بحيث ظهر النقش الذي عليه جلياً: حبيبتي هيا نتضاجع.

«كنتَ ترتدي هذا»، قال غريغ بنفس ذلك الصوت الدمث. «في الشارع».

تأرجح الولد على رِجلَي الكرسي الخلفيتين وعبَّ مزيداً من البيبسي. لم تتغيَّر الابتسامة الخفيفة التي تتراقص على فمه - ابتسامة ساخرة تقريباً. «هذا صحيح»، قال. «وأريد استرجاعه. إنه لي».

بدأ رأس غريغ يؤلمه. لم يُدرِك هذا المتذاكي كم ستكون المسألة سهلة بالنسبة له. فالغرفة عازلة للصوت، وحصلَ أن كتمَ ذلك العزل الصرخات في بعض الأحيان. لا - لم يُدرِك. لم *يفهم*.

لكن حافظ على أعصابك. لا تتحمَّس. لا تُفسد الأمور.

من السهل التفكير. من السهل التنفيذ عادة. لكن مزاجه أحياناً - يخرج عن السيطرة.

مدَّ غريغ يده إلى جيبه وأخرَج ولاّعته.

«لذا اذهب واخبِر رئيس الغستابو وخالي الفاشيّ أن التعديل الأول للدستور...». صمتَ قليلاً وشخُصَت عيناه قليلاً. «ماذا...؟ مهلاً! *مهلاً!*».

دون أن يعير انتباهه له وبهدوء ظاهري على الأقل، قدَحَ غريغ ولاّعته فارتفع لهب الغاز صعوداً مُشعلاً القميص التائي. احترَق بشكل جيد جداً، في الواقع.

هبطت رِجلا كرسي الولد الأماميتان بدويّ قوي ووَثَب نحو غريغ وزجاجة البيبسي لا تزال في يده. لقد اختفت الابتسامة المتكلّفة الصغيرة الراضية عن نفسها وحلّت محلها نظرة صدمة وتفاجؤ - وغضب شقيٍ مدلَّلٍ بقي يتصرَّف على هواه منذ مدة طويلة جداً.

لا أحد اعتبره قزماً في حياته كلها، فكَّر غريغ ستيلسون في سرّه، وأصبح صُداعه أسوأ. آه، عليه أن يكون حذراً.

«أعطني هذا!»، صرخ الولد. كان غريغ يُمسك القميص من عنقه بإصبعين بعيداً عنه، جاهزاً لإفلاته عندما يصبح حاراً جداً. «أعطني هذا أيها الحقير! هذا لي! هذا...».

زرعَ غريغ يده في وسط الصدر العاري للولد ودفَعَه بأقوى ما يستطيع - وهذا كان قوياً بالفعل. طار الولد في الغرفة وتحوَّل غضبه إلى صدمة تامة، و - أخيراً - إلى ما احتاج غريغ إلى رؤيته: خوف.

أفلَت القميص على الأرض، ورفعَ زجاجة بيبسي الولد، وصبَّ ما بقي فيها على القميص التائي المحترق. هسهَس بحقد.

بدأ الولد ينهض ببطء مُسنداً ظهره على الجدار. التقَت عينا غريغ بعيني الولد البنّيتين والشاخصتين بقوة.

«سنتوصل إلى تفاهم»، قال غريغ، وبدت الكلمات نائية له، خلف الدويّ العنيف في رأسه. «سنعقد مؤتمراً صغيراً هنا في هذه الغرفة الخلفية عمَن هو الحقير. هل تفهم قصدي؟ سنتوصل إلى بعض الاستنتاجات. أليس هذا ما تحبّون أيها الجامعيون فعله؟ التوصّل إلى استنتاجات؟».

راح الولد يأخذ أنفاسه بصعوبة. رطَّب شفتيه، وبدا أنه يريد أن يتكلَّم، ثم صاح: «*ساعدوني!*».

«أجل، تحتاج إلى مساعدة»، قال غريغ. «سأساعدك أنا أيضاً».

«أنت مجنون»، قال ابن أخت جورج هارفي، ثم صاح مرة أخرى، بصوت صاخب أكثر: «ساعدوني!».

«قد أكون مجنوناً»، قال غريغ. «بالتأكيد. لكن ما علينا اكتشافه يا صاني هو مَن منا الحقير الرئيسي. أتفهم ما أقصده؟».

أخفَض نظره إلى زجاجة البيبسي التي في يده، ولوَّحها بعنف فجأة على طرف الخزانة الفولاذية محطِّماً إياها. عندما رأى الولد قطع الزجاج على الأرض والعنق المتعرّج في يد غريغ يُوجَّه نحوه، صَرَخ. منفرج الساقين في سرواله الجينز، الباهت تقريباً إلى حدود البياض، أظلمَ فجأة. وأصبح وجهه بلون البرشمان القديم. ومع اقتراب غريغ نحوه، طاحناً الزجاج تحت حذاء العمل الذي يرتديه صيفاً وشتاءً، ارتعَد خوفاً عند الجدار.

«عندما أخرج إلى الشارع، أرتدي قميصاً أبيض»، قال غريغ. كان يبتسم مُظهِراً أسناناً بيضاء. «وأحياناً ربطة عنق. وعندما تخرج إلى الشارع، ترتدي خرقةً عليها جملة قذرة. لذا مَن الحقير يا صغيري؟».

انتحَب ابن أخت جورج هارفي شيئاً. ولم تحُد عيناه المنتفختان أبداً عن الرماح الزجاجية الناتئة من عنق الزجاجة التي في يد غريغ.

«إنني أقف هنا شامخاً وجافاً»، قال غريغ وهو يقترب منه أكثر، «وأنتَ البول يغطي رِجلَيك وصولاً حتى حذائك. لذا مَن الحقير؟».

بدأ يخزّ عنق الزجاجة بخفة ببطن الولد العاري والمبلَّل بالعرق، وبدأ ابن أخت جورج هارفي يبكي. هذا صنف الأولاد الذين يمزِّقون أوصال البلاد، فكَّر غريغ في سرّه. أزَّت سحابة الحنق السميكة وراحت تجول في رأسه. حقيرون نتِنون بكّاؤون كالأطفال مثل هذا.

آه، لكن لا تؤذه - لا تُفسد الأمور -

«أبدو إنساناً»، قال غريغ، «وأنتَ تبدو خروفاً في حفرة شحوم يا فتى. لذا مَن الحقير؟».

خزّه بالزجاجة مرة أخرى: أحد الأطراف الزجاجية الخشنة ثقبَ بشرة الولد تحت الحلمة اليمنى مباشرة وأسال نقطة دم صغيرة جداً. عوى الولد.

«إنني أكلِّمك»، قال غريغ. «من الأفضل لك أن تجيبني، تماماً مثلما قد تجيب أحد أساتذتك. مَن الحقير؟».

تباكى الولد لكن لم يصدر منه أي صوت متماسك.

«أجبني إذا كنتَ تريد النجاح في هذا الامتحان»، قال غريغ. «سأجعل أحشاءك تملأ كل هذه الأرض يا فتى». وكان جدّياً في كلامه في تلك اللحظة. لا يمكنه النظر مباشرة إلى هذا السيل المتدفّق من الدم؛ سيُصيبه بالجنون إذا فعلَ ذلك، سواء كان ابن أخت جورج هارفي أم لا. «مَن الحقير؟».

«أنا»، قال الولد وبدأ يشهق مثل طفل صغير خائف من البُعبُع، الغول الذي ينتظر خلف باب الخزانة في ساعات الليل.

ابتسم غريغ. دوَّى الصُداع واتّسع تدريجياً. «حسناً، جيد جداً. إنها بداية. لكنها غير كافية. أريدك أن تقول، ‹أنا حقير›».

«أنا حقير»، قال الولد وهو لا يزال يشهق. انساب المُخاط من أنفه وتدلّى هناك في الهواء. مسَحه بالجهة الخلفية ليده.

«الآن أريدك أن تقول، ‹أنا حقير رئيسي›».

«أ... أنا حقير رئيسي».

«الآن فقط قُل شيئاً آخر وربما يمكننا أن ننتهي هنا. قُل، ‹شكراً لحرقك ذلك القميص القذر أيها العُمدة ستيلسون›».

أصبح الولد متلهّفاً الآن، فقد رأى طريق خلاصه. «شكراً لحرقك ذلك القميص القذر».

بلمح البصر، مرَّر غريغ إحدى النقاط الخشنة من اليسار إلى اليمين على بطن الولد الناعم، راسماً خطاً من الدم. بالكاد جرح له بشرته، لكن الولد عوى كما لو أن كل شياطين الجحيم تلاحقه.

«نسيت أن تقول ‹أيها العُمدة ستيلسون›»، قال غريغ وانفجر بلحظةٍ. سبَّب له الصُداع دويّاً ضخماً آخر بين عينيه مباشرة ثم زال. أخفَض نظره بغباء إلى عنق الزجاجة في يده وبالكاد استطاع أن يتذكَّر كيف وصل إلى هناك. شيء لعين غبي. كاد يقضي على كل شيء بسبب ولدٍ مغفَّلٍ.

«أيها العُمدة ستيلسون!»، صرخ الولد برعب مثالي وكامل. «أيها العُمدة ستيلسون! أيها العُمدة ستيلسون! أيها العُمدة ستيل...».

«هذا جيد»، قال غريغ.

«... سون! أيها العُمدة ستيلسون! أيها العُمدة ستيلسون! أيها العُمدة...».

صفعه غريغ بقوة على وجهه، وطَرَق الولد رأسه بالجدار. صمَتَ بعينين شاخصتين وفارغتين.

اقترب منه غريغ كثيراً. مدَّ يديه وشدَّ بكل واحدة منهما إحدى أذنَي الولد إلى الأمام إلى أن تلامس أنفاهما. أصبحت عيونهما على بُعد أقل من سنتيمتر عن بعضها.

«الآن، خالك ذو نفوذ في هذه البلدة»، قال بلطف وهو يشدّ أذنَي الولد مثل مقبضَين. كانت عينا الولد ضخمتين وبنّيتين ودامعتين. «أنا ذو نفوذ أيضاً - سأصبح ذا نفوذ - لكنني لستُ جورج هارفي. فقد وُلد هنا، ترعرع هنا، وكل شيء. لذا إذا أخبرتَ خالك بما جرى هنا، فقد يخطر بباله أن يُنهيني في ريدجواي».

بدأت شفتا الولد ترتعشان بصمت تقريباً. وراح غريغ يهزّ رأس الفتى ببطء ذهاباً وإياباً بأذنَيه خابطاً أنفيهما ببعضهما.

«قد لا يفعل ذلك... فقد كان حانقاً جداً من ذلك القميص. لكنه قد يفعل ذلك. روابط الدم قوية. لذا فكِّر بهذا ملياً يا بُنيّ. إذا أخبرتَ خالك بما جرى هنا وضغطَ خالك لطردي، أظن أنني سآتي إليك وأقتلك. هل تصدِّق هذا؟».

«أجل»، همَس الولد بخدَّين رطبين يلمعان.

«»نعم سيدي العُمدة ستيلسون»».

«نعمممم سيدي العُمدة ستيلسون».

أفلَت غريغ أذنيه. «أجل»، قال. «سأقتلك، لكنني سأُخبِر أولاً أي شخص يرغب أن يستمع لي كيف أنك بوَّلت على نفسك ووَقَفت تبكي والمُخاط يسيل من أنفك».

استدار وابتعَد بسرعة، كما لو أن رائحة الولد كريهة، وذهَب إلى الخزانة مرة أخرى. أخرجَ علبة ضمادات لاصقة من أحد الرفوف وقذفها إلى الولد، الذي جفَل وأوقعها أرضاً. استعجَل ليرفعها عن الأرض، كما لو أن ستيلسون قد يهاجِمه مرة أخرى لعدم التقاطه لها.

أشار غريغ بإصبعه. «الحمّام هناك. نظِّف نفسك. سأترك لك كنزةً مطبوعاً عليها صديق *ريدجواي*. أريد أن تعيدها لي بالبريد، نظيفةً، بلا بُقع دم. مفهوم؟».

«نعم»، همَس الولد.

«سيدي*!*»، صاح به ستيلسون. «*سيدي! سيدي! سيدي! ألا تستطيع تذكّر هذا؟*».

«سيدي»، أنَّ الولد. «نعم سيدي، نعم سيدي».

«لا يعلِّمون الأولاد الاحترام عن عبث»، قال غريغ. «ليس عن عبث».

حاول الصُداع أن يعاوده. أخذ عدة أنفاس عميقة وقَمَعه ـ لكنه شَعَر بانقباض مزعج في معدته. «حسناً، هذه هي النهاية. أريد فقط أن أُسدي لك نصيحة جيدة. لا ترتكب خطأ العودة إلى كلّيتك اللعينة هذا الخريف أو في أي وقت وتبدأ تظنّ أن هذا جرى بطريقة لم يجرِ بها. لا تحاول أن تخدع نفسك بشأن غريغ ستيلسون. من الأفضل نسيان ما حصل يا ولد. من قِبلك، من قِبلي، ومن قِبل جورج. التفكير بهذا في ذهنك مراراً وتكراراً إلى أن تعتقد أنه يمكنك قول الكلمة الأخيرة فيه سيكون أسوأ خطأ ترتكبه في حياتك. وربما الأخير».

غادر غريغ بعد قوله هذا، مُلقياً نظرة إزدرائية أخيرة على الولد الواقف هناك، بصدره وبطنه المعلَّمَين ببعض بُقع الدم الجاف، وعينيه الشاخصتين، وشفتيه المرتعشتين. بدا كأنه ولد في العاشرة من عمره حجمه أكبر من سنّه بكثير خرجَ مطروداً من مباراة نهائية في البيسبول.

تراهن غريغ مع نفسه أنه لن يرى هذا الولد أو يسمع منه مرة أخرى أبداً، وكان رِهاناً ربحه. ففي وقت لاحق من ذلك الأسبوع، زار جورج هارفي صالون الحلاقة حيث كان غريغ يحلِق ذقنه وشَكَره على «تعقيل» ابن أخته. «أنت بارع مع أولئك الأولاد يا غريغ»، قال. «لا أعرف... يبدو أنهم يحترمونك».

أجابه غريغ أنه لا شُكر على واجب.

2

بينما كان غريغ ستيلسون يحرق قميصاً عليه قول قذر في نيو هامبشاير، كان والت وسارة هازليت يتناولان فطوراً متأخراً في بانغور، ماين، ووالت يقرأ الصحيفة.

وَضَع كوب قهوته من يده مُحدثاً قرقعةً وقال، «حبيبك القديم ملأ الصحف يا سارة».

كانت سارة تُطعِم دينيه برداء حمّامها، وشعر منكوش، وعينين رُبع مفتوحتين. لا يزال ثمانون بالمئة من ذهنها نائماً. فقد أُقيمت حفلة ليلة أمس ضيف شرفها هاريسون فيشر، عضو الكونغرس الثالث عن نيو هامبشاير منذ أن سارت الدينوصورات على كوكب الأرض، ومرشّح أكيد ليُعاد انتخابه السنة القادمة. كان من الحكمة أن تذهب ووالت إلى الحفلة. حكمة. هذه كلمة بدأ والت يستخدمها كثيراً مؤخراً. لقد تناول أكواب شراب أكثر منها بكثير، ومع ذلك ها هو هذا الصباح مرتدياً كل ملابسه ويبدو مرِحاً بينما شَعَرت أنها مدفونة تحت كومة طين. هذا ليس عدلاً.

«أزرق!»، علَّق دينيه، وبصَق قليلاً من مزيج الفاكهة الذي يأكله.

«هذا ليس لطيفاً»، قالت سارة لدينيه. ثم قالت لوالت: «هل تتكلَّم عن جوني سميث؟».

«بشحمه ولحمه».

نهضت واقتربت من والت. «إنه بخير، أليس كذلك؟».

«بخير ويثير ضجة بحسب ما هو مكتوب هذا»، قال والت بسخرية.

ظنَّت أن هذا ربما مرتبط بما حصل لها عندما ذهَبت لرؤية جوني، لكن حجم العنوان في الصحيفة صدمها: مريض استيقظ من غيبوبته يبرهن عن امتلاك قدرة نفسانية في مؤتمر صحفي دراماتيكي. المقال بقلم دايفد برايت، والصورة المرافِقة له تُظهِر جوني، الذي لا يزال يبدو نحيلاً و، في وهج أضواء الكاميرات التي لا ترحم، مرتبكاً بشكل مثير للشفقة، ويقف فوق الجسم الممدَّد لرجلٍ أشار التعليق تحت الصورة أنه روجر دوسو، مراسِل صحفي لصحيفة لويستون. *مراسِل صحفي يُغمى عليه بعد إفشاء سر*، قال التعليق.

غرِقت سارة على الكرسي الموجود بجانب والت وبدأت تقرأ المقال. هذا لم يُعجب دينيه الذي بدأ يطرق على صينية كرسيه المرتفع ليُكمل تناول بيضته الصباحية.

«أعتقد أنه يتم استدعاؤكِ»، قال والت.

«هلاّ أطعمته يا حبيبي؟ فهو يأكل أفضل معك على أي حال». *التكملة على الصفحة* 9، العمود 3. قلبت الصحيفة إلى الصفحة التاسعة.

«التملُّق سيحقّق لك كل ما تطلبينه»، قال والت بلطف. خلع معطفه الرياضي وارتدى مئزرها. «ها هي قادمة أيها الشابّ»، قال وبدأ يُطعِم دينيه بيضته.

عندما أنهت المقال، أعادت سارة قراءته مرة أخرى. انجذبت عيناها مراراً وتكراراً إلى الصورة، إلى وجه جوني المرتبك الفزِع. كان المتحلِّقون حول دوسو المنبطِح أرضاً ينظرون إلى جوني بتعبير خوف إلى حد ما. يمكنها تفهّم ذلك. تذكَّرت تقبيله، والنظرة الغريبة المشغولة البال التي اعترت وجهه. وعندما أخبَرها أين يمكنها إيجاد خاتم الزواج المفقود، شعرت بالخوف هي أيضاً.

لكن يا سارة، ما أخافك لم يكن الشيء نفسه بالضبط، صح؟

«لقمة أخرى أيها الفتى الكبير»، كان والت يقول، وبدا صوته كما لو أنه على بُعد ألفَي كيلومتر. رفعت سارة نظرها إليهما جالسين معاً في حزام ضوء شمس مليء بالغبار، ومئزرها يرفرف بين رُكبتَي والت، وخافت فجأة مرة أخرى. رأت الخاتم يغرق إلى أسفل كرسي المرحاض، يتشقلب مرة تلو الأخرى. سمِعت القرقعة الخافتة عندما اصطدم بخزف المرحاض. تذكّرت أقنعة الهالووين والولد الذي قال، *أحبّ رؤية هذا الرجل يتلقى هزيمة*. تذكّرت الوعود التي قُطعت ولم تُوفَ أبداً، وانتقلت عيناها إلى نص الصحيفة الرفيع وهو ينظر إليها بتفاجؤ مُنهَك بائس.

«... تحايُل ذكي، على أي حال»، قال والت وهو يعلّق مئزرها. فقد نجح في جعل دينيه يأكل البيضة كلها، وابنهما ووريثهما مشغول الآن في مصّ زجاجة عصير.

«ماذا؟»، رفعت سارة نظرها بينما اقترب منها.

«قلتُ إنها وسيلة تحايُل جيدة لرجلٍ لا شكّ أن فواتير علاجه غير المدفوعة للمستشفى بلغت حوالي نصف مليون دولار».

«عما *تتكلّم*؟ ماذا تقصد *بالتحايل*؟».

«بالتأكيد»، قال دون أن يلحظ على ما يبدو غضبها. «يمكنه جني سبعة وربما عشرة آلاف دولار من تأليف كتاب عن الحادث والغيبوبة. لكن إذا خرَج من الغيبوبة نفسانياً، فالسماء هي الحدود».

«هذا إدعاء خبيث!»، قالت سارة بحنق.

استدار إليها وقد اعترى وجهه تعبير تفاجؤ ثم تعبير تفهّم. تعبير التفهّم جَعَلها غاضبة أكثر من أي وقت مضى. لو ادّخرت خمسة سنتات كلما ظنَّ والت هازليت أنه فهِمها، لتمكّنا من السفر بالدرجة الأولى إلى جامايكا.

«اسمعي، آسف لقولي هذا»، قال.

«لعِلمك، جوني لن يكذب بشأن هذا أبداً».

انفجر ضاحكاً، وكادت في تلك اللحظة أن ترفع كوب قهوتها وترميه به. لكنها بدلاً من ذلك، أطبقت يديها بقوة على بعضهما تحت الطاولة. حملَق دينيه بأبيه ثم انفجر ضاحكاً هو أيضاً.

«حبيبتي»، قال والت. «ليس عندي شيء ضده، وليس عندي شيء ضد ما يفعله. في الواقع، أحترمه لهذا. إذا كان بمقدور ذلك العجوز الرجعي البدين فيشر التحوّل من محامٍ مُفلسٍ إلى مليونير في خمس عشرة سنة في مجلس النواب، فيحقّ لهذا الرجل أن يجمع قدر ما يستطيع بادّعائه أنه نفساني...».

«جوني لا يكذب»، كرَّرت بصوت محايد.

«إنها حيلة على منظمة النساء المحافِظات اللواتي يقرأن الصحف الصفراء الأسبوعية وينتمين إلى النادي الكونيّ للكتاب»، قال بانشراح. «رغم أنني سأُقرّ أن القليل من البصيرة سيفيد خلال عملية اختيار هيئة المحلّفين في محاكمة تيمونز اللعين هذا».

«جوني سميث لا يكذب»، كرَّرت وسمِعته يقول: *لقد انزلَق من إصبعك. كنتِ تضعين عدّة حلاقته في إحدى تلك الجيوب الجانبية وانزلَق ببساطة... اصعدي إلى العليّة وابحثي يا سارة. سترين*. لكن لا يمكنها إخبار والت ذلك، لأنه لم يعرف أنها ذهبت لرؤية جوني.

لا عيب في الذهاب لرؤيته، اقترح عليها ذهنها بانزعاج.

لا، لكن ما ستكون ردّة فعله إذا علِم أنها رمت خاتم زواجها الأصلي في المرحاض وشطفته؟ قد لا يتفهَّم الشعور المفاجئ بالخوف الذي جَعَلها تفعل ذلك - نفس الخوف الذي رأته على وجوه أولئك الأشخاص في الصحيفة، وإلى حدّ ما، على وجه جوني. لا، والت قد لا يتفهَّم أبداً. في النهاية، رمي خاتم زواجك في المرحاض ثم شطفه يحمل في طيّاته بعض الرمزية السوقيّة.

«حسناً»، كان والت يقول، «لا يكذب. لكنني لا أصدِّق...».

قالت سارة بلطف، «انظر إلى الأشخاص خلفه يا والت. انظر إلى وجوههم. إنهم يصدِّقون».

تكرَّم عليهم والت بلمحة سريعة. «بالتأكيد، مثلما يصدِّق الولد قدرات لاعب الخفّة العجيبة طالما أن الخدعة جارية».

«هل تعتقد أن دوسو هذا شريكٌ في الخدعة؟ وفقاً للمقال، لم يلتقِ بجوني من قبل أبداً».

«إنها الطريقة الوحيدة لنجاح الخدعة يا سارة»، قال والت بصبر. «لن يستفيد لاعب الخفّة إن أخرج أرنباً من قفص أرانب، فقط إن أخرجه من قبعة. إما أن جوني سميث عرَف شيئاً أو كان

محظوظاً جداً في تكهّنه بناءً على سلوك دوسو في تلك اللحظة. لكنني أكرِّر، أحترمه لهذا. سيستفيد من المسألة كثيراً. إذا جنى مالاً، فسيزيده ذلك قوةً».

كرِهته في تلك اللحظة، بغضته، هذا الرجل الطيب الذي تزوَّجته. لا يوجد حقاً أي شيء فظيع على الجهة المعاكسة لطيبة قلبه، لصلابته، لروح دعابته الخفيفة - مجرّد الاعتقاد، المدفون على ما يبدو في أساسات جوهره، أن كل شخص يصبو إلى احتلال المرتبة الأولى. يمكنه هذا الصباح وصف هاريسون فيشر بالعجوز الرجعي البدين؛ وليلة أمس كان ينفجر ضحكاً من قصص فيشر عن غريغ ستيلسون، العُمدة المضحك لبلدةٍ ما والذي قد يكون مجنوناً كفاية ليترشَّح كمستقل في سباق الرئاسة السنة القادمة.

لا، في عالم والت هازليت، لا أحد يمتلك قدرات نفسانية ولا يوجد أبطال، والعقيدة السائدة هي *علينا تغيير النظام من الداخل*. إنه رجل طيب، رجل هادئ، يحبّها ويحبّ دينيه، لكنها شعرت فجأة بتوقٍ إلى جوني وإلى السنوات الخمسة معاً التي سُرقت منهما. أو العمر معاً. ولدٌ ذو شعر داكن أكثر.

«من الأفضل لك أن تذهب يا حبيبي»، قالت بهدوء. «سيُغرقون تيمونز قريباً في الأسهم والسندات، أو مهما يكن ما يفعلونه».

«بالتأكيد». ابتسم لها، فقد تمت الخلاصة، رُفعت الجلسة. «هل لا نزال أصدقاء؟».

«لا نزال أصدقاء». *لكنه عرَف أين كان الخاتم*. عرَف.

قبَّلها والت مُسنداً يده اليمنى بخفة على الجهة الخلفية لعنقها. يتناول دائماً الفطور نفسه، ويقبِّلها دائماً بالطريقة نفسها، وكانا يوماً ما ذاهبين إلى واشنطن، ولا أحد نفسانيّ.

رحل بعد خمس دقائق، مُرجِعاً سيارتهما البينتو الحمراء الصغيرة إلى شارع پوند، مُطلقاً بوقها قليلاً كالمعتاد، ومنطلقاً بسرعة. بقيت لوحدها مع دينيه، الذي كان في سياق خَنْق نفسه بينما يحاول التلوّي تحت صينية كرسيه المرتفع.

«أنتَ تفعل هذا بالشكل الخطأ يا عبقرينو»، قالت سارة وهي تجتاز المطبخ وتفكّ مقبض الصينية.

«أزرق!»، قال دينيه مشمئزاً من المسألة بأكملها.

دخلَ طماطم، قطّهم، المطبخ يمشي الهُوَينى بطريقته البطيئة الصبيانية المنحرفة الاعتيادية، فأمسَكه دينيه وهو يضحك ضحكات خافتة. أرجعَ طماطم أذنيه إلى الخلف وبدا مستسلماً.

ابتسمت سارة قليلاً وأخلت الطاولة. عَطالة. الجسم الساكن يميل إلى البقاء ساكناً، وكانت ساكنةً. لا يجب أن تهتمّ بالجانب المظلم لدى والت؛ فلديها جانب مظلم هي أيضاً. لم تكن لديها نيّة بأكثر من إرسال بطاقة معايدة إلى جوني في ذكرى احتفال الشتاء. هذا أفضل وأأمن - لأن الجسم المتحرّك يميل إلى البقاء متحرّكاً. حياتها هنا جيدة. لقد صمدت مع دان، صمدت مع جوني، الذي أُخذ منها ظلماً (لكن هناك أمور كثيرة ظالمة في هذا العالم)، وقد اجتازت شلالاتها الشخصية إلى هذا الماء الهادئ، وستبقى هنا. هذا المطبخ المُشرِق ليس مكاناً سيئاً. من الأفضل لها أن تنسى معارض المقاطعة، عجلات الحظ، ووجه جوني سميث.

بعدما فتحت الحنفية في المغسلة لتغسل الأطباق، أشعلت الراديو والتقطت بداية نشرة الأخبار. جعلها الخبر الأول تجمد حاملةً طبقاً غُسل للتو في يدها، وراحت عيناها تنظران في تأملٍ جافلٍ عبر فنائهما الخارجي الصغير. لقد أُصيبت والدة جوني بسكتةٍ أثناء مشاهدتها تقريراً تلفزيونياً عن المؤتمر الصحفي لابنها، وماتت منذ أقل من ساعة.

جفَّفت سارة يديها، وأطفأت الراديو، وانتزعت طماطم من يدَي دينيه وحَمَلت طفلها إلى غرفة الجلوس ووضعته في قفص اللعب. احتجّ دينيه من هذه المهانة بصراخ صاخب مُفعَم بالحيوية لم تُعره انتباهها. ذهَبت إلى الهاتف واتصلت بمركز ماين الشرقية الطبي. أخبَرها عامل السنترال الذي بدا ضجراً من تكرار نفس المعلومة مراراً وتكراراً أن جون سميث سرَّح نفسه ليلة أمس، قُبيل منتصف الليل.

أغلَقت سمّاعة الهاتف وجلست على كرسي. استمر دينيه يصرخ من قفص اللعب. واستمر الماء يتدفّق في مغسلة المطبخ. نهضت بعد حين، دخَلت المطبخ، وأغلقت الحنفية.

الفصل الرابع عشر

1

وصلَ الرجل من برنامج *نظرة داخلية* في 16 أكتوبر، بعد وقت قصير من خروج جوني لإحضار البريد.

منزل أبيه بعيدٌ عن الطريق؛ طول ممرهم الخاص المرصوف بالحصى حوالي أربعمئة متر ويمرّ عبر مجموعة كثيفة من أشجار التنّوب والصنوبر. يقوم جوني برحلة الذهاب والإياب هذه كل يوم. عاد إلى الشرفة في اليوم الأول وهو يرتعش من الإنهاك، ورِجلاه مشتعلتان، ومشيته العرجاء قد ازدادت سوءاً كثيراً لدرجة أنه كان يتطوّح فعلاً. لكن الآن، بعد شهر ونصف من المرة الأولى (عندما احتاج إلى ساعة ليجتاز الأمتار الثمانمئة)، أصبحت النزهة مُتعةً يوميةً، شيئاً يتطلّع إليه. ليس البريد، بل النزهة.

بدأ يقطع الحطب للشتاء القادم، وهو عمل روتيني كان هيرب ينوي التوقف عن القيام به منذ أن وقَّع عقداً لإنجاز عملٍ داخليٍ ضمن مشروع تشييد بيت جديد في ليبرتيفيل. «تعرف أن الشيخوخة بدأت تطرق بابك يا جون»، قال مبتسماً، «عندما تبدأ البحث عن أعمال داخلية حالما يقترب فصل الخريف».

تسلَّق جوني الشرفة وجلس على الكرسي المصنوع من أماليد مجدولة بجانب الأرجوحة، وزفرَ نَفَس ارتياح خافت. أسنَد قدمه اليمنى إلى درابزين الشرفة، وبتكشيرة ألم، استخدَم يديه ليرفع رِجله اليسرى إلى فوقها. بعدما انتهى من ذلك، شرَعَ يفتح بريده.

تراجعت الكمية كثيراً مؤخراً. فخلال الأسبوع الأول لعودته إلى پاونال، كان يتلقَّى أحياناً حوالي عشرين رسالة وثمانية أو تسعة طرود في اليوم، معظمها مُرسَلة عبر مركز ماين الشرقية

الطبي، والقليل منها مُرسَل إلى مكتب بريد پاونال (المدوَّن اسمها بطرق متنوعة: پاونيل، پونول، وفي حالة واحدة لا تُنسى، پونتس).

معظمها مُرسَل من أشخاص منفصلين عن الواقع بدوا هائمين في الحياة يبحثون عن أي دفّة توجّههم. كان هناك أولاد أرادوا توقيعه الشخصي، ونساء أردنَ مضاجعته، ورجال ونساء أرادوا نصائح لتخطّي تعاستهم جرّاء الحب من طرف واحد. أرسل البعض تمائمَ لجلب الحظ. وأرسل البعض توقّعات الأبراج. وكانت هناك كمية كبيرة من الرسائل الغيبية في طبيعتها، وبين تلك الخِطابات ذات الإملاء السيئ المكتوبة عادة بخط يد كبير ودقيق، تميَّزت رسالة واحدة خربشها طفل ذكي في الصف الأول شَعَر فيها بطيف أمه.

كان مُلهِماً، حسبما أكدَّت تلك الرسائل، أتى ليُخرِج الشعب الأميركي المُنهَك والخائب الأمل من البريّة. كان إشارةً أن آخر الزمان اقترب. حتى هذا التاريخ، 16 أكتوبر، تلقَّى ثماني نُسخ من كتاب هال ليندسي *كوكب الأرض العظيم المتوفى* - بالتأكيد أن أمه كانت لتوافق عليه. كما ألحّت عليه رسائل كثيرة أن يتدخَّل ليضع حدّاً لتدنّي أخلاقيات الشباب.

تلك الرسائل وازنها فريق السلبيين، الذي كان أصغر عدداً لكن بنفس القوة الكلامية - ولو كان المرسلون مجهولين عادة. حثّه أحد المرسلين، الذي كتب رسالته بقلم قذر على ورقة صفراء، بأن يعترف أنه المشعوذ الدجّال وألحّ عليه أن ينتحر. واستفسَر أربعة أو خمسة من كتّاب الرسائل عن شعوره بقتله أمه. واتّهمه عددٌ كبيرٌ بتنفيذ خدعة على الناس. وكَتَب له أحد الظرفاء، «استبصار، تخاطر، كلام فارغ! تباً لك أيها الكلب الخارق!».

ثم أرسَلوا *أشياءَ*. وهذا كان أسوأ شيء.

كل يوم أثناء عودته إلى المنزل من عمله، يتوقف هيرب في مكتب بريد پاونال ويستلم الطرود التي تكون كبيرة جداً لتتّسع في صندوق بريدهما. كل الملاحظات المرافِقة لتلك الأشياء متشابهة في الأساس؛ صراخ وضيع. *أخبِرني، أخبِرني، أخبِرني*.

هذا الوشاح لأخي الذي اختفى في رحلة لصيد السمك في ألاغاش عام 1969. أشعر حقاً أنه لا يزال حيّاً. أخبِرني أين هو.

أحمر الشفاه هذا لزوجتي. أعتقد أنها على علاقة غرامية مع أحدهم، لكنني لستُ متأكداً. أخبِرني إن كان شكّي صحيحاً.

هذا سوار تعريف ابني. لم يعد يأتي إلى المنزل بعد المدرسة أبداً، بل يبقى خارجاً حتى وقت متأخر من الليل، أنا قلِقة جداً. أخبِرني ماذا يفعل.

أرسلت امرأةٌ في كارولاينا الشمالية - غريب كيف عرَفت بأمره؛ فالمؤتمر الصحفي في أغسطس لم يُبَثّ خارج وسائل الإعلام المحلية - قطعة خشب متفحِّمة. شرحت في رسالتها أن منزلها احترق ومات زوجها واثنان من أولادها الخمسة في الحريق. قال مركز إطفاء شارلوت إن الحريق نتجَ عن عيب في شبكة الأسلاك، لكنها لا تستطيع تقبُّل هذا. لا شكّ أنه كان حريقاً متعمّداً. أرادت أن يتلمَّس جوني قطعة الخشب المتفحِّمة ويُخبِرها مَن الذي أشعلَ الحريق، لكي يقضي الوحش بقية حياته يتعفَّن في السجن.

لم يردّ جوني على كل الرسائل وأعاد كل الأغراض (حتى قطعة الخشب المتفحِّمة) على نفقته الخاصة دون أي تعليق. لمسَ بعضها فعلاً. معظمها، قطعة الخشب المتفحِّمة من المرأة الكئيبة في شارلوت مثلاً، لم يُخبره شيئاً على الإطلاق. لكن عندما لمسَ بعض الأشياء، تراءت له صورٌ مُقلِقةٌ، مثل أحلام اليقظة. بالكاد يكون هناك أثرٌ في معظم الحالات؛ بل تتشكَّل صورةٌ وتتلاشى بعد ثوانٍ دون أن تترك له أي شيء ملموس، بل مجرّد شعور. لكن أحدها...

الوشاح الذي أرسلته المرأة على أمل أن تعرف ماذا حصل لأخيها. كان وشاحاً أبيض محبوكاً لا يختلف عن ملايين الأوشحة الأخرى. لكن عندما أمسكه، اختفى واقع منزل أبيه فجأة، وارتفع صوت التلفزيون في الغرفة المجاورة وانخفض، ارتفع وانخفض، إلى أن أصبح صوت حشرات صيفية متكاسلة وخرير ماء بعيد.

ملأت رائحة غابةٍ منخرَيه، وأشعة شمس خضراء ساقطة عبر أشجار قديمة عينيه. الأرض رطبة منذ آخر ثلاث ساعات تقريباً، موحلة، سبخة تقريباً. شَعَر بالخوف، بخوف كبير، لكنه حافَظ على هدوئه. إذا تُهتَ في الريف الشمالي الكبير وأُصبت بالذعر، من الأجدر بهم أن ينحتوا شاهد قبرك. استمر يندفع جنوباً. لقد مرَّ يومان منذ أن انفصل عن ستيف وروكي ولوغان. كانوا يخيِّمون بالقرب من

(لكنه لم يستطع أن يتذكّر، فذلك مخزَّن في المنطقة الميتة).

نهرٍ ما، يصطادون سمك السلمون المرقَّط، والذنب ذنبه اللعين؛ فقد كان ثملاً جداً.

الآن يمكنه رؤية حقيبة ظهره تتكئ على حافة كومة أشجار قديمة ساقطة مكسوة بالطحالب، أغصان ميتة بيضاء ناتئة بين الخَضار هنا وهناك مثل عظامٍ، يمكنه رؤية حقيبة ظهره، نعم، لكن لا يمكنه بلوغها لأنه ابتعد بضعة أمتار ليبوِّل ودخلَ مكاناً موحلاً حقاً يصل مستوى الوحل فيه تقريباً إلى أعلى جزمته، وحاوَل التراجع ليجد مكاناً جافاً ليقضي فيه حاجته، لكنه لم يتمكَّن من الخروج. لم يتمكَّن من الخروج لأنه لم يكن وحلاً أبداً. كان... شيئاً آخر.

وَقَف هناك ينظر حوله دون جدوى بحثاً عن شيء يتمسّك به، وكاد يضحك من غباوة دخوله بقعة رمال متحركة أثناء بحثه عن مكان ليبوِّل فيه.

وَقَف هناك متيقّناً في البدء أنها بلا شك بقعة ضحِلة من الرمال المتحركة تصل في أسوأ الأحوال إلى أعلى جزمته، مجرّد حكاية أخرى يرويها عندما يُعثَر عليه.

وَقَف هناك ولم يبدأ الذعر الحقيقي يحلّ عليه إلى أن نضحت الرمال المتحركة فوق رُكبتَيه بشراسة. بدأ يكافح عندها، ناسياً أنك إذا أوقعتَ نفسك الغبية في رمال متحركة، يُفترَض بك أن تبقى ساكناً جداً. وصلت الرمال المتحركة إلى خصره بلمح البصر، ثم أصبحت عند مستوى صدره، تمتصّه مثل شفتَين بنّيتين ضخمتين، تقبض على أنفاسه؛ بدأ يصرخ ولم يأت أحدٌ، لم يأت شيءٌ سوى سنجاب بنّي بدين اخترق طريقه نزولاً على جانب الفخ المُهلِك المكسو بالطحالب وجثَمَ على حقيبة ظهره يراقبه بعينين سوداوين ساطعتين.

وصل الوحل إلى عنقه الآن وملأ أنفه برائحته البنّية الغنية وأصبحت صرخاته خافتة ولاهثة بينما ضغطت عليه الرمال المتحركة بشراسة مُخرجةً أنفاسه منه. طارت طيورٌ تنقضّ وتزقزق وتوبّخ، واخترقت أشعة الشمس الخضراء الأشجار مثل نحاس فقَدَ بريقه، وارتفعت الرمال المتحركة إلى فوق ذقنه. وحيداً، سيموت وحيداً، وفتَح فمه ليصرخ لآخر مرة ولم يخرج منه أي صوت لأن الرمال المتحركة دخلت فمه، غطَّت لسانه، انسابت بين أسنانه في أشرطة رفيعة، كان يبتلع الرمال المتحركة ولم تخرج منه أي صرخة أبداً -

خرج جوني من تلك الحالة وهو يزخر بعرق بارد والقشعريرة تملأ كل جسمه، والوشاح ملفوفٌ بشكل محكم بين يديه، وأنفاسه قصيرة لاهثة مخنوقة. رمى الوشاح على الأرض حيث قبع مثل أفعى بيضاء مفتولة. لن يلمسه مرة أخرى. وضعه أبوه في مغلف وأعاده إلى مُرسلته.

لكن الحمد لله أن كمية البريد بدأت تضمحل الآن. فقد اكتشف المجانين كائناً جديداً لهواجسهم العامة والخاصة. ولم يعد الصحافيون يتصلون طلباً لإجراء مقابلات، جزئياً لأنه غيَّر رقم هاتفه

وطلبَ عدم إظهاره في دليل الهاتف، وجزئياً لأن القصة أصبحت قديمة.

كتَبَ روجر دوسو مقالاً طويلاً غاضباً لصحيفته كان هو بطله الرئيسي. وصرَّح أن المسألة بأكملها خدعةٌ وحشيةٌ عديمة الذوق. لا شك أن جوني انكبّ على دراسة الحوادث الماضية للعديد من المراسِلين الصحفيين الذين من المرجّح أن يحضروا المؤتمر الصحفي، على سبيل الاحتياط لا أكثر. نعم، أقرّ أن أخته آنْ كانت تُلقَّب تيري، وقد ماتت يافعة نوعاً ما، والأمفيتامينات ربما ساهمت في موتها. لكن كل تلك المعلومات متوفرة لأي شخص يريد التنقيب عنها. تكلَّم بأسلوب جَعَل كل ذلك يبدو منطقياً جداً. لم يشرح المقال كيف استطاع جوني، الذي لم يكن قد خرج من المستشفى بعد، أن يستحصل على تلك «المعلومات المتوفرة لأي شخص»، لكن هذه نقطةٌ بدا أن معظم القرّاء أهملوها. كان هذا آخر همّ لدى جوني. فقد انتهت الثرثرة عن الحادثة، ولم تكن لديه نيّة بإنشاء حوادث جديدة. ما نفع أن يكتب رسالة إلى السيدة التي أرسلت الوشاح ليُخبِرها أن أخاها غرِق صارِخاً في رمال متحركة لأنه مشى في الاتجاه الخطأ أثناء بحثه عن مكان ليبوِّل فيه؟ هل سيخفِّف وطأة قلقها أو يساعدها على عيش حياتها بشكل أفضل؟

بريد اليوم عبارة عن ست رسائل فقط. فاتورة الكهرباء. بطاقة من نسيب هيرب في أوكلاهوما. سيدة أرسلت إلى جوني تمثالاً مختوماً على قدمَيه صُنع في تايوان بأحرف ذهبية صغيرة جداً. رسالة قصيرة من سام وايزاك. ومغلف صغير عنوان المرسِل عليه أجفله وجَعَله يستوي جالساً. *س. هازليت*، 12 *شارع پوند، بانغور*.

سارة. فتحه بسرعة.

لقد تلقَّى بطاقة تعاطف منها بعد يومين على مراسم جنازة أمه مكتوباً على جهتها الخلفية بخط يدها الأنيق المائل: «جوني - يؤسفني جداً أن هذا حصل. سمِعتُ على الراديو أن أمك تُوفِّيت - بدا لي بطريقة ما أنه ظلمٌ كبيرٌ أن يتحوَّل حزنك الشخصي إلى خبر عام. قد لا تتذكَّر، لكننا تكلَّمنا قليلاً عن أمك ليلة حادثك. سألتُك ماذا ستفعل إن أحضرتَ معك إلى المنزل فتاة من غير طائفتها وقلتَ إنها ستبتسم وترحّب بي وتعطيني بعض الكرّاسات. كان بإمكاني رؤية حبّك لها من طريقة ابتسامتك. أعرف من أبيك أنها تغيَّرت، لكن سبب معظم التغيير هو حبّها الكبير لك وعدم تقبُّلها ما حصل لك. وفي النهاية أظن أنها كوفئت على تخشّعها. أرجو أن تقبل تعاطفي الحار، وإذا كان هناك أي شيء يمكنني أن أفعله، الآن أو لاحقاً، رجاءً اتّكل على صديقتك - *سارة*».

هذه رسالة ردَّ عليها ليشكرها على البطاقة والفكرة معاً. كتبَ الردّ بعناية خوفاً من أن يخون نفسه ويقول شيئاً خطأً. إنها امرأة متزوجة الآن، وهذا أمر خارج عن إرادته أو قدرته على التغيير. لكنه يتذكَّر محادثتهما عن أمه - وعدة أشياء أخرى حصلت تلك الليلة. استدعت رسالتها الأمسية بأكملها، وقد ردَّ بمزاج حلو ومرّ كان مرّاً أكثر مما كان حلواً. لا يزال يحبّ سارة بْراكنَل، واضطر إلى تذكير نفسه أنها اختفت، أن امرأة أخرى أكبر سنّاً بخمس سنوات وأماً لفتى صغير حلّت محلها.

أخرجَ الآن ورقة قرطاسية من المغلّف وتفحَّصها بسرعة. ستذهب مع ابنها إلى كينيبَنك لتقضي أسبوعاً مع زميلة غرفتها من أيام الجامعة، فتاة تدعى ستيفاني قسطنطين الآن، ستيفاني كارسلاي وقتها. قالت إن جوني قد يتذكَّرها، لكنه لا يتذكَّرها. على أي حال، والت عالقٌ في واشنطن لثلاثة أسابيع في رحلة عمل مشتركة للشركة والحزب الجمهوري، وفكَّرت سارة أنها قد تخصّص بعد ظهر أحد الأيام لتأتي إلى پاونال لتزور جوني وهيرب، إذا لم يكن لديه مانع.

«يمكنك التواصل معي على رقم ستيفاني، 814-6219، في أي وقت بين 17 و23 أكتوبر. بالطبع، إذا كنتَ تشعر بعدم الارتياح لهذه الفكرة، فقط اتصل بي وقل ذلك دون إحراج، إما هنا أو هناك في كينيبَنك. سأتفهّم. حبّي الكبير لكليكما - *سارة*».

مُمسكاً الرسالة بيده، نظرَ جوني عبر الفناء إلى الغابة، التي أصبحت عنّابية وذهبية في الأسبوع الفائت. ستتساقط الأوراق قريباً، ثم سيكون الوقت قد حان لفصل الشتاء.

حبّي الكبير لكليكما - سارة. مرَّر إبهامه على الكلمات بتبصّر. من الأفضل ألا يتصل بها، ألا يراسلها، ألا يفعل شيئاً، فكَّر في سرّه. ستفهم الرسالة. مثل المرأة التي أرسلت الوشاح - ما فائدة فعله ذلك؟ ما فائدة ركل كلب نائم؟ قد تكون سارة قادرة على استخدام تلك الجملة، حبّي الكبير، بمرح، لكنه لا يستطيع تقليدها. لم يتجاوز جرح الماضي. فبالنسبة له، الزمن طُويَ بشكل فظ ودُبِّسَ وشُوِّه. بحسب توقيته الداخلي، هي حبيبته منذ ستة أشهر فقط. يمكنه تقبُّل الغيبوبة وخسارة الوقت بطريقة ذهنية، لكن أحاسيسه تقاوم بعناد. الردّ على رسالة تعزيتها أمر صعب، لكن الرسالة شيءٌ يمكن تمزيقه بسهولة والبدء به من الصفر من جديد إذا بدأ يسير في اتجاه لا يجب أن يسير فيه، إذا بدأ يتخطى حدود الصداقة، وهي طبيعة العلاقة المسموح بها بينهما الآن. إذا رآها، قد يفعل أو يقول شيئاً غبياً. من الأفضل عدم الاتصال بها. من الأفضل ترك المسألة تغرق إلى قعر المحيط.

لكنه سيتصل بها، فكَّر في سرّه. سيتصل بها ويدعوها إلى زيارتهما.

أعاد الرسالة إلى المغلف وهو يشعر بانزعاج كبير.

انعكست أشعة الشمس على الكْروم الساطع، تلألأت هناك، وقذفت سهم ضوء في عينيه. شقّت سيارة فورد سِيدان طريقها على الممر الخاص لمنزلهما. ركّز جوني نظره وحاوَل تمييز إن كانت سيارة مألوفة أم لا. الزوّار هنا نادرون. هناك الكثير من البريد، لكن زوّاراً أتوا إلى هنا في ثلاث أو أربع مناسبات فقط. پاونال بلدة صغيرة على الخريطة ومن الصعب إيجادها. إذا كانت السيارة تخصّ أحد الساعين إلى المعرفة، فسيعيده جوني بسرعة من حيث أتى، بأقصى لطف ممكن، لكن بحزم. هذه نصيحة وايزاك عند فراقهما. نصيحة جيدة، فكَّر جوني في سرّه.

«لا تدع أي شخص يفرض عليك دور عرّاف استشاريّ يا جون. لا تشجّع أحداً وسينساك الناس. قد يبدو لك هذا تصرَّفاً عديم الشفقة في البدء - معظمهم أشخاص مضلَّلون لديهم مشاكل كثيرة وأفضل النوايا فقط - لكننا نتكلَّم عن حياتك، عن خصوصيتك. لذا كن حازماً». وهكذا كان.

دخلت الفورد المنعطف بين الحظيرة وكومة الحَطَب، وبينما استدارت، رأى جوني اللصقة الصغيرة لمكتب تأجير السيارات هرتز عند طرف الزجاج الأمامي. نزلَ من السيارة رجل طويل جداً في سروال جينز أزرق جديد جداً وقميص صيد ذي مربعات حمراء بدأ كأنه خرج للتو من صندوق حبوب ل. ل. بِين وألقى نظرة سريعة حوله. بدا رجلاً غير معتاد على أجواء الريف، رجلاً يعرف أنه لم تعد هناك ذئاب أو أسود جبال في نيو إنغلاند، لكنه أراد التأكد بنفسه. رجل مدينة. نظرَ نحو الشرفة، رأى جوني، ورفع يداً في تحيةٍ.

«طاب مساؤك»، قال بلكنة مدينية واضحة - بروكلين، فكَّر جوني في سرّه - وبدا كأنه يتكلَّم من خلال صندوق رقاقات بسكويت مملَّح.

«مرحباً»، قال جوني. «تائه؟».

«يا للهول، لا أتمنّى ذلك»، قال الغريب وهو يصل إلى أسفل الدرجات. «أنتَ إما جون سميث أو أخوه التوأم».

ابتسم جوني. «ليس لديَّ أخ، لذا أظن أنك وصلتَ إلى الباب الصحيح. هل يمكنني فعل شيء لك؟».

«حسناً، ربما يمكننا فعل شيء لبعضنا البعض». صعد الغريب درجات الشرفة ومدَّ يده. صافحه جوني. «اسمي ريتشارد ديس. مجلة *نظرة داخلية*».

شعره مقصوصٌ بتصفيفة رائجة تصل إلى مستوى الأذن، وأغلبه رماديٌ. رماديٌ مصبوغ، فكَّر جوني في سرّه مبتسماً. ماذا يمكنك أن تقول عن رجل بدا كأنه يتكلَّم من خلال صندوق رقاقات بسكويت مملَّح وصبغَ شعره رمادياً؟

«ربما رأيتَ المجلة».

«آه، نعم رأيتُها. يبيعونها عند صناديق الدفع في السوبرماركت. لستُ مهتماً بإجراء مقابلة. آسف أنك اضطررتَ إلى القيام بهذه الرحلة عن عبث». يبيعونها في السوبرماركت، صحيح. وعناوينها تبذل كل جهدها لتقفز عن صفحاتها وتحاول الانقضاض عليك. *مقتل ولد على يد مخلوقات فضائية، والأم تبكي مذهولةً. الأطعمة التي تسمِّم أولادكم. 12 نفساني يتوقَّعون زلزالاً في كاليفورنيا عام 1978*.

«في الواقع، المقابلة ليست ما فكَّرنا فيه بالضبط»، قال ديس. «هل يمكنني أن أجلس؟».

«أنا حقاً...».

«سيد سميث، لقد أتيتُ بالطائرة من نيويورك، وفي بوسطن استقلّيتُ طائرة صغيرة جعلتني أتساءل ماذا سيحلّ بزوجتي إن مُتُّ بين الولايات».

«خطوط پورتلاند - بانغور الجوية؟»، سأل جوني مبتسماً.

«بالضبط»، وافَق ديس.

«حسناً»، قال جوني. «أنا مُعجَب ببسالتك وتفانيك في عملك. سأستمع إليك، لكن فقط لحوالي خمس عشرة دقيقة. يُفترَض بي أن أنام كل يوم بعد الظهر». هذه كذبة صغيرة لسبب وجيه.

«خمس عشرة دقيقة يجب أن تكون أكثر من كافية». مال ديس إلى الأمام. «أنا هنا أتكهّن فقط يا سيد سميث، لكنني أقدِّر أنك تَدين ما يقارب مئتَي ألف دولار. صح؟».

خفّت ابتسامة جوني. «ما أَدين به أو لا أَدين به»، قال، «هو أمر يعنيني لوحدي».

«حسناً، بالطبع، بالتأكيد. لم أقصد الإهانة يا سيد سميث. تودّ *نظرة داخلية* أن تعرض عليك وظيفةً. وظيفةً مُربِحةً».

«لا. على الإطلاق».

«فقط لو تعطيني فرصة لأشرح لك الأمر...».

قال جوني، «لستُ نفسانياً ممارساً. لستُ جين ديكسون أو إدغار كايسي أو أليكس تانوس. لقد انتهينا من هذا الأمر. وآخر شيء أريد أن أفعله هو إعادة فتح الموضوع من جديد».

«هل يمكنك أن تعطيني بضع لحظات فقط؟».

«سيد ديس، لا يبدو أنك تفهم ما أحاول...».

«بضع لحظات فقط؟»، ابتسم ديس ابتسامة أخّاذة.

«كيف عرفتَ مكاني، على أي حال؟».

«لدينا مراسل في صحيفة في وسط ماين تدعى كينيبَنك جورنال قال إنه رغم انسحابك من المشهد العام، إلا أنك تقيم مع أبيك على الأرجح».

«حسناً، أَدين له بالشكر الجزيل حقاً، أليس كذلك؟».

«بالتأكيد»، قال ديس بسهولة. «أنا أكيد أنك ستشعر هكذا عندما تسمع العرض كله. هلاّ سمحتَ لي؟».

«حسناً»، قال جوني. «لكنني لن أغيّر رأيي لمجرّد أنك سافرتَ إلى هنا على متن خطوط الذعر الجوية».

«حسناً، مثلما تشاء. نحن في بلد حر، أليس كذلك؟ بالتأكيد. *نظرة داخلية* متخصِّصة بإلقاء نظرة غيبية على الأشياء يا سيد سميث، مثلما تعرف على الأرجح. قرّاؤنا، بصراحة تامة، يعشقون هذه الأمور كثيراً. نوزِّع ثلاثة ملايين نسخة أسبوعياً. ثلاثة ملايين قارئ كل أسبوع يا سيد سميث، ما رأيك بهذا الإنجاز الكبير؟ كيف نحقّق هذا؟ نلتزم بعرض الأمور المتفائلة، الروحية...».

«دب قاتل يلتهم توأمين»، همسَ جوني.

هزَّ ديس كتفيه. «بالتأكيد، حسناً، الحياة صعبة، أليس كذلك؟ يجب إطلاع الناس على تلك الأمور. من حقهم أن يعرفوا ماذا يجري. لكن لكل مقال متشائم لدينا ثلاثة مقالات أخرى تُخبر قرّاءنا كيف يخسرون وزنهم بلا ألم، كيف يجدون السعادة الجنسية والتوافقية، كيف يتقرَّبون أكثر من السماوات...».

«هل أنتَ متخشّع يا سيد ديس؟».

«في الواقع، لا»، قال ديس وابتسم ابتسامته الأخّاذة. «لكننا نعيش في ديموقراطية، في أعظم دولة على كوكب الأرض، صح؟ كل شخص سيد نفسه. لا، القصد هو أن قرّاءنا متخشّعون. ينتظرون حصول أعاجيب...».

«ويمارسون طرد الأرواح الشريرة والشياطين...».

«صح، صح، صح. أصبتَ. جمهورنا يصدِّق كل هذه الخزعبلات النفسانية. لدينا ما مجموعه عشرة نفسانيين وفق عقود، من بينهم كاثلين نولِن، أشهَر عرّافة في أميركا. نودّ توقيع عقد معك يا سيد سميث».

«حقاً؟».

«بالتأكيد. ما معنى هذا لك؟ ستظهر صورتك وعمود قصير حوالي اثنتي عشرة مرة في السنة، عندما ننشر أحد أعدادنا التي تقتصر على الأمور النفسانية. *نظرة عامة لأشهر عشرة نفسانيين على إدارة فورد الثانية*، هذا الصنف من الأشياء. كما ننشر دائماً عدداً خاصاً للسنة الجديدة، وعدداً في الرابع من يوليو كل سنة حول المسار الأميركي خلال السنة القادمة ـ هذا عددٌ مثقّفٌ جداً دائماً، يتضمن الكثير من المقالات عن السياسة الخارجية والسياسة الاقتصادية ـ زائد طيّبات أخرى متنوعة».

«لا أعتقد أنك تفهم»، قال جوني ببطء شديد كما لو أنه يكلِّم طفلاً. «اختبرتُ حالتين من الاستبصار المفاجئ ـ أظن أنه يمكنك القول إنني ‹رأيتُ المستقبل› ـ لكن ليست لديَّ أي سيطرة على ذلك. لا يمكنني التوصّل إلى توقّعٍ بشأن إدارة فورد الثانية ـ إذا كان هناك هكذا شيء من الأساس ـ تماماً مثلما لا يمكنني أن أحلب ثوراً».

بدا ديس مذعوراً. «مَن قال إنه يمكنك فعل ذلك؟ يهتمّ الكتّاب الموظفون بكل تلك الأعمدة».

«الموظفون...؟»، فغَر فم جوني تجاه ديس، مصدوماً أخيراً.

«بالطبع»، قال ديس بنفاد صبرٍ. «اسمع. أحد أشهَر رجالنا في السنتين الأخيرتين هو فرانك روسّ، المتخصِّص في الكوارث الطبيعية. رجل لطيف جداً، لكن يا إلهي، ترك المدرسة في الصف

التاسع. أمضى بعض الوقت في الجيش وكان ينظِّف حافلات الركاب في محطة بورت أوثوريتي في نيويورك عندما وجَدناه. هل تعتقد أننا سندعه يكتب عموده؟ سيُخطئ في تهجئة كلمة قطة».

«لكن التوقّعات...».

«حرية العمل، لا شيء سوى حرية العمل. لكنك ستتفاجأ كم مرة يعلق فيها أولئك الشباب والصبايا بالتوصّل إلى حدث هائل حقيقي».

«حدث هائل»، كرَّر جوني مرتبكاً. تفاجأ قليلاً من إيجاد نفسه قد غضب. بقيت أمه تشتري *نظرة داخلية* منذ زمن لا يمكنه أن يتذكَّره، منذ أن كانوا ينشرون صوراً عن حوادث سير دموية، وقطع رؤوس، وصور فوتوغرافية مهرَّبة عن عمليات إعدام. وكانت تصدِّق كل كلمة. الأرجح أن الجزء الأكبر من قرّاء *نظرة داخلية* 2,999,999 الآخرين مثلها. وها هو زميلنا ذو الشعر الرمادي المصبوغ والحذاء الأنيق والقميص الذي لا تزال عليه تجعّدات المتجر، يتكلَّم عن *حوادث هائلة*.

«لكن كل شيء ينجح»، كان ديس يقول. «إذا علقتَ يوماً ما، كل ما عليك فعله هو الاتصال بنا على حسابنا وسنأخذ القضية إلى قسم المحترفين معاً ونتوصَّل إلى شيء ما. لدينا الحق أن نقتطف أعمدتك في كتابنا السنوي، *نظرة داخلية إلى الأشياء القادمة*. لكن لديك كامل الحرية بالتعاقد مع أي ناشر كتب. كل ما تحصل عليه المجلة هو حق الشُفعة، ودعني أُخبرك أننا نادراً ما نرفض. وندفع بسخاء. وهذا يفوق أي رقم نتّفق عليه. صلصة مرق اللحم على طبق البطاطا المهروسة على مائدتك، يمكنك القول». ضحك ديس ضحكة خافتة.

«وكم يمكن أن يكون ذلك الرقم؟»، سأل جوني ببطء وهو يمسك ذراعَي كرسيه الهزّاز. بدا وريد في صدغه الأيمن ينبض بشكل إيقاعي.

«ثلاثون ألف دولار في السنة لمدة سنتين»، قال ديس. «وإذا حقَّقتَ شعبيةً، يصبح ذلك الرقم قابلاً للتفاوض. الآن، كل نفساني يتميَّز في ناحية معيّنة. أفهم أنك بارع مع الأشياء». أصبحت عينا ديس نصف مغمضتين، حالِمتين. «أرى مقالاً دورياً. مرتين في الشهر، ربما - لا نريد إفساد شيء جيد من البداية. ‹جون سميث يدعو قرّاء *نظرة داخلية* إلى إرسال ممتلكاتهم الشخصية ليتفحّصها نفسانياً...›، شيء من هذا القبيل. ونوضِّح لهم، بالطبع، أن عليهم أن يرسلوا أشياء رخيصة لأن لا شيء يمكن إعادته. لكنك ستتفاجأ. بعض الأشخاص مجانين مثل بقّ الفراش. ستتفاجأ من بعض الأمور التي ستأتي، ألماس، عملات معدنية ذهبية، خواتم زواج... ويمكننا إضافة بند إلى العقد يحدِّد أن كل الأشياء التي تأتي بالبريد تصبح مُلكك الشخصي».

بدأ جوني الآن يرى درجات من الأحمر الباهت أمام عينيه. «يرسل الناس أشياء إليَّ ويمكنني أن أحتفظ بها. هذا ما تقوله».

«بالتأكيد، لا أرى أي مشكلة في ذلك. المسألة فقط هي إبقاء القواعد الأساسية واضحة مسبقاً. بعض صلصة مرق اللحم الإضافية على تلك البطاطا المهروسة».

«لنفترض»، قال جوني محاذراً إبقاء صوته هادئاً، «لنفترض أنني... علقتُ في التوصّل إلى حدث هائل، على حدّ تعبيرك... واتصلتُ وقلتُ ببساطة إنه سيتم اغتيال الرئيس فورد في 31 سبتمبر 1976؟ ليس لأنني شَعَرتُ بذلك، بل لأنني كنتُ عالقاً؟».

«حسناً، سبتمبر يتضمن ثلاثين يوماً فقط، لعِلمك»، قال ديس. «لكن بخلاف ذلك، أعتقد أنه هدف مباشر. أنتَ موهوب بالفطرة يا جوني. تفكِّر عند مستوى عالٍ. هذا جيد. ستتفاجأ من عدد أولئك الأشخاص الذين يفكِّرون عند مستويات متدنية. أظن أنهم يخافون من وضع أفواههم حيث يوجد مالهم. اتصل بنا أحد رجالنا - تيم كلارك في أيداهو - منذ أسبوعين وقال إنه تراءى له أن إيرل باتز سيُجبر على الاستقالة السنة القادمة. حسناً اعذرني على فرنسيتي، لكن مَن يكترث لهذا؟ مَن هو إيرل باتز بالنسبة لسيدة المنزل الأميركية؟ لكن لديك ذبذبات جيدة يا جوني. لقد خُلقتَ لهذه الأمور».

«ذبذبات جيدة»، تمتم جوني.

نظرَ إليه ديس بفضول. «هل أنت بخير؟ تبدو شاحباً قليلاً».

كان جوني يفكِّر بالسيدة التي أرسلت الوشاح. الأرجح أنها تقرأ *نظرة داخلية* أيضاً. «دعني أرى إن أمكنني تلخيص هذا»، قال. «ستدفعون لي ثلاثين ألف دولار في السنة لظهور اسمي...».

«وصورتك، لا تنسَ».

«وصورتي على بضعة أعمدة كتبها شخصٌ آخر غيري. وكذلك مقال خاص أُخبِر فيه الناس ما يريدون معرفته عن أشياء يرسلونها. وكعامل جذب إضافي، يحقّ لي أن أحتفظ بالأشياء...».

«إذا نجحَ المحامون في تدبير هذا...».

«... كمُلك شخصي. هذا هو العرض؟».

«هذا هو لُبّ العرض يا جوني. مدهشة الطريقة التي تغذّي بها هذه الأشياء بعضها البعض. ستصبح مشهوراً في ستة أشهر، وبعد ذلك، السماء هي الحدود. برنامج كارسون التلفزيوني. مقابلات شخصية. جولات محاضرات. كتابك، بالطبع، اختر منزلك، الناشرون عملياً يرمون المال للنفسانيين بلا حساب. بدأت كاثي نولِن بعقد يشبه العقد الذي نعرضه عليك، وتجني الآن ما يزيد عن مئتَي ألف في السنة. كما أسَّست دار عبادة خاص بها ولا تستطيع دائرة الإيرادات الداخلية لمس قرش واحد من مالها. لا تُخفى على كاثي خافية مما يجري أبداً». مالَ ديس إلى الأمام مبتسماً. «دعني أُخبِرك يا جوني، السماء هي الحدود».

«ليس لديَّ شكّ أبداً».

«إذاً؟ ما رأيك؟».

مال جوني إلى الأمام نحو ديس وأمسَك كُمّ قميصه الجديد بيدٍ وياقة قميصه الجديد باليد الأخرى.

«مهلاً! ماذا تعتقد أنك فاعل...».

أحكمَ جوني قبضتيه على القميص وشدَّ ديس صوبه. خمسة أشهر من التمارين اليومية قوَّت عضلات يديه وذراعيه إلى درجة مُرعِبة.

«سألتني رأيي»، قال جوني وقد بدأ رأسه يدوّي ويؤلمه. «سأُخبِرك. أعتقد أنك غُول. لص قبور تسرق أحلام الناس. أعتقد أن شخصاً يجب أن يشغّلك في أعمال السمكرة. أعتقد أنه كان يجب أن تموت أمك من السرطان يوم حبلت بك. آمل أن تحترق في الجحيم يوماً ما».

«لا يمكنك التكلم معي هكذا!»، صاح ديس رافعاً صوته إلى زعيق بائعة سمك. «أنت مجنون لعين! انسَ الأمر! انسَ الأمر بأكمله أيها الريفيّ الأخرق الغبي السافل! لقد فوَّتَ الفرصة على نفسك! لا تأتِ إلينا زاحفاً...».

«بالإضافة إلى ذلك، يبدو صوتك كأنك تتكلَّم من خلال صندوق رقاقات بسكويت مملَّح»، قال جوني وهو ينهض رافعاً ديس معه. نتأ ذيل قميصه من داخل سرواله الجينز الجديد، كاشفاً فانيلا شبكيةً تحته. بدأ جوني يهزّ ديس بطريقة منهجية ذهاباً وإياباً. نسي ديس غضبه وبدأ ينتحب ويزأر.

جرّه جوني إلى درجات الشرفة، ورفع قدماً وزرعها بكل قوة في مقعد سروال الجينز الجديد. وَقَع ديس على التراب في شقلبتين كبيرتين وهو لا يزال ينتحب ويزأر. عندما نهض واستدار ليواجه جوني، كانت ملابسه المهلهَلة الساذجة موسَّخة بغبار الفناء. هذا جَعَلها تبدو حقيقية أكثر، بطريقة أو بأخرى، فكَّر جوني في سرّه، لكنه شكَّ أن يقدِّر ديس ذلك.

«يجب أن أبلّغ الشرطة عنك»، قال بصوت أجش. «وربما سأفعل ذلك».

«افعل أي شيء يستثيرك»، قال جوني. «لكن القانون هنا لا ينظر بلطف كبير إلى الأشخاص الذين يُقحمون أنوفهم في ما لا يعنيهم».

تلبَّد وجه ديس بخليط مشوَّش من الخوف والغضب والصدمة. «ليكن الله في عونك إن احتجتَ إلينا يوماً ما»، قال.

أصبح رأس جوني يؤلمه بشراسة الآن، لكنه أبقى صوته هادئاً. «أصبتَ تماماً»، قال. «لا يمكنني الموافقة أكثر».

«ستأسف، على فكرة. ثلاثة ملايين قارئ. هذا يصحّ في الاتجاهين. عندما ننتهي منك لن يصدَّقك الناس في هذه البلاد حتى ولو توقَّعت بدء فصل الربيع في أبريل. لن يصدِّقوك إذا قلتَ إن نهائيات كأس العالم في البيسبول ستُقام في أكتوبر. لن يصدِّقوك إذا... إذا...»، غمغَم ديس حانقاً.

«اخرج من هنا أيها الحقير»، قال جوني.

«*يمكنك توديع ذلك الكتاب!*»، صرَخ ديس، مستجمِعاً على ما يبدو أسوأ شيء يمكن أن يخطر بباله. بدا بوجهه المعقود وقميصه الذي يغطيه التراب مثل ولد مصاب بنوبة غضب من الفئة الأولى. فقد تعمَّقت لكنة بروكلين لديه وازدادت حدّتها إلى درجة أصبحت بها لهجة عامية تقريباً. «سيضحكون عليك في كل دار نشر في نيويورك! لن يلمسك القرّاء قبل النوم عندما أنتهي منك! هناك وسائل للتعامل مع الأذكياء أمثالك ونحن نقضي عليهم أيها السافل! نحن...».

«أظن أنني سأذهب وأُحضر بندقيتي وأسلّي نفسي بإطلاق النار على متعدٍّ على ممتلكات الغير»، علَّق جوني.

تراجع ديس إلى سيارته المستأجرة وهو لا يزال يُطلق تهديداته وعباراته البذيئة. وَقَف جوني على الشرفة يراقبه ورأسه يؤلمه حتى حدود الغثيان. ركب ديس سيارته، زاد سرعة محرِّكها

بلا رحمة، ثم انطلق بضجة كبيرة نافثاً التراب في سُحُب في الهواء. ترك السيارة تنجرف بما يكفي في طريقه للخروج لكي يطيِّر كتلة التقطيع الموجودة قرب الحظيرة. ابتسم جوني ابتسامة خفيفة من هذا رغم ألم رأسه الكبير. يمكنه إعادة نصب كتلة التقطيع بسهولة أكبر بكثير من قدرة ديس على أن يشرح لجماعة هرتز سبب الانبعاج الكبير في الرفراف الأمامي لتلك الفورد.

تلألأت شمس بعد الظهر على الكُروم مرة أخرى بينما راح ديس يطيِّر الحصاة على طوال الممر الخاص لمنزل جوني. عاود جوني الجلوس على الكرسي الهزّاز ووضع جبهته على يده واستعد لزوال الصُداع.

2

«*ستفعل ماذا؟*»، سأل المصرفي. في الخارج والأسفل، مرَّت حركة المرور ذهاباً وإياباً على طول الشارع الرئيسي الريفي لريدجواي، نيو هامبشاير. على جدران مكتب المصرفي المكسوة بألواح من خشب الصنوبر في الطابق الثالث، هناك صور فوتوغرافية التقطها فريدريك ريمنغتون للمصرفي في مناسبات محلية. وعلى مكتبه مكعّبٌ من الأكريليك يتضمن صوراً لزوجته وابنه.

«سأترشّح لمجلس النواب السنة القادمة»، كرَّر غريغ ستيلسون. كان يرتدي بنطلوناً كاكي اللون، وقميصاً أزرق مرفوعان كُمّاه، وربطة عنق سوداء عليها شكل أزرق واحد. بدا غير مناسب نوعاً ما لمكتب المصرفي، كما لو أنه قد ينهض في أي لحظة ويشنّ هجوماً عشوائياً هدّاماً على الغرفة، طارحاً الأثاث أرضاً، ومُوقِعاً صور ريمنغتون المؤطَّرة بأطر غالية على الأرض، ونازعاً الستائر عن قضبانها.

ضحِك المصرفي - تشارلز «تشاك» جِندرون، رئيس نادي الليونز المحلي - بارتياب قليلاً. يملك ستيلسون طريقةً لجعل الناس يشعرون بالتردّد وعدم الثقة. ربما كان هزيلاً في صغره؛ يحبّ أن يقول للناس إن «رياحاً قويةً ستطيّرني»؛ لكن جينات أبيه غلبت في النهاية، وبدا هنا في مكتب جِندرون شبيهاً جداً بالعامل القوي البنية في حقل نفط أوكلاهوما الذي كان عليه أبوه.

عبس لضحكة جِندرون الخافتة.

«أعني، ربما لدى جورج هارفي شيءٌ ليقوله بشأن هذا، أليس كذلك يا غريغ؟». لأن جورج هارفي، بالإضافة إلى كونه مؤثراً وفاعلاً في سياسة البلدة، كان العرّاب الجمهوري للدائرة الثالثة.

«لن يعترض جورج»، قال غريغ بهدوء. كانت هناك خصلة رمادية في شعره، لكن وجهه بدا فجأة مشابهاً جداً لوجه رجلٍ ركلَ منذ مدة طويلة كلباً حتى الموت في فناء مزرعة في أيوا. كان صوته حليماً. «لن يتدخَّل جورج، لكنه سيكون في صفّي. ولن أدوس على أصابع قدميه، لأنني سأترشَّح كمستقل. ليست لديَّ عشرون سنة لأضيّعها على تعلُّم أصول العمل والتذلّل».

قال تشاك جِندرون بتردّد، «أنت تمزح، أليس كذلك يا غريغ؟».

عاد عبوس غريغ. كان عبوساً بغيضاً. «أنا لا أمزح أبداً يا تشاك. الناس... *يعتقدون* أنني أمزح. صحيفة اليونيون ليدر وأولئك الحمقى في الدايلي ديموكرات يعتقدون أنني أمزح. لكن اذهب لرؤية جورج هارفي. *اسأله* إن كنتُ أمزح، أو إن كنتُ أُنجز المهمة المطلوبة مني. يجب أن تكون أدرى من ذلك أيضاً. في النهاية، لقد دفنّا بعض الجثث معاً، أليس كذلك يا تشاك؟».

تحوَّل العبوس إلى ابتسامة مُقلِقة نوعاً ما - مُقلِقة لجِندرون ربما، لأنه ترك نفسه يتورَّط في مكيدتين من مكائد غريغ ستيلسون المعمارية. لقد كسبا مالاً، نعم، بالطبع كسبا مالاً، هذه ليست المشكلة. لكن كانت هناك نقطتان في مشروع صنينغدايل آيكرز (وصفقة لوريل إستايتس أيضاً، بصراحة) لم تكونا - حسناً، قانونيتين. رشوة لموظفٍ في وكالة حماية البيئة بادئ ذي بدء، لكن هذه ليست النقطة الأسوأ.

في صفقة لوريل إستايتس، كان هناك عجوز على طريق ريدجواي الخلفي لم يرغب أن يبيع. أولاً، ماتت دجاجات العجوز الأربعة عشر تقريباً من مرض غامض، وثانياً شبَّ حريق في مخزن بطاطا العجوز، وثالثاً عندما عاد العجوز من زيارة أخته في دار مسنّين في كين خلال عطلة نهاية أسبوع منذ زمن ليس ببعيد، وجد أن أحدهم لطَّخ غرفة جلوسه وغرفة طعامه ببراز كلبٍ، ورابعاً باع العجوز، وخامساً أصبح مشروع لوريل إستايتس من حقائق الحياة الآن.

وربما سادساً: عاد عفريت الدرّاجات النارية، صاني إيليمان، يتسكَّع في الأرجاء. هو وغريغ صديقان عزيزان، والشيء الوحيد الذي منع ذلك من أن يصبح حديث البلدة هو الحقيقة الموازِنة بأن غريغ شُوهد في صحبة الكثير من المدمنين والهيبّيين والمنحرفين والدَرّاجين - كنتيجة مباشرة لمركز الإرشاد ضد المخدرات الذي أعَدّه، زائد البرنامج غير الاعتيادي لريدجواي لمكافحة إدمان المخدرات والشراب لدى الشباب وجناة الطريق. بدلاً من تغريمهم أو سَجنهم، استفادت البلدة

من خدماتهم لقاء علاجهم مجاناً. كانت فكرة غريغ - وهي فكرة جيدة، سيكون المصرفي أول من يقرّ بذلك. وهي أحد الأمور التي ساعدت على انتخاب غريغ عُمدةً للبلدة.

لكن هذا - هذا جنون بَحت.

لقد قال غريغ شيئاً آخر. لم يكن جِندرون متأكداً ما هو. «عذراً»، قال.

«سألتُك ما رأيك أن تكون مدير حملتي»، كرَّر غريغ.

«غريغ...»، احتاج جِندرون أن يتنحنح ويبدأ الكلام من جديد. «غريغ، لا يبدو أنك تفهم. هاريسون فيشر هو ممثل الدائرة الثالثة في واشنطن. هاريسون فيشر جمهوري، محترَم، وأبديّ على الأرجح».

«لا أحد أبديّ»، قال غريغ.

«هاريسون اللعين قريب من أن يكون أبدياً»، قال جِندرون. «اسأل هارفي. كانا زميلين في المدرسة. حوالي العام 1800، أعتقد».

لم يعر غريغ اهتماماً لهذه النكتة الخفيفة. «سأسمّي نفسي الموظ الضخم أو شيئاً مشابهاً... وسيظن الجميع أنني أمزح... وفي النهاية، سيضحك معي كل أخيار الدائرة الثالثة من هنا إلى واشنطن».

«غريغ، أنت مجنون».

اختفت ابتسامة غريغ كما لو أنها لم تكن موجودة أبداً، وحصل شيء مخيف لوجهه. أصبح جامداً جداً، وشخُصت عيناه لتُظهِرا مقداراً كبيراً من بياضهما. كانتا عينَي حصان شمَّ رائحة ماء ملوَّث.

«لا تريد أن تقول شيئاً من هذا القبيل يا تشاك. أبداً».

شَعَر المصرفي بمزيد من القلق الآن.

«غريغ، أعتذر. المسألة فقط أن...».

«لا، لن تريد أن تقول لي ذلك أبداً، إلا إذا أردتَ إيجاد صاني إيليمان بانتظارك بعد ظهر أحد الأيام عندما تخرج لتُحضِر زجاجة شراب شعيرك اللعينة الكبيرة».

تحرَّك فم جِندرون لكن لم يخرج منه أي صوت.

ابتسم غريغ مرة أخرى، وكان ذلك أشبه باختراق الشمس لسُحُبٍ داكنةٍ فجأة. «لا تهتمّ. لا نريد أن نهين بعضنا إذا كنا سنعمل معاً».

«غريغ...».

«أريدك لأنك تعرف كل رجل أعمال لعين في هذا الجزء من نيو هامبشاير. سنجني مالاً كثيراً بعدما ينطلق هذا الشيء، لكن أظن أن علينا أن نضخّ الأموال بأنفسنا أولاً. الآن الوقت المناسب لكي أتوسَّع قليلاً، وأبدأ بالظهور بمظهر رجل الدولة بالإضافة إلى رجل ريدجواي. أعتقد أن خمسين ألف دولار يجب أن تكون كافية لتسميد الجذور».

كان المصرفي، الذي عمِل لصالح هاريسون فيشر في الاستطلاعات الأربعة الأخيرة، مندهشاً من سذاجة غريغ السياسية لدرجة أنه احتار في البدء كيف يتابع النقاش معه. قال أخيراً، «غريغ. لا يساهم رجال الأعمال في الحملات الانتخابية بسبب طيبة قلوبهم بل لأن الفائز سيصبح مَديناً لهم. وفي الانتخابات الحامية، يدعمون المرشّح الذي يملك فرصة بالفوز، لأنه يمكنهم احتساب الخاسر خسارةً ضريبيةً أيضاً. لكن الجملة المفصلية هي فرصة بالفوز. الآن فيشر يُعتبر...».

«مرشَّحاً مضموناً فوزه»، قال غريغ ثم أخرجَ مغلفاً من جيبه الخلفي. «أريدك أن تنظر إلى هذه».

نظرَ جِندرون بارتياب إلى المغلف ثم إلى غريغ. أومأ غريغ برأسه تشجيعاً. فتح المصرفي المغلف.

ساد صمت طويل في المكتب المكسوة جدرانه بألواح من خشب الصنوبر بعد شهقة جِندرون الأولية العميقة، ولم تكسره سوى الهمهمة الخافتة للساعة الرقمية على مكتب المصرفي وهسهسة عود الثقاب عندما أشعلَ غريغ سيجار شيروت. كانت صور فريدريك ريمنغتون على جدران المكتب، وصور العائلة في مكعّب الأكريليك. أما منشورةً على المكتب الآن فكانت صور المصرفي دافناً رأسه بين فخذَي شابة ذات شعر أسود - أو ربما أحمر، فالصور سوداء وبيضاء محجبحة على ورق لامع ومن الصعب تمييز اللون بدقة. وجه المرأة واضحٌ جداً، وهو ليس وجه زوجة المصرفي. سيتعرَّف عليها بعض سكان ريدجواي على أنها إحدى النادلات في استراحة بوبي سترانغ لسائقي شاحنات التي تبعُد مسافة بلدتين.

صور المصرفي دافناً رأسه بين ساقَي النادلة هي الصور الآمنة - فوجهها واضحٌ على عكس وجهه. أما في الصور الأخرى، فحتى جَدّته ستتعرَّف عليه. إنها صور لجِندرون والنادلة منخرطَين في محيط ضخم من اللذة الجنسية - كل وضعيات الكاماسوترا تقريباً، لكن هناك عدة وضعيات مصوَّرة لم تُشمَل أبداً في «فصل العلاقات الجنسية» في كتاب الصحة الذي يُدرَّس في ثانوية ريدجواي.

رفع جِندرون نظره بوجه شاحب ويدين ترتعشان وقلب يخفق كالبرق في صدره. خشي أن يُصاب بنوبة قلبية.

لم يكن غريغ ينظر إليه حتى، بل ينظر خارج النافذة إلى القطعة الزرقاء الساطعة من سماء أكتوبر المرئية بين محل السلع الرخيصة في ريدجواي ومتجر بطاقات ريدجواي.

«بدأت رياح التغيير تهبّ»، قال بوجه شارد ومشغول البال؛ بوجه باطني تقريباً. التفَت نحو جِندرون. «هل تعرف ما أعطاني أحد منحرفي المخدرات أولئك في المركز؟».

هزَّ تشاك جِندرون رأسه بشكل خَدِر، بينما تدلِّك إحدى يديه المرتعشتين الجهة اليسرى لصدره - على سبيل الاحتياط فقط لا غير. بقيت عيناه تسقطان نحو الصور الفوتوغرافية. الصور الفوتوغرافية اللعينة. ماذا لو دخَلت سكرتيرته الآن؟ توقَف عن تدليك صدره وبدأ يلملم الصور ويعيدها إلى المغلف.

«أعطاني الكتاب الأحمر الصغير للزعيم ماو»، قال غريغ وهدرت ضحكةٌ خافتةٌ صعوداً من الصدر البرميلي الذي كان نحيلاً جداً ذات يوم، جزءاً من جسم كان يجعل أبيه المحبوب يشمئز في الأغلب. «وأحد الأمثال فيه... لا يمكنني تذكُّر صيغته بشكل دقيق، لكنه يقول شيئاً كهذا، ‹الرجل الذي يشعر باقتراب رياح التغيير لا يجب أن يبني مِصَدّ رياح بل طاحونة هوائية›. هذا هو مغزاه، على أي حال».

مال إلى الأمام.

«هاريسون فيشر ليس مرشَّحاً مضموناً فوزه، بل شخصاً أفَلَ نجمُه. فورد شخص أفَلَ نجمُه. مَسكي شخص أفَلَ نجمُه. همفري شخص أفَلَ نجمُه. الكثير من السياسيين المحليين وفي طول هذه البلاد وعرضها سيستيقظون اليوم الذي يلي الانتخابات ويعرفون أنهم موتى مثل طيور الدودو. لقد

أجبَروا نيكسون على الاستقالة، وفي السنة التالية أجبَروا الأشخاص الذين دعموه في جلسات العزل على الاستقالة، وفي السنة القادمة سيُجبِرون جيري فورد على الاستقالة للسبب نفسه».

التهبت عينا غريغ ستيلسون نحو المصرفي.

«هل تريد رؤية موجة المستقبل؟ انظر إلى ذلك الرجل لونغلي في ماين. رشَّح الجمهوريون رجلاً يدعى إروين ورشَّح الديموقراطيون رجلاً يدعى ميتشل وعندما عدّوا الأصوات لمنصب الحاكم، نالوا مفاجأة كبيرة، لأن الناس انتخبوا رجل تأمين من لويستون لم يرغب أن يكون جزءاً من الحزبَين. والآن يتكلَّمون عنه كأنه حصان أسود للرئيس».

بقي جِندرون غير قادر على الكلام.

أخذ غريغ نَفَساً عميقاً. «سيظنّ الجميع أنني أمزح، أليس كذلك؟ لقد ظنّوا أن *لونغلي* كان يمزح. لكنني لا أمزح. إنني أبني طواحين هوائية. وستزوّدني بمواد البناء».

سكتَ. ساد صمتٌ في المكتب، ما عدا همهمة الساعة. أخيراً همَس جِندرون، «من أين حصلتَ على هذه الصور؟ من إيليمان؟».

«مهلاً. لا تريد أن تتكلّم عن هذه الصور. انسَ أمرها. احتفظ بها».

«ومَن يحتفظ بالسلبيات؟».

«تشاك»، قال غريغ بجد، «أنت لا تفهم. إنني أعرض عليك واشنطن. السماء هي الحدود يا فتى! حتى إنني لا أطلب منك جمع مبلغ كبير. مثلما قلتُ، مجرّد دلو ماء لمساعدتي على بدء ضخّ الأموال. وعندما تسير العجلة، سيأتي الكثير من المال. الآن، أنت تعرف الرجال الذين يملكون المال. تتناول الغداء معهم باستمرار في كازْوَل هاوس. تلعب الورق معهم. منحتهم قروضاً تجاريةً بأدنى فائدة ممكنة بمجرّد طلبهم منك ذلك. وتعرف كيف تقيّد لهم أيديهم».

«غريغ أنت لا تفهم، أنت لا...».

نهض غريغ. «تماماً مثلما قيَّدتُ لك يديك»، قال.

رفع المصرفي نظره إليه، وقلبَ عينيه بعجز. شَعَر غريغ ستيلسون أنه بدا مثل خروف سيق إلى المسلخ بأناقة.

«خمسون ألف دولار»، قال. «دبّره».

خرَج مُغلقاً الباب خلفه بلطف. سمِع جِندرون صوته المدوّي يدردش مع سكرتيرته حتى عبر الجدران السميكة. سكرتيرته عجوز مسطَّحة الصدر في الستين من عمرها وقد جَعَلها ستيلسون تقهقه على الأرجح مثل مراهقة. إنه مهرِّج ساهمت برامجه للتأقلم مع جرائم الشباب في انتخابه عُمدة لريدجواي. لكن الناس لا يختارون مهرِّجين لواشنطن.

حسناً - نادراً جداً.

هذه ليست مشكلته. خمسون ألف دولار مساهمة في حملة انتخابية، هذه هي مشكلته. بدأ ذهنه يهرول حول المشكلة مثل جرذ أبيض مدرَّب يهرول حول قطعة جبن على طبق. يمكن تحقيق ذلك على الأرجح. نعم، يمكنه تحقيقه على الأرجح - لكن هل ستنتهي الأمور عند هذا الحدّ؟

لا يزال المغلف الأبيض على مكتبه. نظرت إليه زوجته المبتسمة من مكانها في مكعّب الأكريليك. أخذ المغلف وحشره في الجيب الداخلي لسترة بذلته. إنه إيليمان. كان متأكداً أن إيليمان عرَف بطريقة أو بأخرى والتقط الصور.

لكن ستيلسون هو الذي أخبَره ماذا عليه أن يفعل.

ربما الرجل ليس مهرِّجاً في النهاية. وتقييمه للمناخ السياسي للعام 1975-1976 ليس غبياً بالكامل. *بناء طواحين هوائية بدلاً من مِصَدّات رياح... السماء هي الحدود*.

لكن هذه ليست مشكلته.

خمسون ألف دولار هي مشكلته.

تشاك جِندرون، رئيس نادي الليونز وزميل جيد على جميع الأصعدة (قاد في العام الماضي إحدى تلك الدرّاجات النارية الصغيرة المضحكة في استعراض الرابع من يوليو في ريدجواي)، سحَب دفتر أوراق صفراء من الجارور العلوي لمكتبه وبدأ يدوِّن لائحة أسماء. الجرذ الأبيض المدرَّب يعمل. وفي الشارع الرئيسي، رفعَ غريغ ستيلسون وجهه إلى ضوء شمس الخريف القوي وهنّأ نفسه على عملٍ أنجزه ببراعة - أو عملٍ بدأه بشكل جيد.

الفصل الخامس عشر

1

لاحقاً، افترَض جوني أن السبب الذي مكّنه أخيراً من مضاجعة سارة - بعد خمس سنوات تقريباً من المعرض - له علاقة كبيرة بزيارة ريتشارد ديس، الرجل من *نظرة داخلية*. السبب الذي جعله يضعَف في نهاية المطاف ويتصل بسارة ويدعوها إلى زيارته لا يزيد عن كونه رغبة حزينة بقدوم شخص لطيف ليُبعد المذاق البغيض من فمه. أو هكذا أخبَر نفسه.

اتصل بها في كينيبَنك وردَّت عليه زميلتها السابقة في الغرفة، التي قالت إن سارة ستكون معه بعد لحظات. طرطقَ الهاتف وسادت لحظة صمت خطر بباله فيها (لكن ليس بشكل جدّي) أن يُغلق الخط ويُغلق الكتب إلى الأبد. ثم أصبح صوت سارة في أذنه.

«جوني؟ هل هذا أنت؟».

«بنفسه».

«كيف حالك؟».

«بخير. وحالك؟».

«أنا بخير»، قالت. «مسرورة أنك اتصلت. لم... أعرف إن كنتَ ستتصل أم لا».

«لا تزالين تتعاطين ذلك الكوكايين الخبيث؟».

«لا، أصبحتُ أتعاطى الهيروويين الآن».

«ابنك معك؟».

«بالتأكيد. لا أذهب إلى أي مكان من دونه».

«حسناً، لما لا تأتيان إلى هنا يوماً ما قبل أن تضطرا إلى العودة شمالاً؟».

«يسرّني هذا يا جوني»، قالت بحرارة.

«الوالد يعمل في وستبرُوك وأنا الطبّاخ وغسّالة الأطباق. يصل إلى المنزل حوالي الرابعة والنصف ونأكل حوالي الخامسة والنصف. على الرحب والسعة إن أردتما البقاء على العشاء، لكنني أحذِّرك: أفضل أطباقي كلها تستخدم المعكرونة الأميركية الفرنسية كأساس لها».

قهقهت. «الدعوة مقبولة. أي يوم هو الأفضل؟».

«ما رأيك غداً أو بعد الغد يا سارة؟».

«غداً ممتاز»، قالت بعد تردّد طفيف. «أراك عندها».

«اعتني بنفسك يا سارة».

«أنتَ أيضاً».

أغلَق السمّاعة بتبصّر وهو يشعر بالحماسة والذنب في آن - بلا أي سبب وجيه على الإطلاق. لكن ذهنك يذهب إلى حيث يشاء، أليس كذلك؟ والمكان الذي شاء ذهنه أن يذهب إليه الآن هو أن يدرس احتمالات ربما من الأفضل تركها وشأنها.

حسناً، تعرف الشيء الذي تحتاج إلى معرفته. تعرف متى يعود الوالد إلى المنزل - ماذا تحتاج أن تعرف أيضاً؟

وردَّ ذهنه على نفسه: *ماذا ستفعل إن جاءت عند الظهر؟*

لا شيء، أجاب، ولم يصدِّق ذلك كلياً. مجرّد التفكير بسارة، بشفتيها، بطرفَي عينيها الخضراوين المائلين صعوداً قليلاً - كان كافياً لجعله يشعر بالضعف والسعادة وبعض التهوّر.

ذهب جوني إلى المطبخ وبدأ يُعدّ ببطء عشاء هذه الليلة، ليس شيئاً مهماً، لشخصين فقط. لوالدٍ وابن. الوضع ليس سيئاً إلى هذا الحدّ. لا يزال يتماثل للشفاء. تكلَّم وأبوه عن السنوات الأربعة والنصف التي فاتته، عن أمه - الالتفاف حول تلك النقطة بعناية لكن يبدو دائماً أنهما يقتربان أكثر قليلاً إلى مركزها، في شدّ لولبي. عدم الحاجة إلى الفهم، ربما، لكن الحاجة إلى التوصّل إلى تفاهم.

لا، الوضع ليس سيئاً إلى هذا الحدّ. كان طريقةً لإنهاء ترتيب الأوضاع. لكليهما. لكن الأمر سينتهي في يناير عندما يعود إلى التدريس في كليفز ميلز. لقد تلقّى عقده لنصف سنة من دايف پلسن الأسبوع الفائت، وقّعه وأعاده إليه. ماذا سيفعل أبوه عندها؟ يُكمل حياته، افترَض جوني. لدى الناس طريقتهم الخاصة في فعل ذلك، فيُكملون حياتهم ببساطة من دون أي دراما، من دون قرع طبول. سيأتي لزيارة هيرب كلما استطاع، كل نهاية أسبوع، إذا شَعَر أن هذا هو الصواب. لقد أصبحت أشياءٌ كثيرةٌ غريبةً بسرعة كبيرة بحيث أن كل ما يمكنه فعله هو تلمّس طريقه حولها ببطء مثل رجل أعمى في غرفة غير مألوفة.

وَضَع اللحم في الفرن، دخَل غرفة الجلوس، شغَّل التلفزيون، ثم أطفأه مرة أخرى. جلَس يفكِّر بسارة. *الطفل*، فكَّر في سرّه. *الطفل سيكون مرافقنا إذا أتت باكراً*. لذا لا بأس بهذا، في النهاية. كل الاحتياطات مأخوذة.

لكن أفكاره لا تزال ضئيلة الاحتمال وتخمينيّة مزعجة.

2

أتت عند الثانية عشرة والرُبع في اليوم التالي وهي تقود بينتو حمراء صغيرة أنيقة لتركنها في الممر الخاص. خرجت منها وهي تبدو طويلة وجميلة بشعرها الأشقر الداكن العالق في رياح أكتوبر الخفيفة.

«مرحباً يا جوني!»، نادت وهي ترفع يدها في الهواء.

«سارة!». نزلَ ليلاقيها؛ رَفَعت وجهها وقبَّل خدّها بخفة.

«فقط دعني أُخرج الإمبراطور»، قالت وهي تفتح باب الراكب.

«هل يمكنني أن أساعد؟».

«لا، نحن ننسجم معاً بشكل ممتاز، أليس كذلك يا دينيه؟ هيا يا صغيري». فكَّت برشاقة الأحزمة التي تربط طفلاً صغيراً بديناً بمقعد السيارة. رَفَعته إلى الخارج. راح دينيه يحدِّق في الفناء باهتمام وقور جامح، ثم تركَّزت عيناه على جوني. ابتسم.

«فيغ!»، قال دينيه ولوَّح بيديه.

«أعتقد أنه يريد أن يذهب إليك»، قالت سارة. «غريب جداً. لدى دينيه إدراك أبيه الجمهوري - إنه متحفِّظ. هل تريد أن تحمله؟».

«بالتأكيد»، قال جوني بارتياب قليلاً.

ابتسمت سارة. «لن ينكسر ولن توقعه»، قالت وسلَّمته دينيه. «إذا أوقعتَه، سيرتدّ إليك على الأرجح مثل لعبة المعجونة السخيفة. طفل بدين بشكل مثير للإشمئزاز».

«فن دنك!»، قال دينيه وهو يلفّ ذراعاً بلا مبالاة حول عنق جوني وينظر بكل ارتياح إلى أمه.

«هذا مُدهِش حقاً»، قالت سارة. «لا ينسجم مع الناس هكذا... جوني؟ *جوني؟*».

عندما وضع الطفل ذراعه حول عنق جوني، غمرته فورة مربكة من المشاعر مثل ماء دافئ. لم يكن هناك شيء مظلم، شيء مُقلِق. كان كل شيء بسيطاً جداً. ليس هناك مفهوم للمستقبل في أفكار الطفل. لا شعور بالمتاعب. لا إحساس بتعاسة ماضية. ولا كلمات، مجرّد صور قوية: دفء، جفاف، الأم، الرجل الذي هو عليه.

«جوني؟»، قالت وهي تنظر إليه بقلق.

«همممم؟».

«هل كل شيء على ما يرام؟».

أدرَك أنها تسأله عن دينيه. هل كل شيء على ما يرام مع دينيه؟ هل ترى أي متاعب؟ أي مشاكل؟

«كل شيء بخير»، قال. «يمكننا الدخول إذا أردتِ، لكنني أجثم عادة على الشرفة. سيحين وقت الربوض حول الموقد طوال اليوم قريباً».

«أعتقد أن الشرفة فكرة ممتازة. ودينيه يبدو كأنه يرغب بتجربة الفناء. الفناء *رائع*، يقول. أليس كذلك يا صغيري؟». نفشَت له شعره وضحِك دينيه.

«هل سيكون بخير؟».

«طالما أنه لا يحاول أن يأكل إحدى رقائق الخشب تلك».

«كنتُ أحطّب للفرن»، قال جوني وهو يضع دينيه أرضاً بعناية فائقة كما لو أنه مزهرية مينغ. «تمرين جيد».

«كيف حالك؟ جسدياً؟».

«أعتقد»، قال جوني وهو يتذكَّر الدفعة التي وجَّهها نحو ريتشارد ديس منذ بضعة أيام، «إنّ حالي أفضل ما يمكن توقعه».

«هذا جيد. كنتَ يائساً نوعاً ما آخر مرة رأيتُك فيها».

أومأ جوني برأسه. «العمليات».

«جوني؟».

ألقى نظرة سريعة عليها وشَعَر مرة أخرى بذلك المزيج الغريب من التخمين والذنب، وشيء يشبه التوقّع في أحشائه. كانت عيناها مركّزتين على وجهه، بصراحة وعلانيةً.

«نعم؟».

«هل تتذكَّر... عن خاتم الزواج؟».

أومأ برأسه.

«وجدتُه هناك. حيث قلتَ إنه سيكون. رميتُه بعيداً».

«حقاً؟». لم يتفاجأ بالكامل.

«رميتُه بعيداً ولم أُخبر والت أبداً». هزَّت رأسها. «ولا أعرف لماذا. أنا منزعجة منذ ذلك الحين».

«لا تنزعجي».

كانا يقفان على الدرجات، بمواجهة بعضهما البعض. تورَّد خدّاها، لكنها لم تُخفض نظرها.

«هناك شيء أودّ إنهاءه»، قالت ببساطة. «شيء لم يتسنَّ لنا أبداً إنهاءه».

«سارة...»، بدأ يقول ثم سكت. لم تكن لديه أي فكرة على الإطلاق ماذا سيقول بعد ذلك. ترنَّح دينيه ست درجات تحتهما ثم جلس بقوة. صاح بهدوء تام.

«نعم»، قالت. «لا أعرف إن كان هذا خطأ أم صواب. أحبّ والت. إنه رجل طيب، سهل حبّه. ربما الشيء الوحيد الذي أعرفه هو تمييز الرجل الطيب عن الرجل الشرير. دان - ذلك الشابّ الذي كنتُ أواعده في الكلّية - كان أحد الأشرار. لقد عرَّفتني على النوع الآخر يا جوني. من دونك لما استطعتُ أبداً تقدير والت لما هو عليه».

«سارة، لستِ مضطرةَ أن...».

«بلى»، ناقَضته سارة بصوت منخفض وقوي. «لأن أموراً كهذه لا يمكنك قولها إلا مرة واحدة فقط. وإما تُصيب أو تخيب فيها، تصل إلى أحد الطرفين في الحالتين، لأنه صعب جداً محاولة قوله مرة أخرى». نظرت إليه بتضرّع. «هل تفهم؟».

«نعم، أظن أنني أفهم».

«أحبك يا جوني»، قالت. «لم أتوقف أبداً عن حبّك. حاوَلتُ أن أُخبر نفسي أنها مشيئة السماوات أن ننفصل عن بعضنا. لا أعرف. هل قطعة نقانق سيئة من مشيئة السماوات؟ أو ولدان يتسابقان على طريق خلفي في منتصف الليل؟ كل ما أريده...». ارتدى صوتها طابع تشديد مسطَّحاً غريباً بدا أنه يشقّ طريقه بصعوبة في بعد ظهر أكتوبر البارد مثل مطرقة حِرفي صغيرة في طبقة معدنية رفيعة ونفيسة. «... كل ما أريده هو ما أُخذ منا». تلعثَم صوتها. أخفَضت النظر. «وأريده من كل قلبي يا جوني. وأنتَ؟».

«نعم»، قال. مدَّ ذراعيه وارتبك عندما هزَّت رأسها وابتعَدت.

«ليس أمام دينيه»، قالت. «ربما يكون هذا غباءً، لكن هذا سيكون أشبه بخيانة عامة. أريد كل شيء يا جوني». تورَّد خدّاها مرة أخرى، وبدأ خجلها يغذّي إثارته. «أريدك أن تحضنني وتقبِّلني وتحبّني»، قالت. تلعثَم صوتها مرة أخرى، وكاد ينقطع. «أعتقد أن هذا خطأ، لكن لا يسعني منع نفسي. هذا خطأ لكنه صواب. هذا عدلٌ».

مدَّ إصبعاً ومسحَ دمعةً سالت على خدها ببطء.

«وسنفعل ذلك لمرة واحدة فقط، أليس كذلك؟».

أومأت برأسها. «مرة واحدة تكفي لوضع حدّ لكل شيء. كل شيء كان ليحصل، لو لم تسوء الأمور». رفعت نظرها وبدت عيناها الخضراوتان المغرورقتان أكثر إشراقاً من أي وقت مضى. «هل يمكننا أن نضع حدّاً لكل شيء بمرة واحدة فقط يا جوني؟».

«لا»، قال مبتسماً. «لكن يمكننا المحاولة يا سارة».

أخفضت نظرها بحنان إلى دينيه الذي كان يحاول أن يتسلّق كتلة التقطيع من دون نجاح كبير. «سينام»، قالت.

3

جلَسا على الشرفة يراقبان دينيه يلعب في الفناء تحت السماء الزرقاء المرتفعة. لم تكن هناك عجلة أو نفاد صبر بينهما، بل كهرباء متزايدة شَعَرا بها كلاهما. كانت قد فتَحت معطفها وجلست على أرجوحة الشرفة في فستان صوفي أزرق شاحب شابكةً كاحلَيها، وشعرها يتطاير بإهمال على كتفَيها حيث سكبته الرياح. التورُّد لم يفارق وجهها أبداً. فرَّت سُحُبٌ بيضاء مرتفعةٌ في السماء، من الغرب إلى الشرق.

تكلَّما عن أشياء غير هامة - لم تكن هناك عجلة. لأول مرة منذ أن استفاق من الغيبوبة، لم يشعر جوني أن الوقت عدوه. فقد زوَّدهما الوقت بهذا المطبّ الهوائي الصغير مقابل الانسياب الرئيسي الذي سُرِقَ منهما، وسيبقى هنا طوال المدة التي يحتاجان إليها. تكلَّما عن أشخاص تزوجوا، عن فتاة من كليفز ميلز فازت بمنحة تعليمية، عن حاكم ماين المستقل. قالت سارة إنه يشبه لورتش في البرنامج التلفزيوني القديم *عائلة أدامس*، ويفكِّر مثل هربرت هُوڤر، وضحِكا معاً.

«انظر إليه»، قالت سارة وهي تومئ نحو دينيه.

كان يجلس على العشب قرب تعريشة لبلاب ڤيرا سميث، يضع إبهامه في فمه، وينظر إليهما بنعاس.

أخرجت سيارته - سريره عن المقعد الخلفي للبينتو.

«هل سيكون بخير على الشرفة؟»، سألت جوني. «الجو لطيف جداً، أريده أن يأخذ قيلولته في الهواء المنعش».

«سيكون بخير على الشرفة»، قال جوني.

أعدَّت السرير في الظل، وضعته فيه، وسحَبت البطانيتين وصولاً إلى ذقنه. «نَم يا عزيزي»، قالت سارة.

ابتسم لها وأغمض عينيه فوراً.

«هكذا بكل بساطة؟»، سأل جوني.

«هكذا بكل بساطة»، وافَقته. اقتربت منه ووضعت ذراعيها حول عنقه. «أودّ أن تقبّلني»، قالت بهدوء. «لقد انتظَرتُ خمس سنوات لكي تقبّلني مرة أخرى يا جوني».

وَضَع ذراعيه حول خصرها وقبَّلها بلطف. تباعدت شفتاها.

«آه يا جوني»، قالت عند عنقه. «أحبك».

«أحبك أيضاً يا سارة».

«إلى أين نذهب؟»، سألت وهي تبتعد عنه. كانت عيناها صافيتين وداكنتين مثل حبّتي زُمرُّد الآن. «إلى أين؟».

4

بسطَ بطانية الجيش الباهتة، التي كانت قديمة لكن نظيفة، على قش مخزن الغلال الثاني. الرائحة عطِرة وعذبة. عالياً فوقهما كان الهديل والرفرفة الغامضان لسنونو المخازن، ثم استقرّا مرة أخرى. وكانت هناك نافذة صغيرة مليئة بالغبار تطلّ على المنزل والشرفة. مسَحت سارة بقعة على الزجاج وأخفَضت نظرها إلى دينيه.

«كل شيء على ما يرام؟»، سأل جوني.

«نعم. هنا أفضل من المنزل. فذلك سيكون أشبه...»، هزّت كتفيها.

«يجعل أبي جزءاً من هذا؟».

«نعم. هذا بيننا لوحدنا».

«شأننا».

«شأننا»، وافَقته. تمدَّدت على بطنها مديرةً وجهها إلى إحدى جهتَي البطانية الباهتة، وطاويةً رِجلَيها عند الركبتين. خلعت كل فردة من حذائها بقدمها الأخرى. «فك لي سحّابي يا جوني».

ركَع بجانبها وفكّ لها سحّابها. بدا الصوت صاخباً في السكون. كان ظهرها بلون القهوة مع الكريما على بياض سروالها الداخلي. قبَّلها بين لوحَي كتفيها وارتعَشت.

«سارة»، همس.

«ماذا؟».

«عليَّ أن أخبركِ شيئاً».

«ماذا؟».

«ارتكب الطبيب خطأً خلال إحدى تلك العمليات وأخصاني».

لكمته على كتفه. «جوني القديم نفسه»، قالت. «ولديك صديق كسر عنقه ذات يوم في لعبة فرقِع السوط في معرض توبشام».

«بالتأكيد»، قال.

لمسته يدها كالحرير، وراحت تتحرَّك بلطف إلى الأعلى والأسفل.

«لا يبدو أنهم فعلوا أي شيء نهائي لك»، قالت وعيناها الضيائيتان تبحثان عن عينيه. «على الإطلاق. هلاّ نظرنا وتحقّقنا؟».

فاحت رائحة القش العذبة. طال الوقت. كان هناك الملمس الخشن لبطانية الجيش، الملمس الناعم للحمها، الواقع العاري لجسمها. الغرق فيها يشبه الغرق في حلم قديم لم يُنسَ كلياً أبداً.

«آه يا جوني، يا حبيبي...»، قال صوتها بإثارة متزايدة، ووركاها يتحرَّكان بوتيرة متسارعة. بدا صوتها نائياً، وملمس شعرها مثل نار على كتفه وصدره. غاص بوجهه عميقاً فيه، فاقداً نفسه في تلك الظلمة الشقراء الداكنة.

الوقت يطول في رائحة القش العذبة. البطانية الخشنة الملمس. صوت الصرير اللطيف للحظيرة القديمة، مثل سفينة في رياح أكتوبر. ضوء أبيض خفيف يدخل عبر صدوع السقف، ملتقطاً ذرّات القشور في خيوط شمس رفيعة جداً. ذرّات قشور ترقص وتدور.

صرَخت. في مرحلة ما صرَخت اسمه، مراراً وتكراراً، مثل أنشودة. حفرت أصابعها فيه مثل مهماز. راكب ومركوب. شراب عنب قديم سُكب أخيراً، نتاج محصول ممتاز.

جلَسا لاحقاً عند النافذة ينظران إلى الفناء. زحلقت سارة فستانها فوق لحمٍ عارٍ وتركته قليلاً. بقي لوحده، لا يفكِّر، بل سعيداً بمراقبتها تعاود الظهور في النافذة، أصغر حجماً، وتجتاز الفناء إلى الشرفة. انحنت فوق سرير الطفل وأعادت تعديل البطانيات. عادت والرياح تطيِّر شعرها خلفها وتشدّ بمرح حاشية فستانها.

«سينام لنصف ساعة أخرى»، قالت.

«حقاً؟»، ابتسم جوني. «ربما سأفعل مثله أنا أيضاً».

مرَّرت أصابع قدميها العاريتين على بطنه. «من الأفضل لك ألا تفعل ذلك».

لذا أعادا الكرَّة، وهذه المرة كانت فوقه، رأسها منحنٍ، وشعرها يلوِّح إلى الأمام ويحجب وجهه. ببطء. ثم انتهى.

5

«سارة...».

«لا يا جوني. أفضل ألا تقوله. لقد انتهى الوقت».

«كنتُ سأقول إنك جميلة».

«هل أنا جميلة حقاً؟».

«أنت جميلة»، قال بلطف. «حبيبتي سارة».

«هل وَضَعنا حدّاً لكل شيء؟»، سألته.

ابتسم جوني. «سارة، بَذَلنا قُصارى جهدنا».

6

لم يبدُ هيرب متفاجئاً من رؤية سارة عندما وصل إلى المنزل من وستبرُوك. رحَّب بها، دلَّل الطفل، ثم وبَّخها لعدم إحضاره قبل الآن.

«لديه لونك وبشرتك»، قال هيرب. «وأعتقد أنه ستكون لديه عيناك، عندما تنتهيان من التغيُّر».

«فقط لو يكون لديه دماغ أبيه»، قالت سارة. كانت قد وَضَعت مئزراً فوق فستانها الصوفي الأزرق. بدأت الشمس تغيب في الخارج. عشرون دقيقة أخرى وسيحلّ الظلام.

«لعِلمك، يُفترَض أن يكون الطبخ مهمة جوني»، قال هيرب.

«لم أستطع منعها. صوَّبت مسدساً نحو رأسي».

«حسناً، رُبَّ ضارةٍ نافعة»، قال هيرب. «كل شيء تُعدّه يكون مذاقه مثل المعكرونة الأميركية الفرنسية».

رمى جوني مجلة نحوه وضحِك دينيه بصوتٍ عالٍ ثاقبٍ بدا أنه ملأ المنزل.

هل يمكنه أن يرى؟، تساءل جوني. *أشعر كأنه مكتوب على وجهي بكل صراحة*. ثم خطرت بباله فكرة مُجفِلة بينما راقَب أباه يبحث في خزانة المدخَل عن صندوق ألعاب جوني القديمة التي لم يدع ڤيرا تتبرَّع بها أبداً: *ربما يفهم*.

أكَلوا. سأل هيرب سارة عما يفعله والت في واشنطن وأخبَرتهما عن المؤتمر الذي يحضره حول مطالبة الهنود بمُلكية الأرض. قالت إن أغلب اجتماعات الحزب الجمهوري تمارين اختبارية.

«يظنّ معظم الأشخاص الذين يلتقي بهم أنه إذا رُشِّح ريغن بدلاً من فورد السنة القادمة فإن ذلك سيعني موت الحزب»، قالت سارة. «وإذا مات الحزب القديم الكبير فإن هذا يعني أن والت لن يكون قادراً على الترشُّح لمقعد بيل كوهين عام 1978 عندما يلاحق كوهين مقعد بيل هاثاواي في مجلس الشيوخ».

كان هيرب يراقب دينيه يأكل الفاصوليا الخضراء بكل جدّية، حبّةً تلو الأخرى، مستخدماً كل أسنانه الستة عليها. «لا أعتقد أن كوهين سيكون قادراً على الانتظار حتى العام 1978 ليدخل مجلس الشيوخ. سيترشَّح ضد مَسكي السنة القادمة».

«يقول والت إن بيل كوهين ليس غبياً إلى هذا الحدّ»، قالت سارة. «سينتظر. يقول والت إن فرصته ستأتي، وبدأتُ أصدِّقه».

جلَسوا في غرفة الجلوس بعد العشاء، وابتعد الحديث عن السياسة. راقَبوا دينيه يلعب بالسيارات والشاحنات الخشبية القديمة التي صنعها هيرب سميث أصغر سناً بكثير لابنه منذ أكثر من رُبع قرن. هيرب سميث أصغر سناً كان متزوجاً من امرأةٍ صلبةٍ مبتهِجةٍ تشرب أحياناً زجاجة شراب شعير أسود في المساء. رجلٌ من دون خصل رمادية في شعره ولا شيء سوى أكبر الآمال لابنه.

إنه يفهم، فكَّر جوني في سرّه وهو يرشف قهوته. سواء كان يعرف ما جرى بين سارة وبيني بعد ظهر اليوم أم لا، سواء كان يشك بما كان يمكن أن يتواصل أم لا، إلا أنه يفهم الغشّ الأساسي. لا يمكنك تغييره أو تصحيحه، وأفضل ما يمكنك فعله هو محاولة تفهّمه. بعد ظهر اليوم تمَّمتُ معها زواجاً لم يحصل أبداً. وهذه الليلة يلعب مع حفيده.

تذكَّر عجلة الحظ وهي تتباطأ، تتوقف.

رقم الكشك. الجميع يخسرون.

كانت الظُلمة تحاول أن تتسلَّل عليهم، أن تفرض عليهم إحساساً كئيباً بالنهائية، ودفَعه بعيداً. هذا ليس الوقت المناسب لذلك؛ لن يدعه يكون الوقت المناسب لذلك.

بدأ دينيه يتململ عند الثامنة والنصف وقالت سارة، «حان وقت رحيلنا يا جماعة. يمكنه أن يشرب رضّاعته في طريق عودتنا إلى كينيبَنك وسيغفى بعد حوالي خمسة كيلومترات من هنا. شكراً لاستضافتكما لنا». التقت عيناها الخضراوتان اللامعتان بعينَي جوني للحظة.

«سرّنا هذا كثيراً»، قال هيرب وهو ينهض. «أليس كذلك يا جوني؟».

«صحيح»، قال. «دعيني أحمل عنك سيارته - سريره يا سارة».

عند الباب، قبَّل هيرب أعلى رأس دينيه (وأمسَك دينيه أنف هيرب بقبضته البدينة وشدَّ بقوة أدمعت عينَي هيرب) وخدّ سارة. حَمَل جوني السيارة - السرير إلى البينتو الحمراء وأعطته سارة المفاتيح لكي يتمكن من وضع كل شيء في الخلف.

عندما انتهى، كانت تقف عند باب السائق وهي تنظر إليه. «كان أفضل ما يمكننا فعله»، قالت وابتسمت قليلاً. لكن لمعان عينيها أخبَره أن الدموع قريبة مرة أخرى.

«لم يكن سيئاً أبداً»، قال جوني.

«هل سنبقى على اتصال؟».

«لا أعرف يا سارة. ما رأيك؟».

«لا، أظن لا. سيكون سهلاً جداً، أليس كذلك؟».

«سهل جداً، نعم».

اقتربت ومالت لتقبِّل خدّه. استطاع أن يشمّ شعرها النظيف والعطِر.

«اعتنِ بنفسك»، همَست. «سأفكِّر فيك».

«اعتني بنفسك يا سارة»، قال ولمس أنفها.

استدارت وجلست خلف المِقوَد. مُشرِفةٌ يافعةٌ ذكيةٌ زوجها يتسلَّق سلّم مستقبله السياسي. أشكّ تماماً أنهما سيقودان بينتو السنة القادمة، فكَّر جوني في سرّه.

أُشعلِت الأضواء، ثم زار محرِّك آلة الخياطة الصغيرة. رفعت له يدها وهي تخرج من الممر الخاص. وَقَف جوني قرب كتلة التقطيع واضعاً يديه في جيبيه، وراقَبها تبتعد. بدا له أن شيئاً انغلق في قلبه. لم يكن شعوراً عظيماً. هذا أسوأ ما في الأمر - أنه لم يكن شعوراً عظيماً أبداً.

بقي يراقب إلى أن اختفت الأضواء الخلفية عن الأنظار ثم صعد درجات الشرفة ودخل المنزل. وجدَ التلفزيون مُطفأ وأباه جالساً على الكرسي المريح الكبير في غرفة الجلوس ينظر إلى الألعاب القليلة التي عثر عليها في الخزانة والمبعثرة الآن على السجادة.

«سُررتُ برؤية سارة»، قال هيرب. «هل أمضيتما...». كان هناك أقصر تردّد ممكن... «زيارة لطيفة؟».

«نعم»، قال جوني.

«هل ستزورنا مرة أخرى؟».

«لا، لا أعتقد».

راح وأبوه ينظران إلى بعضهما البعض.

«حسناً، رُبَّ ضارةٍ نافعة»، قال هيرب أخيراً.

«نعم. نعم».

«كنتَ تلعب بهذه الألعاب»، قال هيرب وهو يركع على رُكبتَيه ويبدأ بتجميعها. «أعطيتُ مجموعة منها إلى لوتي جيدرو عندما أنجبت توائمها، لكنني عرَفتُ أنني احتفظتُ ببعضها».

أعادها إلى الصندوق، بعد أن راح يقلب كل لعبة منها بيديه ليتفحّصها. سيارة سباق. جرّافة. سيارة شرطة. شاحنة إطفاء بهُت معظم طلائها الأحمر حيث تُمسكها يدٌ صغيرةٌ. أعادها إلى خزانة المدخَل حيث خبأها.

لم ير جوني سارة هازليت مرة أخرى لثلاث سنوات.

الفصل السادس عشر

1

تساقط الثلج باكراً تلك السنة. وغطَّى الأرض خمسة عشر سنتيمتراً منه بحلول 7 نوفمبر، وبدأ جوني يرتدي حذاءه الأخضر القديم من المطاط الطبيعي ومعطفه القديم في رحلته إلى صندوق البريد. قبل ذلك بأسبوعين، أرسل له دايف بلسن طرداً يتضمن الكتب التي سيستخدمها في يناير، وكان جوني قد بدأ مسبقاً يضع خططاً تجريبية للتدريس. كان يتطلّع إلى العودة. كما وجد له دايف شقة في شارع هاولاند في كليفز. 24 شارع هاولاند. أبقى جوني ذلك على قصاصة ورق في محفظته، لأن للاسم والرقم طريقة مثيرة للغضب بالفرار من ذهنه.

السماء أردوازية اللون ومتلبِّدة في هذا اليوم، والحرارة تقارب ناقص ست درجات. عندما راح جوني يخطو بتثاقل على الممر الخاص، بدأت أولى طلائع الثلج تتساقط. لأنه كان لوحده، لم يشعر برغبة بمدّ لسانه ومحاولة التقاط رقاقة عليه. كان بالكاد يعرُج، وهذا أسعده. لم يُصَب بأي صُداع منذ أسبوعين أو أكثر.

تألَّف البريد من منشور إعلاني، مجلة نيوزويك، ومغلف صغير معنون إلى جون سميث بلا عنوان مرسِل. فتَحه جوني في طريق عودته بعد أن حشر بقية البريد في جيبه الخلفي. أخرَج ورقة واحدة من صحيفةٍ، ورأى الكلمات *نظرة داخلية* في أعلاها، وتوقف في منتصف طريق عودته إلى المنزل.

كانت الصفحة الثالثة من عدد الأسبوع الفائت. يتحدث المقال عن «فضح» مراسِل صحفي للآسيوي الثاني الوسيم في برنامج تلفزيوني بوليسي؛ لقد طُرد الآسيوي الثاني من الثانوية مرتين (منذ اثنتَي عشرة سنة) واعتُقل لحيازته الكوكايين (منذ ست سنوات). هذه أخبار عاجلة للزوجات الألمانيات في أميركا. كانت هناك أيضاً حمية تقتصر على تناول الحبوب، وصورة فوتوغرافية

لطفل لطيف، وقصة عن فتاة في التاسعة من عمرها شُفيَت بأعجوبة من شلل مخيّ في لُورد (الأطباء منذهلون، هلَّل عنوان المقال). ثم رأى مقالاً مُحاطاً بدائرة بالقرب من أسفل الصفحة يقول عنوانه «*نفساني» ماين يقرّ بالخدعة*. لم يكن كاتب المقال مذكوراً.

ليست سياسة *نظرة داخلية* نشر أشمل تغطية للنفسانيين الذين تتجاهلهم ما تسمّى «الصحافة الوطنية» فحسب، بل أيضاً كشف المخادِعين والدجّالين الذين كبتوا التقبُّل الحقيقي للظواهر النفسانية الشرعية لمدة طويلة.

اعترف أحد أولئك المخادِعين بخدعته لأحد مصادر *نظرة داخلية* مؤخراً. فقد أقرّ جون سميث من پاونال، ماين الذي يدّعي أنه «نفساني» لمصدرنا أنه فعلَ ذلك من باب التحايُل ليسدِّد فواتير استشفائه. إذا نُشر كتاب عما فعلتُه، فقد أكسب ما يكفي لأسدِّد ما أَدين به وأعتزل لسنتين أيضاً»، قال سميث مبتسماً. «هذه الأيام، يصدِّق الناس أي شيء - فلماذا لا أحجز لنفسي مقعداً على قطار صلصة مرق اللحم؟».

بفضل *نظرة داخلية*، التي لطالما حذَّرت القرّاء من وجود نفسانيَين زائفَين لكل نفساني حقيقي، خرج قطار صلصة مرق لحم جون سميث عن السكّة للتو. ونكرِّر عرضنا الدائم بدفع 1000$ لأي شخص يمكنه أن يبرهن أن أي نفساني معروف وطنياً هو محتال.

احذروا أيها المخادِعون والدجّالون!

قرأ جوني المقال مرتين بينما بدأ الثلج يتساقط بغزارة أكثر، وارتسمت ابتسامة متردّدة على ملامحه. يبدو أن الصحافة اليقظة باستمرار لم يعجبها أن تُرمى عن الشرفة الأمامية لأحد الساذجين، فكَّر في سرّه. ثنى ورقة الصحيفة في مغلفها وحشره في جيبه الخلفي مع بقية البريد.

«ديس»، قال بصوتٍ عالٍ، «آمل أنك لا تزال أسود وأزرق».

2

لم يُسَرّ أبوه كثيراً. فقد قرأ هيرب القصاصة ثم خبطها على طاولة المطبخ باشمئزاز. «يجب أن تقاضي ابن بائعة الهوى. هذا ليس سوى افتراء يا جوني. عمل حاقد مقصود».

«موافق وموافق»، قال جوني. كان الجو مظلماً في الخارج، وقد تحوَّل تساقط الثلج الصامت بعد ظهر اليوم إلى عاصفة ثلجية باكرة في هذه الليلة. زعَقت الرياح حول طُنُف السقف. اختفى الممر الخاص تحت كثبان من الثلج المتقدِّم. «لكن لم يكن هناك طرف ثالث عندما تكلَّمنا، وديس اللعين يعرف ذلك جيداً. إنها كلمته مقابل كلمتي».

«لم يملك حتى جرأة أن يضع اسمه على هذه الكذبة»، قال هيرب. «انظر إلى هذا ‹أحد مصادر *نظرة داخلية*›. ما هذا المصدر؟ أمسكوه لتسميته، هذا ما أقوله».

«آه، لا يمكنك فعل ذلك»، قال جوني مبتسماً. «هذا يشبه الاقتراب من أحقر مقاتل شوارع في الحيّ وأنت تعلِّق لافتة *اركلني* على منفرج ساقيك. سيحوّلونها عندها إلى حرب مبجَّلة، على الصفحة الأولى وكل تلك الخزعبلات. لا شكراً. بالنسبة لي فقد قدّموا معروفاً لي. لا أريد أن أتّخذ لنفسي مهنة إخبار الناس أين أخفى الجَدّ شهادات أسهمه، أو مَن سيفوز في سباق الأحصنة الرابع في سكاربورو داونز، أو ما هي الأرقام الرابحة في القرعة». أحد أكثر الأشياء التي فاجأت جوني عند خروجه من غيبوبته هو اكتشافه أن ماين وحوالي عشر ولايات أخرى أسَّست لعبة أرقام قانونية. «تلقيتُ في الشهر الفائت ست عشرة رسالةً من أشخاص يريدونني أن أخبرهم ما هو الرقم الفائز. هذا جنون. حتى ولو كان يمكنني إخبارهم، وهو أمر لا يمكنني فعله، ما نفع ذلك لهم؟ لا يمكنك اختيار الرقم الذي تريده في قرعة ماين، بل تحصل على الرقم الذي يعطونك إياه. لكن ومع ذلك فقد تلقيتُ تلك الرسائل».

«لا أرى ما علاقة ذلك بهذا المقال الرديء».

«إذا ظنَّ الناس أنني مخادع، ربما سيتركونني وشأني».

«آه»، قال هيرب. «فهِمتُ قصدك». أشعلَ غليونه. «لم ترتح أبداً لهذا الموضوع حقاً، أليس كذلك؟».

«لا»، قال جوني. «ونحن لا نتكلَّم عنه كثيراً أيضاً، وهذا مريح. يبدو كما لو أنه الشيء الوحيد الذي يريد الآخرون التكلّم عنه». والمسألة لا تقتصر على رغبتهم بالتكلّم؛ فذلك لن يزعجه كثيراً. لكن عندما يزور متجر سلوكم ليشتري صندوق شراب شعير أو رغيف خبز، تحاول الفتاة أخذ ماله دون لمس يده، وتكون نظرات الخوف والجفول في عينيها جليّة. كما أن أصدقاء أبيه يلوِّحون له بأيديهم بدلاً من مصافحته. في أكتوبر، وظَّف هيرب طالبةً في الثانوية المحلية لكي تأتي مرة في الأسبوع وتنفض بعض الغبار وتنظّف الأرض. توقفت عن القدوم بلا أي سبب مُعلَن بعد

ثلاثة أسابيع - الأرجح أن شخصاً في مدرستها أخبَرها بيت مَن تنظِّف. يبدو أنه مقابل كل شخص يتوق أن تلمسه موهبة جوني الغريبة وتدرس له وضعه، هناك شخص آخر يعتبره مُصاباً بالجُذام. في أوقات كهذه، يتذكَّر جوني الممرضات وهنَّ يحدّقن فيه يوم أخبَر آيلين ماغاون أن منزلها يحترق، يحدِّقن فيه مثل طيور عَقعَق على سلك هاتف. يتذكَّر طريقة تراجع المراسِل التلفزيوني إلى الوراء بعد خاتمة المؤتمر الصحفي غير المتوقعة، موافقاً على كل شيء قاله لكن دون أن يرغب أن يلمسه. هذا غير صحي في الحالتين.

«لا، لا نتكلَّم عنه»، وافَق هيرب. «أظن أن هذا يذكّرني بأمك. كانت متأكدة تماماً أنك أُعطيتَ... هذا الشيء الغامض لسبب محدَّد. أتساءل أحياناً إن لم تكن محقّة».

هزَّ جوني كتفيه. «كل ما أريده هو أن أحيا حياة طبيعية. أريد أن أدفن الشيء اللعين بأكمله. وإذا كان هذا النقد الحاد سيساعدني على تحقيق ذلك، فأهلاً وسهلاً به».

«لكنك لا تزال قادراً على فعله، أليس كذلك؟»، سأل هيرب. كان ينظر إلى ابنه عن كثب.

تذكَّر جوني ليلةً من الأسبوع الفائت خرجا فيها لتناول العشاء، وهذا أمر نادر بناءً على ميزانيتهما المحدودة جداً. ذهبا إلى مزرعة كول في غراي، وهو على الأرجح أفضل مطعم في المنطقة ويكون مزدحماً دائماً. كانت ليلة باردة، وغرفة الطعام مبتهِجة ودافئة. أخذ جوني معطف أبيه ومعطفه إلى غرفة تعليق المعاطف، وبينما راح يُبعِد المعاطف المعلَّقة بحثاً عن شمّاعات فارغة، غمرت سلسلة متكاملة من الانطباعات الواضحة ذهنه. هذا يحدث أحياناً، بينما في مناسبات أخرى يمكن أن يبقى ممسكاً كل معطفٍ لعشرين دقيقة ولن يحصل منه على شيء على الإطلاق. ها هو معطف سيدةٍ ذو ياقة من الفرو. إنها تقيم علاقة غرامية مع أحد أصدقاء زوجها، وتخشى افتضاح أمرها كثيراً، لكنها لا تعرف كيف تُنهي العلاقة. وها هي سترة رجل من قماش الدنيم ومبطَّنة بجلد خروف. هذا الرجل قلِق أيضاً - على أخيه الذي أُصيب إصابة بالغة في مشروع معماري الأسبوع الفائت. معطف فتى صغير - جَدّته في دورهام أهدته اليوم بالذات راديو ترانزستور على شكل الكلب سنوبي وغضِب كثيراً لأن أباه منعه من إحضاره معه إلى غرفة الطعام. ومعطفٌ آخر، معطف عادي طويل أسود، أرعبه بالكامل وسرَق منه شهيته. الرجل صاحب المعطف يُصاب بالجنون. استطاع المحافظة على المظاهر حتى الآن - حتى زوجته لم تشكّ بالأمر - لكن نظرته إلى العالم تكفهرّ ببطء بسبب سلسلة أوهام ارتيابٍ متزايدةٍ. كان لمسْ ذلك المعطف يشبه لمسْ مجموعة أفاعي تتلوّى.

«نعم، لا أزال قادراً على فعله»، قال جوني بإيجاز. «أتمنّى من كل قلبي لو لم أكن قادراً على فعله».

«هل أنت جدّي حقاً؟».

تذكَّر جوني المعطف الطويل الأسود العادي. اكتفى باللعب بوجبة طعامه، وهو ينظر في هذا الاتجاه وذاك، محاولاً اكتشاف الرجل بين كل ذلك الحَشد، دون أن ينجح في ذلك.

«نعم»، قال. «أنا جدّي».

«من الأفضل لك أن تنساه إذاً»، قال هيرب وربَّت على كتف ابنه.

3

بدا أنه نساه طوال الشهر القادم تقريباً. قاد جوني شمالاً ليحضر اجتماعاً في الثانوية لأساتذة منتصف السنة وليأخذ قسماً من أغراضه الشخصية إلى شقته الجديدة، التي وجَدها صغيرة لكن صالحة للسكن.

ركبَ سيارة أبيه، وبينما همَّ بالانطلاق سأله هيرب، «لستَ متوتراً؟ بشأن القيادة؟».

هزَّ جوني رأسه. لم تعد ذكريات حادثه تزعجه كثيراً الآن. إذا كان شيءٌ سيحصل له، فسيحصل. وشَعَر بالثقة في أعماقه أن البرق لن يضرب المكان نفسه مرة أخرى - عندما يموت، لا يظنّ أن موته سيكون في حادث سيارة.

في الواقع، كانت الرحلة الطويلة هادئة ومريحة للأعصاب، والاجتماع أشبه بزيارة المرء لمسقط رأسه. كل زملائه القدامى الذين لا يزالون يدرِّسون في ثانوية كليفز ميلز زاروا مكتبه لإلقاء التحية عليه. لكن لم يسعه عدم ملاحظة قلّة عدد الذين صافحوه في الواقع، وشَعَر ببعض التحفّظ والحذر في عيونهم. أثناء قيادته عائداً إلى المنزل، أقنَع نفسه أنه مجرّد خياله على الأرجح. فإذا لم يكن هكذا، حسناً... حتى لهذا جانبٌ مضحكٌ. إذا كانوا قد قرأوا *نظرة داخلية*، فسيعرفون أنه مخادع ولن يكون هناك شيء يدعو للقلق.

بعد انتهاء الاجتماع، لم يكن هناك شيء ليفعله سوى العودة إلى پاونال وانتظار حلول إجازة احتفال الشتاء وانتهائها. توقفت الطرود التي تحتوي على أغراض شخصية عن الوصول، كما لو أن

أحدهم ضغط زر ضوءٍ - قوة الصحافة، قال جوني لأبيه. وحلّ محلها فَيضٌ موجز من الرسائل والبطاقات الغاضبة - والمجهولة في الأغلب - من أشخاص بدوا أنهم شعروا بأنهم تعرّضوا لغشّ شخصي.

«أتمنى أن تحترق في الجحيم لمحاولاتك المقزّزة في غشّ هذه الجمهورية الأميركية»، عبارة كُتبَت على ورقة متجعِّدة من قرطاسية نُزُل رامادا وخُتمت بخاتم بريدي من يورك، بنسلفانيا. «لستَ سوى *محتال وغشّاش عَفِن قذر*. أشكر الله على فضح تلك المجلة لحقيقتك. يجدر بك أن تخجل من نفسك يا حضرة. يقول مرجع الحكم القديمة إن الآثم العادي سيُلقى في بحيرة النيران لتلتهمه، لكن المشعوذ المخادع سيحترق *إلى الأبد!* هذه حقيقتك، أنتَ مجرّد مشعوذ مخادع باع روحه لقاء حفنة من الدولارات. لذا هذه نهاية رسالتي وآمل لمصلحتك ألا ألتقي بك أبداً في شوارع مسقط رأسك. موقَّعة، صديق (للسماوات وليس لك يا حضرة)!».

وصلت أكثر من عشرين رسالة من هذا الطابع خلال فترة عشرين يوماً تقريباً بعد ظهور المقال في *نظرة داخلية*. وعبَّر العديد من الأشخاص المِقدامين عن اهتمامهم ببناء شراكة مع جوني. «كنتُ مساعِد لاعب خفّة»، تفاخَر أحد تلك الخِطابات الثانية، «ويمكنني أن أخدع بائعة هوى محنّكة بأن تخلع سروالها الداخلي. إذا كنتَ تنوي تلبّس شخصية نفساني، فستحتاج إليَّ!».

ثم جفَّت الرسائل، تماماً مثلما حصل مع سيل الصناديق والطرود سابقاً. وذات يوم في أواخر نوفمبر عندما تفحَّص صندوق البريد ووجده فارغاً لليوم الثالث على التوالي، عاد جوني إلى المنزل وهو يتذكَّر أن آندي وورهول توقَّع أن يوماً سيأتي يكون فيه الجميع مشهورين في أميركا لخمس عشرة دقيقة. يبدو أن الدقائق الخمس عشرة الخاصة به أتت وتلاشت، ولا أحد فاقه سروراً من انتهاء كل ذلك.

لكن مثلما تبيَّن لاحقاً، لم يكن ذلك قد انتهى كلياً.

4

«سميث؟»، سأل الصوت عبر الهاتف. «جون سميث؟».

«نعم». لم يكن صوتاً يعرفه أو اتصالاً برقم خطأ. هذا حيَّره قليلاً بما أن أباه طلبَ إزالة رقم الهاتف من الدليل منذ ثلاثة أشهر تقريباً. كان هذا في 17 ديسمبر، وشجرتهما واقفة في زاوية غرفة

الجلوس وقاعدتها محشورة بإحكام في الحاملة القديمة التي نصبها هيرب عندما كان جوني مجرّد ولد. كان الثلج يتساقط في الخارج.

«اسمي بانرمان. المأمور جورج بانرمان، من كاسل روك». تنحنح. «لديَّ... حسناً، أظن أنه يمكنك القول إنه لديَّ اقتراح لك».

«كيف حصلتَ على هذا الرقم؟».

تنحنح بانرمان مرة أخرى. «حسناً، أظن أنه كان بإمكاني الحصول عليه من شركة الهاتف، بما أن القضية تتعلق بالشرطة. لكنني حصلتُ عليه في الواقع من صديق لك. طبيب يدعى وايزاك».

«سام وايزاك أعطاك رقمي؟».

«هذا صحيح».

جلَس جوني في خلوة الهاتف حائراً تماماً. بدا له الاسم بانرمان مألوفاً الآن. لقد قرأه مؤخراً في مقالٍ تكملةٍ في صحيفة صنداي. إنه مأمور مقاطعة كاسل، التي تقع غرباً من پاونال، في منطقة البحيرات. كاسل روك هي مقرّ المقاطعة، وتبعد حوالي خمسين كيلومتراً من نورْواي وثلاثين كيلومتراً من بريدغتون.

«قضية تتعلق بالشرطة؟»، كرَّر.

«حسناً، أظن أنه يمكنك قول ذلك، نعم. كنتُ أتساءل إن كان بالإمكان أن نلتقي على فنجان قهوة...».

«الأمر يتعلق بسام؟».

«لا. ليس للطبيب وايزاك أي علاقة بهذا»، قال بانرمان. «اتصلَ بي وذكر لي اسمك. حصل ذلك... آه، منذ شهر على الأقل. لأكون صريحاً معك، ظننتُ أنه مجنون. لكننا حائرون من أمرنا كلياً الآن».

«بشأن ماذا؟ يا سيد - أيها المأمور - بانرمان، لا أفهم عما تتكلّم».

«من الأفضل بكثير حقاً لو يمكننا أن نلتقي على فنجان قهوة»، قال بانرمان. «ربما الليلة؟ هناك مكان يدعى يون في الشارع الرئيسي في بريدغتون. حوالي منتصف الطريق بين بلدتك

وبلدتي».

«لا، آسف»، قال جوني. «عليَّ أن أعرف الموضوع مسبقاً. ولماذا لم يتصل بي سام أبداً؟».

تنهَّد بانرمان. «أظن أنك رجلٌ لا يقرأ الصحف»، قال.

لكن هذا ليس صحيحاً. فهو يقرأ الصحف بنَهَم منذ أن استعاد وعيه، محاولاً اللحاق بالأمور التي فاتته. وقد رأى اسم بانرمان مؤخراً. بالتأكيد. لأن بانرمان في موقع المسؤولية. إنه الرجل المسؤول عن -

أبعدَ جوني الهاتف عن أذنه ونظر إليه بفهم مفاجئ. نظرَ إليه مثلما قد ينظر رجلٌ إلى أفعى أدرك للتو أنها سامة.

«سيد سميث؟»، زعَق قليلاً. «ألو، سيد سميث؟».

«أنا هنا»، قال جوني وهو يعيد الهاتف إلى أذنه. شعَر بغضب ثقيل تجاه سام وايزاك، سام الذي طلب منه أن يحافظ على هدوئه هذا الصيف فقط، ثم استدار وأعطى هذا المأمور الجلف بعض المعلومات الشخصية - دون عِلم جوني.

«إنها عملية الخَنْق تلك، أليس كذلك؟».

تردَّد بانرمان طويلاً ثم قال، «هل يمكننا أن نتكلَّم يا سيد سميث؟».

«لا. على الإطلاق». لقد تحوَّل الغضب الثقيل إلى حنق مفاجئ. حنق وشيء آخر. كان خائفاً.

«سيد سميث، هذا مهم. اليوم...».

«لا. أريد أن أُترَك وشأني. بالإضافة إلى ذلك، ألا تقرأ *نظرة داخلية* اللعينة؟ أنا مخادع على أي حال».

«الطبيب وايزاك قال...».

«لم يكن يحقّ له قول أي شيء!»، صرَخ جوني وهو يرتعش كلياً. «وداعاً!». خَبَط السمّاعة على حمّالتها وخرَج من خلوة الهاتف بسرعة، كما لو أن ذلك سيمنع الهاتف من أن يرنّ مرة أخرى.

يمكنه الشعور ببداية صُداع في صدغَيه. لُقم ثقب كليلة. ربما عليَّ أن أتصل بأمه في كاليفورنيا، فكَّر في سرّه. أُخبِرها أين يتواجد ابنها الصغير. أُخبِرها أن تتواصل معه. العين بالعين والسنّ والسنّ.

بدلاً من ذلك، أخرجَ دفتر العناوين من جارور طاولة الهاتف، وجد رقم مكتب سام في بانغور، واتصل به. حالما رنَّ مرةً واحدةً على الطرف الآخر، أغلَق السمّاعة، خائفاً مرة أخرى. لماذا فعلَ سام ذلك به؟ اللعنة، لماذا؟

وجَد نفسه ينظر إلى شجرة احتفال الشتاء.

نفس الزينة القديمة. لقد أنزلاها من العليّة مرة أخرى وأخرجاها من فراشها الورقي الرقيق مرة أخرى وعلَّقاها مرة أخرى، منذ أمسيتين فقط. هناك شيء مضحك بزينة احتفال الشتاء. لا تبقى أمور كثيرة منها سليمة سنة تلو الأخرى بينما يكبر الشخص في السنّ. لا تتواجد خطوط استمرارية عديدة، لا تتواجد أغراض مادية عديدة يمكنها أن تخدم بسهولة مرحلتَي الطفولة وسن البلوغ. توزِّع ملابسك كطفل أو تُسلِّم إلى الجمعيات الخيرية؛ ساعتك التي على شكل بطّوط أطلقت سراح نابضها الرئيسي؛ حذاؤك لراعي البقر رايدر الأحمر بُلي. المحفظة التي صنعتها في حصة الحِرف اليدوية في أول مخيَّم لك حلّت محلها محفظة ماركة اللورد باكستون، وقايضتَ عربتك الحمراء ودرّاجتك بألعاب للراشدين - سيارة، مضرب كرة مضرب، ربما إحدى ألعاب الهوكي الجديدة تلك للتلفزيون. هناك أشياء قليلة فقط يمكنك التمسّك بها. بضعة كتب، ربما، أو عملة معدنية لجلب الحظ، أو تشكيلة طوابع حافظتَ عليها وحسَّنتَها.

أضف إلى كل هذا، زينة شجرة احتفال الشتاء في منزل والدَيك.

نفس التماثيل المهترئة سنة تلو الأخرى، ونفس النجمة المبهرَجة في الأعلى؛ الفصيلة الناجية مما تبقّى من كتيبة الكُرات الزجاجية (ولا ننسى أبداً الموتى المحترمين منها، فكَّر في سرّه - هذه ماتت على يد طفلٍ قابضةٍ، وهذه انزلَقت بينما كان الأب يركّبها وتحطّمت على الأرض، وهذه الحمراء ذات النجمة المطلية عليها تحطَّمت ذات سنة بشكل غامض عندما أنزلناها من العليّة، وبكيتُ)؛ الشجرة هي نفسها. لكن أحياناً، فكَّر جوني في سرّه وهو يدلِّك صدغَيه دون إدراك، يبدو أنه سيكون من الأفضل، سيكون رحوماً أكثر، إذا فقدتَ علاقتك حتى بتلك الآثار الأخيرة من الطفولة. لا يمكنك أن تكتشف أبداً الكتب التي أثارت إعجابك لأول مرة بنفس الطريقة تماماً. والعملة المعدنية الجالبة للحظ لم تحمك من كل سياط الحياة وسخريتها وخدوشها. وعندما تنظر إلى الزينة، تتذكَّر أنه كانت هناك ذات يوم أمٌ في المكان لتُشرف على عملية تزيين الشجرة، جاهزةٌ دائماً لتثير

حنقك بقولها «إلى الأعلى قليلاً» أو «إلى الأسفل قليلاً» أو «أعتقد أنك أكثرتَ من البهرجة على الجهة اليسرى يا عزيزي». تنظر إلى الزينة وتتذكَّر أن كليكما فقط موجودان لتزيينها هذه السنة، كليكما فقط لأن أمك أُصيبت بالجنون ثم ماتت، لكن زينة شجرة احتفال الشتاء السريعة العطب لا تزال هنا، لا تزال منتظرة أن تزيِّن شجرةً أخرى أُخذَت من الحِرج الخلفي الصغير، وألم يقولوا إن عدد المنتحِرين في فترة احتفال الشتاء أكبر من أي وقت آخر في السنة؟ لا عجب في ذلك.

يا لهذه الطاقة التي وهبتك إياها السماوات يا جوني.

بالتأكيد، هذا صحيح، يا له من كرم حقيقي. لقد ارتطمتُ بالزجاج الأمامي لسيارة أجرة وكسرتُ رِجليَّ وأمضيتُ حوالي خمس سنوات في غيبوبة ومات ثلاثة أشخاص. الفتاة التي أحبَبتُها تزوَّجت. وأنجبت الطفل الذي كان يجب أن يكون ابني من محامٍ يبذل قُصارى جهده ليصل إلى واشنطن لكي يتمكن من المساعدة في قيادة القطار الكهربائي الكبير. إذا بقيتُ واقفاً على قدميَّ لأكثر من ساعتين متتاليتين، أشعر كما لو أن أحدهم أخذ شظية طويلة وأقحمها في رِجلي ودفعها صعوداً حتى منفرج ساقيَّ. يا له من كرم حقيقي. هذا كرم حقيقي بحيث أن عالمنا مضحك لدرجة أن مجموعة كُرات زجاجية لزينة شجرة احتفال الشتاء يمكنها أن تعمِّر أطول منك. عالم جميل حقاً. لا شك أن السماوات كانت تناصرنا خلال فييتنام، لأن هذه هي طريقة تسييرها الأمور منذ بدء الزمن.

لديها وظيفة لك يا جوني.

إنقاذ شرطي بلدية غير كفؤ من ورطةٍ لكي يتمكن من أن يُعاد انتخابه السنة القادمة.

لا تهرب من هذا يا جوني. لا تختبئ في كهف.

فَرَك صدغَيه. اشتدّت الرياح في الخارج. أمَل أن يكون أبوه حذراً خلال عودته من العمل.

نهض جوني وارتدى كنزة سميكة. خرَج إلى الحظيرة وأنفاسه تصقِّع الهواء أمامه. إلى يساره كومة كبيرة من الحطب قسَّمها في الخريف الماضي بأطوالٍ مناسبةٍ للموقد. بجانبها صندوق عيدان إشعال، وبجانبه كومة صحف قديمة. قرفص وبدأ يتصفّحها. خدرت يداه بسرعة لكنه بقي يتصفّحها، ووصل في نهاية المطاف إلى العدد الذي كان يبحث عنه. عدد الأحد من ثلاثة أسابيع.

أخذه إلى المنزل، وطرحه على طاولة المطبخ، وبدأ يفتّش فيه. وجَد المقال الذي يبحث عنه في قسم المقالات الخاصة وجلس ليعيد قراءته.

هناك عدة صور فوتوغرافية ترافق المقال، إحداها تُظهِر عجوزاً تُقفل باباً، وصورة أخرى تُظهِر سيارة شرطة تجوب شارعاً مهجوراً تقريباً، وصورتان أخريان تُظهِران متجرَين مهجورَين تقريباً. قال عنوان المقال: البحث عن خانق كاسل روك يستمر... ويستمر.

منذ خمس سنوات، وفقاً للمقال، تعرَّضت شابة تدعى ألما فريشيت تعمل في مطعم محلي للاغتصاب والخنق في طريق عودتها من عملها إلى المنزل. وقد جرى تحقيق مشترك في الجريمة بين مكتب المدّعي العام ومخفر مقاطعة كاسل لم يُفضِ إلى أي نتيجة. بعد سنة، تم اكتشاف جثة امرأة مسنّة، مغتصَبة ومخنوقة أيضاً، في شقتها الصغيرة في الطابق الثالث في شارع كارباين في كاسل روك. وبعد شهر، ضرب القاتل مرة أخرى؛ الضحية تلك المرة فتاةٌ ذكيةٌ في الإعدادية.

أُجري تحقيق معمَّق أكثر استُعين فيه بخبرات مكتب التحقيقات الفدرالي، لكن بلا أي نتيجة. في نوفمبر التالي، لم يُعَد انتخاب المأمور كارل م. كيلسو، الذي بقي ضابط القانون الرئيسي في المقاطعة منذ أيام الحرب الأهلية تقريباً، وانتُخب جورج بانرمان بدلاً منه، بناءً على حملة انتخابية شرسة وعد فيها بالقبض على «خانق كاسل روك».

مرَّت سنتان. لم يُعتقَل الخانق، لكن جرائم القتل توقفت أيضاً. ثم في يناير الفائت، عثر فتَيان صغيران على جثة كارول دانبارغر ذات السبع عشرة سنة والتي كان والداها أبلغا الشرطة عن اختفائها. كانت قد واجهت بعض المتاعب في ثانوية كاسل روك حيث لها سجل مزمن في التأخّر والتهرّب من المدرسة، واعتُقلت مرتين لسرقة معروضات المتاجر، وهربت من منزل والدَيها ذات مرة من قبل ووصلت حتى بوسطن. افترَض بانرمان وشرطة الولاية أنها حاولت أن تسافر مجاناً في سيارات الآخرين - وتوقف لها القاتل. أدّى ذوبان الثلوج في منتصف الشتاء إلى كشف جثتها بالقرب من غدير ستريمر، حيث عثر عليها الفتَيان الصغيران. أفاد الطبيب الشرعي أنها ماتت منذ حوالي شهرين.

ثم في 2 نوفمبر هذا، وقعت جريمة قتل أخرى ضحيتها أستاذة الصرف والنحو المحبوبة كثيراً في كاسل روك إيتا رينغولد. كانت عضواً لمدى الحياة في الدار الميثودية المحلية، وتحمل شهادة ماجستير في التعليم الابتدائي، وبارزة في الجمعيات الخيرية المحلية. كانت مولَعة بأعمال روبرت براونينغ، وعُثر على جثتها محشورةً في أنبوب يمتدّ تحت طريق ثانوي غير مرصوف. الصَخَب الذي ولَّدته جريمة قتل الآنسة رينغولد غطى كل أنحاء شمالي نيو إنغلاند. أُجريت مقارنات مع ألبرت ديسالڤو، خانق بوسطن - مقارنات لم تنفع بشيء لصَبّ الزيت على الماء العكر. ونشرت

صحيفة اليونيون ليدر لصاحبها ويليام لوب في مانشستر، نيو هامبشاير غير البعيدة جداً مقالاً تحريرياً مفيداً عنوانه «الشرطة العديمة الفائدة في الولاية المجاورة».

أورَدَ هذا المقال التكملة للأحد، الذي كُتب منذ حوالي ستة أسابيع ويعبق الآن بالرائحة الحادة للحظيرة وصندوق الحَطَب، تعليق طبيبَين نفسيَين محليَين سرّهما تماماً تقديم رأيين غير واقعيين طالما أن اسمَيهما لن يُذكرا. أشار أحدهما إلى حالة شذوذ جنسي غريبة - الرغبة بارتكاب عمل عنفيّ لحظة بلوغ النشوة الجنسية. لطيف، فكَّر جوني في سرّه مبتسماً. لقد خَنَقهم حتى الموت لحظتها. كان صُداعه يزداد سوءاً طوال الوقت.

وأشار الطبيب النفسي الآخر إلى حقيقة أن جرائم القتل الخمسة ارتُكبَت أواخر الخريف أو أوائل الشتاء. وفي حين أن شخصية الهوس الاكتئابي لا تعمل وفق مجموعة مواصفات محدَّدة، إلا أنه من الشائع نوعاً ما أن يشهد هكذا شخص تقلّبات مزاجية موازية بقوة لتغيّر فصول السنة. فقد يمرّ في مرحلة «انخفاض» تدوم من منتصف أبريل حتى نهاية أغسطس، ثم تبدأ الارتفاع و«تبلغ ذروتها» في حوالي توقيت ارتكابه جرائم القتل.

خلال مرحلة الهوس أو «الارتفاع»، يكون المريض في حالة مرتفعة من النشاط الجنسي والجسدي والجرأة والتفاؤل. «ويكون مقتنعاً على الأرجح أن الشرطة غير قادرة على القبض عليه»، أنهى الطبيب النفسي غير المسمى كلامه. وانتهى المقال بالقول إن المريض كان محقاً حتى الآن.

أبعد جوني الصحيفة من يده، وألقى نظرة سريعة على الساعة، ورأى أن أباه يجب أن يعود إلى المنزل في أي وقت الآن، إلا إذا كانت الثلوج تعيقه. أخذ الصحيفة القديمة إلى موقد الخشب وحشرها في حجرة الاحتراق.

هذا ليس من شأني. سام وايزاك اللعين على أي حال.

لا تختبئ في كهف يا جوني.

لم يكن يختبئ في كهف أبداً. بل صَدَف أنه شهِد حظاً سيئاً نوعاً ما. فخسارة جزء كبير من حياتك يؤهِّلك لحمل صفة صاحب حظ سيئ، أليس كذلك؟

وكل الشفقة على الذات التي يمكنك استهلاكها؟

«تباً لك»، تمتم لنفسه. ذهَب إلى النافذة ونظر إلى الخارج. لا شيء لرؤيته سوى تساقط الثلج في خطوط ثقيلة تحرّكها الرياح. أمَل أن يكون أبوه حذراً، لكنه أمَل أيضاً أن يصل أبوه قريباً ويضع حدّاً لهذا الاستبطان العديم الجدوى. ذهَب إلى الهاتف مرة أخرى ووَقَف هناك متردّداً.

شفقة على الذات أم لا، فقد خسِر جزءاً لا بأس به من حياته. عزّ *شبابه*، إذا أردتَ التعبير عنه بهذه الطريقة. وقد بذل جهداً ليعود. ألا يستحق بعض الخصوصية الطبيعية؟ ألا يحق له ما كان يفكِّر فيه منذ بضع دقائق - حياة طبيعية؟

لا يوجد هكذا شيء يا صاح.

ربما، لكن طبعاً هناك شيء يمكن وصفه بحياة غير طبيعية. ذلك الشيء في مزرعة كول. تحسُّس ملابس الأشخاص ومعرفة فجأة مخاوفهم الصغيرة، أسرارهم الصغيرة، انتصاراتهم الصغيرة - هذا أمر غير طبيعي. هذه ليست موهبة، هذه لعنة.

لنفترض أنه التقى ذلك المأمور؟ لا ضمانة أنه يمكنه إخباره أي شيء. ولنفترض أنه يمكنه ذلك؟ فقط لنفترض أنه يمكنه أن يسلِّمه قاتله على طبق من فضة؟ سيتكرَّر مؤتمر المستشفى الصحفي مرة أخرى، سيركُ ثلاثي الحلبات نُصب بارتفاع شاهق.

بدأت أغنية صغيرة تتكرَّر بشكل مجنون في رأسه المتألم، أغنية لا تزيد عن كونها كلاماً مقفّى ركيكاً حقاً. أغنية من طفولته المُبكرة في مدرسة الأحد: *ضوئي الخفيف هذا ... سأدعه يُشرِق... ضوئي الخفيف هذا ... سأدعه يُشرِق... أدعه يُشرِق، يُشرِق، يُشرِق، أدعه يُشرِق...*

رَفَع سمّاعة الهاتف وطلب رقم مكتب وايزاك. اتصال آمن كفاية الآن، بعد الخامسة. سيكون وايزاك قد عاد إلى منزله، وكبار أطباء الأمراض العصبية لا يكشفون أرقام هواتف منازلهم في دليل الهاتف. رنَّ الهاتف ست أو سبع مرات وكاد جوني يغلق الخط عندما ردَّ عليه سام نفسه قائلاً، «مرحباً؟ ألو؟».

«سام؟».

«جون سميث؟». كان السرور في صوت سام جليّاً - لكن كان هناك قلق خفيّ أيضاً.

«نعم، هذا أنا».

«ما رأيك بهذا الثلج؟»، قال وايزاك، ربما من صميم قلبه. «هل يتساقط الثلج عندك؟».

«نعم يتساقط».

«بدأ يتساقط هنا منذ ساعة تقريباً. يقولون... جون؟ هل تتصل بسبب المأمور؟ ألهذا السبب يبدو صوتك بارداً؟».

«حسناً، لقد اتصل بي»، قال جوني، «وكنتُ أتساءل عما حصل. لماذا أعطيتَه اسمي؟ لماذا لم تتصل بي وتُخبرني أنك فعلتَ ذلك... ولماذا لم تتصل بي أولاً وتسألني إن كان يمكنك فعل ذلك».

تنهَّد وايزاك. «جوني، يمكنني ربما أن أكذب عليك، لكن لا فائدة من ذلك. لم أسألك أولاً لأنني خشيتُ أن ترفض. ولم أُخبِرك أنني فعلتُ ذلك لاحقاً لأن المأمور سخر مني. عندما يسخر شخصٌ من أحد اقتراحاتي، أفترض أنه لن يأخذ به».

فَرَك جوني صدغاً يؤلمه بيده الحرة وأغمض عينيه. «لكن لماذا يا سام؟ أنت تعرف رأيي بذلك. وأنت الشخص الذي أخبَرني أن أُبقي رأسي منخفضاً وأنتظر هدوء العاصفة. لقد أخبَرتني ذلك بنفسك».

«المقال في الصحيفة هو السبب»، قال سام. «قلتُ لنفسي، جوني يعيش في تلك المنطقة. وقلتُ لنفسي، تُوفِّيت خمس نساء. خمس». كان صوته بطيئاً، متردّداً، مُحرَجاً، وجَعَل شعور جوني يزداد سوءاً من سماع سام يتكلَّم هكذا. تمنّى لو لم يتصل به.

«اثنتان منهن مراهقتان. أُم يافعة. أستاذة أطفال أحبَّت براونينغ. كل ذلك مبتذَلٌ، أليس كذلك؟ مبتذَلٌ لدرجة أنني أظن أنهم لن يصنعوا عنه فيلماً سينمائياً أو برنامجاً تلفزيونياً أبداً. لكنه ومع ذلك حقيقي. الأستاذة هي أكثر مَن فكَّرتُ فيه. محشورةً في أنبوب كأنها كيس نفايات...».

«لا يحق لك أبداً إقحامي في أوهام ذنوبك»، قال جوني ببلادة.

«لا، ربما لم يحق لي».

«لا يمكنك حتى استخدام كلمة ربما!».

«جوني، هل أنت بخير؟ تبدو...».

«أنا بخير!»، صرَخ جوني.

«لا تبدو بخير».

«لديَّ صُداع لعين، هل هذا مدهش إلى هذا الحدّ؟ أتمنّى لو أنك تركتَ المسألة وشأنها. عندما أخبَرتُك عن أمك، لم تتصل بها. لأنك قلتَ...».

«قلتُ بعض الأشياء من الأفضل نسيانها. لكن هذا غير صحيح دائماً يا جوني. لهذا الرجل، أياً يكن، شخصية مضطربة جداً. وقد يقتل نفسه. أنا متأكد أنه عندما توقَف لسنتين، ظنّت الشرطة أنه قتل نفسه. لكن مريض الهوس الاكتئابي يمرّ أحياناً في فترات رصانة طويلة - تسمّى «مرحلة الحالة السويّة» - ثم يعود إلى نفس التقلّبات المزاجية. ربما قتل نفسه بعد قتله تلك الأستاذة الشهر الفائت. لكن إذا لم يفعل ذلك، ماذا يحصل عندها؟ قد يقتل شخصاً آخر. أو شخصين. أو أربعة. أو...».

«توقف».

قال سام، «لماذا اتصل بك المأمور بانرمان؟ ما الذي غيَّر له رأيه؟».

«لا أعرف. أظن أن الناخبين يضغطون عليه».

«آسف أنني اتصلتُ به يا جوني، وأن هذا أزعجك إلى هذا الحدّ. لكنني متأسف حتى أكثر من أنني لم أتصل بك وأُخبِرك بما فعلتُ. كنتُ مخطئاً. أعرف أن لديك الحق بأن تعيش حياتك بهدوء».

سماع صدى أفكاره لم يجعله يشعر بتحسّن. بل شَعَر ببؤس وذنب أكبر من أي وقت مضى.

«حسناً»، قال. «لا بأس يا سام».

«لن أقول أي شيء لأي شخص مرة أخرى. أظن أن هذا يشبه وضع قفل جديد على باب الحظيرة بعد سرقة أحد الأحصنة، لكن هذا كل ما يمكنني قوله. لم أكن كتوماً. وهذا أمر سيئ من طبيبٍ».

«لا بأس»، قال جوني مرة أخرى. شَعَر بالعجز، والإحراج البطيء الذي تكلَّم به سام جَعَله أسوأ.

«هل سأراك قريباً؟».

«سأكون في كليفز الشهر القادم لأعاود التدريس. سأزورك».

«جيد. اعتذاراتي الصادقة مرة أخرى يا جون».

توقف عن قول هذا!

ودّعا بعضهما وأغلَق جوني الخط، وتمنّى لو أنه لم يتصل أبداً. ربما لم يرغب أن يقرّ سام بخطئه بهذه السهولة. ربما ما أراد حقاً أن يقوله سام هو *بالتأكيد اتصلتُ به. أردتُك أن تنهض عن مؤخرتك وتفعل شيئاً*.

ذهَب إلى النافذة ونظر إلى الظلمة الدامسة في الخارج. محشورةً *في أنبوب كأنها كيس نفايات*.

آه، كم يؤلِمه رأسه.

5

وصل هيرب إلى المنزل بعد نصف ساعة، وألقى نظرة واحدة على وجه جوني الأبيض وقال، «صُداع؟».

«نعم».

«سيئ؟».

«ليس كثيراً».

«نريد مشاهدة نشرة الأخبار المحلية»، قال هيرب. «يسرّني أنني وصلتُ إلى المنزل في الوقت المناسب. مجموعة أشخاص من NBC ذهبوا إلى كاسل روك للتصوير بعد ظهر اليوم. تلك المراسِلة الصحفية التي تعتبرها جميلة جداً كانت هناك. كاسي ماكين».

غضَّ الطرف عن طريقة نظر جوني إليه. فقد بدا للحظة أن وجه جوني عبارة عن عينين ضخمتين تحدِّقان فيه بألم غير بشري تقريباً.

«كاسل روك؟ جريمة قتل أخرى؟».

«نعم. وجَدوا فتاة صغيرة في مشاع البلدة هذا الصباح. أتعس شيء لعين تسمع به في حياتك. أظن أنها اجتازت المشاع إلى المكتبة لتُنهي مشروعاً كانت تعمل عليه. وصلت إلى المكتبة لكنها لم تعُد أبداً... جوني، تبدو فظيعاً يا فتى».

«كم سنّها؟».

«تسعة فقط»، قال هيرب. «الرجل الذي يفعل شيئاً كهذا يجب شنقه من منفرج ساقيه. هذا رأيي».

«تسعة»، قال جوني وجلس بقوة. «يا للهَول».

«جوني، هل أنت متأكد أنك بخير؟ أنت أبيض كالورقة».

«بخير. ضع نشرة الأخبار».

بعد قليل، ظهر جون تشانسلور أمامهما حاملاً حقيبته الليلية من أخبار الطموحات السياسية (لم تكن حملة فْرَد هاريس تحلِّق جيداً)، مراسيم الحكومة (على المدن الأميركية أن تكتسب الإحساس العام بالميزانية، وفق الرئيس فورد)، الحوادث الدولية (إضراب عام في كل أنحاء فرنسا)، داو جونز (ارتفاع)، وقصة «حميمة» عن فتى مُصاب بشلل دماغيّ يربّي بقرة لجمعية 4-H.

«ربما اقتطعوا الخبر»، قال هيرب.

لكن بعد فاصل إعلاني، قال تشانسلور: «في ماين الغربية، عمَّت موجة من الغضب والخوف سكان بلدة كاملة هذه الليلة. البلدة هي كاسل روك، وخلال السنوات الخمسة الأخيرة وقعت خمس جرائم قتل بغيضة - خمس نساء تتراوح أعمارهن بين الحادية والسبعين والرابعة عشرة اغتُصبنَ وخُنقنَ. وقد وقعت اليوم جريمة قتل سادسة في كاسل روك ضحيتها فتاة في التاسعة من عمرها. كاثرين ماكين موجودة في كاسل روك ومعها التفاصيل».

وها هي، تبدو مثل شيء مختلَق مركَّب بعناية فوق خلفية حقيقية. كانت تقف مقابل مبنى مكاتب البلدة، وأوائل ثلج بعد ظهر اليوم الذي تطوَّر إلى عاصفة ثلجية هذه الليلة يبيِّض كتفَي معطفها وشعرها الأشقر.

«خيَّمت موجة هستيريا متصاعدة بهدوء فوق هذه البلدة الصغيرة في نيو إنغلاند بعد ظهر اليوم»، بدأت تقريرها. «سكان كاسل روك متوترون منذ مدة طويلة بسبب شخص مجهول تسمّيه الصحافة المحلية ‘خانق كاسل روك’ وأحياناً ‘قاتل نوفمبر’. وقد تبدَّل ذلك التوتّر إلى رعب - لا أحد هنا يعتبر هذه الكلمة قوية جداً - إثر اكتشاف جثة ماري كايت هندراسن في مشاع البلدة، على مسافة غير بعيدة من منصة الفرقة الموسيقية حيث عُثر على جثة الضحية الأولى لقاتل نوفمبر، نادلة تدعى ألما فريشيت».

مشاهد طويلة بدا فيها مشاع البلدة أجرد وميتاً في الثلج المتساقط. ثم حلّت محلها صورة فوتوغرافية لماري كايت هندراسن في زيّ المدرسة تبتسم خلف مشبك أسنان سميك. شعرها أبيض أشقر ناعم. فستانها أزرق كهربائي. على الأرجح أفضل فساتينها، فكَّر جوني في سرّه بحزن. جعلتها أمها ترتدي أفضل فستان لديها للصورة المدرسية.

أكملت المراسلة تقريرها الإخباري - والآن يلخِّصون جرائم القتل الماضية - لكن جوني كان على الهاتف، ليتحدَّث أولاً مع مساعدة الدليل ثم مع مكاتب بلدة كاسل روك. طلَب الرقم ببطء، وصوت مكتوم ينبض في رأسه.

خرَج هيرب من غرفة الجلوس ونظر إليه بفضول. «بمَن تتصل يا بُنيّ؟».

هزَّ جوني رأسه واستمَع إلى الهاتف يرنّ على الطرف الآخر. رُفعَت السمّاعة. «مكتب مأمور مقاطعة كاسل».

«أودّ أن أتكلَّم مع المأمور بانرمان رجاءً».

«هل يمكنني معرفة اسمك؟».

«جون سميث، من پاونال».

«مهلاً لحظة».

استدار جوني لينظر إلى التلفزيون ورأى بانرمان مثلما بدا بعد ظهر ذلك اليوم، ملفوفاً بمعطف سميك على كتفَيه شارتا مأمور المقاطعة. بدا منزعجاً وعنيداً بينما ردَّ على أسئلة المراسِلين الصحفيين. إنه رجل عريض المنكبين ذو رأس كبير منحدِر يكسوه شعر داكن مجعَّد. بدت نظّاراته

الخالية من الإطار غريبة وكأنها في غير مكانها المناسب، مثلما تبدو النظّارات دائماً على الرجال الضخمين جداً.

«نحن نتابع عدة خيوط»، قال بانرمان.

«ألو؟ سيد سميث؟»، قال بانرمان.

مجدداً ذلك الشعور الغريب بالازدواجية. بانرمان متواجدٌ في مكانين في وقت واحد. مزدوجٌ في وقت واحد، إذا أردتَ أن تنظر إلى المسألة بهذه الطريقة. شَعَر جوني بلحظة من الدوار العاجز. شَعَر مثلما يشعر المرء، ليكن الله في عونه، عندما يركب إحدى تلك الألعاب الرخيصة في الكرنفال، لعبة الدوّامة أو لعبة فرقِع السوط.

«سيد سميث؟ هل أنت معي يا رجل؟».

«نعم، أنا معك». بلَع ريقه. «لقد غيَّرتُ رأيي».

«رائع! يسرّني جداً سماع هذا».

«لعِلمك، قد لا أزال غير قادر على مساعدتك».

«أعرف ذلك. لكن... مَن لا يغامر لا يكسب». تنحنح بانرمان. «سيرمونني عن قمة برجٍ إذا عرَفوا أنني أستشير نفسانياً».

ارتسمت شبه ابتسامة على وجه جوني. «ونفساني مشوَّهة سمعتُه».

«هل تعرف أين يتواجد مطعم يون في بريدغتون؟».

«يمكنني إيجاده».

«هل يمكنك أن تلاقيني هناك عند الثامنة؟».

«نعم، أظن ذلك».

«شكراً يا سيد سميث».

«حسناً».

أغلَق السمّاعة. كان هيرب يراقبه عن كثب. خلفه، كانت لائحة أسماء العاملين في نشرة الأخبار الليلية تُعرض على الشاشة.

«اتصل بك سابقاً، أليس كذلك؟».

«نعم. سام وايزاك أخبَره أنني قد أكون قادراً على مساعدته».

«هل تعتقد أنه يمكنك أن تساعده؟».

«لا أعرف»، قال جوني، «لكن صُداعي خفّ قليلاً».

6

تأخر خمس عشرة دقيقة عن الوصول إلى مطعم يون في بريدغتون؛ بدا أنه المؤسسة الوحيدة التي لا تزال أبوابها مفتوحة في شارع بريدغتون الرئيسي. فالمحاريث تتقهقر أمام الثلج، وهناك رواسب ثلجية في عدة أماكن على الطريق. راح ضوء إشارة السير عند تقاطع الطريقين 302 و117 يتمايَل ذهاباً وإياباً في الرياح العاتية. رأى طرّاداً للشرطة مُلصقاً عليه «مأمور مقاطعة كاسل» بألوان ذهبية مركوناً أمام مطعم يون. رَكَن خلفه ودخلَ.

وجدَ بانرمان جالساً عند طاولة وأمامه كوب قهوة وطبق لحم بالفلفل الحار. لقد ضلَّله التلفزيون. لم يكن رجلاً ضخماً؛ كان رجلاً مارداً. تقدَّم جوني نحوه وعرَّف عن نفسه.

نهض بانرمان وصافح اليد الممدودة. لا شك أن نظرات بانرمان الأولى إلى وجه جوني الأبيض المرهق والطريقة التي بدا بها جسمه النحيل يعوم داخل سترته الزرقاء أعطته الانطباع الأولي: *هذا الشابّ مريض - ربما لن يعيش لمدة طويلة*. لكن عينَي جوني بدتا مليئتين بحياة حقيقية - كانتا زرقاوتين ثاقبتين، وراحتا تحدِّقان بقوة وحشرية صادقة بعينَي بانرمان. وعندما تشابكت يداهما، شَعَر بانرمان بنوع غريب من التفاجؤ، بإحساس سيصفه لاحقاً بأنه يشبه الاستنزاف. بأنه يشبه التعرّض لصدمة من سلكٍ كهربائيٍ عارٍ. ثم زال.

«يسرّني قدومك»، قال بانرمان. «قهوة؟».

«نعم».

«ما رأيك بطبق لحم بالفلفل الحار؟ يُعدّونه بشكل لذيذ جداً هنا. لا يُفترَض بي أن آكله بسبب قرحتي، لكنني لا أكترث». رأى نظرات التفاجؤ على وجه جوني وابتسم. «أعرف، لا يبدو هذا صواباً، رجلٌ ضخمٌ رائعٌ مثلي مُصابٌ بالقرحة، أليس كذلك؟».

«أظن أن أي شخص يمكن أن يُصاب بالقرحة».

«شكراً على المجاملة»، قال بانرمان. «ما الذي غيَّر لك رأيك؟».

«نشرة الأخبار. الفتاة الصغيرة. هل أنت متأكد أنه الرجل نفسه؟».

«الرجل نفسه. طريقة العمل نفسها. وفئة السائل المَنَوي نفسها».

راقَب وجه جوني أثناء اقتراب النادلة. «قهوة؟»، سألت.

«شاي»، قال جوني.

«وأحضِري له طبق لحم بالفلفل الحار يا آنسة»، قال بانرمان. عندما ابتعدت النادلة قال، «يقول ذلك الطبيب إنك إذا لمستَ شيئاً، تأتيك أفكار أحياناً عن المكان الذي أتى منه، مَن صاحبه، وأمور مماثلة».

ابتسم جوني. «حسناً»، قال، «لقد صافَحتُك للتو وأعرف أن لديك كلباً من فصيلة الساطر الإيرلندي يدعى راستي. وأعرف أنه كبير في السنّ وبدأ يُصاب بالعمى وتعتقد أنه حان الوقت لقتله، لكنك لا تعرف كيف ستشرح المسألة لابنتك».

أسقط بانرمان ملعقته في طبق لحمه بالفلفل الحار وراح يحدِّق في جوني فاغر الفم. «بالله عليك»، قال. «عرفتَ هذا مني؟ الآن للتو؟».

أومأ جوني برأسه.

هزَّ بانرمان رأسه وتمتم، «سماع شيء من هذا القبيل مختلف كلياً عن... ألا يُتعبك هذا؟».

نظرَ جوني إلى بانرمان متفاجئاً. فهذا سؤال لم يُطرَح عليه أبداً من قبل. «نعم. نعم، يُتعبني».

«لكنك عرَفت. تباً».

«لكن اسمع أيها المأمور».

«جورج. فقط نادني جورج».

«حسناً، أنا جوني، فقط نادني جوني. ما لا أعرفه عنك يا جورج سيملأ حوالي خمسة كتب. لا أعرف أين ترعرعتَ أو إلى أي مدرسة للشرطة ذهَبت أو مَن أصدقاؤك أو أين تعيش. أعرف أن لديك ابنة صغيرة، واسمها شيء يشبه كاثي، لكن هذا ليس دقيقاً تماماً. لا أعرف ماذا فعلتَ الأسبوع الفائت أو نوع شراب الشعير الذي تفضِّله أو البرنامج التلفزيوني المفضَّل لديك».

«ابنتي تدعى كاترينا»، قال بانرمان بلطف. «إنها في التاسعة أيضاً. كانت في صف ماري كايت».

«ما أحاول قوله هو أن... المعرفة أحياناً شيء محدود جداً. بسبب المنطقة الميتة».

«المنطقة الميتة؟».

«هذا كما لو أن بعض الإشارات لا تمرّ»، قال جوني. «لا أستطيع أبداً معرفة أسماء الشوارع أو العناوين. الأرقام صعبة لكنها تأتي أحياناً». عادت النادلة ومعها شاي جوني وطبق اللحم بالفلفل الحار. تذوَّقه وأومأ برأسه لبانرمان. «أنت محقّ. إنه لذيذ. خاصة في ليلة كهذه».

«لا تترك لقمةً»، قال بانرمان. «يا رجل، أحبّ طبق اللحم بالفلفل الحار الجيد. تصيح قرحتي منه بكل قوتها. تباً لك يا قرحة، أقول. وأزدرده كله».

بقيا صامتين للحظة. انكبّ جوني على طبق لحمه بالفلفل الحار وراقَبه بانرمان بفضول. افترضَ أنه كان بإمكان سميث أن يعرف أن لديه كلباً يدعى راستي. حتى كان بإمكانه أن يعرف أن راستي عجوز وأعمى تقريباً. ولنأخذ الأمور خطوة إضافية: إذا عرَف اسم كاترينا، فلربما قام بتلك الحركة ‹شيء يشبه كاثي لكن هذا ليس دقيقاً تماماً› لمجرّد إضافة اللمسة الصحيحة من الواقعية المتردّدة. لكن *لماذا؟* ولا شيء من هذا يشرح ذلك الشعور الغريب الذي انتابه عندما لمَس سميث يده. إذا كانت هذه خدعة، فإنها خدعة لعينة جيدة.

في الخارج، عصفَت الرياح بزعيق منخفض بدا أنه يهزّ المبنى الصغير من أساساته. وغمرَ حجابٌ متطايرٌ من الثلج ممرات بولينغ بونديتشيري في الجانب المقابل للشارع.

«استمع إلى هذا»، قال بانرمان. «يُفترَض به أن يتواصل الليل كله. لا تُخبِرني أن فصول الشتاء تصبح ألطف».

«هل لديك شيء؟»، سأل جوني. «شيء يخصّ الرجل الذي تبحث عنه؟».

«نعتقد ذلك»، قال بانرمان وهزَّ رأسه. «لكنه احتمال ضئيل جداً».

«أخبِرني».

شرح له بانرمان الوضع. مدرسة النحو والمكتبة تتواجدان بمواجهة بعضهما البعض عبر مشاع البلدة. ومن المعتاد إرسال الطلاب ليجتازوا الشارع عندما يحتاجون إلى كتاب لمشروعٍ أو تقريرٍ. يعطيهم الأستاذ إذناً ويوقّعه أمين المكتبة بالأحرف الأولى من اسمه قبل أن يعيدهم إلى مدرستهم. الأرض منخفضة قليلاً بالقرب من وسط المشاع. على الجهة الغربية للمنخفض توجد منصة الفرقة الموسيقية للبلدة. وفي المنخفض نفسه توجد دزينتا مقاعد يجلس عليها الناس خلال الحفلات الموسيقية وتجمهُرات كُرة القدم في الخريف.

«نعتقد أنه جلس هناك ينتظر مرور ولدٍ. كان سيكون بعيداً عن الأنظار من جهتَي المشاع. لكن ممر المشاة يمتد على طول الجهة الشمالية للمنخفض، على مقربة من تلك المقاعد».

هزَّ بانرمان رأسه ببطء.

«ما يزيد الأمر سوءاً هو أن المرأة فريشيت قُتلَت على منصة الفرقة الموسيقية بالضبط. سأواجه عاصفة انتقادات بشأن ذلك في اجتماع البلدة في مارس - هذا إذا كنتُ لا أزال في منصبي في مارس. حسناً، يمكنني أن أُريهم مذكرةً كتَبتُها إلى مدير البلدة أطلب فيها حرّاس عبور للمشاع خلال ساعات المدرسة. لا أقصد أنني كنتُ قلقاً من القاتل، آه لا. حتى في أبشع أحلامي لم أظن أنه سيعود إلى نفس البقعة مرة ثانية».

«رفض مدير البلدة فكرة الحرّاس؟».

«المال غير كافٍ»، قال بانرمان. «طبعاً يمكنه أن يلقي اللَوْم على أعضاء البلدية، وسيحاولون إلقاءه عليَّ، وسينمو العشب على قبر ماري كايت هندراسن و...». صمتَ للحظة، أو ربما غصّ صوته بما كان يقوله. راح جوني يحدِّق بودّ في رأسه المنخفض.

«لم يكن ذلك ليشكّل أي فرق على أي حال»، أكمل بانرمان بصوت أكثر جفافاً. «معظم حرّاس العبور الذين نستخدمهم من النساء، ولا يبدو أن هذا اللعين الذي نبحث عنه يهتم كم سنّهن».

«لكنك تعتقد أنه انتظَر على أحد تلك المقاعد؟».

بانرمان يعتقد ذلك. فقد وجَدوا دزينة أعقاب سجائر حديثة بالقرب من طرف أحد المقاعد، وأربعة أخرى خلف منصة الفرقة الموسيقية نفسها، إلى جانب علبة فارغة. مارلبورو، لسوء الحظ - ثاني أو ثالث أشهَر صنف في البلاد. رفعنا البصمات عن سيلوفان العلبة ولم نصل إلى شيء.

«أي شيء على الإطلاق؟»، قال جوني. «هذا مضحك قليلاً، أليس كذلك؟».

«لماذا تقول هذا؟».

«حسناً، ستتوقع أن يرتدي القاتل قفازات حتى ولو لم يكن يفكِّر بشأن البصمات - فالجو بارد - لكنك ستفكِّر بالشخص الذي باعه السجائر...».

ابتسم بانرمان. «لديك براعة فطرية لهذا العمل»، قال، «لكنك لستَ مدخِّناً».

«لا»، قال جوني. «كنتُ أدخِّن بضع سجائر عندما كنتُ في الكلّية، لكنني فقدتُ العادة بعد حادثي».

«المرء يُبقي سجائره في جيب صدره. يُخرج العلبة، يأخذ سيجارة، ثم يعيدها إلى مكانها. إذا كنتَ ترتدي قفازات ولا تترك بصمات جديدة كلما أخذت سيجارةً، فما تفعله هو تلميع ذلك المغلِّف السيلوفاني؟ واضح؟ وفاتك شيءٌ آخر يا جوني. هل تحتاج إلى أن أُخبرك إياه؟».

فكَّر جوني في سرّه ثم قال، «ربما علبة السجائر أتت من كرتونة. وتلك الكراتين تحزِّمها آلةٌ».

«أصبتَ»، قال بانرمان. «أنت بارع في هذا».

«ماذا بشأن ختم الضريبة على العلبة؟».

«ماين»، قال بانرمان.

«لذا إذا كان القاتل والمدخِّن الشخص نفسه...»، قال جوني بتبصّر.

هزَّ بانرمان كتفيه. «بالتأكيد، هناك الاحتمال التقني بأنهما ليسا الشخص نفسه. لكنني حاوَلتُ أن أتخيَّل مَن غير القاتل سيريد أن يجلس على مقعدٍ في مشاع البلدة في صباح يوم بارد وغائم لمدة طويلة تكفي ليدخِّن اثنتي عشرة أو ست عشرة سيجارة، ووصلتُ إلى حائط مسدود».

رَشَفَ جوني شايه. «لا أحد من الأولاد الآخرين الذي عبروا ذلك المكان رأوا أي شيء؟».

«لا شيء»، قال بانرمان. «لقد تكلَّمتُ مع كل ولد حصل على إذن بزيارة المكتبة هذا الصباح».

«هذا أغرب بكثير من مسألة بصمات الأصابع. ألا توافقني الرأي؟».

«أجده مخيفاً جداً. اسمع، يجلس الرجل هناك بانتظار ولدٍ - *فتاةٍ* محدَّدةٍ. يمكنه سماع الأولاد أثناء مرورهم. ويختبئ كل مرة خلف منصة الفرقة الموسيقية...».

«يتعقَّبهم»، قال جوني.

«ليس هذا الصباح. لم يكن هناك غطاء ثلجي هذا الصباح. مجرّد أرض متجمِّدة. لذا لدينا هذا المجنون الحقير الذي يجب أن تُطبَخ خصيتاه وتقدَّمان له على العشاء يتوارى خلف منصة الفرقة الموسيقية. عند حوالي 8:50 صباحاً، يأتي پيتر هارينغتون وميليسّا لوغنز. لقد بدأت المدرسة منذ حوالي عشرين دقيقة. عندما يمرّان، يعود إلى مقعده. عند 9:15 يتوارى مرة أخرى خلف منصة الفرقة الموسيقية. العابران هذه المرة فتاتان صغيرتان، سوزان فلارهاتي وكاترينا بانرمان».

وضع جوني كوبه على الطاولة بدويٍّ. نَزَع بانرمان نظّاراته وراح يلمّعها بشراسة.

«*ابنتك* اجتازت المعبر هذا الصباح؟ يا إلهي!».

ارتدى بانرمان نظّاراته مرة أخرى. كان وجهه داكناً وغائماً من الحنق. ورأى جوني أنه خائف. ليس خائفاً أن الناخبين لن يجدّدوا له، أو أن صحيفة اليونيون ليدر ستنشر مقالاً آخر عن الشرطة المغفَّلين في ماين الغربية، بل خائفاً لأنه إذا صدفَ وذهبت ابنته لوحدها إلى المكتبة هذا الصباح -

«ابنتي»، وافَق بانرمان بلطف. «أعتقد أنها مرَّت على بُعد اثني عشر متراً من ذلك... ذلك الحيوان. هل تعرف كيف يجعلني هذا أشعر؟».

«يمكنني أن أتكهّن»، قال جوني.

«لا، لا أعتقد أنه يمكنك. يجعلني أشعر كما لو أنني كدتُ أدخل بئر مصعد فارغ. كما لو أنني رفضتُ تناول الفطر على العشاء ومات شخص آخر من التسمّم بالغاريقون. ويجعلني أشعر أنني قذر. أنني بذيء. أظن أن هذا أيضاً يفسّر ربما سبب اتصالي بك أخيراً. سأفعل أي شيء الآن لأقبض على ذلك الرجل. أي شيء على الإطلاق».

في الخارج، لاح محراث برتقالي عملاق على الثلج كأنه شيء مأخوذ من فيلم رعب. رُكنَ وخرَج منه رجلان. اجتازا الشارع إلى مطعم يون وجلسا عند المشرب. أنهى جوني شايه. لم يعد يريد طبق اللحم بالفلفل الحار.

«يعود ذلك الرجل إلى مقعده»، استأنَف بانرمان كلامه، «لكن ليس لمدة طويلة. حوالي 9:25 يسمع الفتى هارينغتون والفتاة لوغنز عائدين من المكتبة. لذا يتوارى خلف منصة الفرقة الموسيقية مرة أخرى. لا شك أن الوقت كان حوالي 9:25 لأن أمين المكتبة وقَّع إذنهما عند 9:18. وعند 9:45، مرَّ ثلاثة فتيان من الصف الخامس قرب منصة الفرقة الموسيقية في طريقهم إلى المكتبة. يظنّ أحدهم أنه ربما رأى ‹شاباً› يقف على الجهة الأخرى لمنصة الفرقة الموسيقية. هذا هو وصفنا بأكمله. ‹شابّ›. ربما يجدر بنا أن نوزّع هذا الخبر، ما رأيك؟ أن نطلق حملة بحث عن شابّ».

ضحك بانرمان ضحكة قصيرة أشبه بنباح.

«عند 9:55، تمرّ ابنتي وصديقتها سوزان في طريق عودتهما إلى المدرسة. ثم حوالي 10:05، تأتي ماري كايت هندراسن... بمفردها. التقت بها كاترينا وسُو عند نزولها درجات المدرسة أثناء صعودهما. تبادلت ثلاثتهن التحية».

«يا إلهي»، تمتم جوني. مرَّر يديه في شعره.

«أخيراً، 10:30 صباحاً. يعود فتيان الصف الخامس الثلاثة. يرى أحدهم شيئاً على منصة الفرقة الموسيقية. إنها ماري كايت، وثوبها اللاصق بالجسم وسروالها الداخلي مُخفضان، والدم يملأ رِجلَيها، وجهها... وجهها...».

«هوِّن على نفسك»، قال جوني ووضع يده على ذراع بانرمان.

«لا، لا يمكنني أن أهوِّن على نفسي»، قال بانرمان بنبرة اعتذارية تقريباً. «لم أر أبداً أي شيء مثل هذا، ليس طوال ثماني عشرة سنة من العمل في الشرطة. لقد اغتصب تلك الصغيرة وهذا كان كافياً... كافياً، مثلما تعرف، لقتلها... قال الطبيب الشرعي إن طريقة فعله ذلك... مزَّق شيئاً وهذا... نعم، على الأرجح كان ليؤدي، حسناً... إلى قتلها... لكنه لم يكتف بذلك وخنقها. في التاسعة من عمرها وخنقها وتركها... تركها على منصة الفرقة الموسيقية بسروال داخلي مُخفض».

بدأ بانرمان يبكي فجأة. ملأت الدموع عينيه خلف نظّاراته ثم سالت على وجهه في خطين. عند المشرب، كان الشابّان من طاقم طريق بريدغتون يتكلّمان عن المباراة النهائية في كرة القدم. نزع بانرمان نظّاراته مرة أخرى ومسح وجهه بمنديله. ارتعش كتفاه وتنهَّد. انتظَر جوني وهو يحرِّك طبق لحمه بالفلفل الحار بلا هدف.

بعد قليل، وَضَع بانرمان منديله في جيبه. كانت عيناه حمراوين، وفكَّر جوني في سرّه كم أن وجهه يبدو عارياً بشكل غريب من دون نظّاراته.

«آسف يا رجل»، قال. «كان يوماً طويلاً جداً».

«لا بأس»، قال جوني.

«عرَفتُ أنني سأفعل ذلك، لكنني اعتقَدتُ أنه يمكنني تمالك نفسي إلى أن أعود إلى زوجتي في المنزل».

«حسناً، أظن أن هذه مدة طويلة جداً».

«أنت مستمع متعاطف». أعاد بانرمان ارتداء نظّاراته. «لا، أنت أكثر من ذلك. لديك شيء. تباً إذا كنتُ أعرف ما هو بالضبط، لكنه شيء».

«ماذا لديك من معلومات أخرى؟».

«لا شيء. إنني أتحمّل القسم الأكبر من الضغط، لكن شرطة الولاية لم تميّز نفسها تماماً. وكذلك المحقِّق الخاص للمدّعي العام، أو رجل مكتب التحقيقات الفدرالي. تمكَّن الطبيب الشرعي للمقاطعة من تحديد فئة السائل المَنَوي، لكن هذا لا ينفعنا في هذه المرحلة. أكثر شيء يزعجني هو عدم وجود أي شعر أو جلد تحت أظافر الضحية. لا شك أن كلهن قاومنه، لكن ليس لدينا حتى سنتيمتر واحد من الجلد. يبدو أن الشيطان يساعد هذا الشابّ. لم يُسقِط أي زر أو لائحة تسوّق أو

يترك أي أثر لعين واحد. لدينا طبيب نفسي من أوغستا، بفضل مدّعي عام الولاية أيضاً، وأخبرنا أن كل أولئك الشباب يفضحون أنفسهم عاجلاً أم آجلاً. كم هذا مريح. ماذا لو كان آجلاً... مثلاً بعد اثنتي عشرة جثة من الآن؟».

«علبة السجائر موجودة في كاسل روك؟».

«نعم».

نهض جوني. «حسناً، دعنا نقوم بنزهة».

«سيارتي؟».

ابتسم جوني قليلاً مع اشتداد الرياح في الخارج. «في ليلة كهذه، من المفيد أن تكون مع شرطي»، قال.

7

العاصفة الثلجية في أوجّها واحتاجا إلى ساعة ونصف للوصول إلى كاسل روك في طرّاد بانرمان. كانت العاشرة والثلث عندما دخَلا بهو مبنى مكاتب البلدة ونفضا الثلج عن حذاءيهما.

وجدا ستة مراسِلين صحفيين في الردهة، معظمهم يجلس على مقعد تحت لوحة زيتية شنيعة لأحد الآباء المؤسسين للبلدة، ويدردشون عن نوبات الليل السابقة. نهضوا وأحاطوا بانرمان وجوني بلمح البصر.

«أيها المأمور بانرمان، هل صحيح حصول تقدّم في القضية؟».

«ليس لديَّ شيء لكم حالياً»، قال بانرمان بأحاسيس متبلِّدة.

«هناك إشاعة بأنكم قبضتم على رجل من أكسفورد أيها المأمور، هل هذا صحيح؟».

«لا. إذا سمحتم لنا...».

لكن انتباههم انتقل إلى جوني، وشَعَر بانقباض في بطنه عندما تعرَّف على وجهين على الأقل من المؤتمر الصحفي في المستشفى.

«يا للهول!»، صاح أحدهم. «أنت جون سميث، أليس كذلك؟».

شَعَر جوني برغبة عارمة ليحتمي بالبند الخامس من الدستور كما لو أنه رجل عصابات في جلسةٍ لمجلس الشيوخ.

«نعم»، قال. «هذا أنا».

«النفساني؟»، سأل آخر.

«اسمعوا، دعونا نمرّ!»، قال بانرمان رافعاً صوته. «أليس لديكم أي شيء أفضل لتفعلوه...».

«وفقاً لـ *نظرة داخلية*، أنت مخادع»، قال شابّ في معطف طويل سميك. «هل هذا صحيح؟».

«كل ما يمكنني قوله بشأن ذلك هو أن *نظرة داخلية* تنشر ما تريده»، قال جوني. «اسمعوا، حقاً...».

«أنتَ تنكر قصة *نظرة داخلية*؟».

«اسمعوا، لا يمكنني حقاً قول أي شيء آخر».

بينما اجتازا باب الزجاج المصنفَر إلى مكتب المأمور، سارع المراسِلون الصحفيون نحو الهاتفين العموميين على جدار مكتب خفير الكلاب.

«الآن وقعت الكارثة حقاً»، قال بانرمان بحزن. «أُقسِم أنني لم أتوقع أبداً أنهم لا يزالون هنا في ليلة كهذه. كان عليَّ أن أُدخلك من الباب الخلفي».

«آه، ألم تعرف؟»، سأل جوني بمرارة. «نحن نحبّ الشهرة. كل نفساني يعشق الشهرة».

«لا، لا أصدِّق ذلك»، قال بانرمان. «على الأقل ليس منك. حسناً، ما حصل قد حصل. لا يسعنا فعل شيء الآن».

لكن جوني استطاع تخيّل عناوين المقالات في ذهنه: بضعة توابل زائدة في وعاء يخنة يغلي بقوة من قبل. *مأمور كاسل روك ينتدب نفسانياً محلياً في قضية الخانق. «قاتل نوفمبر» يخضع للتحقيق من عرّاف. مقال الإقرار بالخدعة مفبرك، صرَّح سميث محتجّاً.*

هناك نائبان في المكتب الخارجي. أحدهما نائم، والآخر يشرب القهوة وينظر إلى كومة تقارير بتجهّم.

«زوجته طردته أم ماذا؟»، سأل بانرمان بحدّة وهو يومئ نحو النائم.

«لقد عاد للتو من أوغستا»، قال النائب. لم يكن أكثر من مجرّد ولد هو أيضاً، وهناك دوائر داكنة من الإرهاق تحت عينيه. ألقى نظرة سريعة على جوني بفضول.

«جوني سميث، فرانك دود. والجميلة النائمة روسكو فيشر».

أومأ جوني برأسه تحيةً.

«يقول روسكو إن المدّعي العام يريد القضية بأكملها»، أخبَر دود بانرمان بنظرات غاضبة ومتحدّية، ومثيرة للشفقة نوعاً ما. «يا لها من هدية على احتفال الشتاء، أليس كذلك؟».

وَضَع بانرمان يده على الجهة الخلفية لعنق دود وهزّه بلطف. «أنت تقلق كثيراً يا فرانك. كما أنك تُنفِق وقتاً طويلاً جداً على القضية».

«لا أنفكّ أقول لنفسي إنه يجب أن أجد شيئاً في هذه التقارير...». هزَّ كتفيه ثم وجَّه إصبعاً نحوهما. «*شيئاً*».

«عد إلى بيتك واسترح قليلاً يا فرانك. وخذ الجميلة النائمة معك. كل ما نحتاج إليه هو أن يلتقط أحد أولئك المصوِّرين صورة له. سينشرونها في الصحف مع تعليق مثل ‹التحقيق المكثّف مستمر في كاسل روك›، وسرعان ما نجد أنفسنا نكنس الشوارع».

قاد بانرمان جوني إلى مكتبه الخاص الذي يفيض بمستندات ورقية. على عتبة النافذة صورة ثلاثية الأجزاء تُظهِر بانرمان وزوجته وابنته كاترينا. شهادته معلَّقة في إطار أنيق على الجدار، وبجانبها، في إطار آخر، الصفحة الأولى لمجلة كول في كاسل روك التي أعلنت انتخابه.

«قهوة؟»، سأله بانرمان وهو يفتح قفل خزانة ملفات.

«لا شكراً. سأكتفي بالشاي».

«السيدة شوغرمان تحمي شايها بقوة»، قال بانرمان. «تأخذه معها إلى المنزل كل يوم، آسف. كنتُ لأقدِّم لك شراب الصودا، لكننا سنضطر إلى اختراق الجمهور في الخارج مرة أخرى

لنصل إلى آلة البيع. يا إلهي، أتمنّى لو يعودون إلى منازلهم».

«لا بأس».

عاد بانرمان ومعه مغلف صغير. «هذا كل شيء»، قال. تردَّد للحظة، ثم سلَّمه المغلف.

أمسكه جوني لكنه لم يفتحه فوراً. «طالما أنك تفهم أن لا شيء مكفول. لا يمكنني أن أعدك بشيء. أحياناً أستطيع وأحياناً لا أستطيع».

هزَّ بانرمان كتفيه بضجر وكرَّر: «مَن لا يغامر لا يكسب».

فكَّ جوني المشبك وهزَّ المغلف مُسقطاً علبة سجائر مارلبورو فارغة في يده. علبة حمراء وبيضاء. أمسكها في يده اليسرى ونظر إلى الجدار البعيد. جدار رمادي. جدار رمادي صناعي. علبة حمراء وبيضاء. علبة رمادية صناعية. وَضَع علبة السجائر في يده الأخرى، ثم كوَّرها في يديه. انتظَر أن يأتي شيءٌ، أي شيء. لكن لا شيء. أمسكها لفترة طويلة، آملاً بما لا أمل فيه، متجاهلاً المعرفة بأنه عندما تأتي الأشياء، فإنها تأتي حالاً.

أعاد علبة السجائر أخيراً. «آسف»، قال.

«لا أمل؟».

«لا».

سمعا نقرة لا مبالية على الباب وأطلَّ روسكو فيشر برأسه. بدا خجولاً قليلاً. «فرانك وأنا عائدان إلى المنزل يا جورج. أظن أنك قبضتَ عليَّ نائماً في الخدمة».

«طالما أنني لا أقبض عليك تفعل ذلك في طرّادك»، قال بانرمان. «سلِّم لي على دينيه».

«بالتأكيد». ألقى فيشر نظرة سريعة على جوني ثم أغلق الباب.

«حسناً»، قال بانرمان. «أظن أن الأمر استحق المحاولة. سأعيدك إلى...».

«أريد زيارة المشاع»، قال جوني فجأة.

«لا، هذا ليس جيداً. إنه مدفون تحت نصف متر من الثلج».

«ألا يمكنك إيجاد المكان؟».

«بالطبع يمكنني. لكن ماذا سيفيدك ذلك؟».

«لا أعرف. لكن دعنا نذهب».

«سيتبعنا أولئك المراسِلون الصحفيون يا جوني بكل تأكيد».

«ذكرتَ شيئاً عن باب خلفي».

«نعم، لكنه باب الحريق. لا بأس من الدخول بتلك الطريقة، لكن إذا استخدمناه للخروج، سيرنّ جرس الإنذار».

صفَّر جوني صفيراً حادّاً. «دعهم يتبعوننا إذاً».

نظرَ إليه بانرمان بتبصّر لعدة لحظات ثم أومأ برأسه. «حسناً».

8

عندما خرَجا من المكتب، نهض المراسِلون الصحفيون وأحاطوهما فوراً. تذكَّر جوني مربَى متهدِّم للكلاب في دورهام تعتني فيه عجوز غريبة بكلاب من فصيلة الكولي. تنقضّ عليك الكلاب عندما تمرّ بها حاملاً قصبة صيد السمك، وتبدأ بالنباح والزمجرة وتُرعبك رعباً لا مثيل له. ستقرصك لكنها لن تعضّك في الواقع.

«هل تعرف مَن ارتكبها يا جوني؟».

«هل لديك أي أفكار على الإطلاق؟».

«هل تلقيت أي موجات دماغية يا سيد سميث؟».

«هل استعان المأمور بقدراتك النفسانية؟».

«هل تعرف شرطة الولاية ومكتب المدّعي العام عن هذا التطوّر أيها المأمور بانرمان؟».

«هل تعتقد أنه يمكنك حلّ القضية يا جوني؟».

«أيها المأمور، هل انتدبتَ هذا الشابّ؟».

شقَّ بانرمان طريقه ببطء وصلابة بينهم وهو يُغلق سحّاب معطفه. «لا تعليق، لا تعليق». لم يقل جوني أي شيء أبداً.

تجمَّع المراسِلون الصحفيون في البهو بينما نزل جوني وبانرمان الدرجات المكسوة بالثلوج. ولم يُدرك أحدهم أنهما ذاهبان إلى المشاع إلى أن تخطّيا الطرّاد وبدأا يسيران بصعوبة على الجانب المقابل للشارع. هرولَ العديد منهم عائدين ليُحضروا معاطفهم الطويلة. والذين كانوا يرتدون ملابس مناسبة لطقس الخارج عندما خرَج بانرمان وجوني من المكتب، نزلوا درجات مكتب البلدة بسرعة خلفهما، وراحوا ينادونهما مثل أولاد.

9

تمايلت المشاعل الكهربائية في الظلمة المكسوة بالثلوج، وعصفت الرياح مطيِّرةً الثلج حولهم يميناً ويساراً.

«لن تتمكن من رؤية أي شيء لعين»، قال بانرمان. «أنتَ... يا للهول!». كاد يسقط أرضاً عندما انطبح عليه مراسِل صحفي يرتدي معطفاً طويلاً ضخماً وقبعة اسكتلندية دائرية غريبة.

«آسف أيها المأمور»، قال بخجل. «الأرض زلقة. نسيتُ حذائي المطاطي».

ظهر أمامهم في الظُلمة شريط أصفر من النايلون موصولةٌ به لافتةٌ تلوِّح بعنف مكتوب عليها *(تحقيق الشرطة)*.

«نسيتَ دماغك أيضاً»، قال بانرمان. «ابقوا بعيدين عني، كلكم! أفهمتم!».

«مشاع البلدة مُلكية عامة أيها المأمور!»، صاح أحد المراسِلين الصحفيين.

«هذا صحيح، وهذه قضية تخصّ الشرطة. ابقوا خلف هذا الشريط هنا وإلا ستمضون الليلة في ضيافتي».

أظهرَ لهم مسار الشريط بواسطة شعاع مشعله الكهربائي ثم رفعه لكي يستطيع جوني المرور تحته. نزَلا المنحدر نحو أشكال المقاعد المدفونة بالثلج. تجمَّع المراسِلون الصحفيون خلفهما عند الشريط موجِّدين أضواءهم القليلة بحيث أن جوني وجورج بانرمان سارا في نوع باهت من الأضواء المسلَّطة.

«تحليق أعمى»، قال بانرمان.

«حسناً، ليس هناك شيء لرؤيته، على أي حال»، قال جوني. «هل هناك شيء؟».

«لا، ليس الآن. أخبَرتُ فرانك أنه يمكنه نزع هذا الشريط في أي وقت. أنا مسرور الآن أنه لم يفعل ذلك. هل تريد الذهاب إلى منصة الفرقة الموسيقية؟».

«ليس بعد. أرني أين كانت أعقاب السجائر».

سارا مسافة قصيرة أخرى ثم توقَف بانرمان. «هنا»، قال وسلَّط ضوءه على مقعد لم يكن أكثر من سنام غامض ناتئ من ركام ثلجي.

خلع جوني قفازيه ووضعهما في جيبَي معطفه. ثم ركَع وبدأ يُبعد الثلج بيديه عن المقعد الطويل. مرة أخرى تفاجأ بانرمان من الشحوب المُنهَك على وجه الرجل. فقد بدا له الجاثم على رُكبتَيه أمام المقعد أشبه بتائب يائس يصلّي.

برُدت يدا جوني، ثم أصابعهما الخَدر، وبدأ الثلج الذائب يسيل بين أصابعه. وصل إلى سطح المقعد المسفوع المشظّى. بدا أنه يراه بوضوح كبير كما لو أنه يملك عدسة تكبير في عينيه. كان أخضر اللون فيما مضى، لكن معظم الطلاء تآكل الآن. وهناك مسماران ملولبان فولاذيان صدئان يثبّتان المقعد بمسند الظهر.

أمسك المقعد بكلتَي يديه، وغمرته غرابةٌ مفاجئةٌ - لم يشعر بشيء بهذه القوة من قبل ولن يشعر بشيء بهذه القوة إلا مرة أخرى فقط. راح يحدِّق في المقعد عابساً وهو يمسكه بيديه بشكل محكم. كان...

(مقعداً صيفياً).

كم من مئات الأشخاص المختلفين الذين جلسوا هنا في وقت أو في آخر يستمعون إلى أغنية «ليبارِك الله أميركا» أو أغنية «نجوم وخطوط إلى الأبد» («*كن لطيفاً مع أصدقائك الكفِّيِّي القدمين... لأن البطة قد تكون أُم أحدهم...*») أو أغنية قتال أُسود جبال كاسل روك؟ أوراق الصيف الخضراء، وضباب الخريف المليء بالدخان مثل ذاكرة قشور الذرة، ورجال حاملين مدمّات في الغسق الشجي. الدويّ الكبير للطبل المطوَّق بأوتار. الأبواق الذهبية وآلات الترمبون الشجية. الأزياء الرسمية لفرقة المدرسة...

(لأن البطة... قد تكون... أُم أحدهم...).

جلوس المصطافين هنا، يُصغون، يصفِّقون، يحملون برامج صُمِّمَت وطُبعَت في قسم الفنون في ثانوية كاسل روك.

لكن قاتلاً جلس هنا هذا الصباح. يستطيع جوني *الشعور* به.

أغصان أشجار داكنة حُفرَت في سماء ثلجية رمادية مثل أحرف رّونية. هو (أنا) جالس هنا، يدخِّن، ينتظر، يشعر بالسرور، يشعر كما لو أنه (أنني) يستطيع القفز عن سقف العالم ويحطّ بخفة على قدمَين. يدندن أغنيةً. إحدى أغاني الرولينغ ستونز. لا يمكنه تبيان ذلك، لكن من الواضح جداً أن كل شيء... كل شيء ماذا؟

بخير. *كل شيء بخير، كل شيء رمادي وينتظر الثلج، وأنا ...*

«زلق»، تمتم جوني. «أنا زلق، أنا زلق جداً».

مال بانرمان إلى الأمام، غير قادر على سماع الكلمات في عويل الرياح. «ماذا؟».

«زلق»، كرَّر جوني. رفع نظره إلى بانرمان وخطا المأمور خطوة لا إرادية إلى الوراء. كانت عينا جوني باردتين وغير بشريتين نوعاً ما. تطاير شعره الداكن بعنف حول وجهه الأبيض، وفوقه زعقت رياح الشتاء في السماء السوداء. بدت يداه ملتحمتين بالمقعد.

«*أنا زلق جداً جداً*»، قال بوضوح. ارتسمت ابتسامة انتصار على شفتيه، وحدَّقت عيناه ببانرمان. بانرمان صدَّق. لا أحد يمكنه أن يمثّل هذا أو يتصنَّعه. وأفظع جزء فيه هو أنه... *ذكَّره* بأحدهم. الابتسامة... الصوت... لقد اختفى جوني سميث؛ بدا أن فراغاً بشرياً حلَّ محله. ومختبئاً خلف ملامحه العادية، بشكل يكاد يكون لمسه ممكناً، ظهر وجه آخر. وجه القاتل.

وجه شخص *يعرفه*.

«لن تقبض عليَّ أبداً لأنني زلق جداً بالنسبة لك». فرَّت منه ضحكة صغيرة، واثقة، ساخرة قليلاً. «أرتديه كل مرة، وإذا خدشنَ... أو عضضنَ... لا يحصلن على أي جزء مني... *لأنني زلق جداً!*». ارتفع صوته إلى زعيق انتصار مجنون تنافَس مع الرياح، وتراجَع بانرمان خطوة أخرى والقشعريرة تملأ بشرته، ومنفرج ساقيه مشدود إلى أعلى ويضغط على أحشائه.

دعه يتوقف، فكَّر في سرّه. دعه *يتوقف الآن. رجاءً.*

لوى جوني رأسه فوق المقعد. راح الثلج الذائب يسيل بين أصابعه العارية.

(الثلج. الثلج الصامت، الثلج السريّ -).

(لقد وَضَعت ملقط غسيل عليه لكي أعرف الشعور. الشعور عندما تلتقط مرضاً. مرضاً من أحد أولئك المتضاجعين البغيضين، كلهم بغيضون، ويجب إيقافهم، نعم، إيقافهم، إيقافهم، إيقافهم - يا إلهي لافتة التوقف -!).

عاد صغيراً مرة أخرى. يذهب إلى المدرسة على الثلج السريّ الصامت. وكان هناك رجل يطلّ من البياض المراوغ، رجل فظيع، رجل مبتسم أسود فظيع ذو عينين تلمعان كالقطع النقدية ويُمسك لافتة توقف حمراء بيدٍ مكسوةٍ بقفّاز واحد... إنه هو!... هو!... *هو!*

(يا إلهي لا ... لا تدعه ينل مني... ماما ... لا تدعيه ينل منيييي...).

صَرَخ جوني وسقط بعيداً عن المقعد، ضاغطاً يديه على خدّيه فجأة. ربضَ بانرمان بجانبه، خائفاً إلى أبعد الحدود. راح المراسِلون الصحفيون يتململون ويتهامسون خلف الشريط.

«جوني! اخرج من هذه الحالة! اسمعني يا جوني...».

«زلق»، تمتم جوني. رفع نظره إلى بانرمان بعينين متألمتين خائفتين. لا يزال يرى في ذهنه ذلك الشكل الأسود ذي العينين اللامعتين يطلّ من الثلج. نبضَ منفرج ساقيه برتابة من ألم ملقط الغسيل الذي جعلته أُم القاتل يرتديه. لم يكن قاتلاً وقتها، آه لا، ليس حيواناً، ليس كيس قيح أو كيس براز أو أي تسمية أطلقها عليه بانرمان، كان مجرّد فتى صغيراً خائفاً مع ملقط غسيل على... على...

«ساعدني على النهوض»، تمتم.

ساعَده بانرمان في الوقوف على قدمَيه.

«منصة الفرقة الموسيقية الآن»، قال جوني.

«لا، أعتقد أن علينا أن نعود يا جوني».

تجاوزه جوني دون اكتراث وبدأ يتخبّط على الثلج نحو منصة الفرقة الموسيقية التي بدت كظل دائري كبير أمامهما. لاحت بحجمها الكبير في الظلمة، مكان الموت. أسرَعَ بانرمان ولحِق به.

«جوني، مَن هو؟ هل تعرف مَن...؟».

«لم تعثر على أي أنسجة تحت أظافرهن أبداً لأنه كان يرتدي معطفاً واقياً من المطر»، قال جوني لاهثاً. «معطفاً واقياً من المطر ذا قبعة. معطفاً واقياً من المطر من الفينيل الزلق. عُد إلى التقارير. عُد إلى التقارير وسترى. كان المطر أو الثلج يتساقط كل مرة. لقد حاولن خدشه، نعم. لقد قاومنه. طبعاً فعلن ذلك. لكن أصابعهن انزلَقت عليه ببساطة».

«مَن يا جوني؟ مَن؟».

«لا أعرف. لكنني سأكتشفه».

تعثَّر على الدرجة الأدنى بين الدرجات الستة التي توصل إلى منصة الفرقة الموسيقية، وراح يترنّح وهو يبحث عن توازنه بارتباك، وكاد يفقده لو لم يُمسك بانرمان بذراعه. ثم أصبحا على المسرح. الثلج رقيق هنا، أشبه بطبقة من الغبار، بفعل السقف المخروطي. سلَّط بانرمان شعاع مشعله الكهربائي على الأرض، وركع جوني على يديه ورُكبتَيه وبدأ يزحف ببطء. كانت يداه حمراوين زاهيتين. فكَّر بانرمان في سرّه أنهما لا شك أصبحتا الآن أشبه بِقطعتَي لحم نيء.

توقَف جوني فجأة وتيبَّس مثل كلب وجد ضالته. «هنا»، تمتم. «ارتكب جريمته هنا».

فاضت في ذهنه صورٌ ونسائج وأحاسيسٌ. المذاق النحاسي للإثارة، الاحتمال بأي يُرى وهو يضيف إليه. كانت الفتاة تتلوّى، تحاول أن تصرخ. غطّى فمها بيدٍ مكسوةٍ بقفّازٍ. الإثارة المريعة. لن تقبضوا عليَّ أبداً، أنا الرجل الخفي، هل هذا قذر كفاية لكِ الآن يا ماما؟

بدأ جوني يئنّ ويهزّ رأسه إلى الأمام والخلف.

صوت ملابس تتمزَّق. الدفء. شيء ينساب. دم؟ سائل مَنَوي؟ بَول؟

بدأ يرتعش بقوة. والتصق شعره بوجهه. وجهه. وجهه المبتسم المكشوف داخل الحدود الدائرية لقبعة المعطف الواقي من المطر بينما أطبقت يداه (يداي) على العنق لحظة بلوغه النشوة الجنسية وراح يضغط... ويضغط... ويضغط.

خارت القوة في ذراعيه بينما بدأت الصور تتلاشى. انزلَق إلى الأمام، واستلقى على المسرح الآن بكامل طوله وهو يشهق. عندما لمَس بانرمان كتفه، صرَخ وحاوَل أن يبتعد زاحفاً، واعترى وجهه خوف كبير. ثم ارتخى شيئاً فشيئاً. أسندَ رأسه إلى درابزين منصة الفرقة الموسيقية العالي

حتى الخصر وأغمض عينيه. راح الارتعاش يتسابق في جسمه مثل كلاب سلوقية، واكتسى بنطلونه ومعطفه بالثلج.

«أعرف مَن هو»، قال.

10

بعد خمس عشرة دقيقة، جلَس جوني في مكتب بانرمان الداخلي مرة أخرى، وقد خلعَ كل ملابسه ما عدا سرواله الداخلي وجلس أقرب ما يستطيع إلى موقد كهربائي محمول. لا يزال يبدو بارداً وبائساً، لكن الارتعاش توقَف.

«متأكد أنك لا تريد بعض القهوة؟».

هزَّ جوني رأسه. «لا أستطيع أن أتحمّلها في معدتي».

«جوني...»، قال بانرمان وهو يجلس. «هل تعرف شيئاً حقاً؟».

«أعرف مَن قتلهن. كنتم لتقبضوا عليه في نهاية المطاف. فأنتم قريبون جداً منه. وحتى رأيتموه في معطفه الواقي من المطر، في ذلك المعطف اللامع. لأنه يساعد الأولاد على اجتياز الشارع صباحاً. يحمل لافتة توقف على عصا ويساعد الأولاد على اجتياز الشارع صباحاً».

نظرَ إليه بانرمان مصعوقاً. «هل تتكلَّم عن فرانك؟ فرانك دود؟ أنت مجنون!».

«فرانك دود قَتَلهن»، قال جوني. «فرانك دود قَتَلهن كلهن».

بدا بانرمان كما لو أنه لم يعرف ما إن كان سيسخر من جوني أو يركله ركلة قوية. «هذا أكثر شيء لعين سمِعتُه في حياتي»، قال أخيراً. «فرانك دود ضابط جيد ورجل جيد. سيترشَّح نوفمبر القادم لمنصب رئيس شرطة البلدية، وسيفعل ذلك بموافقتي». تحوَّل تعبيره الآن إلى تعبير لهو ممزوج بازدراء مُتعَب. «فرانك في الخامسة والعشرين. هذا يعني أنه بدأ هذا الهُراء المجنون منذ أن كان في التاسعة عشرة. إنه يعيش حياة هادئة جداً مع أمه المريضة جداً - ارتفاع ضغط الدم، الغدّة الدرقية، وشبه إصابة بالسكري. لقد ارتكبتَ خطأً جسيماً يا جوني. فرانك دود ليس قاتلاً. أراهن بحياتي على ذلك».

«توقفت جرائم القتل لسنتين»، قال جوني. «أين كان فرانك دود وقتها؟ هل كان في البلدة؟».

استدار بانرمان نحوه، وزال اللهو المُتعَب عن وجهه الآن وبدا فقط صارماً. صارماً وغاضباً. «لا أريد سماع المزيد عن هذا. كنتَ محقّاً المرة الأولى - لستَ سوى مخادع. حسناً، لقد حصلتَ على تغطيتك الصحفية، لكن هذا لا يعني أنه عليَّ أن أستمع إليك تهين ضابطاً جيداً، رجلاً أ...».

«رجلاً تعتبره ابناً لك»، قال جوني بهدوء.

زمَّ بانرمان شفتيه، وتلاشى الآن الكثير من اللون الذي ملأ خدّيه خلال وقتهما في الخارج. بدا أشبه برجل تلقى لكمةً تحت الحزام. ثم زال ذلك وبدا وجهه خالياً من أي تعبير.

«اخرج من هنا»، قال. «اجعل أحد أصدقائك الصحفيين يعيدك إلى المنزل. يمكنك عَقْد مؤتمر صحفي في طريقكما إلى هناك. لكنني أُقسِم أنك إذا ذكرتَ اسم فرانك دود، فسآتي إليك وأكسر لك ظهرك. مفهوم؟».

«بالتأكيد، أصدقائي الصحفيين!»، صرَخ به جوني فجأة. «هذا صحيح! ألم ترني أردّ على كل أسئلتهم؟ أقف ليلتقطوا صورهم وأتأكد أنهم صوَّروا جانبي الجيد؟ وأتأكد أنهم دوَّنوا اسمي بشكل صحيح؟».

بدا بانرمان جافلاً، ثم صارماً مرة أخرى. «اخفِض صوتك».

«لا، تباً لي إن أخفضتُه!»، قال جوني وارتفع صوته حتى أكثر. «أعتقد أنك نسيتَ مَن الذي اتصل بالآخر! سأُنعش لك ذاكرتك. *أنت* مَن اتصل *بي*. إلى هذا الحدّ كنتُ متلهِّفاً للقدوم إلى هنا!».

«هذا لا يعني أنك...».

سار جوني إلى بانرمان وهو يوجِّه سبابته على شكل مسدَّس. كان أقصر منه بعدة سنتيمترات وأخفّ وزناً منه بخمسة وثلاثين كيلوغراماً على الأرجح، لكن بانرمان تراجع خطوة إلى الوراء - مثلما فعل في المشاع. تورَّد خدّا جوني قليلاً، وزمَّ شفتيه كاشفاً القليل من أسنانه.

«لا، أنت محقّ أن اتصالك بي لا يعني شيئاً البتّة»، قال. «لكنك لا *تريده* أن يكون دود، أليس كذلك؟ يمكن أن يكون أي شخص آخر، عندها ستنظر في المسألة على الأقل، لكن لا يمكنه أن يكون العزيز فرانك دود. لأن فرانك شريفٌ، يهتم بأمه، يحترم المأمور جورج بانرمان العزيز، آه، فرانك

مثاليّ ما عدا عندما يغتصب العجائز والصغيرات ويخنقهن، وكان من الممكن أن تكون *ابنتك* يا بانرمان، ألا يمكنك أن تفهم أن الضحية كان يمكن أن تكون *ابنتـ*...».

ضربه بانرمان. سحبَ اللكمة في اللحظة الأخيرة، لكنها بقيت قوية كفاية لتُسقط جوني إلى الوراء؛ تعثَّر برِجل كرسيٍ وانبطح أرضاً. سال الدم من خدّه حيث خدشه خاتم أكاديمية الشرطة الخاص ببانرمان.

«أنت استجلبتَ هذا لنفسك»، قال بانرمان لكن لم يكن هناك أي اقتناع حقيقي في صوته. خطَر بباله أنه لأول مرة في حياته يضرب مشلولاً - أو شبه مشلول.

شعَر جوني بدوار في رأسه وطنين في أذنيه. بدا أن صوته يخصّ شخصاً آخر، مُذيع راديو أو ممثلاً في فيلم درجة ثانية. «يجدر بك أن تركع على رُكبتَيك وتحمد الله أنه لم يترك أي أدلة حقاً، لأنك عندها ستكون قد أهملتها بناءً على مشاعرك تجاه دود. يمكنك عندها أن تحمِّل نفسك المسؤولية عن موت ماري كايت هندراسن، كشريك في الجريمة».

«هذه ليست سوى كذبة لعينة»، قال بانرمان ببطء ووضوح. «سأعتقل أخي لو كان الفاعل. انهض عن الأرض. آسف أنني لكمتُك».

ساعَد جوني على النهوض إلى قدمَيه ونظر إلى الخدش على خدّه.

«سأُحضر حقيبة الإسعافات الأولية وأضع بعض اليود على هذا».

«لا تهتمّ»، قال جوني وقد زال الغضب من صوته. «أظن أنني بالغتُ نوعاً ما عليك، أليس كذلك؟».

«صدّقني، لا يمكن أن يكون فرانك. لستَ طالب شهرة، صحيح. كنتُ مخطئاً بشأن ذلك. حماوة اللحظة، اتفقنا؟ لكن ذبذباتك أو عالمك النجميّ أو مهما يكن توهَّك بالتأكيد هذه المرة».

«تحقّق إذاً»، قال جوني وهو يركِّز عينيه على عينَي بانرمان. «تحقّق *من الأمر*. أظهِر لي أنني أخطأتُ». بلَع ريقه. «قارن الأوقات والتواريخ بمواعيد عمل فرانك. هل يمكنك فعل ذلك؟».

قال بانرمان على مضض، «بطاقات الدوام في الخزانة الخلفية تعود إلى أربع عشرة أو خمس عشرة سنة. أظن أنه يمكنني التحقّق من الأمر».

«افعل ذلك إذاً».

«يا سيد...»، وصمتَ قليلاً. «يا جوني، لو كنتَ *تعرف فرانك*، لسخرتَ من نفسك الآن. أنا جدّي في كلامي. لستُ لوحدي، اسأل أي شخص...».

«إذا كنتُ مخطئاً، سيسرّني أن أقرّ بذلك».

«هذا جنون»، تمتم بانرمان، لكنه ذهَب إلى الخزانة حيث توجد بطاقات الدوام القديمة وفتح الباب.

11

مرَّت ساعتان. قاربت الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل. كان جوني قد اتصل بأبيه وأخبَره أنه سيجد مكاناً ليبيت فيه في كاسل روك؛ فقد اشتدّت العاصفة ومن شبه المستحيل القيادة.

«ماذا يجري هناك؟»، سأل هيرب. «هل يمكنك أن تُخبِرني؟».

«أفضِّل عدم فعل ذلك عبر الهاتف يا بابا».

«حسناً يا جوني. لا تُرهق نفسك».

«لا».

لكنه كان مُرهَقاً. كان مُتعَباً أكثر مما يمكنه أن يتذكَّر منذ تلك الأيام الأولى للعلاج الفيزيائي مع آيلين ماغاون. امرأة لطيفة، قال لنفسه فجأة. امرأة لطيفة *ودودة*، على الأقل إلى أن أخبَرتُها أن منزلها يحترق. بعد ذلك أصبحت باردة ومُربِكة. شَكَرته طبعاً، لكن - هل لمسته بعد ذلك؟ لمسته فعلاً؟ لا يعتقد جوني. وسيحصل الأمر نفسه مع بانرمان عندما ينتهي كل هذا. للأسف الشديد. فهو، مثل آيلين، رجل طيب. لكن الناس يتوتّرون جداً مع الأشخاص الذين يمكنهم مجرّد لمس الأشياء ومعرفة كل شيء عنهم.

«هذا لا يبرهن شيئاً»، قال بانرمان الآن. كان هناك تمرُّد ولد صغير حَرِد في صوته أراد جوني الإمساك به وهزّه بكل قوته. لكنه مُتعَب جداً.

كانا ينظران إلى مخطط تقريبي خطَّه جوني على الجهة الخلفية لمنشور دوريّ عن السيارات المستعملة لشرطة الولاية. هناك سبع أو ثماني كراتين بطاقات دوام قديمة مكدّسة بشكل غير مرتَّب على مكتب بانرمان، وفي النصف العلوي لسلة مراسلات بانرمان الداخلة/الخارجة توجد بطاقات فرانك دود، يعود تاريخها إلى 1971، عندما انضم إلى المخفر. بدا المخطط كالتالي:

جرائم القتل	**فرانك دود**
ألما فريشيت (نادلة) 3:00 بعد الظهر، 12/ 11/ 70	يعمل وقتها في محطة الخليج في الشارع الرئيسي
پولين توثَكر 10:00 صباحاً، 17/ 11/ 71	غير مناوِب
شيريل مُودي (طالبة إعدادي) 2:00 بعد الظهر، 16/ 12/ 71	غير مناوِب
كارول دانبارغر (طالبة ثانوية) 11/ ?/ 74	عطلة لمدة أسبوعين
إيتا رينغولد (أستاذة) 10/ 29(?)/ 75	دوريات عادية
ماري كايت هندراسن 10:10 صباحاً، 17/ 12/ 75	غير مناوِب

كل الأوقات هي «أوقات الوفاة المقدَّرة» التي حدَّدها الطبيب الشرعي

«لا، لا يبرهن أي شيء»، وافَقه جوني وهو يفرك صدغَيه. «لكنه لا يبرّئه تماماً أيضاً».

طرقَ بانرمان على المخطط. «عندما قُتلَت الآنسة رينغولد، كان مناوِباً».

«نعم، إذا قُتلَت حقاً في التاسع والعشرين من أكتوبر. لكنها ربما قُتلَت في الثامن والعشرين أو السابع والعشرين. وحتى لو كان مناوِباً، مَن سيشتبه بشرطي؟».

كان بانرمان ينظر بعناية فائقة إلى المخطط الصغير.

«ماذا بشأن الانقطاع؟»، قال جوني. «الانقطاع لسنتين؟».

تصفَّح بانرمان بطاقات الدوام. «كان فرانك مناوِباً هنا طوال العامين 1973 و1974. لقد رأيتَ هذا».

«ربما لم تنتابه الرغبة تلك السنة. حسب علمنا على الأقل».

«حسب علمنا، نحن لا نعرف أي شيء»، ناقَضه بانرمان بسرعة.

«لكن ماذا بشأن 1972؟ أواخر 1972 وأوائل 1973؟ ليست هناك بطاقات دوام لهذه الفترة. هل كان في إجازة؟».

«لا»، قال بانرمان. «أخذ فرانك وشابّ يدعى توم هاريسون فصلاً دراسياً عن فرض القانون الريفيّ في فرع جامعة كولورادو في پويبلو. إنه المكان الوحيد في البلاد الذي يقدِّمون فيه عرضاً كهذا. إنه مقرّر تعليمي يمتدّ لثمانية أسابيع. بقي فرانك وتوم هناك من 15 أكتوبر إلى قُبيل احتفال الشتاء. الولاية تدفع جزءاً من الرسوم، والمقاطعة تدفع جزءاً، والحكومة الأميركية تدفع جزءاً وفق مرسوم فرض القانون الصادر عام 1971. اخترتُ هاريسون - إنه رئيس الشرطة في غايتس فولز الآن - وفرانك. كاد فرانك لا يذهب لأنه قلِقَ بشأن بقاء أمه لوحدها. الحق يُقال إنني أعتقد أنها حاوَلت إقناعه بالبقاء معها. أنا أقنعتُه بالذهاب. يريد أن يكون ضابطاً مرشداً، وشيءٌ مثل مقرّر تعليمي عن فرض القانون الريفيّ سيبدو جيداً جداً على سجلك. أتذكَّر أنه عندما عاد وتوم في ديسمبر، كان فرانك قد التقط عدوى فيروس طفيف وبدا شكله فظيعاً. خسر عشرة كيلوغرامات من وزنه. ادّعى أن لا أحد في بلاد البقر يمكنه أن يطبخ مثل أمه.

صمَت بانرمان. بدا أن شيئاً في ما قاله للتو أزعجه.

«أخذ إجازة مرضية لمدة أسبوع في فترة الأعياد ثم شُفي مما كان لديه»، استأنَف بانرمان كلامه بنبرة دفاعية تقريباً. «عاد في الخامس عشر من يناير كحد أقصى. افحص بطاقات الدوام بنفسك».

«لا داعي. مثلما أنه لا داعي أن أُخبرك ما هي خطوتك التالية».

«لا»، قال بانرمان. نظرَ إلى يديه. «أخبَرتُك أن لديك براعة فطرية في هكذا أمور. ربما كنتُ مُصيباً أكثر مما أدركتُ. أو أردتُ أن أكون».

رَفَع سمّاعة الهاتف وأخرجَ دليلاً سميكاً ذا غلاف أزرق عادي من أسفل جارور مكتبه. ثم قال لجوني وهو يتصفّحه دون أن يرفع نظره عنه، «هذا بفضل نفس مرسوم فرض القانون ذاك. كل مكتب مأمور في كل مقاطعة في الولايات المتحدة». وجَد الرقم الذي أراده واتصل به.

تململَ جوني على مقعده.

«ألو»، قال بانرمان. «هل أتكلَّم مع مكتب مأمور بويبلو؟... حسناً. اسمي جورج بانرمان، مأمور مقاطعة كاسل، في ماين الغربية... نعم، هذا ما قلتُه. ولاية ماين. مع مَن أتكلَّم من فضلك؟... حسناً أيها الضابط تايلور، إليك الحالة. لقد شهدنا سلسلة جرائم قتل هنا، اغتصاب وخنق، ست منها في السنوات الخمسة الماضية. كلها وقعت في أواخر الخريف أو أوائل الشتاء. لدينا...». رفع نظره إلى جوني للحظة بعينين متألمتين وعاجزتين. ثم أعاد إخفاض نظره إلى الهاتف. «لدينا مشتبه به كان في بويبلو من 15 أكتوبر 1972 إلى... 17 ديسمبر، أعتقد. ما أودّ معرفته هو إن وقعت لديكم أي جريمة قتل غير محلولة خلال تلك الفترة، الضحية أنثى، لا عمر محدَّد، اغتُصبَت، سبب الموت، الخَنْق. كما أودّ معرفة فئة السائل المَنَوي للفاعل إذا وقعت لديكم هكذا جريمة وتمكّنتم من الحصول على عيّنة من السائل المَنَوي. ماذا؟... نعم، حسناً. شكراً... سأكون هنا منتظراً. مع السلامة أيها الضابط تايلور».

أغلَق الخط. «سيتحقّق من هويتي، ثم يتحقّق من سجلاته، ويعاود الاتصال بي. هل تريد كوب... لا، أنت لا تشرب، أليس كذلك؟».

«لا»، قال جوني. «سأكتفي بكوب ماء».

ذهب إلى البرّاد الزجاجي الكبير وملأ كوباً ورقياً بالماء. اشتدّت حدّة العاصفة في الخارج.

قال بانرمان بارتباك خلفه: «نعم. كنتَ محقّاً. إنه الابن الذي كنتُ أرغب بإنجابه. زوجتي أنجبت كاترينا بعملية قيصرية. لا يمكنها إنجاب طفل آخر أبداً. قال الطبيب إن ذلك سيقتلها. أجرت عملية الضمادة اللاصقة وأجريتُ عملية قَطع القناة المَنَوية. على سبيل الاحتياط».

ذهَب جوني إلى النافذة ونظرَ إلى الظلمة، وكوب مائه في يده. لم يكن هناك شيء لرؤيته سوى الثلج، لكن إذا استدار، سينهار بانرمان - لستَ بحاجة إلى أن تكون نفسانياً لتعرف ذلك.

«عمِل والد فرانك على خط سكة حديد بوسطن - ماين ومات في حادث عندما كان فرانك في الخامسة تقريباً. كان ثملاً وحاوَل إجراء وصلةٍ بينما كان على الأرجح في حالة لا تسمح له بالتمييز بين يده اليمنى ويده اليسرى. سُحقَ بين عربتين مسطَّحتين مكشوفتين. اضطر فرانك أن يكون رجل المنزل منذ ذلك الحين. يقول روسكو إنه كانت لديه حبيبة في الثانوية، لكن السيدة دود وَضَعت حدّاً لذلك فوراً».

أنا أكيد أنها فعلت ذلك، فكَّر جوني في سرّه. امرأةٌ تفعل ذلك الشيء... ذلك الشيء بملقط الغسيل... لابنها... لا شيء يمنع ذلك الصنف من النساء. لا شك أنها مجنونة مثله تماماً.

«أتى إليَّ عندما كان في السادسة عشرة وسألني إن كان هناك شيءٌ يسمّى شرطياً بدوام جزئي. قال إنه الشيء الوحيد الذي أراد أن يفعله أو أن يكون عليه حقاً منذ طفولته. استلطَفتُه فوراً. وظَّفتُه ليعمل في المخفر ودفعتُ له من جيبي الخاص. دفعتُ له ما أقدر عليه طبعاً، ولم يشتكِ من الأجر أبداً. كان من صنف الأولاد الذين سيعملون مجاناً. تقدَّم بطلب عمل بدوام كامل قبل شهر من تخرّجه من الثانوية، لكن لم يكن لدينا أي مركز شاغر في ذلك الوقت. لذا ذهَب ليعمل لدى دوني هاغار ودرسَ مقرّراً تعليمياً ليلياً عن عمل الشرطة في الجامعة في غورهام. أظن أن السيدة دود حاوَلت أن تضع حدّاً لذلك أيضاً - شعَرت أنها تبقى لوحدها فترات طويلة، أو شيء من هذا القبيل - لكن فرانك واجهها تلك المرة... بتشجيع مني. وظّفناه في يوليو 1971 ولا يزال مع المخفر منذ ذلك الحين. والآن تُخبِرني هذا وأتخيَّل كاترينا في الخارج صباح البارحة، تسير قرب أياً يكن مَن فعل ذلك... وأشعر كما لو أنه نوع قذر من سفاح القربى، تقريباً. لقد زارنا فرانك في منزلنا، أكل طعامنا، جالَسَ كايتي مرة أو مرتين... وتُخبِرني...».

استدار جوني. رأى أن بانرمان خلع نظّاراته ويمسح عينيه مرة أخرى.

«إذا كنتَ قادراً حقاً على رؤية هكذا أشياء فأنا أُشفِق عليك. أنت مخلوق عجيب، لا تختلف عن بقرة مزدوجة الرأس رأيتُها ذات مرة في الكرنفال. آسف. أعرف أنه حقارة كبيرة قول شيء

كهذا».

«يقول مرجع الحكم القديمة إن السماوات تحبّ كل المخلوقات»، قال جوني بصوت مرتعش قليلاً.

«حقاً؟»، أومأ بانرمان برأسه وفركَ البقعتين الحمراوين على طرفَي أنفه حيث تجلس نظّاراته. «لديها طريقة مضحكة في إظهار ذلك، أليس كذلك؟».

12

رنَّ الهاتف بعد حوالي عشرين دقيقة وردَّ بانرمان بذكاء. تكلَّم بإيجاز. أنصتَ. راقَب جوني وجهه يتقدَّم بالسنّ. أغلَق الخط وبقي ينظر إلى جوني لمدة طويلة دون أن ينطق بكلمة.

«12 نوفمبر 1972»، قال. «فتاة جامعية. وجَدوها في حقل قرب الطريق الرئيسي. آنْ سايمونز. اغتُصبَت وخُنقَت. في الثالثة والعشرين من عمرها. لم يحصلوا على فئة السائل المَنَوي. لا يزال هذا ليس دليلاً يا جوني».

«لا أعتقد أنك في قرارة نفسك تحتاج إلى أي دليل آخر»، قال جوني. «وإذا واجهتَه بما لديك، أعتقد أنه سينهار ويعترف».

«وإذا لم يفعل ذلك؟».

تذكَّر جوني ما تراءى له على منصة الفرقة الموسيقية. عادت إليه تلك الصور مثل بُومرَنغ مجنونة مميتة. الإحساس العنيف. الألم الذي كان ممتعاً، الألم الذي استدعى ألم ملقط الغسيل، الألم الذي أكَّد كل شيء.

«اجعله يخلع بنطلونه»، قال جوني.

نظرَ إليه بانرمان.

13

لا يزال المراسِلون الصحفيون في الردهة. في الواقع، لما كانوا تحرّكوا من أماكنهم على الأرجح حتى ولو لم يشتبهوا بحصول تقدّم في القضية - أو على الأقل بحصول تقدّم جديد غريب. كانت الطرقات المؤدية إلى خارج البلدة مقفلة تماماً.

خرَج بانرمان وجوني عبر نافذة خزانة المؤن.

«هل أنت متأكد أن هذه هي الطريقة الصحيحة لفعل ذلك؟»، سأل جوني، وحاوَلت العاصفة أن تنزع الكلمات من فمه. رِجلاه تؤلمانه.

«لا»، قال بانرمان ببساطة، «لكنني أعتقد أنك يجب أن تكون جزءاً مما سيجري. ربما أعتقد أنه يستحق فرصة أن ينظر إلى وجهك يا جوني. هيا. منزل عائلة دود يبعد مجرّد مربعين سكنيين من هنا».

انطلقا، متسلّحَين بقبعتين وجزمتين، كظلَّين في الثلج الكثيف. بانرمان يرتدي مسدَّس خدمته تحت معطفه، وأصفاده معلَّقة بحزامه. قبل أن يجتازا مربعاً سكنياً في الثلج العميق، أصبح جوني يعرُج بشكل سيئ، لكنه أبقى فمه مغلقاً بتجهّم.

لكن بانرمان لاحَظ. توقّفا عند مدخَل كاسل روك وسترن أوتو.

«ما خطبُك يا بُنيّ؟».

«لا شيء»، قال جوني. بدأ رأسه يؤلمه من جديد.

«بالتأكيد هناك شيء. تتصرّف كما لو أنك تسير على رِجلَين مكسورتين».

«اضطروا إلى إجراء عملية جراحية لرِجليَّ بعدما استفقتُ من الغيبوبة. فقد ضَمَرت عضلاتي. بدأت تذوب على حد تعبير الطبيب براون. وتحلّلت المفاصل. عالجوها بأفضل ما يمكنهم بواسطة أعضاء اصطناعية...».

«مثل رجل الستة ملايين دولار، أليس كذلك؟».

تذكَّر جوني كدسات فواتير المستشفى في المنزل، الجالسة في الجارور العلوي للصندوق في غرفة الطعام.

«نعم، شيء من هذا القبيل. عندما أقف عليهما طويلاً، تتصلَّبان. هذا كل ما في الأمر».

«هل تريد أن نعود؟».

بالتأكيد أريد. أن نعود ولا نضطر إلى التفكير بهذا الأمر الشنيع بعد الآن. أتمنى لو أنني لم آت أبداً. ليست مشكلتي. هذا هو الرجل الذي شبَّهني ببقرة مزدوجة الرأس.

«لا، أنا بخير»، قال.

خرَجا من المدخَل وأمسكتهما الرياح وحاوَلت أن تدحرجهما في الشارع الفارغ. تقدَّما بصعوبة منحنيي الظهر في الضوء الجاف لأعمدة الإنارة المكسوة بالثلوج. دخلا شارعاً جانبياً وتوقف بانرمان بعد خمسة منازل أمام منزل صغير أنيق من منازل نيو إنغلاند ذي طابقين أماميين وطابق خلفي. مثل بقية المنازل في الشارع، كان مظلماً ومغلقاً.

«هذا هو المنزل»، قال بانرمان بصوت حيادي بشكل غريب. شقّا طريقهما في الركام الثلجي الذي كوَّمته الرياح عند الشرفة وصعدا الدرجات.

14

السيدة هنرييتا دود امرأة ضخمة تحمل حِملاً ثقيلاً من اللحم على جذعها. لم ير جوني أبداً امرأة تبدو مريضة أكثر منها. بشرتها رمادية صفراء. ويداها مثل الزواحف تقريباً يملأهما طفح جلدي يشبه الأكزيما. هناك شيء في عينيها اللتين ضاقتا إلى شقَّين متألقَين في محجريهما المنتفخين، مما ذكَّره بالطريقة البغيضة التي بدت بها عينا أمه أحياناً عندما كانت تدخل إحدى نوباتها التخشّعية المسعورة.

فتَحت لهما الباب بعدما بقي بانرمان يطرقه لحوالي خمس دقائق. وَقَف جوني بجانبه على رِجلَيه المتألمتين وهو يقول لنفسه إن هذه الليلة لن تنتهي أبداً. ستستمر دون انقطاع إلى أن يتراكم الثلج بما يكفي ليسبِّب انهياراً ثلجياً يطمرهم كلهم.

«ماذا تريد في منتصف الليل يا جورج بانرمان؟»، سألت بارتياب. مثل العديد من النساء البدينات، كان صوتها يشبه قصبة طنّانة حادّة - بدا أشبه بذبابة أو نحلة علقت داخل زجاجة.

«عليَّ أن أكلِّم فرانك يا هنرييتا».

«كلِّمه إذاً في الصباح»، قالت هنرييتا دود وبدأت تُغلق الباب بوجههما.

أوقَف بانرمان الباب بيدٍ مكسوة بقفّاز. «آسف يا هنرييتا. يجب أن أكلمِّه الآن».

«حسناً، لن أوقظه!»، صاحت دون أن تبتعد عن الباب. «ينام مثل ميت على أي حال! أتحرَّش به في بعض الليالي، وتتسارع دقّات القلب بوتيرة فظيعة أحياناً، وهل يتجاوب؟ لا، ينام خلال العملية، ويمكنه أن يستيقظ ذات صباح ليجدني ميتة من نوبة قلبية على سريري بدلاً من أن أُحضر له بيضته المسلوقة اللعينة! لأنكم ترهقونه كثيراً في العمل!».

ابتسمت ابتسامة انتصار فظّة؛ فقد انكشف السر القذر وتطايرت القبعات فوق الطاحونة الهوائية.

«طوال النهار، طوال الليل، نوبة عمل تمتدّ من بعد الظهر حتى منتصف الليل، مطاردة الثملين بعد منتصف الليل ومن الممكن أن يحمل أي واحد منهم مسدَّساً تحت مقعده، زيارة المقاصف والمشارب، آه من زبائن تلك الأماكن! أظن أنني أعرف ماذا يجري هناك، وكل تلك الفاسقات الرخيصات اللواتي سيسرّهن نقل عدوى مرض عُضال إلى فتى لطيف مثل فرانك بسعر كوب شراب شعير!».

صوتها، تلك القصبة الحادّة، انقضَّ وأزَّ. بدأ رأس جوني يطنّ وينبض في آن. تمنّى لو تصمت. عرَف أن هذه هلوسة، مجرّد تعب وإجهاد من هذه الليلة المريعة، لكنه بدأ يشعر أكثر وأكثر أنها أمه الواقفة هنا، وأنها ستنقل نظرها من بانرمان إليه في أي لحظة وتبدأ تساومه بشأن الموهبة المدهشة التي أعطته إياها السماوات.

«سيدة دود... هنرييتا...»، بدأ بانرمان بصبر.

ثم استدارت نحو جوني، وراحت تنظر إليه بعينيها الصغيرتين الذكيتين الغبيتين.

«مَن هذا؟».

«معاوِن خاص»، قال بانرمان بحزم. «هنرييتا، سأتحمّل مسؤولية إيقاظ فرانك».

«آه، *مسؤولية!*»، قالت بسخرية شنيعة، وأدرَك جوني أخيراً أنها خائفة. كان الخوف يخرج منها بموجات مدوّية مثيرة للإشمئزاز - هذا ما كان يجعل صُداعه أسوأ. ألا يستطيع بانرمان أن يشعر به؟ «مس - ؤو - لية! أليست هذه كلمة كبيرة بالنسبة لك، يا إلهي، نعم! حسناً، لن أدعك توقظ

ابني في منتصف الليل يا جورج بانرمان، لكي تستطيع أنت و*معاوِنك الخاص* تصفّح أوراقك اللعينة!».

حاوَلت إغلاق الباب مرة أخرى، لكن بانرمان دفَعَه على مصراعيه هذه المرة. أظهَرَ صوته غضباً عارماً وتحته توتّر فظيع. «افتحي الباب يا هنرييتا حالاً، أنا لا أمزح».

«لا يمكنك فعل هذا!»، صاحت. «هذه ليست دولة بوليسية! أرني إذن التفتيش الذي معك!».

«لا، هذا صحيح، لكنني سأتكلَّم مع فرانك»، قال بانرمان ودفَعَها جانباً ودخل.

تبِعه جوني وهو بالكاد يُدرك ما الذي يفعله. حاولت هنرييتا دود إيقافه، لكنه أمسَك مِعصَمها - وغمرَ ألم فظيع رأسه قزَّم دويّ الصُداع. وشَعَرت المرأة بذلك هي أيضاً. بقيا يحدِّقان ببعضهما البعض للحظة بدت أنها لا تنتهي، وتبادلا تفاهماً مثالياً مريعاً. بدَوا ملتحمين ببعضهما خلال تلك اللحظة. ثم تراجَعت ممسكةً صدرها الشنيع.

«قلبي... قلبي...». راحت تبحث في جيب ردائها وأخرجت قارورة حبوب وقد تحوَّل وجهها إلى لون عجينة خام. نزعت غطاء القارورة وأوقعت حبوباً صغيرةً جداً على كل الأرض وهي تحاول وضع حبّة على راحة يدها. وضعتها تحت لسانها. وَقَف جوني يحدِّق فيها برعب مكتوم. شَعَر أن رأسه يشبه مثانة متورّمة مليئة بدم حار.

«كنتِ *تعرفين؟*»، همَس لها.

انفتح فمها البدين المجعَّد وانغلق، انفتح وانغلق، دون أن يخرج أي صوت منه. كان فم سمكة مرمية على الشاطئ.

«كنتِ *تعرفين* طوال هذه المدة؟».

«أنت شيطان!»، صرَخت به. «أنت وحش... شيطان... آه قلبي... آه، إنني أموت... أظن أنني أموت... اتصل بالطبيب... *لا تصعد إلى هناك يا جورج بانرمان وتوقظ طفلي!*».

أفلَتها جوني، وراح عن غير إدراك يفرك يده على معطفه ذهاباً وإياباً كما لو أنه يريد إزالة بقعة عنه، وتعثَّر على الدرجات خلف بانرمان. عصفت الرياح في الخارج حول طُنُف السقف مثل ولد تائه. في منتصف طريقه إلى أعلى، ألقى نظرة سريعة إلى الخلف. رأى هنرييتا دود جالسة على

كرسي مصنوع من أماليد مجدولة، أشبه بجبل لحم، تلهث وتُمسك ثدياً ضخماً في كل يد. بقي يشعر أن رأسه لا يزال يتورَّم وفكَّر بأسلوب حالم: *سيتفرقع قريباً جداً وستكون النهاية. الحمد لله.*

هناك سجادة قديمة رثّة تغطي أرضية الرواق الضيق، وورق الجدران مدموغ بعلامات مائية. كان بانرمان يطرق بقوة على باب مُغلق. الحرارة هنا أبرد بعشر درجات على الأقل.

«فرانك؟ فرانك! أنا جورج بانرمان! استيقظ يا فرانك!».

لم يكن هناك جواب. أدار بانرمان المسكة وفتح الباب. سقطت يده إلى عَقِب مسدّسه، لكنه لم يُشهره. كان يمكن أن يكون هذا خطأً مميتاً، لكن غرفة فرانك دود كانت فارغة.

وَقَف الاثنان عند المدخَل للحظة ينظران إلى الداخل. إنها غرفة ولد. ورق الجدران - المدموغ بعلامات مائية أيضاً - مغطى بمهرِّجين يرقصون وأحصنة هزّازة. وهناك كرسي صغير للأطفال تجلس عليه دمية قماشية تنظر إليهما بعينيها الفارغتين اللامعتين. في إحدى الزوايا صندوق ألعاب، وفي زاوية أخرى سرير ضيق من خشب القيقب الغطاء مرفوع عنه. ومعلَّقٌ فوق أحد أعمدة السرير ويبدو غير مناسب لأجواء الغرفة كان مسدَّس فرانك دود الموضوع في قِرابه.

«يا إلهي»، قال بانرمان بهدوء. «ما هذا؟».

«ساعدوني»، لعلع صوت السيدة دود. «ساعدوني...».

«كانت تعرف»، قال جوني. «عرَفت منذ البداية، منذ المرأة فريشيت. لقد أخبَرها. وتستَّرت عليه».

خرج بانرمان من الغرفة ببطء وفتح باباً آخر. ذُهلت عيناه وتألمتا. كانت غرفة نوم للضيوف، شاغرة. فتَح الخزانة ووجدها فارغة ما عدا من صينية أنيقة على الأرض عليها سمّ فئران. باب آخر. غرفة النوم هذه غير مُنجَزة وباردة كفاية لكي تظهر أنفاس بانرمان في الهواء. راح ينظر حوله. رأى باباً آخر عند أعلى السلالم. ذهَب إليه، وتبَعه جوني. هذا الباب مُقفل.

«فرانك؟ هل أنت في الداخل؟». حاول تحريك المسكة. «افتح يا فرانك!».

لم يكن هناك جواب. رفع بانرمان قدمه وركل الباب تحت المسكة مباشرة. سُمع صوت تحطّم بدا أن صداه تردَّد في رأس جوني مثل صفيحة فولاذية رُميت على أرضية مبلَّطة.

«يا إلهي»، قال بانرمان بصوت مختنِق. «فرانك».

استطاع جوني أن يرى فوق كتفه؛ استطاع أن يرى الكثير. كان فرانك دود يجلس على كرسي المرحاض المغلق غطاؤه عارياً ما عدا من معطفٍ واقٍ من المطر أسود لامع لفّه فوق كتفَيه؛ القبعة السوداء للمعطف الواقي من المطر (*قبعة جلاّد*، فكَّر جوني في سرّه) تدلّت إلى أعلى خزّان المرحاض مثل حجيرة سوداء متنافرة مفرَّغ منها الهواء. لقد تمكَّن بطريقة أو بأخرى من جزّ عنقه - لم يعتقد جوني أن هذا ممكنٌ - باستخدام علبة شفرات موضوعة على حافة المغسلة. إحدى الشفرات تلمع بخُبث على الأرض وقد طرَّزت بعض نقاط الدم طرفها. الدم من وريده الوداجي والشريان السُباتي المقطوعين مرشوش في كل مكان، وقد علقت أحواضٌ منه في طيّات المعطف الواقي من المطر الذي جُرَّ على الأرض. كان على ستارة الدُش المطبوعة عليه بطات تمشي حاملة مظلاّت فوق رؤوسها، وكان على السقف.

هناك لافتة متدلية حول عنق فرانك دود مكتوب عليها بأحمر شفاه: أعترف.

بدأ الألم في رأس جوني يزداد إلى مستويات شديدة لا يمكن تحمّلها. راح يتلمَّس طريقه بإحدى يديه ووجد عضادة الباب.

لقد عرَف، فكَّر في سرّه بشكل غير متماسك. *عرَف بطريقة ما عندما رآني. عرَف أن كل شيء انتهى. عاد إلى المنزل. وفعل هذا.*

غشي نظره بحلقات سوداء تنتشر مثل تموّجات شريرة.

يا لها من موهبة أعطتك إياها السماوات يا جوني.

(أعترف).

«جوني؟».

من مكان ناءٍ.

«جوني، هل أنت...».

يتلاشى. كل شيء يتلاشى. هذا جيد. وكان سيكون أفضل لو لم يستيقظ من الغيبوبة أبداً. أفضل للجميع. حسناً، لقد نال فرصته.

«- جوني -».

لقد صعد فرانك دود إلى هنا وتمكَّن بطريقة أو بأخرى من جزّ عنقه من الوريد إلى الوريد بينما العاصفة تدوّي في الخارج كما لو أن كل الأشياء الداكنة على كوكب الأرض تحرَّرت في آن واحد. تدفَّقت تدفقاً، على حد قول أبيه ذلك الشتاء منذ حوالي اثنتَي عشرة سنة عندما تجمَّدت الأنابيب في القبو وانفجرت. تدفَّقت تدفقاً. كم كان أمراً لعيناً. وصل الدفق إلى السقف.

صدَّق أنه ربما صَرَخ وقتها، لكنه لم يعد أكيداً بعد ذلك. ربما صَرَخ في ذهنه فقط. لكنه أراد أن يصرخ؛ أن يصرخ ملء صوته ويفرِّغ كل الرعب والشفقة والعذاب من قلبه.

ثم بدأ يقع في الظلمة، وشَعَر بالسرور من الذهاب. فقَدَ جوني وعيه.

15

من نيويورك تايمز، 19 ديسمبر 1975:

نفساني ماين يرشد المأمور

إلى منزل نائبه القاتل

بعد زيارته مسرح الجريمة

(خاص بالتايمز) قد لا يكون جون سميث من پاونال نفسانياً في الواقع، لكن المرء سيجد صعوبة في جعل جورج ف. بانرمان مأمور مقاطعة كاسل، ماين يصدِّق غير ذلك. فاليأس بعد وقوع سادس جريمة قتل في بلدة ماين الغربية الصغيرة كاسل روك دفع المأمور بانرمان إلى الاتصال هاتفياً بالسيد سميث والطلب منه القدوم إلى كاسل روك ليمدّ يد العون له، إذا أمكن. السيد سميث، الذي ذاع صيته سابقاً هذه السنة على صعيد البلاد كلها عندما استفاق من غيبوبة عميقة دامت خمسة وخمسين شهراً، وصفته المجلة الصفراء الأسبوعية *نظرة داخلية* بالمخادِع، لكن المأمور بانرمان صرَّح في مؤتمر صحفي عقده البارحة فقط، «نحن هنا في ماين لا نثق كثيراً بما يقوله أولئك المراسِلون الصحفيون في نيويورك».

وفقاً للمأمور بانرمان، زحَف السيد سميث على يديه ورُكبتَيه على مسرح جريمة القتل السادسة التي وقعت في مشاع بلدة كاسل روك، وخرج منه مصاباً بلسعة صقيع خفيفة ومكتشفاً اسم

القاتل - فرانكلين دود نائب المأمور، الذي توظَّف في مخفر كاسل روك منذ خمس سنوات، وهي نفس مدة انتخاب بانرمان نفسه مأموراً.

سابقاً هذه السنة، أثار السيد سميث جدلاً في ولايته الأم عندما تراءت له صورة نفسانية بأن منزل معالِجته الفيزيائية يحترق. تبيَّن لاحقاً أن الصورة صحيحة تماماً. وخلال مؤتمر صحفي عُقد بعد ذلك، تحدّاه مراسِل صحفي أن...

من نيوزويك، الصفحة 41، أسبوع 24 ديسمبر 1975:

هوركوس الجديد

قد يكون أول نفساني أصلي منذ بيتر هوركوس يُكتشَف في هذا البلد - كان هوركوس العرّاف الألماني الولادة الذي يستطيع إخبار السائل كل جوانب حياته الشخصية بمجرّد لمس يده أو أواني فضية أو أغراض من حقيبة يده.

جون سميث شابّ خجول ومتواضع من بلدة پاونال في جنوب وسط ماين. استعاد وعيه سابقاً هذه السنة بعد أكثر من أربع سنوات في غيبوبة عميقة نتيجة تعرّضه لحادث سيارة (راجع الصورة). وفقاً لطبيب الأمراض العصبية المسؤول عن حالته ساموِيل وايزاك، حقَّق سميث «شفاءً مذهِلاً تماماً». وهو يتماثل للشفاء اليوم من لسعة صقيع خفيفة وفقدان وعي كلي دام أربع ساعات بعد حلّه الغريب لعدة جرائم قتل بقيت غير محلولة لفترة طويلة في بلدة...

27 ديسمبر 1975

عزيزتي سارة،

فرحتُ وأبي برسالتك التي وصلتنا بعد ظهر اليوم. أنا بخير حقاً، لذا يمكنك التوقف عن القلق، اتفقنا؟ لكنني أشكرك على اهتمامك. لقد بالغت الصحافة بمسألة «لسعة الصقيع» كثيراً. مجرّد بقعتين على رؤوس ثلاثة أصابع في يدي اليسرى. وفقدان الوعي لم يكن حقاً سوى إغماء «سببه إرهاق عاطفي»، يقول وايزاك. نعم، جاء شخصياً وأصَرَّ على أن يأخذني إلى المستشفى في پورتلاند. مجرّد مراقبته يعمل تستحق تقريباً رسم الدخول. فقد تنمَّر عليهم لكي يعطوه غرفة للفحص وآلة لتخطيط الموجات الدماغية وتقنياً ليُجريه له. قال إنه لم يجد أي ضرر جديد في الدماغ أو علامات على ضرر تدريجي في الدماغ. يريد إخضاعي لسلسلة فحوص، يبدو بعضها استقصائياً تماماً - «ارتدّ أيها المُهرطِق وإلا سنُجري لك مسحاً آخر للدماغ!» (ها - ها، ولا تزالين تتعاطَين

ذلك الكوكايين الخبيث يا عزيزتي؟). على أي حال، رفضتُ العرض الكريم بأن يُقحموا أنبوباً تفتيشياً آخر فيَّ. أبي حانق جداً مني لرفضي الفحوص الإضافية، ويستمر بمحاولة إقامة صلة بين رفضي لها ورفض أمي تناول دواء ارتفاع ضغط دمها. من الصعب جداً جعله يرى أنه حتى لو وجد وايزاك شيئاً فإن احتمال عدم تمكّنه من فعل أي شيء له هو تسعين بالمئة.

نعم، رأيتُ مقال نيوزويك. صورتي فيه مأخوذة من المؤتمر الصحفي، وقد اقتطعوا منها فقط لا غير. لا أبدو أبداً شخصاً ستودّين أن تصادفيه في زقاق مظلم، أليس كذلك؟ ها - ها! يا للهول (مثلما تحبّ صديقتك آنْ سترافورد أن تقول دائماً)، لكن أتمنّى لو أنهم لم ينشروا ذلك المقال. لقد عادت الطرود والبطاقات والرسائل تصلني مرة أخرى. لم أعد أفتح أي واحد منها بعد الآن إلا إذا تعرَّفتُ على عنوان المرسِل، وأدوِّن عليها ببساطة «إعادة إلى المرسِل». إنها مثيرة للشفقة كثيراً، ومليئة بكثير من الآمال والكره والتصديق والشكّ، وذكَّرتني كلها نوعاً ما بالطريقة التي كانت أمي تتصرَّف بها.

حسناً، لم أقصد أن أبدو كئيباً، فالوضع ليس سيئاً جداً. لكنني لا أريد أن أكون نفسانياً ممارِساً، أو أن أقوم بجولات أو أظهر على التلفزيون (حصل بعض الفظّين في NBC على رقمنا الهاتفي، لا أعرف كيف، وأرادوا معرفة إن كنتُ أريد «المشاركة في برنامج كارسون التلفزيوني». فكرة رائعة، أليس كذلك؟ يستطيع دونْ ريكلز إهانة بعض الناس، وتستطيع ممثلة ناشئة إظهار ثدييها، ويمكنني إجراء بضعة توقّعات. كل ذلك برعاية تجّار الأغذية). لا أريد أن أقوم بأيٍ من هذا الهراء. ما أتطلّع إليه حقاً هو العودة إلى كليفز ميلز وأن أتوه في غياهب النسيان كمدرِّس لغة إنكليزية. وأوقّر الومضات النفسانية للتجمهُرات الحماسية لمباريات كُرة القدم.

أظن أن هذا كل شيء حتى الساعة. أتمنى لكِ ووالت ودينيه احتفال شتاء ممتعاً وأنتظر بلهفة (مما قلتِه أنا متأكد أن والت مثلي، بالحد الأدنى) سنة الانتخابات في الذكرى المئوية الثانية الممتدّة أمامنا الآن. سرنّي سماع أنهم اختاروا زوجك ليترشَّح لمقعد الولاية في مجلس الشيوخ، لكن لنأمل خيراً، فالعام 1976 لا يبدو عاماً جيداً لمحبي الأفيال. أرسلي شكرك على ذلك إلى سان كليمنتي.

يرسل لك أبي تحياته ويريدني أن أشكرك على صورة دينيه، والتي أعجبته حقاً. أرسل لك تحياتي أيضاً. شكراً لرسالتك، ولقلقك الذي في غير محله (الذي في غير محله، لكن المرحَّب به كثيراً). أنا بخير، وأتطلّع إلى العودة إلى السخرة.

مع حبي وأطيب تمنياتي،

جوني،

ملاحظة: للمرة الأخيرة يا صغيرتي، أقلعي عن الكوكايين.

29 ديسمبر 1975

عزيزي جوني،

أظن أن هذه أصعب رسالة اضطررتُ أن أكتبها طوال السنوات الست عشرة لإدارتي المدرسة - ليس فقط لأنك صديق عزيز بل لأنك أستاذ جيد أيضاً. من المُحال أن أضيف زخرفةً غير ضرورية إلى هذا، لذا أظن أنني لن أحاول حتى.

عُقد اجتماع خاص لمجلس المدرسة ليلة أمس (بناءً على طلب عضوَين لن أسمِّيهما، لكنهما كانا في المجلس عندما كنتَ تدرِّس هنا وأعتقد أنه يمكنك التكهّن مَن هما على الأرجح)، وصوَّتوا 5-2 لصالح أن يُلغى عقدك. السبب: أنت مثير للجدل جداً لكي تكون فعّالاً كمدرِّس. أوشكتُ على تقديم استقالتي؛ كنتُ مشمئزاً إلى هذا الحدّ. أعتقد أنني كنتُ سأقدِّمها لولا مورين والأولاد. هذا الإحباط لا يماثل حتى إزالة «اهرب أيها الأرنب» أو «الحارس في حقل الشوفان» من المنهاج التعليمي. هذا أسوأ. هذا مقرف.

أخبَرتُهم ذلك، لكنني شعرتُ كما لو أنني أكلِّم جداراً. كل ما يمكنهم رؤيته هو أن صورتك ظهرت في نيوزويك ونيويورك تايمز وأن قصة كاسل روك وردت في أخبار المحطات الوطنية. أمر مثير للجدل جداً! خمس عجائز مقيَّدين بقيود حديدية، من صنف الرجال الذين يهتمّون بطول الشعر أكثر من اهتمامهم بالكتب التعليمية، من الذين يكترثون بمعرفة مَن يدخِّن الحشيشة من الأساتذة أكثر من اكتراثهم بكيفية الحصول على بعض المعدّات الحديثة للقسم العلمي.

لقد كتبتُ رسالة احتجاج لاذعة إلى مجلس الإدارة، وأظن أن بعض الضغط سيمكّنني من جعل إرفينغ فاينغولد يوقِّعها معي. لكنني سأكون أقل من صادق أيضاً إذا أخبَرتُك أن هناك أي أمل في جعل أولئك العجائز الخمسة يغيِّرون رأيهم.

نصيحتي الصادقة لك هي أن تستعين بمحامٍ يا جوني. لقد وقَّعتَ ذلك العقد بكل طيبة قلب، وأظن أنه يمكنك عصرَ آخر سنت من راتبك منهم، سواء دخلتَ قاعة تدريس كليفز ميلز أم لا. واتصل بي عندما ترغب أن نتحدَّث.

آسف من كل قلبي.

صديقك،

دايف پلسن

16

وَقَف جوني بجانب صندوق البريد ينظر غير مصدِّق إلى رسالة دايف التي يمسكها بيده. إنه اليوم الأخير من 1975، يوم صافٍ وقارس البرودة أخرَج أنفاسه من منخرَيه في خطوط دخان بيضاء.

«تباً»، همَس. «تباً».

بشكل خَدِر وهو لا يزال غير مستوعب الأمر كلياً، انحنى ليرى ما الذي أحضَره ساعي البريد أيضاً. كالعادة، كان الصندوق ممتلئاً كلياً. والحظ فقط هو الذي جعل طرف رسالة دايف ناتئاً في النهاية.

رأى ورقة بيضاء مرفرفة تُخبره بضرورة الاتصال بمكتب البريد لكي يستلم الطرود، الطرود المحتومة. زوجي هجرني عام 1969، إليك جاربيه، أخبِرني أين أجده لكي أتمكن من الحصول على نفقة الأولاد من الوغد. طفلي مات اختناقاً العام الماضي، إليك خشخيشته، راسلني رجاءً وأخبِرني إن كان سعيداً في السماوات. لم أُكمل واجباتي تجاهه لأن أباه لم يوافق على ذلك والآن الأسى يفطر قلبي. الابتهال الذي لا ينتهي.

يا لها من موهبة أعطتك إياها السماوات يا جوني.

السبب: أنت مثير للجدل جداً لكي تكون فعّالاً كمدرِّس.

راح يجرف الرسائل والمغلفات من الصندوق في تشنّج وحشي مفاجئ، موقعاً بعضها على الثلج. وبدأ الصُداع المحتوم يتشكَّل حول صدغَيه مثل سحابتين داكنتين تقتربان من بعضهما البعض ببطء لكي تطوّقاه بالألم. وبدأت دموع مفاجئة تسيل على خدّيه، وتجمَّدت في خطوط متألقة فوراً تقريباً في البرد الشديد القارس.

انحنى وبدأ يلملم الرسائل التي أوقعها؛ رأى واحدةً، تضاعَفت وتثلّثت صورتها في عينيه عبر مواشير دموعه، معنونة بقلم سميك داكن إلى جون سميث *العرّاف اللعين*.

العرّاف اللعين، هذا أنا. بدأت يداه ترتعشان بعنف وأوقعَ كل شيء، بما في ذلك رسالة دايف. رفرفت نزولاً مثل ورقة شجرة وحطَّت بجهة الطباعة إلى أعلى بين الرسائل الأخرى، كل الرسائل الأخرى. استطاع رؤية رأس الرسالة بين دموعه العاجزة، والشعار تحت المِشعل:

للتعليم، للتعلّم، للمعرفة، للخدمة.

«اخدموا مؤخرتي أيها الأوغاد الرخيصون»، قال جوني. وَقَع على رُكبتَيه وبدأ يلملم الرسائل بجرفها بقفّازيه. راحت أصابعه تؤلِمه مذكِّرةً إياه بلسعة الصقيع، مذكِّرةً إياه بفرانك دود ميتاً على مقعد المرحاض والدم يملأ شعره الأشقر المثالي. *أعترف*.

وقف حاملاً الرسائل وسمِع نفسه يتمتم مراراً وتكراراً، مثل أسطوانة مكسورة: «تقتلونني، أنتم تقتلونني يا ناس، دعوني وشأني، ألا يمكنكم أن تروا أنكم تقتلونني؟».

جَعَل نفسه يتوقف. هذا ليس سلوكاً سليماً. الحياة ستستمر. بطريقة أو بأخرى، الحياة ستستمر طبعاً.

بدأ جوني يعود إلى المنزل، وتساءل ماذا يمكنه أن يفعل الآن. ربما تخبئ له الأيام شيئاً. مهما يمكن من أمر، فقد حقَّق توقّع أمه. إذا كانت السماوات قد أعدّت مهمةً له، فقد أنجزها. لا يهمّ الآن أنها كانت مهمة انتحارية، لأنه أنجزها.

وقد اكتفى منها.

القسم الثاني
النمر الضاحك

الفصل السابع عشر

1

راح الفتى يقرأ ببطء متتبّعاً الكلمات بإصبعه وماطّاً رِجلَيه البنّيتين الطويلتين كلاعب بيسبول على الكرسي الطويل بجانب الحوض في الضوء الصافي الساطع ليونيو.

«‹بالطبع اليافع داني جو... جونيبر... اليافع داني جونيبر مات، وأظ... أظن أن هناك قلّة في العالم سيقولون إنه لم يس... يس...›، آه، تباً، لا أعرف».

«‹قلّة في العالم سيقولون إنه لم يستحق موته›»، قال جوني سميث. «هذه مجرّد طريقة لبقة أكثر للقول إن معظم الناس سيوافقون على أن موت داني هو شيء جيد».

كان تشاك ينظر إليه والمزيج المألوف من الأحاسيس يغمر وجهه اللطيف عادة: استمتاع، امتعاض، إحراج، ولمسة تجهُّم. ثم تنهَّد وأخفَض نظره إلى رواية ماكس براند مرة أخرى.

«‹لم يستحق موته. لكن مأس... مؤس...›».

«مأساتي»، ساعده جوني.

«‹لكن مأساتي الفظيعة هي أنه مات قبل أن يكفِّر عن بعض أعماله الشريرة بأن يُسدي خدمةً كبيرةً للعالم. طبعاً شعرتُ بالإش... بالإش... بالإش...›».

أغلق تشاك الكتاب ورفع نظره إلى جوني، وابتسم ابتسامة برّاقة.

«دعنا نتوقف لهذا اليوم يا جوني، ما رأيك؟». كانت ابتسامة تشاك أقوى نقاط فوزه، النقطة التي شدَّت على الأرجح المشجِّعات إلى سريره في كل أنحاء نيو هامبشاير. «ألا يبدو هذا الحوض

جذاباً؟ لا شكّ في ذلك. العرق يسيل على جسمك النحيل الذي يعاني من سوء التغذية».

لا مفرّ من أن يقرّ جوني - لنفسه على الأقل - أن الحوض يبدو جذاباً. فقد كان أول أسبوعين من صيف الذكرى المئوية الثانية 1976 حارّين ودبقَين بشكل غير اعتيادي». من خلفهما، على الجهة الأخرى للبيت الكبير الأبيض الدمِث، أتى الصوت المنوِّم لجزّازة العشب بينما راح نغو فات، البستاني الفييتنامي، يجزّ ما سمّاه تشاك الأربعين الأمامية. كان صوتاً يجعلك تريد أن تشرب كوبَي ليموناضة باردة ثم تنام.

«لا تعليقات ازدرائية عن جسمي النحيل»، قال. «كما أننا بدأنا الفصل للتو».

«بالتأكيد، لكننا قرأنا فصلين قبله». نبرة متملِّقة.

تنهَّد جوني. يصرّ عادة على تشاك مواصلة القراءة، لكن ليس بعد ظهر اليوم. فاليوم شقَّ الولد طريقه ببسالة عبر الحواجز التي أعَدّها جون شِربورن حول سجن أميتي وعبر الأفخاخ التي نصبها الصقر الأحمر الشرير وقتل داني جونيبر.

«نعم، حسناً، فقط أنهِ هذه الصفحة إذاً»، قال. «تلك الكلمة التي علقت عندها هي 'بالإشمئزاز'. لا تستخدم لسانك لقراءتها يا تشاك».

«رجل طيب!». عرُضت الابتسامة. «ولا أسئلة، صح؟».

«حسناً... ربما بضعة فقط».

تجهّم تشاك، لكنها خدعة؛ فقد تملَّص من درسه بسهولة وهو يعرف ذلك. أعاد فتح الكتاب الورقيّ الغلاف الذي عليه صورة مسلَّح يخترق مجموعة من روّاد المقصف واستأنف القراءة بصوته البطيء المتردّد... صوت مختلف عن صوته العادي لدرجة أنه يمكن الظنّ أنه يخصّ شابّاً مختلفاً كلياً.

«'طبعاً شعرتُ بالإش... بالإشمئزاز فوراً. لكنه... لا شيء بالمقارنة مع ما انتظَرني بجانب سرير المسكين توم كَني... كَنيون. فقد اخترقت رصاصة جسمه وكان يجفّ بسرعة عندما أ...'».

«يُحتضَر»، قال جوني بهدوء. «السياق يا تشاك. اقرأ وفق السياق».

«يُحتضَر بسرعة»، قال تشاك وقهقه. ثم استأنَف: «‘... وكان يُحتضَر بسرعة عندما وص... عندما وَصَلتُ›»».

شَعَر جوني بحزن كبير على تشاك وهو يراقب الفتى محدَّباً فوق النسخة الورقيّة الغلاف لرواية *الدماغ الناريّ*، رواية رعاة بقر جيدة كان يجب أن تُقرأ بكل سهولة - بدلاً من ذلك، ها هو تشاك يتتبَّع نثر ماكس براند البسيط بإصبع يتحرَّك بإرهاق. أبوه، روجر تشاتسْوورث، يملك مصانع نسيج تشاتسْوورث، وهي شركة مهمة جداً في نيو هامبشاير الجنوبية. يملك هذا المنزل المؤلف من ست عشرة غرفة في دورهام والذي يضم خمسة موظفين، من بينهم نغو فات الذي يذهب إلى پورتسموث مرةً في الأسبوع ليحضر حصص نيل الجنسية الأميركية. يقود تشاتسْوورث كاديلاك مجدَّدة ذات سقف قابل للطيّ موديل 1957. وتقود زوجته، وهي امرأة طيبة القلب صافية العينين في الثانية والأربعين من عمرها، سيارة مرسيدس. ويقود تشاك سيارة كورفيت. تُقدَّر ثروة العائلة بخمسة ملايين دولار.

غالباً ما فكَّر جوني في سرّه أن المجتمع يعتبر تشاك، في السابعة عشرة من عمره، مخلوقاً متكامل المزايا. فهو إنسان جميل جسدياً. طوله مئة وثمانية وثمانين سنتيمتراً ووزنه ستة وثمانون كيلوغراماً من العضلات. وجهه ربما ليس مثيراً للاهتمام كفاية ليكون وسيماً حقاً، لكنه خالٍ من حبّ الشباب والبثور وتزّينه عينان خضراوان - مما جعل جوني يُدرك أن الشخص الآخر الوحيد الذي يعرفه ولديه عينان خضراوان حقاً هي سارة هازليت. يُعدّ تشاك بطل مدرسته الثانوية، إلى حد يبعث على السخرية تقريباً. كان قائد فريقي البيسبول وكُرة القدم، ورئيس صفّه المدرسي خلال السنة الدراسية التي انتهت للتو، والرئيس المنتخَب لمجلس الطلبة في هذا الخريف القادم. وأكثر ما يدهش بين كل تلك الأمور هو عدم دخول أي شيء من كل ذلك في رأسه. وفق كلمات هيرب سميث، الذي حزِن ذات مرة عندما تفقَّد الطالب المجتهد الجديد لجوني، كان تشاك «شابّاً عادياً». لا يملك هيرب رتبةً أعلى من ذلك في معجمه. بالإضافة إلى ذلك، سيصبح يوماً ما شابّاً عادياً غنياً جداً.

وها هو يجلس هنا منحنٍ بتجهّم فوق كتابه مثل جندي مدفعية وحيد في موقع بعيد يُطلق النار على الكلمات الواحدة تلو الأخرى كلما هاجمته. لقد أخذ رواية ماكس براند المشوِّقة والسريعة الوتيرة التي تروي قصة جون «الدماغ الناريّ» شِربورن الهائم ومواجهته مع الصقر الأحمر، الهندي الأحمر من قبيلة الكومانتش الخارج عن القانون، وحوَّلها إلى شيء بدا بنفس درجة تشويق إعلانٍ تجاريٍ عن أشباه الموصِّلات أو مكوّنات الراديو.

لكن تشاك لم يكن غبياً. فعلاماته في مادة الرياضيات جيدة، وذاكرته قوية، وهو ماهر يدوياً. مشكلته هي أنه يجد صعوبة كبيرة في تخزين الكلمات المطبوعة. معجمه الشفهي ممتاز، ويمكنه استيعاب الطريقة الصوتية في تعلّم القراءة والكتابة لكن ليس أساليب تطبيقها على ما يبدو؛ فيتمكن أحياناً من سرد جملة بأكملها دون أي خطأ ثم لا يجد شيئاً ليقوله عندما تطلب منه إعادة صياغتها. خشي أبوه أن يتبيَّن أنه يعاني من عُسر القراءة، لكن جوني لم يظن ذلك - فهو لم يلتقِ أبداً ولداً يعاني من عُسر القراءة حقاً، رغم أن العديد من الأهل يختبئون وراء هذا المصطلح ليشرحوا أو يبرّروا المشاكل في القراءة التي يعاني منها أولادهم. بدت مشكلة تشاك عامة أكثر - رُهاب شامل من القراءة.

أصبحت المشكلة جليّة أكثر فأكثر في السنوات الخمسة الأخيرة من تعليم تشاك، لكن والديه بدأا - وتشاك أيضاً - يأخذونها محمل الجدّ فقط عندما تعرَّضت جدارته الرياضية للخطر. وهذا ليس أسوأ ما في الأمر. هذا الشتاء سيكون آخر فرصة حقيقية لكي ينجح تشاك في اختبارات الكفاءة الدراسية، إذا كانت يتوقَّع بدء دراسته في الكلّية في خريف 1977. لم تكن الرياضيات مشكلةً تُذكَر، لكن بقية الامتحان... حسناً... فقط لو تُقرأ له الأسئلة بصوتٍ عالٍ، سينال علامة متوسطة إلى جيدة. خمسمئة مضمونة. لكنهم لا يسمحون لك بإحضار قارئ معك عندما تخضع للامتحانات، حتى لو كان أبوك شخصية مرموقة ومهمة في عالم أعمال نيو هامبشاير.

«'لكنني وجَدتُه رجلاً متغـ... متغيّراً. يعرف ما ينتظره وشجاعته را... را... رائعة. لا يطلب أي شيء؛ لا يندِم على أي شيء. كل الرعب والتو... التوتّر الذي تملـ... تملـ... *تملَّكه* منذ أن واجـ... واجـ... واجمنه... *واجَهه* قدر مجهول...'».

كان جوني قد رأى الإعلان الذي يطلب مدرِّساً خصوصياً في صحيفة ماين تايمز وتقدَّم للوظيفة دون أمل كبير. لقد انتقَل إلى كيتيري في منتصف فبراير، وهو بأمسّ الحاجة ليبتعد عن پاونال، عن صندوق البريد الممتلئ كل يوم، عن المراسِلين الصحفيين الذين يتوافدون إلى المنزل بأعداد متزايدة باستمرار، عن النساء المتوتّرات ذوات العيون المجروحة اللواتي «يزرن المنزل» لأنه صدف أنهن «كنَّ في الحي» (إحدى اللواتي زرن المنزل لأنها صدفت أن كانت في الحي تملك لوحة رقم سيارة من ولاية ميريلاند؛ وأخرى كانت تقود فورد قديمة ذات لوحة من ولاية أريزونا). أيديهن تمتدّ لتلمسه...

في كيتيري، اكتشَف لأول مرة أن اسماً عاماً مثل جون - لا حرف وسطي - سميث له حسناته. ففي يومه الثالث في البلدة، قدَّم طلباً إلى وظيفة طبّاخ وجبات سريعة، ودوَّن عليه تجربته

في مشاع جامعة ماين وطبخه ذات صيفٍ في مخيَّم للفتيان في بحيرات رانغلي كخبرة له. نظرت مالكة المطعم الصغير، وهي أرملة قاسية القلب تدعى روبي بيليتييه، إلى استمارته وقالت، «أنت مثقَّف قليلاً لكي تعمل مع لحم مفروم. أنت تعرف ذلك، أليس كذلك أيها الملاكم العنيف؟».

«هذا صحيح»، قال جوني. «ذهَبتُ وثقَّفتُ نفسي خارج سوق العمل».

وَضَعت روبي بيليتييه يديها على وركَيها الهزيلين، ورمت رأسها إلى الخلف، وانفجرت ضاحكةً. «هل تعتقد أنه يمكنك تمالك أعصابك عند الثانية بعد منتصف الليل عندما يدخل اثنا عشر راعي بقر فجأة ويطلبون بيضاً مخفوقاً ولحماً مقدَّداً ونقانق وخبزاً محمَّصاً فرنسياً وفطائر؟».

«أظن ذلك»، قال جوني.

«أظن أنك لا تعرف عما أتكلَّم بعد»، قالت روبي، «لكنني سأعطيك فرصة أيها الفتى الجامعي. اذهب واخضع لفحص طبي تماشياً مع قوانين وزارة الصحة وأعد لي نتائج نظيفة. سأوظّفك فوراً».

فعل ذلك، وبعد أول أسبوعين متهوِّرين (تضمَّنا ظهور بثور مؤلمة على يده اليمنى جرّاء رمي سلة بطاطا مقلية في حوض دهن مغلي بسرعة زائدة قليلاً)، كان يسيطر على وظيفته وليس العكس. وعندما رأى إعلان تشاتسْوورث، أرسَل سيرته الذاتية إلى رقم الصندوق وقد أورد فيها شهاداته المميزة، ومن بينها حضوره فصلاً دراسياً واحداً عن صعوبات التعلُّم ومشاكل القراءة.

في أواخر أبريل، وبينما كان ينهي شهره الثاني في المطعم الصغير، تلقى رسالة من روجر تشاتسْوورث يطلب منه فيها الحضور لإجراء مقابلة في 5 مايو. أجرى الترتيبات الضرورية ليأخذ ذلك اليوم إجازةً، وعند 2:10 بعد ظهر يوم ربيعي جميل، كان يجلس في مكتب تشاتسْوورث حاملاً بيده كوب بيبسي كولا طويلاً مليئاً بمكعبات ثلج، ويستمع إلى ستيوارت يتكلَّم عن مشاكل ابنه في القراءة.

«هل يبدو لك هذا عُسر قراءةٍ؟»، سأل ستيوارت.

«لا. بل يبدو رُهاباً عاماً من القراءة».

جفَل تشاتسْوورث قليلاً. «متلازمة جاكسون؟».

تعجَّب جوني - مثلما يُفترَض به بلا شكّ. كان مايكل كاري جاكسون متخصصاً في القراءة والنحو من جامعة كاليفورنيا الجنوبية أثار ضجّة منذ تسع سنوات عند نشره كتاباً يدعى *القارئ الفطري*. يصف الكتاب مجموعة واسعة من مشاكل القراءة أصبحت تُعرَف منذ ذلك الحين بمتلازمة جاكسون. الكتاب جيدٌ إذا كنتَ تستطيع تخطي الكلام الأكاديمي المُبهَم الكثيف. وحقيقة أن تشاتسْوورث فعلَ ذلك أظهَرَ لجوني نسبةً جيدةً من التزام الرجل بحل مشكلة ابنه.

«شيء من هذا القبيل»، وافَقه جوني. «لكنك تفهم أنني لم ألتقِ ابنك بعد، أو أسمعه يقرأ».

«لديه متأخرات تعليمية من العام الماضي. الكتّاب الأميركيون، وتسعة أسابيع من التاريخ، وتربية مدنية، من بين الأشياء كلها. رسَب في امتحانه النهائي هناك لأنه لم يستطع قراءة الشيء البغيض. هل لديك شهادة أستاذ من نيو هامبشاير؟».

«لا»، قال جوني، «لكن من السهل الحصول على واحدة».

«وكيف ستتولّى الحالة؟».

شرح له جوني طريقته. الكثير من القراءة الشفهية من قِبل تشاك، مع التشديد على المواد العالية التأثير كروايات الخيال، والخيال العلمي، والغرب الأميركي، وقصص الأحداث. وأسئلة متواصلة عما قُرأ للتو. وتقنية استرخاء مشروحة في كتاب جاكسون. «أغلب المتفوِّقين يعانون أكثر من غيرهم»، قال جوني. «يبذلون جهوداً كبيرةً ويفاقمون المشكلة. إنه نوع من التأتأة الذهنية التي...».

«جاكسون يقول هذا؟»، قال تشاتسْوورث مقاطعاً بحدّة.

ابتسم جوني. «لا، أنا أقول هذا»، قال.

«حسناً. أكمل».

«أحياناً، إذا استطاع الطالب تفريغ ذهنه كلياً بعد القراءة ولم يشعر بالضغط ليُعيد فوراً إلقاء ما قرأه، يبدو أن الدارات تصفّي نفسها. وعندما يبدأ ذلك بالحصول، يبدأ الطالب بتحضير خط هجومه. إنه نوعٌ من التفكير الإيجابي...».

لمَعت عينا تشاتسْوورث. لقد أصاب جوني نقطةً حيويةً في فلسفته الشخصية - على الأرجح نقطة حيوية في معتقدات معظم الرجال العصاميين. «لا شيء ينجح مثل النجاح»، قال.

«حسناً، نعم. شيء من هذا القبيل».

«لكم من الوقت ستحتاج لتحصل على شهادة نيو هامبشاير؟».

«الفترة التي يحتاجون إليها لدراسة طلبي. أسبوعان، ربما».

«إذاً يمكنك أن تبدأ في العشرين من الشهر؟».

طرفت عينا جوني. «تعني أنك تقبل توظيفي؟».

«إذا كنتَ تريد هذه الوظيفة، فهي لك. يمكنك أن تقيم في المَضافة، وهذا سيُبعد الأنسباء اللعينين هذا الصيف، ناهيك عن أصدقاء تشاك - وأريده أن يشمّر عن ساعديه حقاً. سأدفع لك ستمئة دولار في الشهر، هذا ليس بالمبلغ الكبير، لكن إذا أحرز تشاك تقدّماً، سأدفع لك علاوةً كبيرةً. كبيرةً جداً».

خلعَ تشاتسْوورث نظّاراته وفركَ يده على وجهه. «أحبّ ابني يا سيد سميث. أريد الأفضل له فحسب. ساعدنا قليلاً إذا كنتَ تستطيع».

«سأحاول».

أعاد تشاتسْوورث ارتداء نظّاراته وأمسك سيرة جوني الذاتية مرة أخرى. «لم تدرِّس منذ وقت طويل. ألا توافقني الرأي؟».

ها قد فُتح الموضوع، فكَّر جوني في سرّه.

«بلى»، قال، «لكنني تعرَّضتُ لحادث».

انتقلت عينا تشاتسْوورث إلى الندبات على عنق جوني حيث تم إصلاح الأوتار جزئياً. «حادث سيارة؟».

«نعم».

«حادث سيئ؟».

«نعم».

«تبدو بخير الآن»، قال تشاتسْوورث. رمى السيرة الذاتية في جارورٍ، وهذه كانت نهاية الأسئلة. لذا بعد خمس سنوات، عاد جوني يدرِّس من جديد، رغم أن صفّه يضم طالباً واحداً فقط.

2

«‹أما بالنسبة لي، الذي تسـ... تسبَّبتُ بوفاته بشكل غـير مبـ... مباشر، فقد أمسك يدي بقبضة ضعيفة وابتسم مسا... مسامحته لي. كانت لحظة صعبة، ورحلتُ وأنا أشعر أنني سبَّبتُ أذى أكثر في العالم مما يمكنني أن أكـ... أكفِّر عنه›».

أغلق تشاك الكتاب بقوة. «هاكَ. آخر مَن يدخل حوض السباحة جبانٌ».

«مهلاً لحظة يا تشاك».

«آآآآآآآه...»، قال تشاك وهو يعاود الجلوس، وقد اكفهرّ وجهه في ما يسمّيه جوني في سرّه تعبيرَ *حان وقت الأسئلة اللعينة*. هيمنت شخصية تشاك المرِح الصبور على الأذى، لكن بإمكانه أحياناً رؤية تشاك آخر تحتها: المتجهِّم، القلِق، الخائف. الخائف كثيراً. لأنه عالم القرّاء، ويُعتبر الأميّون دينوصورات تسير بتثاقل في زقاق مظلم، وتشاك ذكي كفاية ليُدرك ذلك. وكان خائفاً جداً مما قد يحدث له عندما يعود إلى المدرسة هذا الخريف.

«مجرّد سؤالين يا تشاك».

«لماذا تكبُّد العناء؟ تعرف أنني لن أكون قادراً على الإجابة عليها».

«آه نعم. هذه المرة ستتمكن من الإجابة عليها كلها».

«لا أستطيع أبداً فهم ما أقرأه، لا شك أنك أصبحت تعرف ذلك الآن». بدا تشاك متجهِّماً وحزيناً. «حتى لا أعرف ما الذي يُبقيك معي، إلا إذا كان الطعام».

«ستتمكن من الإجابة على الأسئلة لأنها ليست عن الكتاب».

رفع تشاك رأسه وألقى نظرة سريعة عليه. «ليست عن الكتاب؟ لماذا تطرحها إذاً؟ ظننتُ...».

«فقط جارني في هذا، اتفقنا؟».

كان قلب جوني يخفق بسرعة وقوة، ولم يتفاجأ كلياً من إيجاد أنه خائف. فقد بدأ يخطِّط لهذا منذ وقت طويل، وينتظر الظرف المناسب له. وهذا أنسب ظرف يمكن أن يحدث معه. فالسيدة تشاتسْوورث لا تحوم حولهما بقلق فتجعل تشاك متوتراً أكثر بكثير. ولا أحد من أصدقائه يلهو في الحوض، مما يُخجله من القراءة بصوتٍ عالٍ مثل تلميذ في الصف الرابع. وأهم شيء هو أن أباه، وهو أكثر شخص في العالم يريد تشاك أن يرضيه، لم يكن هنا. كان في بوسطن لحضور اجتماع لجنة بيئة نيو إنغلاند حول تلوّث الماء.

من كتاب إدوارد ستاني نظرة عامة حول صعوبات التعلُّم:

«الفاعل، رُبرت ج.، يجلس في الصف الثالث لصالة سينما. كان الأقرب إلى الشاشة بأكثر من ستة صفوف، والوحيد الموجود في مكان يسمح له بمراقبة بدء حريق صغير في النفايات المتراكمة على الأرض. نهض رُبرت ج. وأخذ يصيح «ح - ح - ح - ح - ح -» بينما راح الآخرون خلفه يصرخون به لكي يجلس ويلزم الصمت».

«‹كيف أشعرك ذلك؟›، سألتُ رُبرت ج.».

«‹ألف سنة لا تكفي لكي أشرح كيف أشعرني ذلك›، أجاب. ‹كنتُ خائفاً، لكن حتى أكثر من ذلك، كنتُ مُحبَطاً. شَعَرتُ أنني غير مؤهل، أنني لا أستحق أن أكون من البشر. التأتأة تجعلني أشعر هكذا دائماً، لكنني شَعَرتُ الآن أنني عاجز أيضاً›».

«‹هل شَعَرتَ بشيء آخر أيضاً؟›».

«‹نعم، شَعَرتُ بالغيرة، لأن شخصاً آخر سيرى الحريق وسوف، أنت تعرف -›».

«‹ينال مَجد التبليغ عنه؟›».

«‹نعم، هذا صحيح. لقد رأيتُ الحريق يبدأ، كنتُ الوحيد. وكل ما أمكنني قوله هو ح - ح - ح - ح مثل أسطوانة مكسورة غبية. لا أستحق أن أكون من البشر هو أفضل وصف له›».

«‹وكيف تجاوزتَ العقبة؟›».

«‹اليوم السابق كان ذكرى ولادة أمي. وقد اشتريتُ لها نصف دزينة ورود من بائع الزهور. فوَقَفتُ هناك والجميع يصيحون بي وفكَّرتُ: سأفتح فمي وأصرخ ورود! بأعلى ما أستطيع. جهزَّتُ تلك الكلمة›».

«*ماذا فعلتَ عندها؟*».

«*فتَحتُ فمي وصَرَختُ حريق! بأعلى صوتي*».

لقد مرَّت ثماني سنوات منذ أن قرأ جوني هذا المقطع من مقدمة رواية ستاني، لكنه لم ينسه أبداً. ولطالما شَعَر أن الكلمة المفتاح في سرد رُپرت ج لما حصل هي *عاجز*. إذا شَعَرتَ أن الجماع الجنسي هو أهم شيء على كوكب الأرض في هذه اللحظة، فأنتَ تخاطر بزيادة العجز في عضوك الذكري عشرة أضعاف أو مئة ضعف. وإذا شَعَرتَ أن القراءة هي أهم شيء على كوكب الأرض...

«ما اسمك الوسطي يا تشاك؟»، سأل بشكل غير رسمي.

«مورفي»، قال تشاك مبتسماً ابتسامة صغيرة. «أليس سيئاً كثيراً؟ إنه كنية أمي قبل الزواج. قُل هذا لجاك أو آل، وسأضطر إلى إلحاق ضرر فادح بجسمك النحيل».

«لا تقلق»، قال جوني. «متى ذكرى ولادتك؟».

«8 سبتمبر».

بدأ جوني يطرح الأسئلة بشكل أسرع دون أن يعطي تشاك فرصة ليفكِّر - لكنها لم تكن أسئلة عليك أن تفكِّر فيها.

«ما اسم حبيبتك؟».

«بيث. أنت تعرف بيث يا جوني...».

«ما اسمها الوسطي؟».

ابتسم تشاك. «ألما. رهيب جداً، صح؟».

«ما اسم جَدّك الأبوي؟».

«ريتشارد».

«مَن تفضِّل في شرق الدوري الأميركي هذه السنة؟».

«اليانكيز. بكل سهولة».

«مَن تفضِّل أن يفوز بالرئاسة؟».

«أودّ رؤية جيري براون يفوز بها».

«هل تنوي تبديل تلك الكورفيت؟».

«ليس هذه السنة. ربما السنة القادمة».

«فكرة أمك؟».

«بالتأكيد. تقول إنها تُقلق راحة بالها».

«كيف تجاوز الصقر الأحمر الحرّاس وقتلَ داني جونيبر؟».

«لم ينتبه شِربورن جيداً لذلك الباب الأفقي الذي يؤدّي إلى عليّة السجن»، قال تشاك بحزم ودون تفكير، وشَعَر جوني بموجة انتصار مفاجئة تغمره كله. لقد نجح. لقد جعل تشاك يتكلَّم عن الورود، ويُجيب صارخاً حريق بأعلى صوته!

كان تشاك ينظر إليه بتفاجؤ كليّ تقريباً.

«دخلَ الصقر الأحمر العليّة عبر المَنوَر. فتح الباب الأفقي بركله. أطلق النار على داني جونيبر. وأطلق النار على توم كَنيون أيضاً».

«هذا صحيح يا تشاك».

«لقد تذكَّرتُ»، تمتمَ ثم رفع نظره إلى جوني بعينين شاخصتين، وبدأت ابتسامة ترتسم على أطراف فمه. «لقد خَدَعتني حتى أتذكَّر!».

«لقد أمسكتُك بيدك فحسب وقدتُك حول الشيء الذي كان يعيق طريقك طوال هذا الوقت»، قال جوني. «لكن مهما يكن ذلك الشيء فهو لا يزال هناك يا تشاك. لا تكذب على نفسك. مَن الفتاة التي أحبّها شِربورن؟».

«كانت...». تلبَّدت عيناه قليلاً، وهزَّ رأسه على مضض. «لا أتذكَّر». ضرَب فخذه بشراسة مفاجئة. «لا يمكنني أن أتذكَّر *أي شيء*! أنا غبي لعين!».

«هل يمكنك أن تتذكَّر أن أباك وأمك أخبراك يوماً كيف تعرّفا على بعضهما؟».

رفعَ تشاك نظره إليه وابتسم قليلاً. كانت هناك بقعة حمراء غاضبة على فخذه حيث ضرَب نفسه. «بالتأكيد. كانت تعمل لدى أڤيس في تشارلستون، كارولاينا الجنوبية. أجَّرت أبي سيارة ذات عجلة مثقوبة». ضحِك تشاك. «لا تزال تدّعي أنها تزوَّجته فقط لأن الشركة التي تحتلّ المرتبة الثانية تبذل جهداً أكبر».

«ومَن كانت الفتاة التي اهتمّ شِربورن لأمرها؟».

«جيني لانغهورن. سبَّبت له متاعب كبيرة. إنها حبيبة غريشام. حمراء الشعر. مثل بيث. هي...»، ثم سكتَ وراح يحدِّق في جوني كما لو أنه أخرجَ أرنباً من جيب قميصه. «لقد نجحتَ مرة أخرى!».

«لا. أنتَ الذي نجحتَ. إنها خدعة بسيطة بالتضليل. لماذا تقول إن جيني لانغهورن سبَّبت متاعب كبيرة لجون شِربورن؟».

«حسناً، لأن غريشام الرأس الكبير هناك في تلك البلدة...».

«أي بلدة؟».

فتحَ تشاك فمه لكن لم يخرج شيء منه. أشاح بنظره فجأة عن وجه جوني وراح ينظر إلى الحوض. ثم ابتسم وعاد والتفَت إليه. «أميتي. نفس البلدة كما في فيلم *الفكّ المفترس*».

«جيد! كيف توصَّلت إلى الاسم؟».

ابتسم تشاك. «هذا يبدو غير منطقي أبداً، لكنني بدأتُ أفكِّر بمحاولة الانضمام إلى فريق السباحة، وجاءني الاسم. يا لها من خدعة. يا لها من خدعة رائعة».

«حسناً. أعتقد أن هذا يكفي لليوم». شَعَر جوني بالتعب والإرهاق، وبسرور كبير. «لقد حقَّقتَ تقدّماً باهراً للتو، في حال لم تلاحظ. هيا نسبح. آخر مَن يدخل حوض السباحة جبانٌ».

«جوني؟».

«ماذا؟».

«هل سينجح هذا دائماً؟».

«إذا عوَّدت نفسك عليه، نعم»، قال جوني. «وكلما درتَ حول ذلك الحاجز بدلاً من محاولة الاصطدام به واختراقه، ستجعله أصغر قليلاً. أعتقد أنك ستبدأ برؤية تحسُّن في قراءتك كلمةً كلمةً عاجلاً أيضاً. أعرف بضع خدع صغيرة أخرى. صمَت. ما أعطى تشاك للتو هو أقل من الحقيقة وأشبه باقتراح منوِّم مغنطيسياً.

«شكراً»، قال تشاك. لقد زال قناع روح الدعابة الصبورة على الأذى منذ زمن طويل وحلّ محله امتنانٌ صرفٌ. «إذا جعلتني أتخطى هذا، سوف... حسناً، أظن أنني سأنحني وأقبِّل قدمَيك إذا أردتني أن أفعل ذلك. أخاف كثيراً أحياناً لدرجة أنني أشعر كما لو أنني أخذل أبي...».

«تشاك، ألا تعرف أن هذا جزءٌ من المشكلة؟».

«حقاً؟».

«أجل. أنت... أنت تبالغ في الضغط على نفسك. تتطلَّب منها كثيراً. ولعِلمك، قد لا يكون العائق نفسياً فقط. هناك أشخاص يعتقدون أن بعض مشاكل القراءة، متلازمة جاكسون، رُهاب القراءة، كل تلك الأمور، قد تكون نوعاً من... وَحمة ذهنية. دارة معطوبة، مُرحِّل معيوب، م...»، أطبَقَ فمه فجأة.

«ماذا؟»، سأل تشاك.

«منطقة ميتة»، قال جوني ببطء. «لا عليك. الأسماء لا تهمّ بل النتائج. خدعة التضليل ليست حقاً خدعةً أبداً. إنها تدريب جزء محروث وغير مزروع من دماغك على إنجاز وظيفة ذلك القسم المعيوب الصغير. معنى هذا بالنسبة لك هو بدء حبل أفكار شفهية كلما واجهتك عقبة. ما تفعله في الواقع هو تغيير المكان في دماغك الذي تأتي منه فكرتك. إنه يشبه نقل القلم إلى يدك الأخرى».

«لكن هل يمكنني فعل ذلك؟ هل تعتقد أنه يمكنني فعل ذلك؟».

«أعرف أنه يمكنك فعل ذلك»، قال جوني.

«حسناً. سأفعله إذاً». غطسَ تشاك في الحوض ثم خرج فوق سطحه وراح يهز الماء من شعره الطويل في سلسلة قطرات صغيرة. «هيا اقفز! الماء منعش!».

«سأفعل»، قال جوني، لكنه كان مسروراً في الوقت الحاضر بمجرّد الوقوف بجانب الحوض يراقب تشاك يسبح بقوة نحو قعر الحوض العميق لكي يتذوَّق طعم هذا النجاح. لم ينتابه

هكذا شعور جيد عندما عرَف فجأة أن الستائر في مطبخ آيلين ماغاون تحترق، لم ينتابه هكذا شعور جيد عندما كشَف اسم فرانك دود. إذا كانت السماوات قد أعطته موهبة فهي موهبة التدريس وليست موهبة معرفة الأشياء التي لا يحقّ له معرفتها. هذا هو صنف الأشياء التي خُلق من أجلها، وقد عرَف ذلك عندما كان يدرِّس في كليفز ميلز عام 1970. والأهم هو أن الأولاد عرفوا ذلك وتجاوبوا معه، مثلما فعل تشاك الآن للتو.

«هل ستبقى واقفاً هناك كالأحمق؟»، سأل تشاك.

غطَس جوني في الحوض.

الفصل الثامن عشر

1

خرَج وارن ريتشاردسون من مبنى مكتبه الصغير عند الخامسة إلا رُبعاً على جري عادته. سار نحو مرأب السيارات ورمى كيلوغراماته التسعين خلف مِقوَد سيارته الشيفروليه كابريس وشغَّل المحرِّك. كل ذلك وفق روتينه. لكن الذي لم يكن وفق روتينه هو الوجه الذي ظهر فجأة في مرآة الرؤية الخلفية - وجه ذو بشرة زيتونية اللون مؤطَّر بشعر طويل وعينين خضراوين مثل عينَي سارة هازليت أو تشاك تشاتسْوورث. لم يشعر وارن ريتشاردسون بهذا القدر من الخوف منذ صغره، وقفزَ قلبه قفزةً كبيرةً في صدره.

«مراحب»، قال صاني إيليمان وهو يرتفع عن المقعد الخلفي.

«مَن...» هي الكلمة الوحيدة التي استطاع ريتشاردسون قولها، وقد نطقها بصوت مرتعب. راح قلبه يخفق بسرعة وقوة لدرجة أن بُقعاً داكنةً أخذت تتراقض أمام عينيه في إيقاع مع نبضات قلبه. خشي أن يُصاب بنوبة قلبية.

«اهدأ»، قال الرجل الذي كان يختبئ على مقعده الخلفي. «اهدأ يا رجل. هوِّن على نفسك».

انتاب وارن ريتشاردسون إحساسٌ منافٍ للعقل. كان الشعور بالامتنان. الرجل الذي أخافه لم يكن سيخيفه بعد الآن. لا شك أنه رجل لطيف، لا شك أنه -

«مَن أنت؟»، تمكَّن من أن يقول هذه المرة.

«صديق»، قال صاني.

بدأ ريتشاردسون يستدير وقبضت أصابعٌ صلبةٌ كالكمّاشة على طرف عنقه المترهِّل. يا له من ألم مبرح. راح ريتشاردسون يأخذ أنفاسه في نحيب متشنِّج متصاعد.

«لستَ بحاجة إلى أن تستدير يا رجل. يمكنك رؤيتي بالقدر الذي تحتاج إلى رؤيتي به في مرآة الرؤية الخلفية. واضح؟».

«نعم»، لَهَث ريتشاردسون. «نعم نعم نعم، فقط أفلتني».

بدأت الكمّاشة ترخي قبضتها، وشَعَر مرة أخرى بذلك الامتنان غير المنطقي. لكنه لم يعد يشكّ أن الرجل الجالس على المقعد الخلفي خطيرٌ، أو أنه دخل هذه السيارة عمداً رغم أنه لا يمكنه التفكير بسبب يجعل أي شخص -

ثم استطاع أن يجد سبباً يجعل شخصاً يفعل ذلك، أو على الأقل يحاول فعل ذلك، لم يكن من صنف الأشياء التي تتوقعها من أي مرشّح عادي للمنصب، لكن غريغ ستيلسون ليس شخصاً عادياً، غريغ ستيلسون رجل مجنون، و -

بهدوء كبير، بدأ وارن ريتشاردسون ينتحب.

«عليَّ التحدّث معك يا رجل»، قال صاني. كان صوته لطيفاً ونادماً، لكن عينيه الخضراوين تألّقتا متعةً في مرآة الرؤية الخلفية. «عليَّ أن أعاتبك عتاباً شديداً».

«إنه ستيلسون، أليس كذلك؟ إنه...».

انقبضت الكمّاشة مرة أخرى فجأة، وانغرست أصابع الرجل في عنقه، وزعق ريتشاردسون زعيقاً حادّاً.

«لا أسماء»، قال له الرجل الفظيع الجالس على المقعد الخلفي بنفس ذلك الصوت اللطيف لكن النادم. «استنتج كيفما تشاء يا سيد ريتشاردسون، لكن احتفظ بالأسماء لنفسك. إبهامي فوق شريانك السُباتي وأصابعي فوق شريانك الوداجي، ويمكنني تحويلك إلى نبتة لفت بشرية لو أردتُ».

«ماذا تريد؟»، سأل ريتشاردسون. لم يئنّ تماماً، لكنه أوشك أن يفعل ذلك؛ لم يشعر في حياته كلها بهكذا رغبة بالأنين. لا يمكنه تصديق أن هذا يحصل في مرأب السيارات خلف مكتبه العقاري في عاصمة نيو هامبشاير في يوم صيفي مشرق. يمكنه رؤية الساعة المثبَّتة بالطوب الأحمر لبرج البلدية. إنها الخامسة إلا عشر دقائق. نورما في المنزل الآن تضع قطع اللحم المكسوة بفتات الخبز

في الفرن لشوائها، وشون يشاهد برنامج افتح يا سمسم على التلفزيون. وهناك رجل خلفه يهدِّده بقَطْع انسياب الدم إلى دماغه وتحويله إلى أحمق. لا، هذا ليس حقيقياً؛ إنه أشبه بكابوس. من صنف الكوابيس التي تجعلك تئنّ في نومك.

«لا أريد أي شيء»، قال صاني إيليمان. «المسألة برمّتها هي ما تريده أنت».

«لا أفهم عما تتكلّم». لكنه كان خائفاً جداً من أنه يفهم تماماً.

«ذلك المقال في صحيفة نيو هامبشاير جورنال عن الصفقات العقارية المضحكة»، قال صاني. «لا شك أنك أخبرتهم الكثير يا سيد ريتشاردسون، أليس كذلك؟ خاصة عن... أشخاص محدَّدين».

«أنا...».

«تلك الأمور عن المركز التجاري في العاصمة، مثلاً، وتلميحها إلى وجود رشاوى وعمولات ويدٌ تغسل أخرى. كل ذلك *الهُراء*». اشتدّت الأصابع على عنق ريتشاردسون مرة أخرى، وراح يئنّ هذه المرة. لكن اسمه لم يُذكَر في المقال، بل أُشير إليه كـ «مصدر مطّلع» فقط. كيف عرفوا؟ كيف عرَف غريغ *ستيلسون*؟

بدأ الرجل الجالس خلفه يتكلَّم بسرعة في أذن وارن ريتشاردسون، بأنفاسه الدافئة والمدغدِغة.

«هل تعلم أنه يمكنك إيقاع بعض الأشخاص في متاعب كبيرة عند نشر هُراء كهذا يا سيد ريتشاردسون؟ أشخاص مرشَّحون لمناصب عامة مثلاً. وذلك الترشّح يشبه لعبة البريدج، مفهوم؟ أنت غير محصّن. يستطيع الناس رمي وحول على الآخرين وستلتصق بهم، خاصة هذه الأيام. لم تحصل أي متاعب بعد. يسرّني إخبارك ذلك، لأنه لو *وقعت* متاعب، لكنتَ تجلس هنا تُخرج أسنانك من أنفك بدلاً من إجراء حديث لطيف معي».

رغم خفقان قلبه السريع، رغم خوفه، قال ريتشاردسون: «هذا... هذا الشخص... الرجل، أنت مجنون إن كنتَ تعتقد أنه يمكنك حمايته. لقد قام بخطوته بسرعة فائقة مثل بائع متجوّل مخادع في بلدة جنوبية. عاجلاً أم آجلاً...».

اقتحم إبهامٌ أذنه بعنف. كان الألم هائلاً، لا يُصدَّق. ارتطم رأس ريتشاردسون بنافذته وصرَخ. راح يتحسَّس بتهوّر بحثاً عن البوق.

«اضغط البوق وسأقتلك»، همَس الصوت.

ترك ريتشاردسون يديه تسقطان. خفَّف الإبهام ضغطه.

«يجدر بك أن تستخدم نكّاشة قطنية يا رجل»، قال الصوت. «الشمع يملأ كل إبهامي. هذا مقرف جداً».

بدأ وارن ريتشاردسون يبكي بضعف دون أن يتمكن من إيقاف نفسه. سالت الدموع على خدّيه البدينين. «رجاءً توقف عن إيذائي»، قال. «رجاءً. رجاءً».

«مثلما قلتُ لك»، أخبَره صاني. «المسألة برمّتها هي ما تريده أنت. وظيفتك ليست أن تقلق عما قد يقوله أحدهم عن أولئك... أولئك الأشخاص المحدَّدين. وظيفتك هي مراقبة ما يخرج من فمك. وظيفتك هي التفكير قبل أن تتكلَّم عندما يزورك ذلك الرجل من صحيفة جورنال مرة أخرى. يمكنك أن تفكِّر بمدى سهولة اكتشاف مَن هو «المصدر المطّلع». أو يمكنك أن تفكِّر بفداحة أن يحترق منزلك. أو يمكنك أن تفكِّر بكيفية دفع تكاليف الجراحة التجميلية إذا رمى أحدهم بعض حمض البطارية على وجه زوجتك».

راح الرجل الجالس خلف ريتشاردسون يلهث الآن. بدا كحيوانٍ في الأدغال.

«أو يمكنك أن تفكِّر بمدى سهولة اختطاف أحدهم لابنك في طريق عودته من روضة الأطفال».

«لا تقل هذا!»، صاح ريتشاردسون بصوت أجش. «لا تقل هذا أيها الوغد الحقير!».

«كل ما أقوله هو أن عليك التفكير بما تريده»، قال صاني. «الانتخابات عملية مثالية، صح؟ خاصة في سنة الذكرى المئوية الثانية. يجب أن يقضي الجميع وقتاً ممتعاً. ولا أحد سيقضي وقتاً ممتعاً إذا بدأ لعين حقير مثلك يروي الكثير من الأكاذيب. لعين حقير غيور مثلك».

ابتعدت اليد كلياً، وفُتح الباب الخلفي. الحمد لله، الحمد لله.

«عليك التفكير فحسب»، كرَّر صاني إيليمان. «هل كل شيء واضح الآن؟».

«نعم»، همَس ريتشاردسون. «لكن إذا كنتَ تعتقد أن غر... شخصاً معيّناً يمكن أن يفوز في الانتخابات باستخدام هذه الوسائل، فأنت مُخطئ جداً».

«لا»، قال صاني. «أنت المُخطئ. لأن الجميع يقضون وقتاً ممتعاً. تأكد أن تكون مشاركاً معهم».

لم يُجبه ريتشاردسون، بل جلَس صارماً خلف المِقوَد، عنقه ينبض من الألم، ويحدِّق في الساعة على مبنى مكاتب البلدة كما لو أنها الشيء العاقل الوحيد الباقي في حياته. إنها الخامسة وخمس دقائق تقريباً. لقد أصبحت قطع اللحم جاهزة الآن.

قال الرجل الجالس على المقعد الخلفي شيئاً آخر ثم ابتعد بسرعة، وشعره الطويل يلوح على ياقة قميصه، دون أن يلتفت إلى الوراء. انعطف عند ناصية المبنى واختفى عن الأنظار.

آخر شيء قاله لوارن ريتشاردسون كان: «نكّاشة قطنية».

بدأ ريتشاردسون يرتعش بالكامل واحتاج إلى وقت طويل قبل أن يعود قادراً على القيادة. أول شعور واضح انتابه هو الغضب - الغضب العارم. والاندفاع الذي رافقه كان أن يذهب إلى مخفر شرطة العاصمة مباشرة (موجود في المبنى تحت الساعة) والتبليغ عما حصل معه - كل التهديدات بشأن زوجته وابنه، والعنف الجسدي - وكرمى لمَن تعرَّض لكل تلك الأمور.

يمكنك أن تفكِّر بكيفية دفع تكاليف الجراحة التجميلية... أو بمدى سهولة اختطاف أحدهم لابنك...

لكن لماذا؟ لماذا يخاطر؟ فما قاله لذلك البلطجي كان الحقيقة كما هي بلا زيادة ولا نقصان. الجميع في مجال العقارات في نيو هامبشاير الجنوبية يعرفون أن ستيلسون كان يدير لعبة الثلاث ورقات، فيجني أرباحاً قصيرة الأجل ستُدخله السجن، ليس عاجلاً أم آجلاً، بل عاجلاً أو حتى عاجلاً أكثر. حملته عبارة عن تمرين في الغباوة. والآن في وسائل ليّ الأذرع! لا أحد يمكنه الإفلات من العواقب لوقت طويل في أميركا - وخاصة ليس في نيو إنغلاند.

لكن ليدع شخصاً آخر ينفخ الصفّارة.

شخصاً لديه أمور أقل ليخسرها.

شغَّل وارن ريتشاردسون سيارته وذهَب إلى المنزل إلى قطع لحمه ولم يقل أي شيء أبداً. شخصٌ آخر سيضع حدّاً لهذا بالتأكيد.

الفصل التاسع عشر

1

في يوم غير بعيد عن أول تقدّم باهر حقّقه تشاك، وَقَف جوني سميث في حمّام المَضافة يمرِّر آلة الحلاقة الكهربائية على خدَّيه. النظر إلى نفسه عن قُرب في المرآة يعطيه دائماً شعوراً غريباً هذه الأيام، كما لو أنه ينظر إلى أخ أكبر سناً وليس إلى نفسه. هناك خطوط أفقية حفرت نفسها عميقاً على جبهته. وخطان إضافيان يحيطان فمه. وأغرب شيء هو تلك المسحة البيضاء في شعره الذي بدأ يميل إلى الرمادي. بدا له أن كل ذلك حصل بين ليلة وضحاها.

أطفأ آلة الحلاقة وخرَج إلى المطبخ - غرفة الجلوس. حُضن الرفاهية، فكَّر في سرّه، وابتسم قليلاً. عاد الابتسام يعطيه شعوراً طبيعياً من جديد. شغَّل التلفزيون، وأحضر كوب بيبسي من البرّاد، وجلس ليشاهد نشرة الأخبار. سيعود روجر تشاتسْوورث لاحقاً في المساء، وسيحظى جوني غداً بلذة إخباره أن ابنه بدأ يحقّق تقدّماً حقيقياً.

جوني يلتقي أباه كل أسبوعين تقريباً. كان مسروراً من وظيفة جوني الجديدة ويستمع باهتمام بالغ بينما يُخبره جوني عن عائلة تشاتسْوورث، والمنزل في بلدة دورهام الجامعية اللطيفة، ومشاكل تشاك. جوني، بدوره، يستمع بينما يُخبره أبوه عن العمل المجاني الذي ينجزه في منزل شارلين ماكينزي في نيو غلوستر المجاورة.

«كان زوجها طبيباً عظيماً لكنه غير ماهر جداً بالأعمال اليدوية»، قال هيرب. كانت شارلين وڤيرا صديقتين قبل تعمُّق ڤيرا في الفروع الغريبة للأصولية. هذا أبعدهما عن بعضهما. مات زوجها، وهو طبيب عام، من نوبة قلبية عام 1973. «المنزل عملياً يتهاوى أمام عينَي تلك المرأة»، قال هيرب. «أقل ما يمكنني أن أفعله. أصعد إلى هناك أيام السبت وتقدِّم لي عشاءً قبل أن أعود إلى المنزل. عليَّ أن أقول الحقيقة يا جوني بأنها تطبخ أفضل منك».

«شكلها أفضل أيضاً»، قال جوني برقّة.

«بالتأكيد، فهي امرأة جميلة المظهر، لكنني لم أقصده بهذا *المعنى* يا جوني. لم تمرّ حتى سنة على دفن أمك...».

لكن جوني شكَّ أنه *قصدَ* شيئاً من ذلك المعنى، ولا يسعه أن يكون أكثر سعادةً في سرّه. ففكرة تمضية أبيه بقية حياته لوحده لا تعجبه.

كان والتر كرونكايت يذيع الأخبار السياسية على التلفزيون. مع انتهاء الموسم الرئيسي الآن وأصبحت المؤتمرات على بُعد أسابيع فقط، بدا أن جيمي كارتر ضَمَن ترشيح الحزب الديموقراطي له. فورد هو الذي ينافس على حياته السياسية مع رونالد ريغن، حاكم كاليفورنيا السابق والمضيف السابق لـ «مسرح جنرال إلكتريك». التنافس حامٍ بما فيه الكفاية لجعل المراسِلين الصحفيين يحتسبون عدد المفوَّضين الفرديين، وفي إحدى رسائلها النادرة كتبت سارة هازليت: «عقدَ والت كل آماله على أن يتم ترشيح فورد. فكونه مرشّحاً لمجلس الشيوخ هنا، بدأ يفكِّر بالبذلة الرسمية من قبل. ويقول إن ريغن لا يملك أياً منها، في ماين على الأقل».

بينما كان يُعدّ وجبات سريعة في كيتيري، اعتاد جوني على الذهاب إلى دوڤر أو پورتسموث أو أي عدد من البلدات الصغيرة في نيو هامبشاير مرتين في الأسبوع. كل المرشّحين إلى الرئاسة يزورونها بين الحين والآخر، وكانت فرصة فريدة لرؤية أولئك الذين يملكون أكبر الحظوظ بالفوز من دون الزخارف المَلَكية تقريباً للسلطة التي قد تحاصر أي واحد منهم لاحقاً. أصبحت نوعاً من الهواية لديه، رغم أنها قصيرة الأجل بدافع الضرورة؛ فعندما تنتهي انتخابات نيو هامبشاير الأولية الأولى في البلاد، سينتقل المرشّحون إلى فلوريدا دون أي التفاتة إلى الوراء. وبالطبع سيدفن عددٌ قليلٌ منهم طموحاته السياسية في مكان ما بين پورتسموث وكين. لم يكن جوني من هواة السياسة أبداً من قبل ـ ما عدا خلال حقبة فييتنام ـ لكنه أصبح مراقباً سياسياً شرِهاً في العواقب العلاجية لقضية كاسل روك ـ وقد لعِبت موهبته المميزة، أو مأساته، أو مهما يكن ما لديه، جزءاً في ذلك أيضاً.

صافَح موريس يودال وهنري جاكسون. وربَّت له فْرَد هاريس على ظهره. ووجَّه له رونالد ريغن لكمة ودودة سريعة بدا أنه معتاد عليها وقال، «اخرج إلى استطلاعات الرأي العام وساعدنا إن كنتَ تستطيع». أومأ جوني برأسه بلطف كفاية، فلم ير أي جدوى من تحرير السيد ريغن من وهمه بأنه ناخبٌ حسن النية من نيو هامبشاير.

دردَش مع سارجنت شرايفر عند المدخل الرئيسي إلى مركز نوينغتن التجاري الشنيع لحوالي خمس عشرة دقيقة. كان شرايفر بشعره المقصوص حديثاً والعابق برائحة عطر ما بعد الحلاقة وربما اليأس برفقة معاون واحد جيوبه محشوة بكرّاسات ورجل من جهاز الاستخبارات بقي يحكّ حبوب شبابه بشكل مستتر. وقد بدا شرايفر مسروراً جداً من تعرّف الآخرين عليه. وقبل دقيقة أو دقيقتين من توديع جوني له، اقترب مرشّحٌ يبحث عن مكتبٍ محليٍ من شرايفر وطلب منه توقيع أوراق ترشّحه. ابتسم له شرايفر بلطف.

شَعَرَ جوني بأشياء عنهم كلهم، لكنها لم تكن ذات طبيعة محدَّدة. بدا له كما لو أنهم جعلوا عملية لمسهم شيئاً يشبه الشعائر بحيث دفنوا ذواتهم الحقيقية تحت طبقة من البلاستيك الشفاف الصلب. رغم أنه رأى معظمهم - باستثناء الرئيس فورد - إلا أن جوني لم يشعر إلا مرة واحدة بتلك النفضة المكهرِبة المفاجئة للمعرفة التي ربطها بآيلين ماغاون - وبطريقة مختلفة كلياً، بفرانك دود.

إنها السابعة والربع صباحاً. ذهب جوني إلى مانشستر في سيارته الپليموث القديمة، وعمِل من العاشرة مساء أمس حتى السادسة هذا الصباح. كان مُتعَباً، لكن فجر الشتاء الهادئ جيدٌ جداً لكي ينام ويفوِّته عليه. وهو يحبّ مانشستر بشوارعها الضيقة وأبنية الطوب العتيقة ومصانع النسيج القوطية المصطفة على طول النهر مثل خرزات من العصر الفيكتوري. لم يكن يتعمَّد تصيُّد السياسيين ذلك الصباح؛ بل فكَّر بالتجوّل في الشوارع لبعض الوقت، إلى أن يبدأ الزحام فيها، إلى أن تُكسَر روعة فبراير الباردة والصامتة، فيعود عندها إلى كيتيري وينام قليلاً.

انعطف ناصيةً ورأى ثلاث سيارات سيدان رتيبة مركونة أمام مَصنع أحذية في منطقة ممنوع الركن فيها. كان جيمي كارتر يقف عند البوابة في السياج السلكي يصافح الرجال والنساء الداخلين إلى أعمالهم حاملين غداءهم في علب أو أكياس ورقية، ويزفرون سُحُباً بيضاء داخل معاطفهم الثقيلة، ووجوههم لا تزال نائمة. كانت لدى كارتر كلمة لكل واحد منهم وهو يوزِّع عليهم ابتسامته النشطة، التي لم تكن قد اشتهرت كثيراً بعد، بأنفه الأحمر من البرد.

رَكَن جوني على بُعد نصف مربع سكني وسار نحو بوابة المَصنع، وحذاؤه يسحق الثلج الكثيف ويُصدر صريراً. عميل الاستخبارات الذي يرافق كارتر قيَّمه بسرعة ثم صَرَف النظر عنه أو هكذا بدا له.

«سأصوِّت لأي شخص مهتم بتخفيض الضرائب»، قال رجل يرتدي معطف تزلّج قديماً عليه كوكبة مما بدا أنه حروق حمض بطارية على أحد كُمَّيه. «الضرائب اللعينة تقتلني، وأنا لا

أمزح».

«حسناً، سنرى بشأن ذلك»، قال كارتر. «مراجعة الوضع الضرائبي ستكون من أولوياتنا عندما أدخل البيت الأبيض». كانت هناك ثقة كبيرة بالنفس في صوته فاجأت جوني وأقلقته قليلاً.

انتقلت عينا كارتر، اللامعتان والزرقاوان بشكل مدهش تقريباً، إلى جوني. «مرحباً»، قال.

«مرحباً يا سيد كارتر»، قال جوني. «أنا لا أعمل هنا. كنتُ ماراً بسيارتي ورأيتُك».

«حسناً يسرّني أنك توقفت. أنا مرشَّح للرئاسة».

«أعرف».

مدَّ كارتر يده. صافحه جوني.

بدأ كارتر يقول: «آمل أنك...» ثم سكتَ.

أصابته صعقةٌ مفاجئةٌ كما لو أنه أقحم إصبعه في مقبس كهربائي. شخُصت عينا كارتر، وراح ينظر وجوني إلى بعضهما البعض لما بدا وقتاً طويلاً جداً.

لم يرق هذا لعميل الاستخبارات، فاقترب من كارتر وبدأ يفكّ له أزرار معطفه فجأة. في مكان ما خلفهم، على بُعد مليون كيلومتر، دوّت صفّارة الساعة السابعة داخل مَصنع الأحذية في الصباح الأزرق النضِر.

أفلَت جوني يد كارتر، لكنهما بقيا ينظران إلى بعضهما البعض.

«تباً، ماذا كان ذلك؟»، سأل كارتر بلطف كبير.

«الأرجح أن لديك مكاناً لتذهب إليه، أليس كذلك؟»، قال عميل الاستخبارات فجأة ووَضَع يده على كتف جوني. كانت يد ضخمة جداً. «بالتأكيد لديك».

«لا بأس»، قال كارتر.

«ستصبح الرئيس»، قال جوني.

كانت يد العميل لا تزال على كتف جوني، بخفة أكبر الآن لكنها لا تزال هناك، وكان يحصل على شيء منه أيضاً. عميل الاستخبارات

(عيناه).

لم تعجبه عيناه. شَعَر أنهما

(عينا قاتل، عينا شخص مضطرب نفسياً).

باردتان وغريبتان، وإذا وضع هذا الرجل ولو يداً واحدةً في جيب معطفه، إذا بدا أنه فقط يفكِّر في فعل ذلك، سيضعه على الرصيف. خلف تقييم عميل الاستخبارات للحالة لحظةً بلحظةٍ، كان هناك سيلٌ بسيطٌ مجنِّنٌ من الأفكار:

(لوريل ميريلاند لوريل ميريلاند لوريل ميريلاند لوريل).

«نعم»، قال كارتر.

«ستكون النتائج متقاربة أكثر مما يظنّ أي شخص... متقاربة أكثر مما تظنّ أنت، لكنك ستفوز. سيهزم نفسه. بولندا. ستهزمه بولندا».

اكتفى كارتر بالنظر إليه، نصف مبتسم.

«لديك ابنة. ستذهب إلى مدرسة عامة في واشنطن. ستذهب إلى...»، لكن المعلومة كانت في المنطقة الميتة. «أعتقد... أنها مدرسة تحمل اسم عبد محرَّر».

«يا صاح، أريدك أن تبتعد»، قال العميل.

نظرَ إليه كارتر وهَمَد العميل.

«سرّني التعرّف عليك»، قال كارتر. «لقاء مُربك قليلاً لكن ممتع».

فجأة، عاد جوني إلى طبيعته مرة أخرى. لقد مرَّت الحالة. أدرك أن أذنيه باردتان وأن عليه دخول الحمّام. «أتمنى لك صباحاً طيباً»، قال بنبرة غير مُقنِعة.

«نعم. وأنت أيضاً، الآن».

عاد إلى سيارته وهو يُدرك أن عيني عميل الاستخبارات لا تزالان عليه. ابتعد بسيارته مرتبكاً. بُعيد ذلك بمدة قصيرة، أنهى كارتر المنافسة في نيو هامبشاير وذهَب إلى فلوريدا.

2

انتهى والتر كرونكايت من أخبار السياسيين وانتقل إلى أخبار الحرب الأهلية في لبنان. نهض جوني وأعاد ملء كوب البيبسي. أمال الكوب نحو شاشة التلفزيون. *بصحتك يا والت. بصحة الكوارث الثلاثة - الموت، الدمار، المصير. أين سنكون من دونها؟*

سمِع طرقاً خفيفاً على الباب. «ادخل»، صاح جوني متوقعاً تشاك آتياً ليدعوه إلى مطعم في سومرزوورث. لكن الطارق لم يكن تشاك. بل والد تشاك.

«مرحباً يا جوني»، قال. كان يرتدي سروال جينز بهت لونه من كثرة الغسيل وقميصاً رياضياً قطنياً قديماً يضعه فوق السروال. «هل يمكنني أن أدخل؟».

«بالتأكيد. اعتقَدتُ أنك لن تعود إلا في وقت متأخر».

«حسناً، اتصلت بي شيلي». شيلي زوجتُه. دخَل روجر وأغلق الباب. «زارها تشاك وأجهش بالبكاء مثل ولد صغير بالضبط. أخبَرها أنك تنجح معه يا جوني. قال إنه يعتقد أنه سيكون بخير».

وَضَع جوني كوبه من يده. «الطريق طويل أمامنا»، قال.

«لاقاني تشاك في المطار. لم أره بهذا المنظر منذ أن كان... ماذا؟ في العاشرة؟ في الحادية عشرة؟ عندما أعطيتُه المسدَّس عيار 6 ملم الذي بقي ينتظره منذ خمس سنوات. قرأ لي مقالاً في الصحيفة. التحسُّن... غريب تقريباً. أتيتُ لكي أشكرك».

«اشكر تشاك»، قال جوني. «إنه فتى قابل للتكيّف. الكثير مما يجري له هو تعزيز إيجابي. لقد أقنع نفسه أنه قادر على فعل ذلك وهو يسير وفق ذلك الآن. هذه أفضل طريقة لأصف لك ما حصل».

جلَس روجر. «يقول إنك تعلِّمه تغيير مكان التفكير في دماغه».

ابتسم جوني. «أجل، أظن ذلك».

«هل سيتمكن من الخضوع لاختبارات الكفاءة الدراسية؟».

«لا أعرف. وأكره أن أراه يخاطر ويخسر. اختبارات الكفاءة الدراسية تفرض ضغطاً كبيراً على الطالب. إذا دخلَ تلك القاعة وأمامه ورقة أجوبة وقلم IBM في يده ثم ارتعب، سيُصاب بنكسة

حقيقية. هل فكَّرت بإدخاله مدرسة تحضيرية جيدة لمدة سنة؟ مكانٌ مثل أكاديمية بيتسفيلد؟».

«درسنا الفكرة، لكنني بصراحة لطالما اعتبرتُها مجرّد تأجيلٍ للمحتوم».

«هذا أحد الأشياء التي كانت تسبِّب مشكلة لتشاك. هذا الشعور بأن الحالة مصيرية».

«لم أضغط على تشاك أبداً».

«ليس عن قصد، أعرف ذلك. وهو أيضاً. من جهة أخرى، أنت رجل ناجح وغني تخرَّج من الكلّية مع مرتبة الشرف. أعتقد أن تشاك يشعر كما لو أنه يدخل الملعب بعد هانك هارون».

«لا يسعني فعل أي شيء بشأن ذلك يا جوني».

«أعتقد أن سنةً في مدرسة تحضيرية، بعيداً عن المنزل، بعد سنته الأخيرة في المدرسة قد تضع الأمور في نصابها الصحيح بالنسبة له. ويريد أن يعمل في أحد مصانعك الصيف القادم. لو كان ابني ولو كانت مصانعي، لتركتُه يفعل ذلك».

«تشاك يريد فعل ذلك؟ لماذا لم يُخبرني أبداً؟».

«لأنه لم يردك أن تظن أنه يلجأ إلى الوساطة»، قال جوني.

«لقد أخبَرك ذلك؟».

«نعم. يريد أن يفعل ذلك لأنه يعتقد أن الخبرة العملانية ستفيده لاحقاً. يريد الولد أن يسير على خُطاك يا سيد تشاتسوورث. وقد تركتَ له بعض الخُطى الكبيرة خلفك. هذا من أكبر أسباب الصعوبة في القراءة. لديه حمى الطَرَد».

لقد كذَب عليه إلى حدّ ما. فقد لمَّح تشاك إلى تلك الأشياء، وحتى ذكرَ بعضها بشكل غير مباشر، إلا أنه لم يقلها صراحةً مثلما ادّعى جوني. ليس شفهياً، على الأقل. لكن جوني لمَسه من وقت لآخر، وحصل على إشارات بهذه الطريقة. كما نظرَ إلى الصور التي يحتفظ بها تشاك في محفظته وعرَف شعوره تجاه والده. هناك أشياء لا يستطيع أبداً إخبارها لهذا الرجل اللطيف لكن المتحفّظ الجالس أمامه. تشاك يعشق الأرض التي يسير عليها أبوه. وتحت المظهر الخارجي المتساهل (مظهر خارجي مشابه كثيراً لمظهر روجر الخارجي)، الفتى يتآكل من الداخل بسبب قناعته بأنه لن يستطيع الارتقاء إلى مستوى والده أبداً. لقد حوَّل أبوه مصنع صوف فاشلاً إلى

إمبراطورية نسيج في نيو إنغلاند. وهو مقتنع أن حب أبيه له يتوقف على قدرته على تحريك جبال مشابهة. على ممارسة الرياضة. على دخول كلّية جيدة. على *القراءة*.

«هل أنت متأكد من كل هذا؟»، سأل روجر.

«أنا متيقّن. لكنني أفضِّل ألا تُخبر تشاك أبداً أننا تكلَّمنا بشأن هذا. فأنا أُخبرك أسراره». *وهذا أكثر صدقاً مما قد تظنّ يوماً*.

«حسناً. سأناقش فكرة المدرسة التحضيرية مع تشاك وأمه. في هذه الأثناء، هذا لك. أخرجَ مغلفاً أبيض عادياً من جيبه الخلفي وأعطاه إلى جوني.

«ما هذا؟».

«افتحه وسترى».

فتَحه جوني ووجد فيه شيكاً مصرفياً بقيمة خمسمئة دولار.

«آه، مهلاً...! لا يمكنني قبول هذا».

«بلى، وستقبله. لقد وعَدتُك بعلاوةٍ إذا حقَّقت تقدماً، وأنا أفي بوعودي. سيكون هناك شيك آخر عندما ترحل».

«حقاً يا سيد تشاتسْوورث، أنا فقط...».

«صه. سأُخبِرك شيئاً يا جوني». مال إلى الأمام. كان يبتسم ابتسامةً خفيفةً غريبةً، وشَعَر جوني فجأة أنه يمكنه أن يرى تحت المظهر الخارجي اللطيف ذلك الرجل الذي جَعَل كل هذا يحصل - المنزل، الأراضي، الحوض، المصانع. وبالطبع، رُهاب ابنه من القراءة، الذي يمكن تصنيفه على الأرجح بأنه عُصاب هستيري.

«وفق خبرتي، خمسة وتسعون بالمئة من الناس على كوكب الأرض مجرّد أشخاص خاملين يا جوني، وواحد بالمئة أتقياء فعلاً، وواحد بالمئة حقيرون. أما الثلاثة بالمئة الآخرون فأشخاصٌ يفعلون ما يقولون إنهم قادرون على فعله. أنا من أولئك الثلاثة بالمئة، وكذلك أنت. لقد استحقّيتَ هذا المال. لديَّ أشخاص في المصانع يقبضون أحد عشر ألف دولار في السنة لإنجاز شيء لا يزيد عن إضاعة الوقت. لكنني لا أتذمَّر. أنا رجل من العالم، وهذا يعني أنني أفهم ما يحرّك هذا العالم. يتألف

مزيج الوقود من جزء واحد أوكتان مرتفع مقابل تسعة أجزاء تفاهة بحتة. لستَ من التافهين. لذا ضَع هذا المال في جيبك وحاول في المرة القادمة أن تقدِّر نفسك بقيمة أعلى قليلاً».

«حسناً»، قال جوني. «يمكنني الاستفادة منه، لن أكذب عليك».

«فواتير الأطباء؟».

رفع جوني نظره إلى روجر تشاتسْوورث مندهشاً.

«أعرف كل شيء عنك»، قال روجر. «هل تعتقد أنني لن أتحقّق من الشابّ الذي وظَّفتُه ليدرِّس ابني؟».

«تعرف عن...».

«يُقال إنك نفساني نوعاً ما. وقد ساعدتَ في حلّ جريمة قتل في ماين. على الأقل هذا ما تقوله الصحف. كانت هناك وظيفة في التدريس بانتظارك يناير الفائت، لكنهم تخلّوا عنك ببساطة عندما ورد اسمك في الصحف».

«كنتَ تعرف؟ منذ متى؟».

«عرَفتُ قبل أن تأتي للإقامة هنا».

«ومع ذلك وظَّفتني؟».

«لقد أردتُ مدرِّساً خصوصياً، أليس كذلك؟ وبدَوتَ لي أنك قد تكون قادراً على النجاح في المهمة. أعتقد أنني أظهرتُ حكمةً ممتازةً في الاستعانة بخدماتك».

«حسناً، شكراً»، قال جوني بصوت أجش.

«أخبَرتُك أنك لستَ مضطراً إلى قول ذلك».

بينما تكلّما، انتهى والتر كرونكايت من الأخبار الحقيقية لهذا اليوم وانتقل إلى الأخبار المتفرّقة التي تُذاع قُبيل نهاية نشرة الأخبار أحياناً. كان يقول، «... سيشهد الناخبون في نيو هامبشاير الغربية جولة مستقلة في الدائرة الثالثة هذه السنة...».

«حسناً، السيولة النقدية مفيدة»، قال جوني. «هذا...».

«صه. أريد سماع هذا».

مالَ تشاتسْوورث إلى الأمام، وتدلَّت يداه بين رُكبتَيه، وارتسمت ابتسامة توقّع لطيفة على وجهه. استدار جوني لينظر إلى التلفزيون.

«... ستيلسون»، قال كرونكايت. «وكيل التأمين والعقارات ذو الثلاث والأربعين سنة يخوض بالتأكيد أحد أغرب السباقات في انتخابات 1976، لكن المرشّح الجمهوري هاريسون فيشر وخصمه الديموقراطي دايفد بوز للدائرة الثالثة خائفان لأن استطلاعات الرأي تُظهِر غريغ ستيلسون متقدِّماً عليهما بشكل مريح. جورج هيرمان يُخبرنا القصة».

«مَن هو ستيلسون؟»، سأل جوني.

ضحِك تشاتسْوورث. «آه، يجب أن ترى هذا الرجل يا جوني. إنه مجنون مثل جرذ في أنبوب مجاري. لكنني أظن أن الناخبين غير الثملين في الدائرة الثالثة سيرسلونه إلى واشنطن في نوفمبر هذا. إلا إذا سقط في الواقع وبدأ فمه يزبد. ولن أستبعد هذا بالكامل».

أظهَرَ التلفزيون الآن صورة شابّ وسيم في قميص أبيض مفتوح الياقة يكلِّم حَشداً صغيراً من منصة مزدانة بالرايات في مرأب سيارات سوبرماركت. كان الشابّ يحضّ الحَشد. وبدا الحَشد أقل من مسرور. علَّق جورج هيرمان قائلاً: «هذا دايفد بوز، المرشّح الديموقراطي - سيقول البعض إنه أضحية - لمقعد الدائرة الثالثة في نيو هامبشاير. يتوقَّع بوز معركة حامية لأن الدائرة الثالثة لنيو هامبشاير لم تكن ديموقراطية *أبداً*، ولا حتى في الهجوم الخاطف لليندون جونسون عام 1964. لكنه يتوقَّع أن تأتي منافسته من هذا الرجل».

أظهَرَ التلفزيون الآن رجلاً في حوالي الخامسة والستين يتكلَّم في عشاء فاخر لجمع التبرعات. بدا الحَشد بذلك المظهر الممتلئ، الصالح، المُصاب بالإمساك قليلاً الذي يبدو أنه حصري برجال الأعمال المنتمين إلى الحزب الجمهوري. يحمل المتحدِّث شبهاً باهراً بإدوارد غورني من فلوريدا، رغم أنه لا يملك بنية غورني النحيلة الصلبة.

«هذا هاريسون فيشر»، قال هيرمان. «لا يزال ناخبو الدائرة الثالثة يرسلونه إلى واشنطن كل سنتين منذ العام 1960. إنه شخصية قوية في المجلس، وعضو في خمس لجان، ويترأس لجنة الحدائق والمجاري المائية. كان يُتوقع أن يهزم دايفد بوز اليافع بسهولة. لكن فيشر وبوز لم يتَّكلا على وجود مرشَّح خارجي. هذا المرشَّح الخارجي».

تبدَّلت الصورة.

«يا للهول!»، قال جوني.

زأر تشاتسْوورث ضاحكاً بجانبه وصفَع فخذَيه. «هل يمكنك أن تصدِّق هذا الرجل؟».

لا يوجد حَشد واهن في مرأب سيارات سوبرماركت هنا. ولا عشاء مريح لجمع التبرعات في صالة الغرانيت في فندق بورتسموث هيلتون أيضاً. كان غريغ ستيلسون يقف على منصة خارجية في ريدجواي، مسقط رأسه، ويَلوح خلفه تمثال جندي من الاتحاد حاملاً بندقيته في يده وقبعته العسكرية مائلة فوق عينيه. الشارع مغلق بالكامل بأشخاص مبتهِجين بقوة، أغلبهم من الشباب. وستيلسون يرتدي سروال جينز باهتاً وقميص جيش مطرَّزاً على أحد جَيبيه «اعطوا السلام فرصة» و«فطيرة تفاح الماما» على الجيب الآخر، وهناك خوذة عامل بناء ضد الصدمات مائلة بزاوية متأنِّقة متغطرسة على رأسه وملصق على جهتها الأمامية ورقة لاصقة تُظهِر علماً أميركياً أخضر للبيئة. توجد بجانبه عربة تسوّق فولاذية من نوع ما، وصدَح صوت جون دنفر من مكبِّرَي الصوت وهو يغني «الحمد لله أنني فتى من الريف».

«ما غاية عربة التسوّق؟»، سأل جوني.

«سترى»، قال روجر وهو لا يزال يبتسم ابتسامة عريضة.

قال هيرمان: «المرشَّح الخارجي هو غريغوري أمّاس ستيلسون، في الثالثة والأربعين، بائع سابق في شركة *طريق الحقيقة الأميركية* للمراجع، ودهّان منازل سابق، ولمرة واحدة في أوكلاهوما، حيث ترعرع، صانع مطر».

«صانع مطر»، قال جوني بارتباك.

«آه، هذا أحد بنود برنامجه الانتخابي»، قال روجر. «إذا انتُخب، سيجعل السماء تُمطر كلما احتجنا إلى ذلك».

أكملَ جورج هيرمان: «منصة ستيلسون... حسناً، منعشة».

أنهى جون دنفر غناءه بصيحة استجلبت ابتهاجاً من الحَشد. ثم بدأ ستيلسون يتكلَّم، ودوّى صوته بقوة. نظامه الصوتيّ متطوّرٌ على الأقل؛ بالكاد هناك أي تشوّه. لكن صوته ضايقَ جوني

بشكل غير مفهوم. للرجل نبرة مرتفعة وحادّة مثل نبرة واعظ إحياءٍ. يمكنك رؤية رذاذ خفيف من البُصاق يتطاير من شفتيه وهو يتكلَّم.

«ماذا سنفعل في واشنطن؟ لماذا نريد الذهاب إلى واشنطن؟»، زأر ستيلسون. «ما هو برنامجنا؟ لبرنامجنا خمسة بنود يا أصدقائي وجيراني، خمسة بنود قديمة! وما هي؟ سأُخبِركم فوراً! البند الأول: *ارموا المتشرِّدين خارجاً!*».

انتشر زئير موافقة هائل بين الحَشد. رمى أحدهم حفنتين من القصاصات الورقية الملوَّنة في الهواء وصاح شخص آخر، «أحسنتَ!». مالَ ستيلسون فوق منصته.

«هل تريدون معرفة لماذا أرتدي هذه الخوذة يا أصدقائي وجيراني؟ سأُخبِركم. إنني أرتديها لأنكم عندما ترسلونني إلى واشنطن، سأقتحمهم مثلما يقتحم أنتم - تعرفون - ماذا أجمّة قصب! سأقتحمهم *هكذا بالضبط!*».

وأمام عينَي جوني الحائرتين، أخفضَ ستيلسون رأسه وبدأ ينقضَّ ذهاباً وإياباً على المنصة مثل ثور، وهو يصيح بصوت حادّ صياح جنود الاتحاد المهاجمين. تلاشى روجر تشاتسْوورث على كرسيه وهو يضحك ملء شدقيه. جُنَّ جنون الحَشد. وقف ستيلسون في وسط المنصة، خلعَ خوذته، ورماها على الحَشد. ساد بعض الهرج والمرج فوراً للإمساك بها.

«البند الثاني!»، صاح ستيلسون في المذياع. «سنرمي أي شخص في الحكومة، من أعلى المراتب إلى أدناها، يقضي وقتاً في السرير مع فتاةٍ ليست زوجته! إذا أرادوا النوم هنا وهناك، فلن يفعلوا ذلك على حساب الثدي العام!».

«ماذا قال؟»، سأل جوني حائراً.

«آه، إنه يسخِّن فحسب»، قال روجر. مسَح عينيه الدامعتين ودخل نوبة ضحك أخرى. تمنّى جوني لو بدا له هذا مضحكاً جداً.

«البند الثالث!»، زأر ستيلسون. «سنرسل كل التلوّث إلى الفضاء الخارجي! سنضعه في أكياس نفايات! سنرسله إلى المريخ، إلى المشتري، وإلى حلقات زُحل! سيصبح الهواء نظيفاً والماء نظيفاً وكل ذلك في غضون ستة أشهر!».

سادت نوبات فرح بين الحَشد. رأى جوني عدة أشخاص في الحَشد يكادون يقتلون أنفسهم من الضحك، مثلما كان روجر تشاتسْوورث يفعل حالياً.

«البند الرابع! سنحصل على كل الغاز والوقود الذي نحتاج إليه! سنتوقف عن إضاعة الوقت وسنركّز على الأساسيات! لن يتجمَّد عجائز في نيو هامبشاير من البرد هذا الشتاء القادم مثلما حصل الشتاء الفائت!».

هذا سبَّب صيحات تأييد عارم. في الشتاء الفائت عُثر على عجوز في پورتسموث تجمَّدت حتى الموت في شقتها في الطابق الثالث، على ما يبدو بسبب قطع الشركة إمداد الغاز عنها لعدم تسديدها الفاتورة.

«لدينا القوة يا أصدقائي وجيراني، يمكننا فعل ذلك! هل هناك أي شخص يعتقد أنه لا يمكننا فعل ذلك؟».

«*لا!*»، صاح الحَشد.

«البند الأخير»، قال ستيلسون واقترب من عربة التسوّق المعدنية. فتح الغطاء المفصل وتطايرت سحابة بخار. «*نقانق!!*».

بدأ يمسك النقانق بيديه الاثنتين من عربة التسوّق التي أدرك جوني الآن أنها طاولة بخار نقّالة. رماها على الحَشد وعاد ليُحضر المزيد. تطايرت النقانق في كل مكان. «نقانق لكل رجل وامرأة وولد في أميركا! وعندما تضعون غريغ ستيلسون في مجلس النواب، ستقولون *نقانق! أخيراً شخصٌ يهتم لأمرنا!*».

تغيَّرت الصورة، فظهرت المنصة تُفكَّك من قِبل مجموعة شباب طويلي الشعر بدوا كأنهم فرقة موسيقى روك. وثلاثة آخرون منهم ينظِّفون النفايات التي خلّفها الحَشد. استأنَف جورج هيرمان تعليقه: «المرشّح الديموقراطي دايفد بوز يصف ستيلسون بمُعدّ مقالب يحاول رمي عصي في عجلات العملية الديموقراطية. لكن هاريسون فيشر كان أشرس في انتقاده فشبَّه ستيلسون بصاحب كشك ساخر في كرنفال يتعامل مع فكرة الانتخابات الحرة تهريجاً. ويشير في خُطبه إلى المرشّح المستقل ستيلسون على أنه العضو الوحيد في حزب النقانق الأميركية. لكن الحقيقة هي كالتالي: أحدث استطلاع أجرته CBS في الدائرة الثالثة لنيو هامبشاير أظهَرَ أن دايفد بوز حاز عشرين بالمئة من الأصوات، وهاريسون فيشر ستة وعشرين بالمئة - وغريغ ستيلسون المستقل نسبة هائلة

هي اثنين وأربعين بالمئة. بالطبع لا يزال يوم الانتخابات بعيداً جداً، والأحوال قد تتغيَّر. لكن في الوقت الحاضر، غريغ ستيلسون استحوذ على قلوب - إن لم يكن عقول - ناخبي الدائرة الثالثة لنيو هامبشاير».

أظهَرَ التلفزيون صورةً لهيرمان من الخصر وصعوداً لا تظهر اليدان فيها. ثم رفع يداً، وكانت تحمل حبّة نقانق. أخذ عضّة كبيرة منها.

«كان معكم جورج هيرمان، CBS نيوز، ريدجواي، نيو هامبشاير».

عاد والتر كرونكايت ليظهر في غرفة تحرير CBS، وكان يضحك ضحكة خافتة. «نقانق»، قال وضحك ضحكة خافتة أخرى. «وهكذا تسير الأمور...».

نهض جوني وأطفأ التلفزيون. «لا يمكنني تصديق هذا فحسب»، قال. «ذاك الرجل مرشّح حقاً؟ هذه ليست نكتة؟».

«أن تكون نكتة أم لا هي مسألة تفسير شخصي»، قال روجر مبتسماً، «لكنه ترشَّح حقاً. أنا جمهوري منذ الولادة، لكن يجب أن أقرّ أن ستيلسون يحمِّسني. هل تعرف أنه وظَّف ستة درّاجين ناريين سابقين خارجين عن القانون كحرّاس شخصيين له؟ أعضاء حقيقيون في نادي الفرسان الحديديين. ليس نادي حرّاس الجحيم أو أي شيء مماثل، لكنني أظن أنهم كانوا زبائن خشنين جداً. يبدو أنه أعاد تأهيلهم».

منحرفو درّاجات نارية كعناصر حماية. لم يرق هذا لجوني كثيراً. فقد كان منحرفو درّاجات نارية مسؤولين عن الأمن عندما أقامت فرقة الرولينغ ستونز حفلتها الموسيقية المجانية في حلبة ألامونت للسباقات في كاليفورنيا، ولم تنته الأمور على خير.

«يتحمَّل الناس... فرقة حمقى درّاجات نارية؟».

«لا، الوضع ليس هكذا حقاً. إنهم حسنو الشكل كثيراً. وسُمعة ستيلسون طيبة في ريدجواي لإعادة تأهيله الأولاد الواقعين في ورطة».

نخَر جوني بارتياب.

«لقد رأيتَه»، قال روجر وهو يشير إلى التلفزيون. «الرجل مهرِّج. يشنّ هجوماً مماثلاً على المنصة في كل خطاب له. يرمي خوذته على الحَشد - أظن أنه رمى مئة منها حتى الآن - ويوزِّع

نقانق. إنه مهرِّج، وما الضرر في ذلك؟ ربما يحتاج الناس إلى استراحة هزلية قصيرة من وقت لآخر. النفط ينفد لدينا، التضخم يزداد ببطء لكنه يخرج عن السيطرة بالتأكيد، الأعباء الضريبية على كاهل المواطن العادي لم تكن أثقل أبداً، ويبدو أننا نستعد لاختيار كذّاب غامض الأفق من جورجيا رئيساً للولايات المتحدة. لذا يريد الناس أن يروّحوا عن أنفسهم قليلاً. بل حتى يريدون أن يضعوا إبهامهم على أنوفهم ويبسطون سائر أصابعهم استهزاءً بكل مؤسسة سياسية لا تبدو قادرةً على حل أي شيء. ستيلسون غير مؤذٍ».

«إنه في المدار»، قال جوني وضحِكا معاً.

«لدينا الكثير من السياسيين المجانين»، قال روجر. «في نيو هامبشاير لدينا ستيلسون الذي يريد شقّ طريقه إلى مجلس النواب بالنقانق، وما الضرر في ذلك؟ في كاليفورنيا لديهم هاياكاوا. أو خذ حاكمنا مَلدريم تومسون. أراد العام الماضي تسليح الحرس الوطني لنيو هامبشاير بأسلحة نووية تكتيكية. أنا أعتبر هذا الصنف مجنوناً بلا حدود».

«هل تقول إنه لا بأس إن انتخب الناس في الدائرة الثالثة مغفَّل القرية ليمثِّلهم في واشنطن؟».

«لم تفهمني»، قال تشاتسوورث بصبر. «خذ الأمور من وجهة نظر الناخب يا جوني. أغلب سكان الدائرة الثالثة من العمّال وأصحاب المتاجر. والأجزاء الريفيّة من الدائرة بدأت تطوير طابعٍ استجماميٍ للتو. ينظر أولئك الأشخاص إلى دايفد بوز ويرون ولداً يافعاً جائعاً يحاول جعلهم ينتخبونه بناءً على بعض الكلام المنمّق وبعض الشبه بالممثل داستن هوفمان. يُفترَض بهم اعتباره رجلاً من الشعب لأنه يرتدي سروال جينز أزرق».

«ثم خذ فيشر. رَجلي، اسميّاً على الأقل. لقد نظَّمتُ عدة لقاءات لجمع التبرعات له ولمرشّحين جمهوريين آخرين في هذا الجزء من نيو هامبشاير. وهو عضو في الهيل منذ زمن طويل لدرجة أنه يعتقد أن قبّة الكابيتول ستتحطَّم على الأرجح إذا لم يكن قربها ليدعمها معنوياً. لم تخطر بباله فكرة أصلية واحدة في حياته كلها، ولم يعارض خط الحزب أبداً. لم يتلطّخ اسمه بأي وصمة عار لأنه غبي جداً ليكون فاسداً، رغم أنه قد يتوسَّخ ببعض الوحل في نهاية المطاف من فضيحة كوريا غايت هذه. تتضمن خُطبه كل الإثارة التي تجدها في نص كتالوغ قِطع السمكرة الوطنية. لا يعرف الناس كل هذه الأمور، لكن يمكنهم أن يشعروا بها أحياناً. وفكرة أن هاريسون فيشر يفعل أي شيء لدائرته الانتخابية هي محض هُراء مضحك».

«لذا الحل هو باختيار معتوه؟».

ابتسم تشاتسْوورث بخفّة. «يتبيَّن أحياناً أن أولئك المعتوهين يُنجزون عملاً جيداً جداً. انظر إلى بيلاّ أبزوغ. هناك مجموعة من الأدمغة الممتازة اللعينة تحت تلك القبعات المجنونة. لكن حتى لو تبيَّن أن ستيلسون مجنون في واشنطن بنفس قدر جنونه في ريدجواي، فهو يستأجر المقعد لسنتين فقط. سيُخرجونه في انتخابات 1978 ويضعون بدلاً منه شخصاً يفهم الدرس».

«الدرس؟».

نهض روجر. «لا تخدع الناس لفترة طويلة»، قال. «هذا هو الدرس. آدم كلايتون پاول اكتشف ذلك. أغنو ونيكسون أيضاً. فقط... لا تخدع الناس لفترة طويلة». ألقى نظرة سريعة على ساعته. «تفضَّل إلى المنزل الكبير لنتناول شراباً يا جوني. شيلي وأنا خارجان لاحقاً، لكن لدينا الوقت لكوب صغير».

ابتسم جوني ونهض. «حسناً»، قال. «لقد لويتَ ذراعي».

الفصل العشرون

1

في منتصف أغسطس، وجَد جوني نفسه وحيداً في عزبة تشاتسْوورث مع نغو فات الذي يُقيم في غرفة خاصة به فوق المرأب. فقد أغلقت عائلة تشاتسْوورث المنزل وذهبَت إلى مونتريال للاستجمام لثلاثة أسابيع قبل السنة الدراسية الجديدة وقبل بدء فورة الخريف في المصانع.

كان روجر قد ترَك مفاتيح مرسيدس زوجته لجوني فقادها إلى منزل أبيه في پاونال وهو يشعر كأنه ملك. دخلت مفاوضات أبيه مع شارلين ماكينزي مرحلة حرِجة، ولم يعد هيرب يتكبَّد عناء الاحتجاج بأن اهتمامه بها هو فقط للتأكد من عدم تهاوي المنزل على رأسها. كان في مرحلة مغازلة كاملة في الواقع وهذا وتَّر جوني قليلاً. عاد جوني إلى منزل تشاتسْوورث بعد ثلاثة أيام، واستأنف مطالعاته ومراسلاته في الهدوء المخيِّم على المكان.

كان يجلس على سرير هوائي في وسط حوض السباحة يشرب مشروباً غازياً ويقرأ ملحق نيويورك تايمز التقييمي للكتب عندما أتى نغو إلى ساحة الحوض، خلعَ صندله، وغطَّس قدمَيه في الماء.

«آآآآه»، قال. «هذا أفضل بكثير». ابتسم لجوني. «الجو هادئ، أليس كذلك؟».

«هادئ جداً»، وافَقه جوني. «كيف حال حصة المُواطَنَة يا نغو؟».

«لطيفة جداً»، قال نغو. «سنقوم برحلة ميدانية يوم السبت. الأولى لي. هذا مشوِّق جداً. كل الطلاب سيترحّلون فيها».

«سيشاركون فيها»، قال جوني وابتسم من تخيّله نغو فات وكل زملائه في حصة المُواطَنَة يهلوسون من تعاطيهم المخدّرات.

«عفواً؟». رفع حاجبَي عينيه بتهذيب.

«كل الطلاب سيشاركون فيها».

«نعم، شكراً. سنذهب إلى التجمهُر والخطاب السياسي في تريمبول. كلنا نقول إننا محظوظون جداً لأخذنا حصة المُواطَنَة في سنة انتخابات. إنها مفيدة أكثر من بقية السنوات».

«نعم، أنا أكيد من ذلك. مَن ستشاهدون؟».

«غريغ ستيرز...». سكتَ ثم لفَظ الاسم مرة أخرى، بعناية فائقة. «غريغ ستيلسون، المرشَّح المستقل لمقعدٍ في مجلس النواب الأميركي».

«سمِعتُ عنه»، قال جوني. «هل ناقَشتموه في الحصة يا نغو؟».

«نعم، تناقشنا حول هذا الرجل. وُلد عام 1933. اشتغل في عدة وظائف. أتى إلى نيو هامبشاير عام 1964. أخبَرنا مدرِّسنا أنه أتى إلى هنا منذ مدة طويلة كفاية بحيث لم يعد الناس يعتبرونه طائراً».

«طارئاً»، قال جوني.

نظرَ إليه نغو بتهذيب أجوف.

«المصطلح هو طارئ».

«نعم، شكراً».

«هل وجدتَ ستيلسون غريباً قليلاً؟».

«ربما هو غريب في أميركا»، قال نغو. «هناك العديد من أمثاله في فييتنام. أشخاصٌ...». جلَس يفكِّر وهو يحرّك قدمَيه الصغيرتين والمُرهَفتين في مياه الحوض الزرقاء الخضراء. ثم عاد ورفع نظره إلى جوني.

«لا أعرف الكلمة الإنكليزية لما أريد قوله. هناك لعبة يلعبها الناس في بلادي تسمّى النمر الضاحك. إنها لعبة قديمة ومحبوبة جداً، مثل البيسبول لديكم. يرتدي ولدٌ زيّ نمر ويحاول بقية الأولاد إمساكه بينما يركض ويرقص. الولد الذي يرتدي زيّ النمر يضحك، لكنه يزمجر ويعضّ أيضاً، لأن هذه هي قوانين اللعبة. في بلادي، قبل الشيوعيين، كان العديد من قادة القرية يلعبون النمر الضاحك. أعتقد أن ستيلسون هذا يعرف تلك اللعبة أيضاً».

نظرَ جوني إلى نغو باضطراب.

لم يبدُ نغو مضطرباً أبداً. بل ابتسم. «لذا سنذهب كلنا ونرى بأنفسنا. بعد ذلك، سنتناول أطعمة النزهة. أنا بنفسي سأُعدّ فطيرتين. أعتقد أن ذلك سيكون لطيفاً».

«يبدو رائعاً».

«سيكون رائعاً جداً»، قال نغو وهو ينهض. «بعد ذلك، في الحصة، سنناقش كل ما رأيناه في تريمبول. ربما سنكتب مقالات صغيرة. كتابة المقالات أسهل بكثير لأن المرء يستطيع أن يبحث عن الكلمة الدقيقة».

«نعم، الكتابة يمكن أن تكون أسهل أحياناً. لكنني لم أحظَ أبداً بطلاب في حصة التأليف في الثانوية يعتقدون ذلك».

ابتسم نغو. «كيف تسير الأمور مع تشاك؟».

«إنه يحقّق تقدّماً ممتازاً».

«نعم، إنه سعيد الآن. ولا يتظاهر فقط. إنه فتى مؤدَّب». نهض. «سأستريح يا جوني. سآخذ قيلولة».

«حسناً».

راقَب نغو يبتعد، بجسمه الصغير والنحيل والرشيق في سروال جينز أزرق وقميص عمل قطني رقيق باهت.

الولد الذي يرتدي زيّ النمر يضحك، لكنه يزمجر ويعضّ أيضاً، لأن هذه هي قوانين اللعبة... أعتقد أن ستيلسون هذا يعرف تلك اللعبة أيضاً.

ذلك الشعور بالقلق انتابه مرة أخرى.

تمايَل كرسي الحوض بلطف إلى الأعلى والأسفل، وغمرته الشمس بسرور. أعاد فتح الملحق التقييمي للكتب، لكن المقال الذي كان يقرأه لم يعد يثير اهتمامه. وَضَعه جانباً وجذَّف السرير الهوائي الصغير إلى حافة الحوض وخرَج. تريمبول تبعُد أقل من خمسين كيلومتراً. ربما يركب مرسيدس السيدة تشاتسْوورث ببساطة ويذهب هذا السبت. رؤية غريغ ستيلسون شخصياً. الاستمتاع بالعرض. ربما... ربما مصافحته.

لا. لا!

لكن لما لا؟ فهو في النهاية جَعَل السياسيين هوايته تقريباً في سنة الانتخابات هذه. ماذا يمكن أن يكون مزعجاً جداً في الذهاب لرؤية واحد آخر؟

لكنه منزعج، لا شكّ في ذلك. كان قلبه ينبض بقوة وسرعة أكبر مما يجب، وتمكَّن من إيقاع مجلته في الحوض. اصطادها من الحوض وهو يشتم قبل أن تتشبَّع بالماء.

بطريقة أو بأخرى، التفكير بغريغ ستيلسون جَعَله يفكِّر بفرانك دود.

مضحك تماماً. لا يمكن أن ينتابه أي شعور عن ستيلسون على الإطلاق بمجرّد رؤيته على التلفزيون.

ابقَ بعيداً.

حسناً، ربما سيبقى بعيداً وربما لا. ربما سيذهب إلى بوسطن هذا السبت بدلاً من تريمبول. يشاهد فيلماً.

لكن شعوراً غريباً ثقيلاً من الرعب حلَّ عليه حين عاد إلى المَضافة وغيَّر ملابسه. بطريقةٍ ما، كان الشعور أشبه بصديق قديم - من صنف الأصدقاء القدامى الذين يكرهون في السر. نعم، سيذهب إلى بوسطن يوم السبت. هذا سيكون أفضل.

رغم أنه عاش ذلك اليوم من جديد مراراً وتكراراً في الأشهر التي تلت ذلك، إلا أن جوني لم يستطع أبداً أن يتذكَّر بالضبط كيف أو لماذا انتهى به المطاف في تريمبول. فقد انطلق في اتجاه آخر بقصد أن يذهب إلى بوسطن ويشاهد مباراة الريد سوكس في ملعب فَنواي بارك، ثم يذهب ربما إلى كامبريدج ويستعرض المكتبات. إذا بقي معه ما يكفي من نقود (فقد أرسَل أربعمئة دولار من علاوة

تشاتسْوورث إلى أبيه، الذي أرسلها بدوره إلى مستشفى ماين الشرقية - حركة بمثابة البصق في المحيط) فهو ينوي الذهاب إلى سينما أورسن ويلز ومشاهدة ذلك الفيلم الجامايكي *كلما أتوا بقوة أكبر*. برنامجٌ جيدٌ، ويومٌ ممتازٌ لتطبيقه؛ فنهار 19 أغسطس ذاك بزغَ حاراً وصافياً وحلواً، نتاج يوم صيفي مثالي في نيو إنغلاند.

ترك نفسه يدخل مطبخ المنزل الكبير وأعدَّ ثلاث شطائر لحم وجبنة كبيرة جداً للغداء، ووضعها في سلة نزهة قديمة الطراز مصنوعة من قشّ وجَدها في حجرة المؤن، وبعد بحثٍ صغيرٍ في الذات، أضاف إلى سلّته صندوق شراب شعير سداسي العبوات. كان يشعر براحة نفسية مطلقة في تلك اللحظة. ولم تعكّر مزاجه أي فكرة عن غريغ ستيلسون أو فيلق حرّاسه الشخصيين من نادي الفرسان الحديديين.

وَضَع سلة النزهة على أرضية المرسيدس وقاد جنوباً شرقاً نحو الطريق I-95. كل شيء واضح كفايةً حتى تلك اللحظة. لكن عندها بدأت أشياء أخرى تتسلّل إليه. أفكار عن أمه على فِراش موتها. ثم وجه أمه مفتولاً في تكشيرة مجمَّدة، ويدها على اللحاف معقوفة على شكل مخلب، وصوتها الذي بدا كأنه قادم من فم محشو بالقطن بالكامل.

ألم أُخبِرك؟ ألم أقل لك هذا؟

رفعَ جوني صوت الراديو أكثر. تدفقَّت موسيقى روك أند رول جيدة من مكبّرات الصوت في المرسيدس. لقد بقي نائماً لأربع سنوات ونصف لكن الروك أند رول بقيت حيّة وبصحة جيدة، شكراً جزيلاً. راح جوني يغنّي مع الراديو.

لديها وظيفة لك. لا تهرب من هذا يا جوني.

لم يستطع الراديو حجب صوت أمه الميتة. ستقول أمه الميتة ما لديها لكي تقوله. حتى من قبرها ستقول ما لديها لكي تقوله.

لا تختبئ في كهف أو تجعلها ترسل سمكة كبيرة لتبتلعك.

لكن سمكةً كبيرةً ابتلعته. لم يكن اسمها حوتاً بل غيبوبة. لقد أمضى أربع سنوات ونصف في بطنها الأسود، وهذا يكفي.

ظهرَ له منعطف الدخول إلى الطريق الرئيسي - ثم انزلَق خلفه. لقد كان تائهاً جداً في أفكاره لدرجة أن المنعطف فاته. الأشباح القديمة لن تستسلم وتدعه وشأنه بسهولة. حسناً، سيستدير ويعود حالما يجد مكاناً جيداً.

لستَ الخزّاف بل طين الخزّاف يا جوني.

«آه، بالله عليك»، تمتم. عليه أن يُخرج هذا الهُراء من ذهنه فوراً، فأمه كانت متخشّعة إلى حد الجنون. هذه ليست طريقة لطيفة جداً في التعبير لكنها الحقيقة. السماوات في كوكبة الجبّار، صحون طائرة للمتخشّعين، ممالك تحت التربة. كانت مجنونة بطريقتها الخاصة بنفس درجة جنون غريغ ستيلسون بالحد الأدنى.

آه بالله عليكم، لا تتحمّسوا لذلك الرجل.

«*وعندما تضعون غريغ ستيلسون في مجلس النواب، ستقولون نقانق! أخيراً شخصٌ يهتم لأمرنا!*».

وصلَ إلى درب نيو هامبشاير 63. الانعطاف يساراً سيأخذه إلى كونكورد، برلين، ريدرز ميلّ، تريمبول. انعطفَ جوني دون أي تفكير بشأن ذلك، لأن أفكاره كانت في مكان آخر.

روجر تشاتسْوورث، وليس شخصاً ساذجاً، هو الذي سخِر من غريغ ستيلسون كما لو أنه ردّ هذه السنة على جورج كارلن وشيفي تشايس مدموجاً في جواب واحد. *إنه مهرِّج يا جوني.*

وإذا كان ذلك كل ما هو عليه ستيلسون، فلا مشكلة إذاً، صح؟ فاتنٌ غريب الأطوار، ورقةٌ فارغةٌ يستطيع الناخبون كتابة رسالتهم عليها: *أنتم ضامرون كفايةً لدرجة أننا قرَّرنا اختيار هذا المغفَّل بدلاً عنكم لسنتين.* هذا على الأرجح كل ما هو عليه ستيلسون في النهاية. مجرّد مجنون غير مؤذٍ، ولا داعي أبداً لربطه بالجنون النمطي الهدّام لفرانك دود. ومع ذلك... بطريقة أو بأخرى... فعلَ ذلك.

تفرَّعت الطريق أمامه. المنعطف الأيسر يؤدي إلى برلين وريدرز ميلّ، والمنعطف الأيمن يؤدي إلى تريمبول وكونكورد. استدار جوني يميناً.

لكن مجرّد المصافحة لن تضرّ بشيء، أليس كذلك؟

ربما لا. سياسي آخر لتشكيلته. فبعض الأشخاص يجمِّعون الطوابع، وبعضهم العملات المعدنية، لكن جوني سميث يجمع مصافحات و -

- ولنعترف بالحقيقة. لقد بقيتَ تبحث عن مرشَّح خارجي منذ البداية.

زعزعته الفكرة بقوة لدرجة أنه كاد يركن جانباً على قارعة الطريق. لمحَ نفسه في مرآة الرؤية الخلفية ولم ير الوجه الراضي عن كل شيء الذي استيقظ به ذلك الصباح. بل رأى الآن وجه المؤتمر الصحفي، ووجه الرجل الذي زحَف على ثلج مشاع بلدة كاسل روك على يديه ورُكبتَيه. البشرة بيضاء جداً، العينان مُحاطتان بدائرتين بنّيتين تشبهان الكدمات، والخطوط محفورة بشكل عميق جداً.

لا. هذا ليس صحيحاً.

لكنه صحيحٌ. الآن وقد خرج ذلك، لا يمكن إنكاره. في أول ثلاث وعشرين سنة من حياته، صافحَ سياسياً واحداً بالضبط؛ حصل ذلك عندما جاء إد مَسكي ليتحدَّث مع الحصة عن حكومة في مدرسته الثانوية عام 1966. وفي الأشهر السبعة الأخيرة، صافحَ أكثر من عشرة أسماء رنّانة. وألم تلمع الفكرة في الجهة الخلفية لذهنه بينما مدَّ كل واحد منهم يده - *ما طبيعة هذا الرجل؟ ماذا سيقول لي؟*

ألم يكن يبحث، منذ البداية، عن المرادف السياسي لفرانك دود؟

نعم. هذا صحيح.

لكن الحقيقة هي أن لا أحد منهم غير كارتر أخبَره أي شيء يُذكَر، والمشاعر التي انتابته من كارتر لم تكن مخيفة جداً. مصافحة كارتر لم تُشعره بذلك الإحساس بالغرق الذي انتابه من مجرّد مشاهدة غريغ ستيلسون على التلفزيون. بل شعَر كما لو أن ستيلسون ربما خطا خطوةً إضافيةً في لعبة النمر الضاحك: داخل جلد الوحش يوجد رجلٌ، نعم.

لكن داخل جلد الرجل، يوجد وحشٌ.

مهما كان التقدّم، وجَد جوني نفسه يأكل غداء نزهته في منتزه بلدة تريمبول وليس على مدرَّجات ملعب فَنواي المكشوفة. كان قد وَصَل بُعيد الظهر ورأى لافتةً على لوحة إعلانات المجتمع تُعلن أن التجمهُر سيجري عند الثالثة بعد الظهر.

انجرَف إلى المنتزه، متوقعاً أن يجد المكان خالياً قبل وقت طويل من موعد بدء التجمهُر، لكنه رأى آخرين يبسطون بطانيات من قبل، أو يُخرجون صحون فريسبي من حقائبهم، أو يجلسون ليتناولوا غداءهم.

هناك عدةُ رجال يعملون على نصب المنصة. اثنان منهم يزخرفان القضبان العالية حتى الخصر برايات قماشية. وواحد آخر على سُلَّمٍ يعلِّق أشرطة ورقية ملوَّنة من طُنُف السقف الدائري للمنصة. وآخرون يجهّزون نظام الأصوات، الذي لم يكن رخيصاً مثلما خمَّن جوني بالضبط عندما شاهد التقرير الإخباري على محطة CBS. كانت مكبّرات الصوت من ماركة ألتيك لانسينغ، ويتم توزيعها بعناية لتوليد صوت محيطيّ.

أنجز المندوبون الاستطلاعيون (لكن الصورة التي بقيت في الأذهان هي صورة فريق صيانة لفرقة موسيقى روك) عملهم بدقة متناهية. الجو بأكمله بدا ذا نوعية محترفة متنافرة مع صورة ستيلسون الرجل المتهوِّر اللطيف من بورنيو.

غطّى الحَشد في أغلبه حقبةً تمتد عشرين سنة، فتراوحت الأعمار من المراهقة إلى منتصف الثلاثينات. الجميع يقضي وقتاً ممتعاً. الأطفال يتهادون ممسكين مخاريط بوظة ذائبة وعبوات عصير. النساء يدردشن ويضحكن. الرجال يشربون شراب شعير من أكواب ورقية. بضعة كلاب تهرول في الأرجاء وتُمسك ما يمكن إمساكه، والشمس تشعّ بحنان على الجميع.

«اختبار»، قال أحد الرجال على المنصة باقتضاب في المذياعَين. «اختبار أول، اختبار ثانٍ...». أصدرَ أحد مكبّرات الصوت في المنتزه نحيب تغذية مرتدّة صاخباً، وأومأ الرجل الواقف على المنصة أنه يريد إرجاعه إلى الخلف.

هذه ليست الطريقة المناسبة التي تجهِّز بها لخطاب وتجمهُر سياسيين، فكَّر جوني في سرّه. *إنهم يجهِّزون لوليمة محبة أو حفلة مُجون جماعي.*

«اختبار أول، اختبار ثانٍ... اختبار، اختبار، اختبار».

رأى جوني أنهم *يربطون* مكبّرات الصوت الكبيرة بالأشجار. لا يثبّتوها بمسامير بل بأربطة. ستيلسون مناصرٌ للبيئة، وشخصٌ ما أخبَر مندوبيه الاستطلاعيين بعدم إيذاء أي شجرة في منتزه أي بلدة. جعلته العملية يشعر بوجود اهتمام شديد بأدقّ التفاصيل، وليس مجرّد إقامة حفلٍ ثم الفرار على عجل دون اكتراث لما يخلّفونه وراءهم.

دخلت حافلتان مدرستيان صفراوان المنعطف على يسار مرأب السيارات الصغير (والممتلئ من قبل). فُتحت الأبواب وخرَج منها رجال ونساء يتكلّمون بحماسة مع بعضهم البعض. كانوا في تباين واضح مع أولئك المتواجدين في المنتزه من قبل لأنهم يرتدون أفضل ملابسهم - الرجال في بذلات أو معاطف رياضة، والسيدات في بلوزات وتنانير نضرة أو فساتين أنيقة. راحوا يحدِّقون حولهم بدهشة وتوقّع طفوليين تقريباً، وابتسم جوني. لقد وصل زملاء نغو في حصة المُواطَنَة.

سار نحوهم. كان نغو يقف مع رجل طويل في بذلة مضلَّعة وامرأتين صينيتين.

«مرحباً يا نغو»، قال جوني.

ابتسم نغو ابتسامة عريضة. «جوني!»، قال. «تسرّني رؤيتك يا رجل! إنه يوم رائع لولاية نيو هامبشاير، صح؟».

«أظن ذلك»، قال جوني.

عرَّفه نغو على رفاقه. الرجل في البذلة المضلَّعة بولندي. والمرأتان أختان صارمتان من تايوان. أخبَرته إحداهما أنها تأمل أن تصافح المرشّح بعد انتهاء البرنامج ثم أظهرت له، بخجل، دفتر التواقيع الشخصية في حقيبة يدها.

«أنا مسرورة أن أكون في أميركا»، قالت. «لكنه غريب، أليس كذلك يا سيد سميث؟».

جوني، الذي شَعَر أن الأمر بأكمله غريب، وافَقها.

نادى مدرِّسا حصة المُواطَنَة المجموعة للتجمُّع قربهما. «سأراك لاحقاً يا جوني»، قال نغو. «عليَّ أن أتجوّل».

«أن أذهب»، قال جوني.

«نعم، شكراً».

«أتمنى لك وقتاً ممتعاً يا نغو».

«آه، نعم، أنا متأكد من ذلك». وتلألأت عينا نغو بمرح خفيّ. «أنا متأكد أن الحفل سيكون مسلياً يا جوني».

ذهبت المجموعة، حوالي أربعين شخصاً بالإجمال، إلى الجهة الجنوبية للمنتزه لتناول الغداء. عاد جوني إلى مكانه وأجبر نفسه على أكل إحدى شطائره. بدا طعمها أشبه بطعم الورق والغراء.

بدأ توتّر شديد يتغلغل في كل أنحاء جسمه.

3

امتلأ المنتزه بالكامل عند الثانية والنصف؛ وازدحم الأشخاص كتفاً بكتف تقريباً. أغلقت شرطة البلدة، بمساندة فرقة صغيرة من شرطة الولاية، الشوارع المؤدّية إلى منتزه بلدة تريمبول. الشبه بحفلة موسيقية أصبح أقوى من أي وقت مضى. صدحت موسيقى مبتهِجة وسريعة من مكبّرات الصوت، وانجرفت سُحُب بيضاء كثيفة في السماء الزرقاء البريئة.

بدأ الناس فجأة يقفون على أقدامهم ويمطّون أعناقهم. انتشر ذلك بين الحَشد بتأثير تموّجيّ. نهض جوني أيضاً، وتساءل إن كان ستيلسون سيصل باكراً بما أنه أصبح يسمع الهدير المتواصل لمحرِّكات الدرّاجات النارية يملأ بعد ظهر الصيف مع اقترابها أكثر فأكثر. رأى جوني بوضوح أشعة الشمس تنعكس على الكْروم، وبعد لحظات لاحت حوالي عشر درّاجات نارية عند المنعطف حيث رُكنَت حافلات المُواطَنَة. لم تكن هناك سيارة معها. خمَّن جوني أنهم حرس استطلاعيون.

تعمَّق شعوره بالقلق. كان الراكبون أنيقين كفاية، فيرتدي أغلبهم سراويل جينز باهتةً نظيفةً وقمصاناً بيضاء، لكن الدرّاجات نفسها، أغلبها هارلي وBSA، فتم تعديلها إلى حدود لم يعد بالإمكان معها التعرّف على ماركتها تقريباً: مقاوِد أعلى من كتفَي السائق، قِطع من الكْروم المخدوش، وأغطية انسيابية غريبة.

أطفأ مالكوها المحرِّكات، ونهضوا عنها، وابتعَدوا نحو المنصة في صف واحد. واحد منهم فقط التفَت إلى الوراء. جالت عيناه من دون تسرّع فوق الحَشد الكبير؛ حتى من تلك المسافة البعيدة استطاع جوني رؤية أن عينَي الرجل خضراوان لامعتان. بدا أنه يحصي عدد الجماهير. ألقى نظرة سريعة على اليسار، إلى أربعة أو خمسة رجال من شرطة البلدة يتّكئون على الحاجز المعدني ذي القطع الماسية لملعب البيسبول لدوري الصغار. لوَّح لهم. مالَ أحد رجال الشرطة وبصق. بدا له هذا التصرّف أشبه بمراسم متعارف عليها، وتعمَّق قلق جوني أكثر. الرجل ذو العينين الخضراوين مشى الهُوَينى إلى المنصة.

إضافةً إلى القلق، الذي يضغط على مشاعره الأخرى الآن مثل طابق عاطفي، شَعَر جوني في الأغلب بمزيج قوي من الرعب والصَخَب. انتابه شعور أشبه بالحلم بأنه دخلَ بطريقة أو بأخرى إحدى تلك اللوحات التي تُظهِر محرّكات بخارية تخرج من مواقد من الطوب أو ساعات تتدلّى بترهّل من أغصان أشجار. بدا الدَرّاجون كزوائد في فيلم درّاجات إنتاج أميركي عالمي مشترك قرَّروا كلهم المشاركة في حملة انتخابية. كانت سراويلهم الجينز الباهتة مستكينة فوق جزمات جلدية مربّعة المقدمة ويوجد على مشط القدم في بعضها سلاسل مطلية بالكروم تتلألأ بقوة في الشمس. كل تعابيرهم متشابهة تقريباً: نوعٌ من روح الدعابة الفارغة التي بدت موجَّهة نحو الحَشد. لكن تحت ذلك ربما كان هناك ازدراء خفيف لعمّال المطاحن اليافعين، وطلاب الصيف الذين جاؤوا من جامعة نيو هامبشاير في دورهام، وعمّال المَصانع الذين وقفوا ليحيّوهم بجولة من التصفيق. وضعَ كل واحد منهم زرَّين سياسيين على صدره، يُظهِر أحدهما خوذة عامل بناء صفراء عليها ورقة لاصقة خضراء للبيئة، ويُظهر الزر الآخر الشعار *المصارع ستيلسون ثبّتهم أرضاً*.

وهناك عصا بلياردو تم تقصيرها ناتئةٌ من كل جيبٍ عند الورك الأيمن.

استدار جوني إلى الرجل الذي بجانبه، الذي كان مع زوجته وابنه الصغير. «هل هذه الأشياء قانونية؟»، سأل.

«لا يهمّ»، أجاب الشابّ ضاحكاً. «إنها للعرض فقط، على أي حال». كان لا يزال يصفِّق. «*اذهب واقضِ عليهم يا غريغ!*»، صاح.

توزَّع حراس الدرّاجات النارية حول المنصة في دائرة ووَقَفوا وقفة عسكرية صارمة.

توقف التصفيق، لكن الأحاديث استمرت بمستوى صاخب أكثر. لقد تذوَّق فم الحَشد المقبّلات ووجدها لذيذة.

كتيبة القمصان البنّية، فكَّر جوني في سرّه وهو يجلس. كلهم من كتيبة القمصان البنّية النازية.

حسناً، وما الضرر في ذلك؟ ربما هذا جيدٌ حتى. لا يتقبَّل الأميركيون الأسلوب الفاشي كثيراً - حتى اليمينيين العنيدين أمثال ريغن لم يلجأوا إلى تلك الأمور؛ هذه ليست سوى الحقيقة مهما يكن عدد نوبات الغضب التي قد يُصاب بها اليسار الجديد أو عدد الأغاني التي كتَبتها جوان بايز. قبل ثماني سنوات، ساهمت الأساليب الفاشية لشرطة شيكاغو في خسارة هيوبرت همفري الانتخابات. لم يهتمّ جوني بمدى حُسن مظهر أولئك الأشخاص؛ إذا كانوا في خدمة مرشَّح إلى مجلس النواب فإن ستيلسون لا يمكن أن يكون أبعد من بضع خطوات من تجاوز نفسه. *إذا لم يكن غريباً جداً، فهو مضحك حقاً.*

رغم ذلك، تمنّى لو لم يأت إلى هنا.

4

قُبيل الساعة الثالثة، حفرَ دويّ أسطوانة باسّ كبيرة أثراً لنفسه في الهواء، وشَعَرت به الأقدام قبل أن تسمعه الآذان في الواقع. بدأت آلات أخرى تحاصره تدريجياً، وكلها تجمَّعت في فرقة موسيقية سائرة تعزف أحد ألحان سُوسا. صَخَب انتخابات بلدة صغيرة في يوم صيفي.

وقف الحَشد مرة أخرى واستدار في اتجاه الموسيقى. سرعان ما لاحت الفرقة الموسيقية - أولاً مدوِّرة عصا في تنورة قصيرة تمشي رافعةً قدمَيها عالياً في الهواء في حذاء جلديّ أبيض ذي شُرّابات، ثم راقصتان، ثم فتَيان كثيرا البثور بوجهَين متجهّمين يحملان راية تُعلن أن هذه الفرقة الموسيقية السائرة لثانوية تريمبول ومن الأفضل لك ألا تنسى ذلك. ثم الفرقة الموسيقية نفسها، زاهية وزاخرة بالعرق في أزياء رسمية بيضاء وأزرار نحاسية مسبِّبة للعمى.

أفسحَ لهم الحَشد المجال لكي يمرّوا، ثم انفجر في موجة تصفيق مع اقترابهم من المكان. وظهرت خلفهم شاحنة فورد بيضاء يقف على سقفها المرشّح بذاته منفرِج الذراعين والساقين وبوجه محترق من الشمس وابتسامة عملاقة تحت قبعة عامل بنائه المائلة إلى الخلف. رفعَ بوقاً يعمل على البطارية وصرخ فيه بحماسة ملعلعة: «مرحباً بكم جميعاً!».

«مرحباً يا غريغ!»، ردَّ عليه الحَشد فوراً.

غريغ، فكَّر جوني في سرّه ببعض السخرية. *ننادي بعضنا بالاسم الأول مع هذا الرجل.*

قفز ستيلسون عن سقف الشاحنة، وتمكَّن من جعل ذلك يبدو سهلاً. كان يرتدي مثلما رآه جوني في نشرة الأخبار، سروال جينز وقميصاً كاكياً. بدأ يشقّ طريقه بين الحَشد إلى المنصة وهو يصافح الحاضرين، ويلمس الأيدي الأخرى الممدودة فوق رؤوس الواقفين في الصفوف الأمامية. تطوَّح الحَشد وتمايَل بانفعال شديد نحوه، وشَعَر جوني بتطوُّحٍ موازٍ في أمعائه.

لن ألمسه. إطلاقاً.

لكن الحَشد تباعد أمامه فجأة فدخلَ الفراغ الصغير ووجد نفسه في الصف الأمامي فجأة. كان قريباً بما فيه الكفاية من عازف البوق في الفرقة الموسيقية السائرة لثانوية تريمبول ليتمكّن من طرق مفاصل أصابعه على بطن البوق لو أراد ذلك.

تحرّك ستيلسون بسرعة بين أعضاء الفرقة الموسيقية ليصافح الواقفين على الجهة الأخرى، ولم يعد جوني يرى سوى الخوذة الصفراء المتمايلة. شَعَر بالارتياح. لا بأس بهذا إذاً. لا أذى، لا أضرار. مثل الفرّيسي في تلك القصة المشهورة، كان سيمرّ على الجهة الأخرى. جيد. مدهش. وعندما يصل إلى المنصة، سيلملم جوني أغراضه ويتسلَّل مبتعداً. فقد طفح الكيل.

اقترب الدَرّاجون من جهتَي المسار بين الحَشد لمنعه من الإطباق على المرشّح وإغراقه بالأشخاص. كل عُصي البلياردو المقصَّرة لا تزال في جيوبهم الخلفية، لكن مالكيها بدوا متوتّرين ومتيقّظين من أي متاعب. لم يعرف جوني ما نوع المتاعب التي توقَّعوها بالتحديد - بيضة ترمى بوجه المرشّح، ربما - لكن الدَرّاجين بدوا مهتمين حقاً لأول مرة.

ثم حصل شيء، لكن جوني لم يقدر أن يحدّد ما هو بالضبط. فقد امتدّت يد أنثى نحو الخوذة الصفراء المتمايلة، ربما لمجرّد لمسها جلباً للحظ السعيد، وتحرّك أحد رجال ستيلسون بسرعة. علا صياح رعب واختفت يد المرأة بسرعة. لكن كل ذلك حصل على الجهة الأخرى للفرقة الموسيقية السائرة.

كان الضجيج من الحَشد هائلاً، وتذكَّر مرة أخرى الحفلات الموسيقية الصاخبة التي حضرها. هكذا ستكون الأجواء لو قرَّر پول مكارتني أو ألڤيس پريسلي مصافحة الحَشد.

كانوا يصرخون اسمه، ينشدونه: «غريغ...غريغ...غريغ...».

الشابّ الذي نَصَب عائلته بجانب جوني كان يرفع ابنه عالياً فوق رأسه لكي يستطيع الولد أن يرى. وراح شابٌّ آخر ذو ندبة حرق كبيرة مزمومة على أحد جهتَي وجهه يلوِّح بلافتة كُتب عليها: *عِش حراً أو مُتْ، إليك غريغ المُنصِت!* كما راحت فتاة فائقة الجمال في الثامنة عشرة من عمرها على الأرجح تلوِّح بقطعة بطيخ أحمر والعصير الزهري يسيل على ذراعها المسمَرّة. فوضى عارمة في كل مكان. والإثارة تهمهِم بين الحَشد كأنها سلسلة خطوط كهربائية عالية الفولطية.

وها هو غريغ ستيلسون فجأة وقد عاد مندفعاً بين أعضاء الفرقة الموسيقية إلى جهة جوني من الحَشد. لم يتوقف، لكنه وجد الوقت الكافي ليربِّت على ظهر عازف البوق.

فكَّر جوني بالأمر ملياً لاحقاً وحاوَل إخبار نفسه أنه لم يكن هناك حقاً أي فرصة أو وقت ليعود ويذوب بين الحَشد؛ حاوَل إخبار نفسه أن الحَشد *دفعه* عملياً نحو ذراع ستيلسون. حاوَل إخبار نفسه أن ستيلسون فعل كل شيء سوى اختطاف يده. كل ذلك لم يكن حقيقياً. كان هناك وقت، لأن امرأة بدينة ترتدي سروالاً قصيراً أصفر سخيف المظهر رمت ذراعيها حول عنق ستيلسون وقبَّلته قبلة من صميم قلبها، وقد ردَّ لها ستيلسون القبلة ضاحكاً وقائلاً «بالتأكيد سأتذكَّرك يا عزيزتي». صرَخت المرأة البدينة ضاحكةً.

شَعَر جوني بالبرودة المضغوطة المألوفة تسري فيه، شَعَر بالنشوة. الإحساس بأن لا شيء يهمّ سوى *المعرفة*. حتى إنه ابتسم قليلاً، لكنها لم تكن ابتسامته. مدَّ يده، وقبض عليها ستيلسون بيديه الاثنتين وبدأ يهزّها إلى أعلى وأسفل.

«كيف حالك يا رجل؟ آمل أنك ستدعمنا في...».

ثم سحب ستيلسون يديه. على طريقة آيلين ماغاون. على طريقة الطبيب جايمس (تماماً مثل مغني السول) براون. على طريقة روجر دوسو. شخُصت عيناه، ثم امتلأتا ـ خوفاً؟ لا. امتلأتا *رعباً*.

دامت اللحظة إلى ما لا نهاية. فقد حل شيء آخر محل الوقت الموضوعي، حجابٌ مثاليٌ من الوقت بينما راحا يحدِّقان في بعضهما البعض. بدا ذلك لجوني كما لو أنه عاد إلى رواق الكْروم الباهت ذاك، ما عاد ستيلسون معه هذه المرة وكانا يتشاركان... يتشاركان

(كل شيء).

لم يحصل الأمر بهذه القوة أبداً لجوني، أبداً. أتاه كل شيء دفعةً واحدةً، مضغوطاً ببعضه وصارِخاً مثل قطار شحن أسود فظيع منطلق بأقصى سرعة في نفق ضيق، محرِّكٌ مُسرعٌ ذو ضوء

أمامي ساطع واحد في مقدمته، والضوء الأمامي يعرف كل شيء، وضوؤه يطعن جوني مثل حشرة على دبوس. لم يكن هناك أي مكان للفرار إليه وصدَمَته المعرفة المثالية، سطَّحته كورقةٍ بينما سار عليه ذلك القطار الليلي.

شَعَر برغبة بالصراخ، لكن لم يكن لديه مَيل نحو ذلك، لم يكن لديه صوت ليفعل ذلك.

الصورة الوحيدة التي لم يفرّ منها أبداً

(بينما بدأ المَرشح الأزرق يتسلَّل إليه).

هي صورة غريغ ستيلسون يُقسم اليمين الدستورية. كانت المراسم تتم بإشراف عجوز ذي عينين متواضعتين خائفتين لفأر حقل وقع في فخ

(نمر).

قطة مزرعة خبيرة محنّكة بشكل رهيب. إحدى يدَي ستيلسون موضوعة على مرجع حكم قديمة، واليد الأخرى مرفوعة في الهواء. يجري هذا بعد سنوات عديدة لأن ستيلسون فقَدَ معظم شعره. كان العجوز يتكلَّم وستيلسون يردّد خلفه أنه

(المَرشح الأزرق يتعمَّق، يغطي الأشياء، يمحوها رويداً رويداً، المَرشح الأزرق الرحوم، وجه ستيلسون خلف الأزرق... والأصفر... الأصفر مثل تقليمات النمر).

سيفعل ذلك «بمشيئة الله». كان وجهه وقوراً، متجهّماً، هادئاً، لكن فرحاً كبيراً ملأ صدره وزأر في دماغه. لأن الرجل ذا عينَي فأر الحقل الخائفتين هو رئيس المحكمة العليا للولايات المتحدة و

(آه يا إلهي المَرشح المَرشح الأزرق التقليمات الصفراء).

الآن بدأ كل ذلك يختفي ببطء خلف ذلك المَرشح الأزرق - ما عدا أنه لم يكن مَرشحاً؛ كان شيئاً حقيقياً. كان

(في المستقبل في المنطقة الميتة).

شيئاً في المستقبل. مستقبله؟ مستقبل ستيلسون؟ لم يعرف جوني.

كان هناك الشعور بالطيران - الطيران عبر الأزرق - فوق مشاهد خراب مطلق لا يمكن رؤيتها فعلاً. وقد اخترقه الصوتُ المشوَّشُ لغريغ ستيلسون، صوت صنمٍ أو محرِّكٍ ميتٍ في أوبرا هزلية: «سأخترقهم مثل حنطة سوداء عبر إوزةٍ! سأخترقهم مثل براز عبر أجمّة قصب!».

«النمر»، تمتم جوني ببلادة. «النمر خلف الأزرق. خلف الأصفر».

ثم تفجَّر كل شيء، الصور والكلمات، في الزئير المتورِّم الهادئ للنسيان. بدا أنه يشمّ رائحةً نحاسيةً عذبةً مثل رائحة احتراق خطوط التوتر العالي. وبدا له للحظة أن العين الداخلية شخُصت بالكامل وراحت تبحث؛ الأزرق والأصفر اللذان حجبا كل شيء بدَوا على وشك أن يتصلّبا إلى... إلى شيء، ومن مكان ما داخله، مكان ناءٍ ومليء بالرعب، سمِع زعيق امرأة: «*أعطني إياه أيها الوغد!*».

ثم زال.

لكم من الوقت وقفنا معاً هكذا؟ سيسأل نفسه لاحقاً. تكهّنه هو حوالي خمس ثوانٍ. ثم كان ستيلسون يسحب يده، *ينتزعها*، يحدِّق في جوني بفم فاغر، واللون يتلاشى تحت الاسمرار القوي للمرشَّح المُحنَّك. يستطيع جوني رؤية الحشوات في الأسنان الخلفية للرجل.

كان تعبيره تعبير رعبٍ مقزَّزٍ.

جيد!! أراد جوني أن يقول صارخاً. *جيد! فتّت نفسك! هدِّم نفسك! دمِّر! انفجر داخلياً! فتِّت! اصنع معروفاً للعالم!*

لمحَ اثنين من الدرّاجين يهرعان إلى الأمام وقد *أخرجَ* كل واحد منهما عصاه البلياردو المقصَّر طولها وشَعَر جوني بنوع غبي من الرعب لأنهما سيضربانه، سيضربانه على رأسه بها، سيُقنعان نفسيهما أن رأسه هو الكُرة رقم ثمانية وسيسدّدانها نحو الفتحة الجانبية مباشرةً، ليعود إلى سواد الغيبوبة ولن يخرج منها أبداً هذه المرة، لن يتمكّن أبداً من إخبار أي شخص بما رأى أو من تغيير أي شيء.

ذلك الشعور بالدمار - يا للهول! كان *كل شيء!*

حاوَل التراجع إلى الوراء. تبعثر الناس، عادوا وحشروه وهم يصيحون من الخوف (أو ربما من الإثارة). كان ستيلسون يستدير نحو حرّاسه الخاصين، وقد استعاد رباطة جأشه وهزَّ لهم رأسه

لإيقافهم.

لم ير جوني ما حصل بعد ذلك أبداً. فقد تمايَل على قدمَيه، مُخفضاً رأسه، وطرفت عيناه ببطء مثل ثملٍ في النهاية المرّة لأسبوع من المَرَح الصاخب. ثم غمره الزئير الهادئ المتورِّم للنسيان وتركه جوني يدخله؛ تركه يدخله بكل سرور. ثم فقَدَ وعيه.

الفصل الحادي والعشرون

1

«لا»، قال رئيس شرطة تريمبول رداً على سؤال جوني، «لستَ متّهماً بأي تهمة. ولستَ قيد التوقيف. ولستَ مضطراً إلى الإجابة على أي أسئلة. لكننا سنكون شاكرين جداً لو أجبتَ عليها».

«شاكرين جداً»، ردَّد الرجل الآخر ذو البذلة. يدعى إدغار لانكته. ويعمل في فرع بوسطن لمكتب التحقيقات الفدرالي. اعتقَد أن جوني سميث يبدو رجلاً مريضاً جداً. فهناك رضّة منفوخة فوق حاجب عينه اليسرى بدأت تتحوَّل إلى اللون الأرجواني بسرعة. لأنه عندما فقَدَ جوني وعيه، سقط بقوة كبيرة - إما على حذاء أحد عازفي الفرقة الموسيقية السائرة أو على الإصبع المتأهب لقدم درّاج. يفضِّل لانكته سراً الاحتمال الثاني. وربما كان حذاء الدرّاج يتحرَّك لحظة الاتصال.

بدا سميث شاحباً جداً، وارتعَشت يداه بعنف بينما شرِب كوب الماء الورقي الذي أعطاه إياه الرئيس باسّ. وراح أحد جفنيه يتكتك بعصبية. بدا أشبه بالشخص الكلاسيكي الراغب أن يكون قاتلاً، رغم أن أكثر شيء مميت في حوزته كان قصاصة أظافر. ومع ذلك، لن ينسى لانكته ذلك الانطباع أبداً، لأن هذه هي طبيعته.

«ماذا يمكنني أن أُخبِركما؟»، سأل جوني. فقد استيقظ على سرير نقّال في سجن مفتوح وهو يشعر بصُداع مُبرح. بدأ يزول الآن، تاركاً إياه يشعر أجوف بشكل غريب من الداخل. شَعَر قليلاً كما لو أن أحشاءه الشرعية غُرِفَت خارجاً واستُبدلَت بقشدة مخفوقة. كان هناك صوت مرتفع بشكل ثابت في أذنيه - ليس رنيناً بالضبط؛ بل أشبه بهمهمة مرتفعة متواصلة. إنها التاسعة مساءً. رحلت حاشية ستيلسون عن البلدة منذ مدة طويلة. وقد أُكلَت كل تلك النقانق.

«يمكنك إخبارنا ما الذي حصل هناك بالضبط»، قال باسّ.

«كان الجو حاراً. وأظن أنني أفرطتُ في الحماسة وأُغمي عليَّ».

«هل أنت معتلّ أو شيء من هذا القبيل؟»، سأل لانكته بشكل غير رسمي.

نظرَ إليه جوني بحدّة. «لا تتذاكى عليَّ يا سيد لانكته. إذا كنتَ تعرف مَن أنا، فقُل ذلك وحسب».

«أعرف»، قال لانكته. «ربما أنت نفساني *حقاً*».

«لا شيء نفساني في تكهّن أن عميل مكتب التحقيقات الفدرالي قد يحاول أن يتذاكى قليلاً»، قال جوني.

«أنت من ماين يا جوني. بالولادة والنشأة. ماذا يفعل شخص من ماين في نيو هامبشاير؟».

«أدرِّس».

«ابن تشاتسْوورث؟».

«للمرة الثانية: إذا كنتَ تعرف، لماذا تسأل؟ إلا إذا كنتَ تشتبه بي في شيء».

أشعلَ لانكته سيجارة فانتج خضراء. «عائلة غنية».

«نعم. إنهم أغنياء».

«هل أنت من أنصار ستيلسون يا جوني؟»، سأل باسّ. جوني لا يحبّذ الأشخاص الذين يستخدمون اسمه الأول من أول لقاء، وهذان الشخصان يفعلان ذلك. وهذا يوتّره.

«هل أنتما من أنصاره؟»، سأل.

صفَّر باسّ صفيراً بذيئاً. «منذ حوالي خمس سنوات، أُقيمت حفلة موسيقى روك دامت اليوم بطوله في تريمبول. هناك على أرض هايك جايميسون. تردَّد مجلس البلدة، لكنهم وافقوا لأنه يجب أن يتوفر شيءٌ للأولاد. اعتقَدنا أنه سيحضر الحفلة حوالي مئتَي ولد محلي في مرعى هايك الشرقي ليستمعوا إلى الموسيقى. لكننا تلقينا ألفاً وستمئة ولد، كلهم يدخِّنون الحشيشة ويشربون مشروبات قوية من الزجاجة مباشرةً. أحدثوا فوضى عارمة وجنّ جنون أعضاء المجلس وقرّروا عدم إقامة أي حفلة أخرى فقالوا لهم بعيون متألمة ودامعة، ‹ما بالكم؟ لا أحد تأذّى، أليس كذلك؟›. كان من

المفترَض أن يكون مقبولاً إحداثهم فوضى عارمة لأن لا أحد تأذّى. ينتابني شعور مماثل تجاه ستيلسون هذا. أتذكَّر ذات مرة...».

«أنت لا تملك أي ضغينة تجاه ستيلسون، أليس كذلك يا جوني؟»، سأل لانكته. «لا شيء شخصي بينكما؟». ابتسم ابتسامة أبوية من الصنف الذي يقول *يمكنك أن تفضفض عن همّك إذا أردتَ*.

«لم أكن أعرف حتى مَن هو منذ ستة أسابيع».

«نعم، حسناً، لكن هذا لا يُجيب على سؤالي حقاً، أليس كذلك؟».

بقي جوني صامتاً لبعض الوقت. «إنه يزعجني»، قال أخيراً.

«هذا لا يُجيب على سؤالي حقاً أيضاً».

«بلى، أعتقد أنه يُجيب عليه».

«لستَ مفيداً بالقدر الذي نريده»، قال لانكته بندم.

ألقى جوني نظرة سريعة على باسّ. «هل كل شخص يُغمى عليه في تجمهُر عام في بلدتك ينال شرف زيارة من مكتب التحقيقات الفدرالي أيها الرئيس باسّ؟».

بدا باسّ مرتبكاً. «حسناً... لا. بالطبع لا».

«كنتَ تصافح ستيلسون عندما وقعتَ مغشياً عليك»، قال لانكته. «بدوتَ مريضاً. ستيلسون نفسه بدا خائفاً. أنت رجل محظوظ جداً يا جوني. محظوظ أن رفاقه لم يحوّلوا رأسك إلى جرّة للنذور. اعتقَدوا أنك تمثّل عليه».

راح جوني ينظر إلى لانكته بتفاجؤ واندهاش. ثم نظرَ إلى باسّ، وعاد إلى رجل مكتب التحقيقات الفدرالي. «كنتَ *هناك*»، قال. «لم يتصل بك باسّ هاتفياً. كنتَ *هناك*. في التجمهُر».

سحَق لانكته سيجارته. «نعم. كنتُ هناك».

«لماذا مكتب التحقيقات الفدرالي مهتمّ بستيلسون؟»، كاد جوني يصيح السؤال بأعلى صوته.

«دعنا نتكلّم عنك يا جوني. ما...».

«لا، دعنا نتكلَّم عن ستيلسون. دعنا نتكلَّم عن رفاقه، مثلما أسميتهم. هل يحق لهم أن يحملوا عُصي بلياردو تم تقصيرها؟».

«أجل»، قال باسّ. رماه لانكته بنظرة تحذير، لكن باسّ إما لم يرها أو تجاهَلها. «عُصي، مضارب بيسبول، مضارب غولف. القانون لا يمنع أياً منها».

«سمِعتُ أحدهم يقول إن أولئك الشباب راكبو درّاجات نارية، أعضاء في عصابة درّاجات نارية».

«بعضهم كان عضواً في أحد نوادي نيوجيرسي، وبعضهم في أحد نوادي نيويورك، هذا...».

«أيها الرئيس باسّ»، قاطَعه لانكته، «بالكاد أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب...».

«لا يمكنني رؤية أي ضرر من إخباره»، قال باسّ. «إنهم متشرِّدون، تفاح عَفِن، بغيضون. بعضهم شكَّل عصابة في الهامبتونز منذ أربع أو خمس سنوات، عندما قاموا بأعمال شغب سيئة. وقلّة منهم تحالفوا مع نادي درّاجات نارية يدعى دزينة الشيطان انحلّ عام 1972. فُتوّة ستيلسون شابٌّ يدعى صاني إيليمان. كان رئيس نادي دزينة الشيطان. اعتُقل ست مرات لكن لم يُدَن بأي شيء أبداً».

«أنت مخطئ بشأن ذلك أيها الرئيس»، قال لانكته وهو يُشعل سيجارة جديدة. «استُدعي إلى القضاء في ولاية واشنطن عام 1973 لانعطافه يساراً بشكل غير قانوني عكس اتجاه حركة المرور. وقَّع تنازلاً ودفعَ غرامة قدرها خمسة وعشرين دولاراً».

نهض جوني واجتاز الغرفة ببطء إلى برّاد الماء، حيث صبّ لنفسه كوب ماء جديداً. راقَبه لانكته باهتمامٍ.

«إذاً أُغمي عليك فحسب، صح؟»، قال لانكته.

«لا»، قال جوني دون أن يستدير صوبه. «كنتُ سأُطلق عليه قذيفة بازوكا. ثم تعطَّلت كل داراتي البيولوجية الإلكترونية في اللحظة الحاسمة».

تنهَّد لانكته.

قال باسّ، «أنت حر أن تذهب في أي وقت».

«شكراً».

«لكنني سأقول لك بنفس الطريقة التي سيقولها لك السيد لانكته هنا. في المستقبل، سأبقى بعيداً عن تجمهُرات ستيلسون، لو كنتُ مكانك. إذا كنتَ تريد النفاد بريشك. يصدف أن تحدث أمور سيئة للأشخاص الذين لا يعجبون غريغ ستيلسون...».

«حقاً؟»، سأل جوني، وشرِب ماءه.

«هذه أمور تقع خارج صلاحياتك أيها الرئيس باسّ»، قال لانكته بعينين فولاذيتين ضبابيتين تنظران إلى باسّ بحدّة كبيرة.

«حسناً»، قال باسّ بلطف.

«لا أرى أي ضرر في إخبارك أنه وقعت حوادث في تجمهُرات أخرى»، قال لانكته. «في ريدجواي، ضُربَت شابة حامل بقوة لدرجة أنها أجهضت. حصل ذلك مباشرة بعد تجمهُر ستيلسون هناك الذي صوّرته محطة CBS. قالت إنها لا تستطيع التعرّف على مهاجميها، لكننا نشعر أنه ربما كان أحد دَرّاجي ستيلسون. ومنذ شهر، أُصيب ولد في الرابعة عشرة بكسر في الجمجمة. كان يحمل مسدَّساً مائياً بلاستيكياً صغيراً. لم يستطع التعرّف على مهاجمه أيضاً. لكن المسدَّس المائي جعلنا نصدِّق أن ما حصل ردّة فعل أمنية مبالغ فيها».

يا لهذا التعبير اللطيف، فكَّر جوني في سرّه.

«ألم تستطيعوا إيجاد أي شخص رأى ما حصل؟».

«لا أحد يريد أن يتكلَّم». ابتسم لانكته بشكل جدّي ونفضَ رماد سيجارته. «هو خيار الشعب».

تذكَّر جوني الشابّ الحامل ابنه عالياً لكي يستطيع الفتى رؤية غريغ ستيلسون. *مَن يهتمّ؟ إنهم للاستعراض فقط، على أي حال.*

«لذا نال حيوانه الأليف من مكتب التحقيقات الفدرالي».

هزَّ لانكته كتفيه وابتسم ببرودة. «حسناً، ماذا يمكنني أن أقول؟ ما عدا أنها، لمعلوماتك، ليست مهمة سهلة يا جوني. أخاف كثيراً أحياناً. للرجل شعبية قوية. إذا أشار إليَّ من المنصة وأخبَر الحَشد في أحد تلك التجمهُرات مَن أكون، أعتقد أنهم سيشنقونني على أقرب عمود إنارة.

تذكَّر جوني الحَشد بعد ظهر ذلك اليوم، والفتاة الجميلة التي تلوِّح قطعة بطيخها الأحمر بطريقة هستيرية. «أعتقد أنك قد تكون محقاً»، قال.

«لذا إذا كنتَ تعرف شيئاً يمكن أن يساعدني...»، قال لانكته وهو يميل إلى الأمام. الابتسامة الباردة أصبحت مفترسة قليلاً. «ربما حتى تراءت لك صورة نفسانية عنه. ربما هذا ما عبث بك».

«ربما»، قال جوني دون أن يبتسم.

«إذاً؟».

للحظة فكَّر جوني بإخبارهم كل شيء. ثم رفَض الفكرة. «رأيتُه على التلفزيون. لم يكن عندي شيء محدَّد لأفعله اليوم، لذا فكَّرتُ أن آتي إلى هنا واتفحصّه شخصياً. أنا أكيد أنني لم أكن الوحيد من خارج البلدة الذي فعل ذلك».

«بالتأكيد لم تكن الوحيد»، قال باسّ بحدّة.

«هل هذا كل شيء؟»، سأل لانكته.

«هذا كل شيء»، قال جوني، ثم تردَّد. «ما عدا... أنني أعتقد أنه سيفوز بانتخابه هذا».

«نحن متأكدون من ذلك»، قال لانكته. «إلا إذا استطعنا إيجاد شيء عليه. في هذه الأثناء، أنا على توافق تام مع الرئيس باسّ. ابقَ بعيداً عن تجمهُرات ستيلسون».

«لا تقلق». جعَّد جوني كوبه الورقي ورماه بعيداً. «سرّني التحدّث معكما يا سادة، لكن لديَّ مسافة طويلة للعودة إلى دورهام».

«ستعود إلى ماين قريباً يا جوني؟»، سأل لانكته بشكل غير رسمي.

«لا أعرف». نقل نظره من لانكته، النحيل الذي يطرق سيجارة جديدة على السطح الخالي لساعته الرقمية، إلى باسّ، الرجل الضخم المُتعَب ذو وجه يشبه وجه كلب صيد. «هل يعتقد أحدكما أنه سيترشَّح إلى منصب أعلى؟ إذا فاز بهذا المقعد في مجلس النواب؟».

«لا قدَّر الله»، تمتم باسّ وقلبَ عينيه.

«هؤلاء الأشخاص يأتون ويذهبون»، قال لانكته. لم تتوقف عيناه، البنّيتان لدرجة أنهما سوداوان تقريباً، عن دراسة جوني أبداً. «إنهم مثل أحد تلك العناصر المُشعّة النادرة التي تكون غير مستقرة لدرجة أنها لا تدوم طويلاً. أمثال ستيلسون لا يملكون قاعدة سياسية دائمة، مجرّد تحالف مؤقَّت يتماسك لبعض الوقت ثم ينهار. هل رأيتَ الحَشد اليوم؟ طلاب كلّيات وعمّال مصانع يصيحون لنفس الرجل؟ هذه ليست سياسة، هذا شيء من صنف طارات الهولا أو قبعات فرو الراكون أو الشعر المستعار الدائري. سيخدم ولاية كاملة في مجلس النواب ويتغدى مجاناً حتى العام 1978 فقط لا غير. صدّقني في ذلك».

لكن جوني تساءل.

2

في اليوم التالي، أصبحت الجهة اليسرى لجبهة جوني غنية بالألوان. أرجواني داكن - أسود تقريباً - فوق حاجب العين مائل إلى الأحمر ثم أصفر رمادي كئيب عند الصدغ والخط الشعري. انتفخ جفنه قليلاً، مما جعله يبدو كأنه ينظر شزراً، مثل الآسيوي الثاني في مسرحية هزلية.

سبحَ الحوض عشرين مرة ثم تمدَّد لاهثاً على أحد الكراسي الطويلة. انتابه شعور سيئ للغاية. فقد نام لأقل من أربع ساعات ليلة أمس، وكل ما حلم به خلالها هو كوابيس.

«مرحباً يا جوني... كيف حالك يا رجل؟».

استدار. إنه نغو، يبتسم بلطف. كان يرتدي ملابس عمله وقفازات البستنة. وخلفه عربة حمراء صغيرة مليئة بأشجار صنوبر صغيرة جذورها ملفوفة بأكياش خَيش. تذكَّر ما قاله نغو عن أشجار الصنوبر، قال: «أرى أنك تزرع المزيد من الأعشاب الضارة».

جعَّد نغو أنفه. «آسف، نعم. السيد تشاتسْوورث يحبّها. أُخبِره، لكنها أشجار متطفِّلة. موجودة في كل مكان في نيو إنغلاند. يصبح وجهه هكذا...». تجعَّد وجه نغو بأكمله الآن وبدا أشبه برسم كاريكاتوري لوحشٍ في برنامج تلفزيوني يُعرَض في وقت متأخر. «... ويقول لي، ‹ازرعها فحسب›».

ضحِك جوني. هذا هو روجر تشاتسْوورث بذاته. يحبّ حصول الأمور على ذوقه. «كيف وجدتَ التجمهُر؟».

ابتسم نغو بلطف. «مفيد جداً»، قال. لم تكن هناك أي طريقة لقراءة عينيه. وربما لم يلاحظ الشروق على وجه جوني. «نعم، مفيد جداً، كلنا أمضينا وقتاً ممتعاً».

«جيد».

«وأنت؟».

«ليس كثيراً»، قال جوني ولمسَ الرضّة بخفة برؤوس أصابعه. كانت طرية جداً.

«نعم، للأسف الشديد، يجب أن تضع شريحة لحم عليها»، قال نغو وهو لا يزال يبتسم بلطف.

«ما رأيك به يا نغو؟ ما رأي زملائك في الحصة به؟ صديقك البولندي؟ أو رُوث تشن وأختها؟».

«لم نتكلَّم عنه خلال العودة، بناءً على طلب مدرِّسَينا. فكِّروا بما رأيتهم، قالا. الثلاثاء القادم سنكتب في الحصة، أعتقد. نعم، أعتقد كثيراً أننا سنفعل ذلك. حصة إنشاء مقال صغير».

«ماذا ستقول في مقالك الصغير؟».

نظرَ نغو إلى سماء الصيف الزرقاء. ابتسم والسماء لبعضهما البعض. كان رجلاً صغيراً بدأت طلائع خصل رمادية تظهر في شعره. لا يعرف عنه جوني أي شيء تقريباً؛ لا يعرف إن كان متزوجاً، إن كان لديه أولاد، إن فرّ قبل قدوم الفيتكونغ، إذا كان من سايغون أو من أحد الأقاليم الريفيّة. لم تكن لديه أي فكرة عن ميوله السياسية.

«تكلَّمنا عن لعبة النمر الضاحك»، قال نغو. «هل تتذكَّر؟».

«نعم»، قال جوني.

«سأُخبِرك عن نمر حقيقي. عندما كنتُ فتى، ظهر نمر شرير بالقرب من قريتي. كان آكل رجال، تفهم قصدي، ما عدا أنه لم يكن كذلك، كان آكل فتيان وفتيات وعجائز لأن ذلك حصل خلال الحرب ولم يكن هناك رجال لكي يأكلهم. لا أقصد الحرب التي تعرف عنها، بل الحرب العالمية

الثانية. أحبَّ ذلك النمر مذاق اللحم البشري. مَن سيقتل هكذا مخلوق مريع في قرية متواضعة أصغر رجل فيها في الستين من عمره ولديه ذراع واحدة فقط، وأكبر فتى هو أنا، في السابعة من عمري فقط؟ ذات يوم، عُثر على ذلك النمر في حفرة وُضعت فيها جثة امرأة ميتة كطعم. إنه شيء فظيع أن يُستخدَم إنسان كطُعم، هكذا سأقول في مقالتي الصغيرة، لكن الفظيع أكثر هو عدم فعل شيء بينما يصطاد نمر شرير الأولاد الصغار. وسأقول في مقالتي الصغيرة إن ذلك النمر الشرير كان لا يزال حياً عندما وجَدناه. كان هناك وتد ناتئ من جسمه لكنه لا يزال حياً. بقينا نضربه بالمعاول والعصي حتى مات. العجائز والأولاد معاً. كان بعض الأولاد متحمِّسين وخائفين لدرجة أنهم بوَّلوا في سراويلهم. سقط النمر في الحفرة وضربناه بالمعاول حتى الموت لأن رجال القرية كانوا قد ذهبوا لمحاربة اليابانيين. أظن أن ستيلسون هذا يشبه ذلك النمر الشرير بحبّه للحم البشري. أعتقد أنه يجب نصب فخ له، وأعتقد أنه يجب أن يسقط فيه. وإذا بقي حياً، أعتقد أنه يجب ضربه حتى الموت».

ابتسم بلطف لجوني في أشعة شمس الصيف الصافية.

«هل تعتقد ذلك حقاً؟»، سأل جوني.

«آه، نعم»، قال نغو. تكلَّم بخفة كما لو أنه يتكلَّم عن مسألة لا عواقب لها. «ما سيقوله أستاذي عندما أسلِّم هكذا مقال، لا أعرف». هزَّ كتفَيه. «على الأرجح سيقول، ‹نغو، لستَ جاهزاً للطريقة الأميركية›. لكنني سأقول حقيقة ما أشعر به. ما *رأيك* يا جوني؟». انتقلت عيناه إلى الرضّة، ثم ابتعَدتا عنها.

«أعتقد أنه خطير»، قال جوني. «أ... أعرف أنه خطير».

«حقاً؟»، علَّق نغو. «نعم، أصدِّق أنك تعرف ذلك. سكان نيو هامبشاير يرونه كمهرِّج فاتن. يرونه مثلما يرى العديد في هذا العالم ذلك الرجل الأسود، عيدي أمين دادا. لكن على عكسك أنت».

«نعم»، قال جوني. «لكن اقتراح قتله...».

«قتله سياسياً»، قال نغو مبتسماً. «أنا فقط أقترح وجوب قتله سياسياً».

«وإذا كان لا يمكن قتله سياسياً؟».

ابتسم نغو لجوني. مدَّ سبابته، رفع إبهامه، ثم أنزله بقوة. «طاخ»، قال بلطف. «طاخ، طاخ، طاخ».

«لا»، قال جوني، وتفاجأ من البحّة في صوته. «هذا ليس حلاً أبداً. *أبداً*».

«لا؟ اعتقَدتُ أنه حل تستخدمونه أنتم الأميركيون في كثير من الأحيان». رَفَع نغو مقبض العربة الحمراء. «يجب أن أزرع هذه الأعشاب الضارة يا جوني. إلى اللقاء يا رجل».

راقَبه جوني يبتعد، رجلٌ صغيرٌ أسمر في حذاء جلدي من دون كعب يجرّ عربة مليئة بشتلات صنوبر. اختفى حول زاوية المنزل.

لا. القتل يشحذ المزيد من أسنان التنين فحسب. أنا مقتنع بذلك. مقتنع به من كل قلبي.

3

في أول ثلاثاء من نوفمبر، والذي صدف أنه ثاني يوم في الشهر، خرَّ جوني سميث على الكرسي المريح في غرفة جلوسه - مطبخه يشاهد عدد أصوات الاقتراع في الانتخابات. كان تشانسلور وبرينكلي يستعرضان خريطة إلكترونية كبيرة تُظهِر نتائج السباق الرئاسي بلون مختلف لكل ولاية. الآن، وعند منتصف الليل تقريباً، بدا السباق بين فورد وكارتر متقارباً جداً. لكن كارتر سيفوز؛ لم يكن لدى جوني أي شكّ في ذلك.

غريغ ستيلسون فاز أيضاً.

تم تغطية انتصاره بشكل مكثّف في التقارير الإخبارية المحلية، لكن المراسِلين الصحفيين الوطنيين خصّصوا له بعض التغطية أيضاً، وقارنوا انتصاره بانتصار جايمس لونغلي، حاكم ماين المستقل، قبل سنتين.

قال تشانسلور، «آخر الاستطلاعات التي أظهرت المرشّح الجمهوري والنائب الحالي هاريسون فيشر يقلّص الفارق كانت مُخطئة على ما يبدو؛ تتوقَّع NBC أن ينال ستيلسون، الذي خاض حملته الانتخابية بخوذة عامل بناء وعلى منصة تضمَّنت اقتراح إرسال كل التلوّث إلى الفضاء الخارجي، ستة وأربعين بالمئة من الأصوات، وفيشر واحداً وثلاثين بالمئة. في دائرةٍ لطالما امتلك فيها الديموقراطيون علاقات سيئة، يستطيع دايفد بوز نيل ثلاثة وعشرين بالمئة من الأصوات فقط».

«وبالتالي»، قال برينكلي، «إنه وقت النقانق في نيو هامبشاير... للسنتين القادمتين على الأقل». ابتسم وتشانسلور. جاء وقت الإعلانات. لم يبتسم جوني. كان يفكِّر بالنمور.

مرَّ الوقت بين تجمهُر تريمبول وليلة الانتخابات مزدحماً لجوني. استمرّ عمله مع تشاك، واستمرّ تشاك يتحسَّن ببطء لكن بثبات. أخذ مقرَّرين تعليميين في الصيف، ونجح فيهما، وحافظ على أهليته الرياضية. الآن ومع انتهاء موسم كُرة القدم، بدا أنه سيتم ترشيحه إلى فريق نجوم نيو إنغلاند التابع لسلسلة صحف غانيت. والزيارات الاستطلاعية والشعائرية تقريباً لكشّافة الكلّيات بدأت من قبل، لكن عليهم انتظار سنة أخرى؛ لأن تشاك وأباه اتّخذا القرار من قبل بأنه سيمضي سنة في إعدادية ستوفنغتون، وهي مدرسة خاصة جيدة في فيرمونت. توقَّع جوني أن إدارة ستوفنغتون ستفرح كثيراً من هذا الخبر على الأرجح. فمدرسة فيرمونت تُوفد باستمرار فِرق كُرة قدم رائعة وفِرق كُرة قدم تعيسة. سيعطونه على الأرجح منحة تعليمية كاملة ومفتاحاً ذهبياً إلى مسكن الطالبات أيضاً. شَعَر جوني أنه كان القرار السليم. فبعد اتّخاذه وبعد أن خَفّ الضغط على تشاك ليخضع لاختبارات الكفاءة الدراسية، أحرز تقدّماً كبيراً آخر.

في أواخر سبتمبر، ذهبَ جوني إلى پاونال لتمضية عطلة نهاية الأسبوع، وبعد قضائه ليلة الجمعة بأكملها يشاهد أباه يتململ ويضحك بصخب من نكاتٍ على التلفزيون لم تكن مضحكة جداً، سأل هيرب ما المشكلة.

«لا مشكلة»، قال هيرب مبتسماً بعصبية وهو يفرك يديه ببعضهما كأنه محاسب اكتشف أن الشركة التي استثمر فيها مدّخرات عمره أفلست. «لا مشكلة أبداً، ما الذي يجعلك تعتقد ذلك يا بُنيّ؟».

«حسناً، ما الذي يُشغِل بالك إذاً؟».

توقف هيرب عن الابتسام، لكنه بقي يفرك يديه ببعضهما. «لا أعرف حقاً كيف أُخبرك يا جوني. أعني...».

«هل الأمر يتعلق بشارلين؟».

«حسناً، نعم».

«عرضتَ عليها الزواج».

نظرَ هيرب إلى جوني بتواضع. «ما شعورك بحصولك على زوجة أب في سنّ التاسعة والعشرين يا جون؟».

ابتسم جوني. «أشعر بالارتياح. مبروك يا بابا».

ابتسم هيرب من الراحة النفسية. «حسناً، شكراً. كنتُ خائفاً قليلاً من إخبارك، لا أمانع من الإقرار بذلك. أعرف ما قلتَه عندما تكلَّمنا عن الموضوع سابقاً، لكن الأشخاص يشعرون بشكل مختلف أحياناً عندما يكون الموضوع مجرّد احتمال عن شعورهم عندما يتحقّق الأمر فعلاً. لقد أحبَبتُ أمك يا جوني. وأظن أنني سأبقى أحبّها دائماً».

«أعرف ذلك يا بابا».

«لكنني وحيد وشارلين وحيدة و... حسناً، أظن أنه يمكننا إفادة بعضنا البعض».

ذهب جوني إلى أبيه وقبَّله. «كل التوفيق. أعرف أنك ستوفَّق معها».

«أنت ابن بار يا جوني». أخرجَ هيرب منديله من جيبه الخلفي ومسح عينيه به. «اعتقدنا أننا فقدناك. أنا اعتقدتُ، على أي حال. ڤيرا لم تفقد الأمل أبداً. لطالما كانت واثقة. جوني، أنا...».

«لا يا بابا. لقد انتهى ذلك الأمر».

«عليَّ أن أقوله لك»، قال. «إنه يُثقل كاهلي مثل صخرة منذ سنة ونصف الآن. لقد صلّيتُ لك أن تموت يا جوني. ابني الوحيد، وصلّيتُ لله أن تموت». مسَح دموعه مرة أخرى ووضع منديله جانباً. «تبيَّن لي أنني جاهل أكثر مما كنتُ أظن. جوني... هلاّ كنتَ شاهدي في عرسي؟».

شَعَر جوني بشيء داخله يشبه الحزن لكنه ليس حزناً بالضبط. «سيكون ذلك من دواعي سروري»، قال.

«شكراً. أنا مسرور أنني... أنني بُحت بكل شيء يشغل بالي. أشعر بتحسّن لم أشعر به منذ فترة طويلة جداً».

«حل حدَّدتما موعداً؟».

«في الواقع، نعم. ما رأيك بالثاني من يناير؟».

«يبدو جيداً»، قال جوني. «يمكنك الاتكال عليَّ».

«أظن أننا سنعرض منزلَينا للبيع»، قال هيرب. «تُعجبنا مزرعة في بيدفورد. مكان لطيف. عشرون فداناً. نصفه حِرج. بداية جديدة».

«نعم. بداية جديدة، هذا جيد».

«ليس لديك أي اعتراض بشأن بيعي المنزل؟»، سأل هيرب بقلق.

«بعض ألم الفراق»، قال جوني. «هذا كل شيء».

«أجل، هذا ما أشعر به. بعض ألم الفراق». ابتسم. «في مكان ما قرب القلب بالنسبة لي. ماذا عنك؟».

«مثلك تقريباً»، قال جوني.

«كيف الأمور معك هناك؟».

«جيدة».

«تلميذك يتحسَّن؟».

«بشكل مدهش»، قال جوني مستخدماً أحد تعابير أبيه وابتسم.

«كم من الوقت تعتقد أنك ستبقى هناك؟».

«للعمل مع تشاك؟ أظن أنني سأبقى معه طوال السنة الدراسية، إذا أرادونني. العمل مع طالب واحد خبرة جديدة لي. وقد أعجبتني. وهذه وظيفة جيدة حقاً. يمكنني أن أقول جيدة بشكل مألوف».

«ماذا ستفعل بعد ذلك؟».

هزَّ جوني رأسه. «لا أعرف بعد. لكنني أعرف شيئاً واحداً».

«ما هو؟».

«سأخرج لتناول زجاجة شراب عنب بالفقاقيع. سنثمل كثيراً».

نهض أبوه في ذلك المساء من سبتمبر وربَّت له على ظهره. «اعمل حسابي»، قال.

لا يزال يتلقى رسالة عَرَضيّة من سارة هازليت. تنتظر ووالت ولدهما الثاني في أبريل. ردَّ عليها جوني مهنئاً ومتمنياً لوالت التوفيق في الانتخابات. وكان يتذكر أحياناً بعد ظهره مع سارة، بعد ظهر ذلك اليوم الطويل البطيء. لم تكن ذكرى سمح لنفسه باستحضارها كثيراً؛ فقد خشي أن تعرضّها المتواصل لضوء شمس التذكُّر قد يجعلها تبهت وتتلاشى، مثل التجارب الطباعية الضاربة إلى الحُمرة التي كانوا يعطونك إياها لصور تخرّجك.

خرج في موعد بضع مرات هذا الخريف، مرةً مع الأخت الأكبر سناً والمطلَّقة حديثاً للفتاة التي يواعدها تشاك، لكن لا شيء تطوَّر من كل تلك المواعيد.

أمضى معظم وقت فراغه ذلك الخريف برفقة غريغوري أمّاس ستيلسون.

أصبح من عشّاق ستيلسون. ويحتفظ بثلاث مفكرات في مكتبه تحت جواربه وملابسه الداخلية وقمصانه التائية مليئة بملاحظات وتخمينات ونُسخ فوتوغرافية عن مقالات إخبارية.

إنجاز ذلك جَعَله يشعر بعدم الارتياح. ففي الليل، وخلال تدوينه بقلم حبر رفيع حول القصاصات الملصقة، يشعر أحياناً كأنه آرثر بريمر أو تلك المرأة مُور التي حاوَلت إطلاق النار على جيري فورد. عرَف أنه إذا استطاع إدغار لانكته، الخادم الجَسور لمكتب التحقيقات الفدرالي، رؤيته يفعل ذلك، فسيتم التنصّت على هاتفه وغرفة جلوسه وحمّامه بلمح البصر. وسيجد شاحنة أثاث مركونة في الجانب المقابل لشارعه، لكن بدلاً من مفروشات، ستكون محمَّلة بكاميرات وميكروفونات وأشياء أخرى لا يمكن أن تخطر على باله.

بقي يقول لنفسه إنه ليس بريمر وإن ستيلسون ليس هَوَساً، لكن تصديق ذلك أصبح أصعب بعد فترات بعد الظهر الطويلة التي قضاها في مكتبة جامعة نيو هامبشاير يبحث في الصحف والمجلات القديمة ويُقحم أعشار الدولارات في آلة النسخ الفوتوغرافي. وأصبح أصعب أيضاً في الليالي الطويلة التي أمضاها يدوِّن أفكاره ويحاول بناء روابط صالحة بينها. وأصبح تصديقه مستحيلاً تقريباً عند الثالثة فجراً عندما يستيقظ والعرق يكدّه من الكابوس المتكرر.

كان الكابوس هو نفسه تقريباً دائماً، تكرار صارخ لمصافحته ستيلسون في تجمهُر تريمبول. السواد المفاجئ. الشعور بالتواجد في نفق يغمره وهج الضوء الأمامي المندفِع، ضوء أمامي مثبَّت بالمحرِّك الأسود للموت. العجوز ذو العينين المتواضعتين الخائفتين يدير قَسَم يمين دستورية لمنصبٍ لا يُصدَّق. الفوارق الطفيفة للشعور، القادمة والذاهبة مثل هبّات دخان قوية. وسلسلة صور موجزة، مصطفة معاً في صفٍ مثل الرايات البلاستيكية المثلّثة الشكل فوق مدخل معرض سيارات

مستعملة. همَس له ذهنه بأن كل تلك الصور مترابطة، بأنها تروي قصة موت هائل وشيك، وربما حتى هرمجدون الذي كانت ڤيرا سميث واثقة منه إلى ما لا نهاية.

لكن ما هي تلك الصور؟ ما هي بالضبط؟ إنها ضبابية، مستحيل رؤيتها ما عدا في مخطط غامض، لأن هناك دائماً ذلك المَرشح الأزرق المحيِّر بينها، المَرشح الأزرق الذي تقطعه أحياناً تلك العلامات الصفراء مثل تقليمات النمر.

الصورة الصافية الوحيدة في تكرارات الحلم تلك تظهر قُبيل النهاية: صرخات المُحتضَر، رائحة الميت. ونمر واحد يسير ببطء عبر كيلومترات من المعادن المفتولة والزجاج المنصهر والتربة المحروقة. هذا النمر يضحك دائماً، ويبدو أنه يحمل شيئاً في فمه - شيئاً أزرق وأصفر وينزف دماً.

مرَّت أوقات في الخريف اعتقَد فيها أن ذلك الحلم سيُفقده عقله. حلم سخيف؛ الاحتمال الذي بدا أنه يشير إليه كان مستحيلاً في النهاية. من الأفضل طرده من ذهنه كلياً.

لكن لأنه لا يستطيع فعل ذلك، راح يدرس غريغوري ستيلسون وحاوَل إخبار نفسه أنها هواية غير مؤذية وليست هَوَساً خطيراً.

وُلد ستيلسون في تولسا. كان أبوه عاملاً قوي البنية في حقول النفط تنقَّل من وظيفة إلى أخرى، وعمل أكثر من بعض زملائه في أغلب الأحيان بسبب ضخامة حجمه. ربما كانت أمه جميلةً ذات يوم، رغم وجود مجرّد تلميح بذلك في الصورتين اللتين استطاع جوني كشفهما. لو كانت جميلة فإن الزمن والرجل الذي تزوجته أضعفَا جمالها بسرعة. لم تبيّن الصور أكثر من مجرّد وجه جاف آخر، امرأة خلال فترة الانهيار الاقتصادي في الولايات المتحدة الجنوبية الشرقية ترتدي فستاناً باهتة ألوانه وتحمل طفلاً - غريغ - على ذراعيها الهزيلتين، وتُحول عينيها في الشمس.

كان أبوه رجلاً مستبِّداً لم يُعر ابنه اهتماماً كبيراً. وكان غريغ في طفولته شاحباً ومريضاً. لم يعثر على دليل بأن أباه أساء معاملته ذهنياً أو جسدياً، لكن كان هناك اقتراح بأن غريغ ستيلسون بالحد الأدنى عاش في جو من الرَفْض خلال السنوات التسع الأولى من حياته. لكن الصورة الوحيدة التي عثر عليها جوني للأب والابن معاً كانت صورة سعيدة؛ فقد أظهرتهما معاً في حقول النفط، وذراع الأب مسندة حول عنق الابن في إيماءة صداقة اعتباطية. لكنها سبَّبت قشعريرة خفيفة لجوني. كان هاري ستيلسون يرتدي ملابس العمل، سروالاً قطنياً وقميصاً كاكياً مزدوج الصدر، وخوذته مائلة برشاقة إلى الخلف على رأسه.

بدأ غريغ المدرسة في تولسا، ثم نُقل إلى أوكلاهوما سيتي عندما أصبح في العاشرة. قُتل أبوه في الصيف السابق في انفجار برج بئر النفط. وذهبت ماري لُو ستيلسون إلى أوكي سيتي مع ابنها لأن أمها تعيش هناك، وهناك يوجد العمل الحربي. إنه العام 1942، والزمن الجميل عاد من جديد.

بقيت علامات غريغ جيدة حتى المرحلة الثانوية، ثم بدأ يواجه سلسلة مشاكل. التهرّب من المدرسة، العراك، الاحتيال في مباريات السنوكر في وسط المدينة، وربما بيع بضائع مسروقة في أعلى المدينة، رغم أن ذلك لم يُبرهَن أبداً. عام 1949، عندما كان في بداية المرحلة الثانوية، طُرد ليومين بسبب وضعه مفرقعة نارية في مرحاض غرفة الملابس.

في كل تلك المواجهات مع السلطة، انحازت ماري لُو ستيلسون إلى ابنها. الزمن الجميل - على الأقل لأمثال عائلة ستيلسون - انتهى مع العمل الحربي عام 1945، وبدا أن السيدة ستيلسون اعتبرت أنها وابنها بمواجهة بقية العالم. فقد ماتت أمها تاركةً لها منزلاً خشبياً صغيراً غير مكتمل البناء ولا شيء آخر. بقيت تحتال بعض الشراب في مقصف للعمال الأقوياء البنية لبعض الوقت، ثم عملت نادلةً في مطعم رخيص طوال الليل. وعندما واجه ابنها بعض المتاعب، كانت تدافع عنه دون أن تتحقّق أبداً (على ما يبدو) لترى إن كانت يداه قذرتين أو نظيفتين.

الفتى المريض الشاحب الذي لقَّبه أبوه القزم اختفى عام 1949. فمع تقدّم غريغ ستيلسون في مرحلة المراهقة، ظهر إرث أبيه الجسدي. فازداد طول الفتى خمسة عشر سنتيمتراً وازداد وزنه ثلاثين كيلوغراماً بين الثالثة عشرة والسابعة عشرة. لم يمارس الرياضة المدرسية المنظَّمة لكنه تمكّن بطريقة أو بأخرى من شراء نادي رياضي لكمال الأجسام يعتمد نظام تشارلز أطلس ثم مجموعة أوزان. أصبح القزم شاباً شقياً.

خمَّن جوني أنه أوشك بلا شك على الانسحاب من المدرسة عشرات المرات. وتجنَّب السجن على الأرجح من باب الحظ فقط لا غير. فقط لو سُجن مرةً واحدةً، فكَّر جوني في سرّه في أغلب الأحيان. كان ذلك سيُنهي كل هذا القلق الغبي، لأن المُدان لا يستطيع أن يطمح بأن يتبوأ منصباً عاماً رفيعاً.

تخرَّج ستيلسون - محتلاً مرتبة قريبة من أسفل لائحة صفّه، هذا صحيح - في يونيو 1951. رغم علاماته المتدنية، لم يكن هناك أي خلل في ذكائه. كانت عينه على الفرصة الرئيسية. لديه لسان طليق وأسلوب مُربح. عمِل لفترة وجيزة في محطة وقود ذلك الصيف. ثم في أغسطس من تلك

السنة، تعرَّف غريغ ستيلسون على السماوات في اجتماع شعبي في وايلدْوود غرين. فاستقال من وظيفته في محطة الوقود وعمل في مهنة صناعة المطر «من خلال قوة السماوات».

بالمصادفة أو بشي آخر، كان ذلك الصيف أحد فصول الصيف الأكثر جفافاً في أوكلاهوما منذ أيام قصعة الغبار. ذبلت المحاصيل من قبل وضاع مجهود المزارعين سُدى، وستموت الماشية قريباً إذا جفّت الآبار الضحلة. دُعي غريغ إلى اجتماع لاتحاد مربِّي المواشي المحليين. وجَد جوني مقالات كثيرة عما تبِع ذلك؛ كانت هذه إحدى النقاط المشرقة في مهنة ستيلسون. لم تكن كل تلك القصص منسجمة بالكامل، وبإمكان جوني أن يفهم السبب. فهي تمتلك كل صفات الخرافة الأميركية، ولا تختلف كثيراً عن بعض القصص عن دايفي كروكيت وبيكوس بيل وپول بُنيان. لا يمكن إنكار أن شيئاً حصل. لكن الحقيقة الدقيقة لما جرى كانت بعيدة المنال من قبل.

شيءٌ واحدٌ بدا أكيداً. لا شك أن اجتماع اتحاد مربِّي المواشي ذاك كان أحد أغرب الاجتماعات التي عُقدَت. فقد دعا مربّو المواشي أكثر من عشرين صانع مطر من مختلف أنحاء الجنوب الشرقي والجنوب الغربي. نصفهم تقريباً من الزنوج. كان هناك هنديان - پاوني هجين وأباتشي صافٍ. كما كان هناك مكسيكي يمضغ نبتة صبّار البَيوت. كان غريغ أحد تسعة رجال بيض تقريباً، والشخص المحلي الوحيد.

سمِع مربّو المواشي اقتراحات صانعي المطر والباحثين عن الماء في جوف الأرض بعصا الاستنباء الواحد تلو الآخر. وقسَّموا أنفسهم بشكل طبيعي وتدريجي إلى مجموعتين: أولئك الذين سيقبضون نصف أجورهم مسبقاً (غير قابلة للاسترداد) وأولئك الذين أرادوا قبض كامل أجورهم مسبقاً (غير قابلة للاسترداد).

عندما جاء دور غريغ ستيلسون، نهض وحشر إبهامَيه في حزام سرواله الجينز، وقيل إنه قال: «أظن أنكم تعرفون أنني دخلتُ مجال القدرة على صناعة مطر بعد أن أعطيتُ قلبي للسماوات. قبل ذلك كنتُ غارقاً في الخطيئة والذنوب. الآن إحدى الطرق الرئيسية للذنوب هي الطريقة التي رأيناها هذه الليلة، وهي تصطبغ عادة بشعار الدولار».

أبدى مربّو المواشي اهتمامهم. حتى في التاسعة عشرة، كان ستيلسون خطيباً مفوَّهاً هزلياً نوعاً ما. وقدَّم لهم عرضاً لا يمكنهم رفضه. لأنه وُلد إنساناً جديداً صالحاً ولأنه يعرف أن حبّ المال هو أصل كل الشرور، سيجعلها تُمطر ويمكنهم إعطاءه المبلغ الذي يجدونه مناسباً بعد ذلك.

وظَّفوه بالإجماع، وبعد يومين كان راكعاً على رُكبتَيه في الجهة الخلفية لشاحنة مزرعة مسطّحة، يجوب الطرقات العامة والفرعية لأوكلاهوما المركزية ببطء، مرتدياً معطفاً أسود وقبعة واعظ منخفضة الحافة، ويصلّي لهطول المطر عبر مكبّرات صوت موصولة ببطارية جرّار دلكو. خرج الناس بالآلاف لإلقاء نظرة عليه.

نهاية القصة متوقعة لكن مُرضية. فقد امتلأت السماء بالغيوم خلال بعد ظهر اليوم الثاني لبدء غريغ مهمته، وهطلت الأمطار في الصباح التالي. بقيت تُمطر لثلاثة أيام وليلتين، وقتلت السيول أربعة أشخاص، وجُرفَت منازل بأكملها جثمت دجاجات على أسطحها إلى نهر غرينوود، وامتلأت الآبار، وأُنقذَت الماشية، وقرَّر اتحاد مربِّي المواشي في أوكلاهوما أن ذلك كان سيحصل على أي حال على الأرجح. جمَعوا تبرّعات لغريغ في اجتماعهم التالي وأُعطي صانع المطر اليافع مبلغاً سخيّاً قدره سبعة عشر دولاراً.

لم يُحرَج غريغ، بل استخدَم الدولارات السبعة عشرة ليضع إعلاناً في صحيفة هيرالد في أوكلاهوما سيتي. أشار الإعلان إلى أن شيئاً مماثلاً تقريباً حصل لصائد جرذان في بلدة هاملين. بما أنه إنسان صالح، أكمل الإعلان يقول، فإن غريغ ستيلسون لا ينوي أخذ الأولاد، وعرَف بشكل مؤكَّد أنه لا يملك ملاذاً قانونياً ضد مجموعة كبيرة وقوية مثل اتحاد مربِّي المواشي في أوكلاهوما. لكن الحق حق، أليس كذلك؟ لديه أمه المسنّة ليعيلها، وصحتها تتدهور يوماً بعد يوم. اقترح الإعلان أنه صلّى من صميم قلبه لمجموعة أغنياء متكبِّرين جاحِدين من نفس طينة الرجال الذين طردوا الفقراء أمثال عائلة جود من أرضهم في الثلاثينيات. واقترح الإعلان أنه أنقذ ماشية تصل قيمتها إلى عشرات آلاف الدولارات ونال سبعة عشر دولاراً بالمقابل. لأنه إنسان صالح فإن هذا النوع من نكران الجميل لا يزعجه، لكن ربما يجب أن يجعل المواطنين الطيبين في الدائرة يتوقفون ويفكِّرون قليلاً. يستطيع القراء الصائبو التفكير إرسال تبرّعاتهم إلى الصندوق 471 عبر هيرالد.

تساءل جوني كم تلقَّى غريغ ستيلسون في الواقع بفضل ذلك الإعلان. اختلفت التقارير. لكن ذلك الخريف، كان غريغ يجوب البلدة في سيارة ميركوري جديدة. ودُفعتَ متأخرات ضرائب لثلاث سنوات عن المنزل الصغير الذي تركته لهم والدة ماري لُو. ماري لُو نفسها (التي لم تكن مريضة جداً ولا يتجاوز سنّها الخامسة والأربعين)، أشرقت في معطف جديد من فرو الراكون. يبدو أن ستيلسون اكتشَف إحدى القوى الخفية الكبيرة للمبدأ الذي يحرّك كوكب الأرض: إذا كان الذين نالوا لن يدفعوا فإن الذين لم ينالوا سيدفعون في أغلب الأحيان، دون أي سبب وجيه أبداً. قد يكون هذا نفس المبدأ الذي يطمئن السياسيين إلى وجود ما يكفي من شباب دائماً لتغذية آلة الحرب.

اكتشف مربّو المواشي أنهم أقحموا يدهم الجماعية في عش دبابير. فعندما يدخل أعضاء اتحادهم البلدة، تتجمَّع حشود في أغلب الأحيان للسخرية منهم. وتم شجبهم على منابر الوعظ في كل أنحاء المقاطعة. ووجَدوا فجأة صعوبة في بيع لحومهم التي أنقذها المطر من دون شحنها مسافة بعيدة.

في نوفمبر من تلك السنة التي لا تُنسى، وقف شابّان يضعان قبضتين حديديتين في أصابعهما ومسدَّسين مطليين بالنيكل في جيبيهما على عتبة باب غريغ ستيلسون، بعد أن وظَّفهما اتحاد مربِّي المواشي على ما يبدو ليقترحا عليه - بالشدة اللازمة - أنه سيجد المناخ مؤاتياً أكثر في مكان آخر. انتهى المطاف بكليهما في المستشفى وقد أُصيب أحدهما بارتجاج في الدماغ، وفقَدَ الآخر أربعة من أسنانه وأُصيب بتمزّق في العضلات. عُثر عليهما عند ناصية شارع غريغ ستيلسون، دون سرواليهما، وقد حُشرت القبضتان الحديديتان في مكان في الجسم يرتبط عادة بالجلوس، وقد استدعت حالة أحد الشابّين إخضاعه لعملية جراحية بسيطة لإزالة الكائن الغريب من جسمه.

اعتذر الاتحاد. وفي اجتماع له عُقد في أوائل ديسمبر، خُصِّص مبلغ 700$ من صندوقه لإصدار شيك باسم ستيلسون.

لقد نال ما أراده.

عام 1953، انتقل وأمه إلى نبراسكا. ساءت مهنة صناعة المطر، وقال البعض إن مهنة الاحتيال في البليياردو ساءت أيضاً. مهما يكن سبب الانتقال، فقد ظهرا في أوماها حيث افتتح غريغ شركة لطلاء المنازل أفلست بعد سنتين. نجح أكثر كبائع لشركة طريق الحقيقة الأميركية للمراجع، حيث راح يجوب المناطق ويتعشى مع مئات عائلات المزراعين المجتهدين المتخشّعين ويروي لهم قصة تحوّله ويبيعهم مراجع، لوحات، تماثيل ضيائية، كتب أناشيد، أسطوانات، كرّاسات دعائية، وكتاب متطرّف ورقيّ الغلاف يدعى *أميركا وطريق الحقيقة: المؤامرة الشيوعية اليهودية ضد ولاياتنا المتحدة*. عام 1957، استُبدلت الميركوري القديمة بسيارة فورد رانش واغن جديدة.

عام 1958، ماتت ماري لُو ستيلسون من السرطان، وفي أواخر تلك السنة خرَج غريغ ستيلسون من مهنة بيع مراجع الحكم القديمة وذهب شرقاً. أمضى سنة في مدينة نيويورك قبل أن ينتقل إلى ألبَني في الجزء الشمالي من الولاية. كرَّس سنته في نيويورك ليحاول اختراق عالم التمثيل. كانت إحدى الوظائف القليلة (إلى جانب طلاء المنازل) التي لم يستطع جني أي دولار منها. لكن على الأرجح ليس بسبب انعدام الموهبة، فكَّر جوني في سرّه بسخرية.

في ألبَني، عمل في شركة برودنشال، وبقي في عاصمة الولاية حتى 1965. شهد عمله كبائع بوالص تأمين نجاحاً عشوائياً. لم يتلقَّ عروضاً لينضم إلى المجلس التنفيذي للشركة، ولم يشهد فورات حماسة في التخشّع. خلال فترة السنوات الخمسة تلك، بدا أن غريغ ستيلسون المتهوِّر والوقح من الأيام الخوالي دخلَ حالة سبات. طوال مسيرته المهنية المتقلّبة، بقيت أمه المرأة الوحيدة في حياته. فلم يتزوَّج أبداً، وحتى لم يواعد أي فتاة بشكل نظامي حسبما استطاع جوني أن يكتشف.

عام 1965، عرضت عليه برودنشال منصباً في ريدجواي، نيو هامبشاير، وقَبِله غريغ. في الفترة نفسها تقريباً، بدا أن حالة سباته انتهت. فحقبة الستينات الجامحة تستعد للفوران. جاء عصر التنورة القصيرة والعيش مثلما يشاء المرء. أصبح غريغ نشطاً في شؤون مجتمع ريدجواي. فانضم إلى غرفة التجارة ونادي الروتاري. ونال تغطيةً على امتداد الولاية عام 1967 خلال مناظرة حول عدّاد مواقف السيارات في وسط المدينة. فقد تخاصمت بشأنها مختلف الأحزاب لست سنوات. اقترَح غريغ أن تُزال العدّادات وتُوضع صناديق تجميع بدلاً منها. ليدفع الناس ما يريدون أن يدفعوه. قال البعض إنها أكثر فكرة مجنونة سمِعوها في حياتهم. حسناً، أجاب غريغ، قد تتفاجأون فحسب. نعم سيدي. كان مُقنِعاً. اعتمدت البلدة الاقتراح أخيراً لفترة مؤقَّتة، وسيول السنتات وعشرات السنتات فاجأت الجميع ما عدا غريغ. لقد اكتشَف المبدأ منذ سنوات.

عام 1969، ملأ أخبار نيو هامبشاير مرة أخرى عندما اقترَح، في رسالة طويلة خطّها بعناية إلى صحيفة ريدجواي، أن يُستعان بالمُدانين بجرائم المخدرات ليعملوا في المشاريع العامة للبلدة مثل المنتزهات ومسارات الدرّاجات، حتى تشحيل العشب على الجُزُر المرورية. هذه أكثر فكرة مجنونة سمِعناها في حياتنا، قال كثيرون. حسناً، أجاب غريغ، جرّبوها وإذا لم تنجح، ارموها خلفكم. جرَّبتها البلدة. أعاد أحد مدمني الحشيشة تنظيم مكتبة البلدة من نظام دُوي العشري العتيق إلى نظام الفهرسة العصري أكثر لمكتبة الكونغرس مجاناً. وأعاد عدد من الهيبّيين الذين قُبض عليهم في حفلة هلوسة منزلية تنسيق منتزه البلدة بالكامل مع بركة بط وملعب مصمم علمياً لتكبير وقت اللعب الفعّال وتقليل المخاطر. مثلما أشار غريغ، أبدى معظم أولئك المدمنون اهتمامهم بكل تلك المواد الكيميائية في الكلّية، لكن هذا ليس سبباً يمنع عدم استخدامهم كل الأشياء الأخرى التي تعلَّموها في الكلّية.

في نفس وقت إحداث غريغ ثورة في قوانين مواقف السيارات وقوانين التعامل مع المُدانين بجرائم المخدرات في مسقط رأسه، كان يكتب رسائل إلى صحيفة اليونيون ليدر في مانشستر، وبوسطن غلوب، ونيويورك تايمز، لتبنّي مواقف حادّة ضد الحرب في فييتنام، وإصدار أحكام

جنائية على مدمني الهيروين، والعودة إلى عقوبة الإعدام، خاصة ضد مروّجي الهيروين. في حملته إلى مجلس النواب، ادّعى في مناسبات عديدة أنه ضد الحرب منذ العام 1970، لكن تصاريح الرجل المنشورة كذّبت ذلك بكل صراحة.

عام 1970، أسَّس غريغ ستيلسون شركة للتأمين والعقارات حقَّقت نجاحاً كبيراً. وعام 1973، قام مع ثلاثة رجال أعمال آخرين بتمويل وبناء مركز تسوّق في ضواحي العاصمة، التي يمثّل مقعدها في الدائرة الآن. حصل ذلك في سنة حظر النفط العربي، وهي أيضاً السنة التي بدأ فيها غريغ يقود سيارة لينكولن كونتيننتال. كما كانت السنة التي ترشَّح فيها لمنصب عُمدة ريدجواي.

استمتع العُمدة بعهد مدته سنتان، وقبل سنتين، في العام 1971، طلب منه جمهوريو وديموقراطيو بلدة نيو إنغلاند الكبيرة نسبياً (سكانها 8,500) الترشّح. رفَض عرض كليهما بابتسامة كبيرة. في العام 1978، ترشَّح كمستقل، وفاز على جمهوري شعبي نوعاً ما لم يكن محصّناً بسبب دعمه المتحمِّس للرئيس نيكسون، ورئيس صوَري ديموقراطي. ارتدى خوذة عامل البناء لأول مرة، واعتمد شعاراً لحملته هو *هيا نبني ريدجواي أفضل!* فاز بأغلبية ساحقة. بعد سنة، في ولاية ماين التي تُعدّ أختاً لنيو هامبشاير، ابتعد الناخبون عن المرشَّح الديموقراطي جورج ميتشل والجمهوري جايمس إروين، وانتخبوا رجل تأمين من لويستون يدعى جايمس لونغلي كحاكم لهم.

لم يفُت غريغوري أمّاس ستيلسون هذا الدرس.

4

حول قصاصات الزيروكس كانت ملاحظات جوني والأسئلة التي طرحها على نفسه بشكل دوري. لقد كرَّر سلسلة تفكيره المنطقي هذه مرات عديدة لدرجة أنه أصبح قادراً الآن، بينما تابَع تشانسلور وبرينكلي تأريخ نتائج الانتخابات، على سرد الموضوع بأكمله كلمةً كلمة.

أولاً، لم يكن يجب أن يكون غريغ ستيلسون قادراً على الفوز في الانتخابات. فوعوده الانتخابية، على العموم، مجرّد نكات. خلفيته خاطئة كلياً. تعليمه خاطئ كلياً. فقد توقَف عند الصف الثاني عشر، وقبل العام 1965، كان مجرّد شخص غير مستقر. في دولةٍ قرَّر فيها الناخبون أن المحامين يجب أن يسنّوا القوانين، يُعتبر ستيلسون مجرّد دخيل على الموضوع ومن الجهة الخطأ. لم يكن متزوجاً. وتاريخه الشخصي فظيع بلا تردد.

ثانياً، الصحافة تركته وشأنه بالكامل تقريباً - وبشكل محيِّر جداً. في سنة انتخابية إعترف فيها ويلبر ميلز باتخاذه عشيقةً لنفسه، وأُزيح فيها واين هايز عن مقعده في مجلس النواب بسبب عشيقته، وحتى كبار النواب فيها لم يكونوا منيعين من التمحيص القاسي والفظ للصحافة، كان يجب أن يضع المراسِلون الصحفيون ستيلسون تحت المجهر أكثر. بدا أن شخصيته الحيوية المثيرة للجدل لم تنل سوى إعجاب الصحافة المحلية، وبدا أنه لم يُقلِق أحداً - غير جوني سميث. حرّاسه الخاصون درّاجو هارلي - دايفدسون كانوا يرقصون على الشواطئ منذ بضع سنوات فقط، وهناك أشخاص تأذوا بطريقة ما في تجمهُراته الانتخابية، لكن لم يُجر أي مراسِل صحفي تحقيقي دراسة عميقة بشأن ذلك. في تجمهُر انتخابي في العاصمة - في نفس ذلك المركز التجاري الذي شارك ستيلسون في تطويره - تعرَّضت فتاة في الثامنة من عمرها لكسر في ذراعها وخلع في عنقها؛ أقسَمَت أمها بطريقة هستيرية أن أحد «مهووسي الدرّاجات النارية» أولئك دفَعَها عن المسرح عندما حاوَلت تسلّق المنصة والحصول على توقيع الرجل العظيم لدفتر تواقيعها الشخصية. ومع ذلك لم تنشر الصحف سوى تعليق ساخر بشأن تلك الحادثة - *فتاة تتأذى في تجمهُر لستيلسون* - نُسيَ بسرعة.

قدَّم ستيلسون إفصاحاً مالياً وجده جوني جيداً جداً لكي يكون صحيحاً. عام 1975، دفَع ستيلسون 11,000$ كضرائب فدرالية عن دخل قيمته 36,000$ - لا ضريبة دخل للولاية بالطبع؛ فولاية نيو هامبشاير لم تكن تفرضها. وادّعى أن كل دخله أتى من شركته للتأمين والعقارات، زائد مبلغ زهيد هو راتبه كعُمدة. لم يكن هناك ذكر للمركز التجاري المُربِح في العاصمة، ولا شرح لحقيقة أن ستيلسون يعيش في منزل قيمته التقديرية 86,000$، وهو منزل يملكه دون أي قروض. في سنة ازداد فيها الإلحاح على رئيس الولايات المتحدة لكي يسدّد رسوماً لا تُذكَر بالمقارنة، لم يُثِر الإفصاح المالي الغريب لستيلسون أي علامات استفهام أبداً.

ثم هناك سجّله كعُمدة. فأداؤه في الوظيفة أفضل بكثير مما يدفع أداؤه في الحملة أي شخص إلى أن يتوقّع. كان رجلاً داهيةً وشديد الحيطة والحذر يملك فهماً فظاً لكن دقيقاً بعِلم النفس البشري والتجاري والسياسي. وأنهى ولايته عام 1975 مع فائض مالي لأول مرة منذ عشر سنوات، وهذا أسعدَ دافعي الضرائب كثيراً. أشار بفخر ممكن تبريره إلى برنامجه بشأن مواقف السيارات وما سمّاه برنامجه لدراسة وعمل الهيبّيين. كانت ريدجواي أيضاً إحدى أوائل البلدات في الدولة كلها التي تنظِّم لجنة للذكرى المئوية الثانية. شركة تصنع خزائن ملفات استقرّت في ريدجواي، وفي زمن الركود حيث معدل البطالة محلياً كان 3.2 بالمئة وهي نسبة يُحسَد عليها. كل ذلك جدير بالإعجاب جداً.

بعض الأشياء الأخرى التي حصلت بينما كان ستيلسون هو العُمدة هي التي أخافت جوني.

خُفِّضَت الأموال المرصودة لمكتبة البلدة من 11,500$ إلى 8,000$، ثم إلى 6,500$ في العام الأخير لولاية ستيلسون. وفي الوقت نفسه، ارتفعت مخصصات شرطة البلدية أربعين بالمئة فأُضيفت ثلاثة طرّادات جديدة للشرطة إلى عديد سيارات البلدة، وتشكيلة من معدّات مكافحة الشغب. كما أُضيف ضابطان جديدان، ووافَق مجلس البلدة، بناءً على إلحاح ستيلسون، على اعتماد سياسة المناصفة عند شراء الأسلحة الشخصية للضباط. بالنتيجة، خرج العديد من رجال الشرطة في هذه البلدة النعسانة في نيو إنغلاند واشتروا مسدَّسات ماغنوم عيار 357، وهو المسدَّس الذي اشتهر به الشرطي هاري كالاهان القذر في سلسلة الأفلام الشهيرة. وخلال ولاية ستيلسون كعُمدة أيضاً، أُغلِق المركز الترفيهي للمراهقين نتيجة حظر تجوّل اختياري في الظاهر لكن تفرضه الشرطة بالقوة بعد الساعة العاشرة للأشخاص ما دون السادسة عشرة، وتم تخفيض الرعاية الاجتماعية بنسبة خمسة وثلاثين بالمئة.

نعم، كانت هناك أمور كثيرة عن غريغ ستيلسون أخافت جوني.

الأب المستبِد والأم الموافِقة بشكل غير صارم. التجمهُرات السياسية التي بدت أشبه بحفلات موسيقية. طريقة تعامل الرجل مع الحَشد، حرّاسه الخاصون -

منذ أن كان أنصار سنكلير لويس يصرخون اعتراضاً على الدولة الفاشية في أميركا، ولم يحصل ببساطة. حسناً، كان هناك هيوي لونغ في لويزيانا، لكن هيوي لونغ -

تعرَّض للاغتيال.

أغمض جوني عينيه ورأى نغو يوجّه إصبعه كمسدَّس. طاخ، طاخ، طاخ. النمر، النمر، يحترق ساطعاً في غابات الليل. أي يد أو عين مخيفة -

لكنك لا تنشر أسنان التنين. إلا إذا كنت تريد الذهاب إلى هناك مع فرانك دود في معطفه الواقي من المطر وقبعته الفينيل. مع أوزوالد وسرحان وبريمر. يا مجانين العالم، اتّحدوا. حدِّث دائماً مفكراتك المُصابة بجنون الارتياب وتصفّحها عند منتصف الليل وعندما تبدأ الأمور تتأزم داخلك، أرسل قسيمة شراء المسدَّس بالبريد. جوني سميث، أُعرِّفك على سكويكي فرومي. تشرّفتُ بمعرفتك يا جوني، كل شيء دوَّنتَه في تلك المفكرة منطقي جداً بالنسبة لي. أريدك أن تتعرَّف على زعيمي

الروحي. جوني، أقدِّم لك تشارلي. تشارلي، هذا جوني. عندما تنتهي من ستيلسون، سننزل معاً وبقية الحيوانات لكي نتمكن من إنقاذ أشجار الخشب الأحمر.

راح رأسه يدور. لقد بدأ الصُداع المحتوم. يقود إلى هذا دائماً. غريغ ستيلسون يقوده إلى هذا دائماً. حان وقت النوم وإرضاء السماوات، لا أحلام.

ومع ذلك: سؤال.

لقد كَتبه في إحدى المفكرات وبقي يعود إليه. كَتبه بخط أنيق ثم رسمَ دائرة ثلاثية حوله، كما لو أنه أراد إبقاءه محمياً. السؤال هو التالي: *إذا كنتَ تستطيع القفز في آلة سفر عبر الزمن وتعود إلى العام 1932، هل ستقتل هتلر؟*

نظرَ جوني إلى ساعته. الواحدة والربع. إنه 3 نوفمبر الآن وكانت انتخابات الذكرى المئوية الثانية جزءاً من التاريخ. لا تزال أوهايو غير محسومة، لكن كارتر في الطليعة. لا منافسة يا عزيزي. انتهى الهرج والمرج، وفاز مَن فاز وخسر مَن خسر في الانتخابات. يستطيع جيري فورد أن يخلع قفّازات ملاكمته، على الأقل حتى العام 1980.

ذهَب جوني إلى النافذة ونظر خارجاً. المنزل الكبير مظلمٌ، لكن هناك ضوء يحترق في شقة نغو فوق المرأب. لا يزال نغو، الذي سيصبح مواطناً أميركياً عما قريب، يشاهد الشعائر الأميركية العظيمة التي تحدث مرة كل أربع سنوات: المتشرّدون القدامى يخرجون من هنا، المتشرِّدون الجدد يدخلون من هنا. ربما لم يعطِ غوردون ستراكان لجنة ووترغايت جواباً سيئاً جداً على ذلك.

ذهَب جوني إلى السرير. نام بعد وقت طويل.

وحلَم بالنمر الضاحك.

الفصل الثاني والعشرون

1

أخذ هيرب سميث شارلين ماكينزي زوجةً ثانيةً له بعد ظهر 2 يناير 1977، وفق الخطة. جرت المراسم في دار العبادة المستقل في ساوثْوست بَند. والد العروس، رجل في الثمانين من عمره أعمى تقريباً، سار معها إلى عريسها. نهض جوني مع أبيه وقدَّم الخاتم في اللحظة الملائمة. كانت مناسبة جميلة.

حضَرت سارة هازليت مع زوجها وابنهما، الذي كان يترك طفولته خلفه الآن. كانت سارة حاملاً ومتألقةً، وبدت كأنها صورة للسعادة والإنجاز. عند نظره إليها، تفاجأ جوني من شعوره بطعنة غيرة مرّة كما لو أنه تعرَّض لهجوم غازيّ غير متوقع. زال بعد لحظات قليلة، وذهب جوني وتكلَّم معهما في حفلة الاستقبال التي تلت العرس.

هذه أول مرة يلتقي بها زوج سارة. إنه رجل وسيم طويل ذو شارب رفيع وشعر رمادي قبل أوانه. كان تطوافه في ولاية ماين لتصيُّد أصوات الناخبين لمجلس الشيوخ ناجحاً، وأسهَب في شرح المعنى الحقيقي للانتخابات الوطنية، ومصاعب العمل مع حاكم مستقل، بينما راح دينيه يشدّ رِجل سرواله ويطالب بمزيد من الشراب، مزيد من الشراب يا بابا، مزيد *من الشراب!*

لم تتكَّلم سارة كثيراً، لكن جوني شَعَر بعينيها المتألقتين عليه - تملّكه إحساسٌ غير مريح، لكن ليس بغيضاً نوعاً ما. محزن قليلاً، ربما.

تدفَّق الشراب في حفلة الاستقبال بحرية، وتناول جوني كوبَين أكثر من حدّه الأقصى الاعتيادي - صدمة رؤية سارة مرة أخرى، ربما، هذه المرة مع عائلتها، أو ربما فقط من الإدراك، المكتوب على وجه شارلين المتألق، بأن ڤيرا سميث رحلت حقاً، وإلى الأبد. لذا عندما اقترب من

هيكتور ماكينزي، والد العروس، بعد حوالي خمس عشرة دقيقة من مغادرة عائلة هازليت، شَعَر بالخفّة التي يولّدها الشراب في الرأس.

كان العجوز يجلس في الزاوية قرب البقايا المحطَّمة لقالب حلوى العرس، ويداه المصابتان بالتهاب المفاصل مطويتان على عصاه. كان يرتدي نظّارات داكنة تم إصلاح أحد قوسيها بشريط كهربائي أسود. وتقف بجانبه زجاجتا شراب شعير فارغتان وزجاجة أخرى نصف ممتلئة. راح يحدِّق بقوة في جوني.

«ابن هيرب، أليس كذلك؟».

«نعم سيدي».

تفحُّص أطول. ثم قال هيكتور ماكينزي، «لا تبدو بخير يا فتى».

«عدة ليالي من السهر حتى وقت متأخر، أظن».

«تبدو كأنك تحتاج إلى دواءٍ مقوٍ. شيء ليعزّز عافيتك».

«شاركتَ في الحرب العالمية الأولى، أليس كذلك؟»، سأل جوني. كانت هناك عدة ميداليات، من بينها ميدالية الحرب، مشبوكة بالمعطف الأزرق للبذلة الجوخ للعجوز.

«بالفعل»، قال ماكينزي وقد أشرق وجهه. «خدمتُ تحت إمرة بلاك جاك بيرشينغ. قوات الاستطلاع الأميركية، عامي 1917 و1918. خضنا في الوحول والأوساخ. الرياح تعصف والقذارة تقصف. غابة بيلّو يا فتى. غابة بيلّو. إنه مجرّد اسم في كتب التاريخ الآن. لكنني كنتُ هناك. رأيتُ رجالاً يموتون هناك. الرياح تعصف والقذارة تقصف ومن الخنادق الطاقم اللعين بأكمله يخرج بتراصف.

«وقالت شارلين إن ابنك... أخاها...».

«بادي. أجل. كان ليصبح عمّك غير الشقيق يا فتى. هل أحببنا ذلك الفتى؟ أظن نعم. كان اسمه جو، لكن الجميع نادوه بادي منذ يوم ولادته تقريباً. بدأت والدة تشارلي تموت منذ يوم وصول البرقية».

«قُتل في الحرب، أليس كذلك؟».

«نعم»، قال العجوز ببطء. «سانت لو، 1944. ليس بعيداً عن غابة بيلّو، ليس بالطريقة التي نقيس بها الأمور هنا، على أي حال. أنهوا حياة بادي برصاصة. النازيون».

«إنني أعمل على مقال»، قال جوني وهو يشعر بثملٍ داخله مسرور من نفسه لأخذه الحديث إلى غايته الحقيقية أخيراً، «آمل أن أبيعه لصحيفة الأتلنتيك أو ربما هارپر...».

«هل أنت كاتب؟». تلألأت النظّارات الداكنة نحو جوني باهتمام مجدَّد.

«حسناً، أحاول أن أكون»، قال جوني وقد بدأ يندم على طلاقته. *نعم، أنا كاتب. أكتب في مفكراتي، بعد أن تحلّ ظلمة الليل.* «على أي حال، المقال سيكون عن هتلر».

«هتلر؟ ماذا بشأن هتلر؟».

«حسناً... لنفترض... لنفترض فقط أنه يمكنك القفز إلى آلة سفر عبر الزمن والعودة إلى العام 1932. في ألمانيا. ولنفترض أنك صادفتَ هتلر. هل ستقتله أم تدعه يعيش؟».

مالت نظّارات العجوز السوداء الفارغة إلى أعلى ببطء نحو جوني، ولم يعد جوني يشعر الآن أنه ثمل أو طليق أو حتى ذكي. بدا له أن كل شيء يعتمد على ما سيقوله هذا العجوز.

«هل هذه مزحة يا فتى؟».

«لا. ليست مزحة».

ابتعدت إحدى يدَي هيكتور ماكينزي عن رأس عصاه، وذهَبت إلى جيب بنطلون بذلته وبقيت تبحث هناك بارتباك إلى ما لا نهاية. ظَهرت مرة أخرى أخيراً وهي تُمسك سكين جيب ذات مقبض عظميّ أصبحت ناعمة وليّنة مثل العاج القديم على مرّ السنوات. شاركت يده الأخرى في العملية لفتح شفرة السكين بكل الهشاشة غير المعقولة لالتهاب المفاصل. تلألأت بخُبث رقيق تحت ضوء قاعة دار العبادة: سكين سافرت إلى فرنسا عام 1917 مع فتى كان جزءاً من جيش فتيان جاهزين ومستعدين لمنع الألماني القذر من طعنْ الأطفال بحَربة واغتصاب الفتيات، جاهزين لتعليم الفرنسيين درساً أو درسين في سياق ذلك، فتيان مسلّحين برشاشات، فتيان أُصيبوا بعدوى الزُحار والإنفلونزا القاتلة، فتيان استنشَقوا غاز الخردل وغاز الفوسجين، فتيان خرجوا من غابة بيلّو وهم يبدون مثل فزّاعات مسكونة بأشباح رأت وجه إبليس نفسه. وتبيَّن في النهاية أن كل ذلك حصل عن عبث؛ تبيَّن أن كل ذلك يجب تكراره مرة أخرى.

الموسيقى تُعزف في مكان ما. الناس يضحكون. الناس يرقصون. لمعَ وميض كاميرا مُلقياً ضوءاً دافئاً. في مكانٍ ناءٍ. حدَّق جوني في الشفرة العارية المشلولة، وشَعَر كأن حركة الضوء فوق حافتها المشحوذة نوَّمته مغنطيسياً.

«أترى هذه؟»، سأل ماكينزي بلطف.

«نعم»، قال جوني لاهثاً.

«سأغرز هذه في قلبه القاتل الأسود الكاذب»، قال ماكينزي. «سأُقحمها إلى الداخل قدر ما أستطيع... ثم سأفتلها». فتَل السكين ببطء في يده، باتجاه عقارب الساعة أولاً، ثم بعكس اتجاهها. ابتسم مُظهِراً لثة ملساء مثل لثة طفل وسناً أصفر مائلاً واحداً.

«لكن أولاً»، قال، «سأطلي الشفرة بسمّ الفئران».

2

«أقتل هتلر؟»، قال روجر تشاتسْوورث وأنفاسه تخرج بهبّات صغيرة. كان كلاهما يسيران في الغابة خلف منزل دورهام مرتديين أحذية الثلج. الغابة صامتة جداً. إنه أوائل مارس، لكن هذا اليوم صامتٌ بنعومة وبرودة مثل يناير.

«نعم، هذا صحيح».

«سؤال مثير للاهتمام»، قال روجر. «عديم الفائدة، لكن مثير للاهتمام. لا. لن أقتله. أعتقد أنني سأنضم إلى الحزب بدلاً من ذلك. أحاول تغيير الأوضاع من الداخل. ربما سيكون من الممكن تطهيره أو تلفيق تهمة له، بناءً دائماً على العلم المسبق بما سيحصل».

تذكَّر جوني عُصي البليياردو المقصَّر طولها. تذكَّر العينين الخضراوين المتألقتين لصاني إيليمان.

«قد يكون ممكناً أيضاً أن تتسبّب بمقتلك!»، قال. «كان أولئك الرجال يفعلون أكثر من الغناء أثناء تناول شراب الشعير عام 1933».

«نعم، هذا صحيح كفاية»، قال ورفع حاجب عينه لجوني. «ماذا كنتَ لتفعل أنت؟».

«لا أعرف حقاً»، قال جوني.

صَرَف روجر النظر عن الموضوع. «كيف قضى أبوك وزوجته شهر عسلهما؟».

ابتسم جوني. ذهبَا إلى منتجع ميامي بيتش، مع إضراب عمال الفندق وكل ذلك. «قالت شارلين إنها شَعَرت أنها في منزلها حيث ترتّب سريرها بنفسها. يقول أبي إنه يشعر أنه مخلوق عجيب، حيث يعاني من حرقة شمس في مارس. لكنني أعتقد أنهما استمتعا بوقتهما».

«وهل باعا المنزلين؟».

«نعم، المنزلان في اليوم نفسه. حصلا أيضاً على ما أراداه تقريباً. الآن لولا الفواتير الطبية اللعينة التي لا تزال عالقة فوق رأسي، لسارت حياتي بهدوء وراحة».

«جوني...».

«هممم؟».

«لا شيء. هيا نعود. عندي بعض الشراب الاسكتلندي إن شئت».

«أظن أنني أشاء»، قال جوني.

3

كانا يقرأان رواية جُود *الغامض* الآن، وتفاجأ جوني من السرعة والإلفة التي أصبح تشاك يقرأها بها (بعد بعض التذمّر طوال الصفحات الأربعين الأولى تقريباً). اعترَف أنه كان يقرأ ليلاً لوحده مسبقاً، وينوي تجربة شيء آخر تأليف هاردي عندما ينتهي منها. لأول مرة في حياته كان يقرأ للمتعة الشخصية. ومثل فتى تعرَّف حديثاً على متعة الجنس على يد امرأة أكبر منه سناً، كان يتلذّذ بذلك.

جلس الكتاب مفتوحاً على حُضنه لكن وجهه إلى أسفل الآن. إنهما عند الحوض مرة أخرى، لكنهما لا يزالان مُتعبَين ويرتديان سترتين خفيفتين. انطلقت فوقهما سُحُب بيضاء خفيفة في السماء محاولةً بشكل عابر أن تندمج بما يكفي ليهطل المطر. الهواء غامض وعذب؛ والربيع وشيك. اليوم 16 أبريل.

«هل هذا أحد تلك الأسئلة المخادعة؟»، سأل تشاك.

«لا».

«حسناً، هل سيقبضون عليَّ؟».

«عفواً؟». هذا سؤال لم يطرحه أحد من الآخرين.

«إذا قتلتُه. هل سيقبضون عليَّ؟ يشنقونني على عمود إنارة؟ يجعلونني أنتفض كممسوسٍ على ارتفاع خمسة عشر سنتيمتراً عن الأرض؟».

«حسناً؛ لا أعرف»، قال جوني ببطء. «نعم، أفترض أنهم سيقبضون عليك».

«لن أتمكن من الهرب في آلة السفر عبر الزمن إلى عالم مغيَّر بشكل مجيد، أليس كذلك؟ أن أعود إلى العام 1977 العزيز؟».

«لا، لا أعتقد».

«حسناً، لا يهمّ. سأقتله على أي حال».

«هكذا بكل بساطة؟».

«بالتأكيد». ابتسم تشاك ابتسامة خفيفة. «سأجهِّز نفسي بأحد تلك الأسنان المجوَّفة المعبأة بسمّ سريع المفعول أو بشفرة في ياقة قميصي أو شيء من هذا القبيل. لذا إذا قبضوا عليَّ فعلاً، لن يستطيعوا فعل أي شيء فادح جداً لي. لكنني سأقتله. إذا لم أفعل ذلك، أخشى أن تطاردني أشباح كل أولئك الملايين الذين سيقتلهم إلى قبري».

«إلى قبرك»، قال جوني ببعض الغثيان.

«هل أنت بخير يا جوني؟».

أجبَرَ جوني نفسه على أن يبتسم لتشاك بدوره. «بخير. أظن أن قلبي فوَّت نبضةً أو شيئاً من هذا القبيل».

أكملَ تشاك قراءة جُود تحت السماء الغائمة قليلاً.

4

مايو.

عادت رائحة العشب المجزوز لتؤدّي دورها مرة أخرى - كذلك تلك المفضّلات المستمرة منذ فترة طويلة والعسلة والغبار والورود. في نيو إنغلاند، يأتي الربيع حقاً لأسبوع واحد فقط لا يُقدّر بثمن، ثم يُخرج منسِّقو الموسيقى الأغاني الرائجة القديمة لفرقة بيتش بويز، ويُسمَع هدير الهوندا في كل أرجاء الأرض، ويحلّ الصيف بصدمةٍ حارةٍ.

في إحدى الأمسيات الأخيرة لذلك الأسبوع الربيعي الذي لا يُقدّر بثمن، جلَس جوني في المَضافة وهو يتأمل الليل. ظلمة الربيع ناعمة وعميقة. كان تشاك قد ذهب إلى حفلة تخرّجه من المدرسة مع صديقته الحالية، فتاة من النوع المفكّر أكثر من الست اللواتي سبقنها. إنها *تقرأ*، اعترف تشاك بالسر لجوني، من أحد رجال العالم إلى رجل آخر.

نغو رحلَ. فقد استلم وثائق جنسيته في أواخر مارس، وقدَّم طلباً ليعمل ككبير عمال الصيانة في منتجع سياحي في كارولاينا الشمالية في أبريل، وذهبَ ليُجري مقابلة منذ ثلاثة أسابيع، ووُظِّف في الحال. أتى لرؤية جوني قبل أن يغادر.

«أعتقد أنك تقلق كثيراً بشأن نمور غير موجودة هناك»، قال. «للنمر تقليمات ستتلاشى في الخلفية لكي لا يمكن رؤيته. هذا يجعل الرجل القلِق يرى نموراً في كل مكان».

«هناك نمر»، أجاب جوني.

«نعم»، وافَقه نغو. «في مكان ما. في هذه الأثناء، تصبح أنحف».

نهض جوني، ذهَب إلى البرّاد، وصبَّ لنفسه كوب بيبسي. خرج به إلى السقيفة الصغيرة. جلَس يرشف شرابه ويفكّر كم أن الجميع محظوظون من أن السفر عبر الزمن استحالةٌ تامةٌ. ظهر القمر، عينٌ برتقاليةٌ فوق أشجار الصنوبر، ورسمَ مساراً دموياً على حوض السباحة. راحت الضفادع الأولى تنقّ وتدوّي. دخلَ جوني بعد قليل وصبَّ مقداراً كبيراً من شراب اسكتلندي في كوب البيبسي. عاد إلى الخارج وجلس مرة أخرى، وراح يشرب ويراقب القمر يرتفع في السماء، ويتغيَّر ببطء من برتقالي إلى فضي صامت غامض.

الفصل الثالث والعشرون

1

في 23 يونيو 1977، تخرَّج تشاك من الثانوية. وجلس جوني، مرتدياً أفضل بذلة لديه، في القاعة الحارة مع روجر وشيلي تشاتسْوورث يراقبونه يتخرَّج في المرتبة الثالثة والأربعين في صفّه. بكت شيلي.

بعد ذلك، أُقيمت حفلة في حديقة منزل تشاتسْوورث. كان اليوم حاراً ورطباً. تشكَّلت طلائع رعد أرجوانية اللون في الغرب وراحت تتأرجح ببطء ذهاباً وإياباً في الأفق، لكن بدا أنها لا تقترب. اقترب تشاك، المنتشي من ثلاثة أكواب شراب، مع صديقته، پاتي ستراكان، ليُظهِر لجوني هدية تخرّجه من والديه - ساعة جديدة ماركة پولسار.

«أخبَرتُهما أنني أريد ذلك الروبوت R2D2، لكن هذا كان أفضل ما يمكنهما فعله»، قال تشاك، وضحِك جوني. تكلَّما قليلاً ثم قال تشاك بشكل مباغت تقريباً: «أريد أن أشكرك يا جوني. لولاك لما كنتُ تخرّجت اليوم».

«لا، هذا ليس صحيحاً»، قال جوني وارتبك قليلاً من رؤية أن تشاك على وشك أن يبكي. «الجودة تُظهِر نفسها دائماً يا رجل».

«هذا ما أستمر في قوله له»، قالت حبيبة تشاك. خلف تلك النظّارات جمالٌ باهرٌ ينتظر الظهور.

«ربما»، قال تشاك. «ربما. لكنني أعتقد أنني أعرف لمَن يعود الفضل لشهادتي الدراسية. شكراً جزيلاً من كل قلبي». وَضَع ذراعيه حول جوني وعانقه بقوة.

أتته فجأة - صورة صاعقة ساطعة جعلت جوني ينتصب ويصفع صدغه بيده كما لو أن تشاك ضربه بدلاً من معانقته. غرِقت الصورة في ذهنه مثل صورة طُلِيَت كهربائياً.

«لا»، قال. «على الإطلاق. ابقيا بعيداً عن هناك».

تراجعَ تشاك إلى الخلف بانزعاج. لقد شَعَر شيئاً. شيئاً بارداً وداكناً ولا يمكن فهمه. لم يرغب فجأة أن يلمس جوني؛ لم يرغب في تلك اللحظة أن يلمس جوني مرة أخرى أبداً. كان كما لو أنه عرَف شعور الاستلقاء في تابوته الخاص ومراقبة الغطاء يُغلق بالمسامير.

«جوني»، قال ثم تلعثَم. «مَن... ماذا...».

كان روجر قادماً نحوهما حاملاً بعض الشراب، فتوقف الآن مُحتاراً. كان جوني ينظر فوق كتف تشاك إلى طلائع الرعد البعيدة بعينين غامضتين وضبابيتين.

قال: «تريد أن تبقى بعيداً عن ذلك المكان. لا توجد مانعات صواعق».

«جوني...». نظرَ تشاك إلى أبيه خائفاً. «كما لو أنه يُصاب... بنوبةٍ أو شيء من هذا القبيل».

«البرق»، صحَّح له جوني بصوتٍ يُسمَع من بعيد. أدار الناس رؤوسهم لينظروا إليه. بسطَ يديه. «حريق خاطف. المواد العازلة في الجدران. الأبواب... مسدودة. رائحة الناس المحترقين تشبه رائحة اللحم الحار».

«عما يتكلّم؟»، صاحت حبيبة تشاك، وتوقفت الأحاديث. الجميع الآن ينظرون إلى جوني حاملين أطباق أكلهم وأكوابهم.

تدخَّل روجر. «جون! جوني! ما المشكلة؟ استيقظ!». فرقَع أصابعه أمام عينَي جوني الغائمتين. دوّى الرعد في الغرب كأنه أصوات عمالقة يلعبون الورق. «ما المشكلة؟».

بدا صوت جوني صافياً وصاخباً قليلاً، ووصل إلى كل ضيف من الضيوف الذين يزيد عددهم عن الخمسين - رجال أعمال وزوجاتهم، أساتذة وزوجاتهم، الطبقة الوسطى العليا في دورهام. «أبقِ ابنك في المنزل هذه الليلة وإلا فسيحترق حتى الموت مع بقيتهم. سيندلع حريق، حريق فظيع. أبقِه بعيداً عن الكاثي. سيضربه البرق ويحترق بالكامل قبل أن تتمكن أول سيارة إطفاء من الوصول. ستحترق المواد العازلة. سيجدون جثثاً متفحِّمةً مكدَّسةً ست وسبع عند المخارج ولن تكون هناك أي وسيلة للتعرّف عليها ما عدا عبر بصمة الأسنان. سيكون... سيكون...».

صَرَخت پاتي ستراكان عندها، وارتفعت يدها إلى فمها موقعةً كوبها البلاستيكي على المَرجة وساكبةً مكعّبات الثلج على العشب حيث راحت تلمع كأنها ماسات ذات حجم غير محتمل. وَقَفت تتمايل للحظة ثم أُغمي عليها وسقطت أرضاً، وتطاير فستانها الفاتح الألوان، وركضت أمها نحوها وهي تصرخ بجوني أثناء مرورها بجانبه: «ما *مشكلتك*؟ بالله عليك ما *مشكلتك*؟».

حدَّق تشاك في جوني بوجه أبيض.

بدأت عينا جوني تصفيان. راح ينظر حوله إلى الأشخاص المحدِّقين فيه. «آسف»، تمتم.

كانت والدة پاتي على رُكبتَيها، تُمسك رأس ابنتها على ذراعيها وتربِّت خدّيها بخفة. بدأت الفتاة تتحرَّك وتئنّ.

«جوني؟»، همَس تشاك، ثم ذهَب إلى حبيبته من دون انتظار أي ردّ.

ساد الصمت على المَرجة الخلفية لمنزل تشاتسْوورث، وكان الجميع ينظرون إليه. ينظرون إليه لأن الأمر حصَل مرة أخرى. ينظرون إليه مثلما نظرت إليه الممرضات. مثلما نظرَ إليه المراسِلون الصحفيون. كانوا غرباناً مصطفةً على سلك هاتف. يحملون أكواب شرابهم وأطباق سلطة البطاطا وينظرون إليه كما لو أنه حشرة، كما لو أنه مخلوق عجيب. ينظرون إليه كما لو أنه فتَح سرواله فجأة وكشفَ لهم نفسه.

أراد أن يهرب، أراد أن يختبئ. أراد أن يتقيأ.

«جوني»، قال روجر وهو يضع ذراعاً حوله. «هيا ندخل المنزل. تحتاج إلى الجلوس والاستراحة قليلاً...».

دوّى الرعد، بعيداً جداً.

«ما هو الكاثي؟»، قال جوني بحدّة وهو يقاوم ضغط ذراع روجر على كتفَيه. «ذلك ليس منزل شخصٍ، لأن هناك لافتات مخارج. ما ذلك؟ أين ذلك؟».

«ألا يمكنك إبعاده عن هنا؟»، كادت والدة پاتي تقول صارخةً. «إنه يزعجها مرة أخرى!».

«هيا يا جوني».

«لكن...».

«*هيا تعال*».

سمحَ لنفسه أن يُقاد بعيداً نحو المَضافة. كان صوت حذاءيهما على الحصى صاخباً جداً. بدا أنه لا يوجد أي صوت آخر. ما كادا يصلان إلى الحوض حتى بدأ الهمس من خلفهما.

«أين الكاثي؟»، سأل جوني مرة أخرى.

«كيف يصدف أنك لا تعرف؟»، سأل روجر. «بدا أنك تعرف كل شيء آخر. لقد أخفتَ پاتي ستراكان المسكينة حتى أُغمي عليها».

«لا يمكنني رؤية أين يقع. إنه في المنطقة الميتة. ما ذلك؟».

«دعنا نُصعدك إلى الطابق العلوي أولاً».

«لستُ مريضاً!».

«متوتّر إذاً»، قال روجر بلطف وبشكل مهدئ للأعصاب، مثلما يتكلَّم الناس مع المجنون الميؤوس منه. صوته أخافَ جوني. وعاوده الصُداع. جاءه بشراسة. صعِدا الدرجات إلى المَضافة.

2

«هل تشعر بتحسّن؟»، سأل روجر.

«ما هو الكاثي؟».

«إنه مطعم فاخر جداً متخصِّص بشرائح اللحم في سومرزوورث. حفلات التخرّج التي تُقام هناك من التقاليد الشائعة. الله أعلم لماذا. متأكد أنك لا تريد تلك الأسبرين؟».

«لا. لا تدعه يذهب يا روجر. سيصيبه البرق. سيحترق بالكامل».

«جوني»، قال روجر تشاتسْوورث ببطء ولطف كبير، «لا يمكنك معرفة شيء كهذا».

شرِب جوني الماء المثلَّج رشفةً صغيرةً تلو الأخرى ووضعَ الكوب على الطاولة بيدٍ ترتعش قليلاً. «قلتَ إنك تحقّقتَ من ماضيي وظننتُ...».

«نعم، فعلتُ ذلك. لكنك تستنتج استنتاجاً خاطئاً. عرَفتُ أنه يُقال إنك نفساني أو شيء من هذا القبيل، لكنني لم أرد نفسانياً. أردتُ مدرِّساً خصوصياً. وقد أدّيتَ عملاً ممتازاً كمدرِّس خصوصي. اعتقادي الشخصي هو أنه لا فرق أبداً بين النفسانيين الجيدين والنفسانيين السيئين، لأنني لا أصدِّق أياً من هذه الخزعبلات. الأمر بهذه البساطة. لا أصدِّقها».

«هذا يجعلني كذّاباً إذاً».

«على الإطلاق»، قال روجر بنفس ذلك الصوت اللطيف المنخفض. «عندي مراقب عمّال في المصنع في ساسيكس لا يُشعِل ثلاث سجائر بنفس عود الثقاب، لكن هذا لا يجعله مراقب عمّال سيئ. عندي أصدقاء متخشّعون بقوة، ورغم أنني لا أذهب إلى دار العبادة بنفسي، إلا أننا لا نزال أصدقاء. قناعتك بأنه يمكنك رؤية المستقبل أو رؤية أشياء على مسافة بعيدة منك لم تؤثر أبداً على قراري بشأن توظيفك أم لا... هذا ليس صحيحاً كلياً. لم تؤثر عليه أبداً بعدما قرَّرتُ أنها لن تتدخَّل بقدرتك على تأدية عمل جيد مع تشاك. ولم تتدخَّل. لكنني لا أصدِّق أن الكاثي سيحترق هذه الليلة بنفس درجة تصديقي أن القمر قطعة جبن خضراء».

«لستُ كذّاباً، مجرّد مجنون»، قال جوني بنبرة مملة نوعاً ما لكن مثيرة للاهتمام. روجر دوسو والعديد من الأشخاص الذين كَتَبوا رسائل إلى جوني اتَّهموه بالتحايل، لكن تشاتسْوورث أول شخص يتّهمه بأن لديه عقدة جان دارك.

«لستَ مجنوناً أيضاً»، قال روجر. «أنت شابّ تعرَّض لحادث فظيع واضطر أن يحارب ليعود إلى الحياة مخالفاً كل الاحتمالات الفظيعة ضده بثمن باهظ على الأرجح. هذا ليس شيئاً سأثرثر عنه بحرية يا جوني، لكن إذا أراد أحد أولئك الأشخاص هناك على المَرجة - بما في ذلك والدة پاتي - التسرّع واستنتاج الكثير من الاستنتاجات الغبية، فسيُطلب منهم أن يُطبقوا أفواههم عن أشياء لا يفهمونها».

«الكاثي»، قال جوني فجأة. «كيف عرفتُ الاسم إذاً؟ وكيف عرفتُ أنه ليس منزل شخصٍ؟».

«من تشاك. لقد تكلَّم عن الحفلة كثيراً هذا الأسبوع».

«ليس معي».

هزَّ روجر كتفيه. «ربما قال شيئاً لشيلي أو لي بينما كنتَ في مرمى السمع. وصدفَ أن التقط عقلك الباطني تلك المعلومة وخزَّنها...».

«هذا صحيح»، قال جوني بمرارة. «أي شيء لا نفهمه، أي شيء لا يلائم نظرتنا إلى طبيعة الأمور، نخزِّنه تحت بند العقل الباطني، صح؟ الصفة الغالبة في القرن العشرين. كم مرة فعلتَ ذلك عندما تعارَضَ شيءٌ مع نظرتك الواقعية إلى العالم يا روجر؟».

ربما طرفت عينا روجر قليلاً - أو ربما تراءى له حصول ذلك.

«ربطتَ البرق بالعاصفة الرعدية الآتية»، قال. «ألا ترى ذلك؟ الأمر بهذه البسا...».

«اسمعني»، قال جوني. «إنني أُخبِرك هذا بأبسط ما يمكنني. سيُصاب ذلك المكان بالبرق. سيحترق بالكامل. *أبقِ تشاك في المنزل*».

يا إلهي، لقد عاد الصُداع. عاد مثل نمر. وَضَع يده على جبهته وراح يفركها بتردّد.

«كنتَ تُجهِد نفسك كثيراً يا جوني».

«أبقِه في المنزل»، كرَّر جوني.

«إنه قراره، ولن أجرؤ على اتخاذه عنه. إنه حر، أبيض، وفي الثامنة عشرة من عمره».

سمعا طرقاً على الباب. «جوني؟».

«ادخل»، قال جوني، ودخلَ تشاك نفسه. بدا قلقاً.

«كيف حالك؟»، سأل تشاك.

«أنا بخير»، قال جوني. «لديَّ صُداع، هذا كل شيء. تشاك... رجاءً، ابقَ بعيداً عن ذلك المكان هذه الليلة. إنني أطلب منك كصديق. سواء كنتَ تفكِّر مثل أبيك أم لا. رجاءً».

«لا مشكلة يا رجل»، قال تشاك بابتهاج، وارتمى على الأريكة حاشراً مسند القدمين بين قدميه. «لا يمكنني جرّ پاتي ولو إلى مسافة كيلومتر من ذلك المكان بسلسلة قَطْر طولها ستة أمتار. لقد أخفتَها كثيراً».

«آسف»، قال جوني. أشعَره الارتياح بالغثيان والقشعريرة. «آسف لكنني مسرور».

«تراءت لك رؤيا، أليس كذلك؟». نظرَ تشاك إلى جوني، ثم إلى أبيه، ثم عاد ببطء إلى جوني. «لقد شَعَرتُ بذلك. كان سيئاً».

«الأشخاص يفعلون ذلك أحياناً. أفهم أنه بغيض نوعاً ما».

«حسناً، لن أريده أن يحصل مرة أخرى»، قال تشاك. «لكن مهلاً... ذلك المكان لن يحترق بالكامل حقاً، أليس كذلك؟».

«نعم»، قال جوني. «تريد فقط الابتعاد عنه».

«لكن...»، قال وهو ينظر إلى أبيه بانزعاج. «حجز كل المتخرّجين المكان اللعين بأكمله. المدرسة لعِلمك تشجِّع هكذا أمر. فهذا أأمن من عشرين أو ثلاثين حفلة مختلفة ووجود الكثير من الأشخاص الثملين على الطرقات الخلفية: من المتوقع أن يتواجد...». صمتَ تشاك للحظة ثم بدأ يبدو خائفاً. «من المتوقع أن يتواجد مئتا شخص هناك»، قال. «بابا...».

«لا أعتقد أنه يصدِّق أي شيء من هذا»، قال جوني.

نهض روجر وابتسم. «حسناً، دعونا نقوم بنزهة إلى سومرزوورث ونتكلَّم مع مدير المكان»، قال. «فحفلة المَرجة هذه مملة على أي حال. وإذا بقيتما تشعران نفس الشعور في طريق العودة، يمكننا استضافة الجميع هنا هذه الليلة».

ألقى نظرة سريعة على جوني.

«الشرط الوحيد هو أن عليك ألا تثمل وتساعد في المرافقة يا صاح».

«سيسرّني أن أفعل ذلك»، قال جوني. «لكن لماذا إذا كنتَ لا تصدِّقني؟».

«لراحة بالك»، قال روجر، «وبال تشاك، عندما لا يحصل شيء هذه الليلة، يمكنني القول إنني أخبَرتُكما ثم *أضحك* من كل قلبي عليكما».

«حسناً، مهما يكن، شكراً». كان يرتعش أسوأ من أي وقت مضى الآن بعد أن شَعَر بالارتياح، لكن صُداعه خفَّ إلى نبض ممل.

«لكن هناك شيئاً واحداً مسبقاً»، قال روجر. «لا أعتقد أن لدينا أي فرصة على الإطلاق في إقناع المالك بإلغاء السهرة بناءً على كلمة واهية يا جوني. هذه على الأرجح إحدى لياليه المُربحة كل

سنة».

قال تشاك، «حسناً، يمكننا تدبير حجّة ما...».

«مثل ماذا؟».

«حسناً، يمكننا إخباره قصة... تعديل بعض أحداثها...».

«تعني أن نكذب؟ لا، لن أفعل ذلك. لا تلحّ عليَّ يا تشاك».

أومأ تشاك برأسه. «حسناً».

«من الأفضل لنا أن ننطلق»، قال روجر بنشاط. «إنها الخامسة والربع. سنأخذ المرسيدس إلى سومرزوورث».

3

كان بروس كاريك، المالك ـ المدير، يخدم عند المشرب عندما دخَل ثلاثتهم عند السادسة إلا ثلثاً. انقبض قلب جوني قليلاً عندما قرأ اللافتة المنشورة خارج أبواب الصالة: *حفلة خاصة هذا المساء نُغلق عند 7 مساءً نراكم غداً*.

لم يكن كاريك مشغولاً تماماً، فهو يخدم بضعة عمّال يشربون شراب شعير ويشاهدون نشرة الأخبار المُبكرة، وثلاثة أزواج يحتسون بعض الكوكتيلات. استمَع إلى قصة جوني بوجه ازداد ارتيابه أكثر بكثير. عندما انتهى، قال كاريك: «تقول إنك تدعى سميث؟».

«نعم، هذا صحيح».

«سيد سميث، تفضل معي إلى هذه النافذة».

قاد جوني إلى نافذة الردهة، قرب باب غرفة تعليق المعاطف.

«انظر إلى هناك يا سيد سميث وأخبِرني ماذا ترى».

نظرَ جوني وهو يعرف ما الذي سيراه. الطريق 9 يسير غرباً وبدأ يجفّ الآن من رذاذ خفيف هطلَ بعد الظهر. وفوقه، السماء صافية تماماً. لقد مرَّت طلائع الرعد.

«ليس الكثير. على الأقل، ليس الآن. لكن...».

«لكن لا شيء». قال بروس كاريك. «هل تعرف رأيي؟ هل تريد أن تعرف بصراحة؟ أعتقدك أنك مخبول. لماذا اخترتني لهذه الحماقة الفظيعة لا أعرف أو أهتمّ. لكن إذا كانت لديك ثانية يا بُنيّ فسأُخبِرك حقائق الحياة. لقد دفعَ لي المتخرِّجون ستمئة وخمسين دولاراً لهذه الأمسية. وقد استأجروا فرقة موسيقى روك أند رول جيدة جداً تدعى فرقة السنديانة من ماين. الطعام هناك داخل الثلاجة، وكل شيء جاهز لدخول المايكروويف. السَلطات موضوعة على ثلج. الشراب بند إضافي، ومعظم أولئك الأولاد فوق الثامنة عشرة ويحق لهم أن يشربوا القدر الذي يشاؤونه... وهذه الليلة سيفعلون ذلك، ومَن يمكنه أن يلومهم، فالمرء يتخرَّج مرة واحدة فقط من الثانوية. سأجني ألفَي دولار في الصالة هذه الليلة بكل سهولة. استعنتُ بموظفَي مشرب إضافيين سيأتيان للمساعدة. ولديَّ ست نادلات ومضيفة. إذا ألغيتُ هذا الشيء الآن، سأخسر الليلة بأكملها، كما أنني مُلزَم أن أعيد لهم الستمئة والخمسين التي صرفتُها من قبل على الطعام. ولن أحصل حتى على روّاد العشاء الاعتياديين لأن تلك اللافتة معلَّقة هناك منذ بداية الأسبوع. هل اتّضحت لك الصورة؟».

«هل هناك مانعات صواعق في هذا المكان؟»، سأل جوني.

رمى كاريك يديه عالياً في الهواء. «أُخبِر هذا الشابّ حقائق الحياة ويريد مناقشة مانعات الصواعق! نعم، لديَّ مانعات صواعق! دخَل رجلٌ إلى هنا، قبل أن أضيف واحدةً، منذ حوالي خمس سنوات الآن. أسمعَني محاضرةً عن تحسين كلفة تأميني. لذا اشتريتُ مانعات الصواعق اللعينة! هل أنت سعيد؟ يا إلهي!». نظرَ إلى روجر وتشاك. «ما تفعلان أنتما؟ لماذا تدعان هذا الحقير حراً طليقاً؟ اخرجوا، لماذا لا تخرجون؟ لديَّ تجارة لأديرها».

«جوني...»، بدأ تشاك يقول.

«لا تهتمّ»، قال روجر. «هيا نذهب. شكراً لوقتك يا سيد كاريك، ولانتباهك المهذّب والودّي».

«لا شيء أشكركم عليه»، قال كاريك. «مجموعة حمقى!». عاد نحو الصالة بخطوات كبيرة.

خرَج ثلاثتهم. نظرَ تشاك بارتياب إلى السماء الصافية تماماً. وبدأ جوني يسير نحو السيارة، وينظر إلى قدمَيه فقط وهو يشعر بالغباء والهزيمة. دوّى صُداعه بقوة في صدغَيه. وقف روجر

واضعاً يديه في جيبيه الخلفيين وراح ينظر إلى السقف الطويل المنخفض للمبنى.

«إلى ماذا تنظر يا بابا؟»، سأل تشاك.

«لا توجد مانعات صواعق هناك»، قال روجر تشاتسْوورث بتبصّر. «لا مانعات صواعق أبداً».

4

جلس ثلاثتهم في غرفة جلوس المنزل الكبير وتشاك قرب الهاتف. نظرَ إلى أبيه بارتياب. «معظمهم لن يريدوا تغيير خططهم في هكذا وقت متأخر»، قال.

«ينوون الخروج فقط لا غير»، قال روجر. «يمكنهم المجيء إلى هنا بكل سهولة». هزّ تشاك كتفيه وبدأ يتصل هاتفياً.

انتهى بهم المطاف أن أقنعوا حوالي نصف الأزواج الذين كانوا ينوون الذهاب إلى الكاثي أمسية التخرّج، ولم يكن جوني متأكداً أبداً حقاً لماذا أتوا. أتى بعضهم على الأرجح فقط لأن الحفلة بدت مثيرة للاهتمام أكثر ولأن الشراب مجاني. لكن الخبر انتقل بسرعة، وأتى أهالي عدد كبير من الأولاد إلى حفلة المَرجة بعد ظهر ذلك اليوم - بالنتيجة، قضى جوني معظم المساء وهو يشعر كأنه منحوتة معروضة في واجهة زجاجية. جلَس روجر في الزاوية على كرسي بلا ظهر ولا ذراعين يشرب شراباً روسياً. كان وجهه قناعاً متكلّفاً.

حوالي الثامنة والربع، اجتاز تركيبة المشرب/غرفة اللعب الكبيرة التي تحتلّ ثلاثة أرباع مستوى القبو، انحنى قرب جوني وصاح فوق زئير إلتون جون، «هل تريد الصعود إلى الطابق العلوي ولعب بعض الكريبج؟».

أومأ جوني برأسه بامتنان.

كانت شيلي في المطبخ تكتب بعض الرسائل. رفعت نظرها عندما دخَلا، وابتسمت. «اعتقَدتُ أيها الماسوشيان أنكما ستبقيان في الأسفل الليلة بأكملها. هذا لعِلمكما ليس ضرورياً حقاً».

«آسف عن كل هذا»، قال جوني. «أعرف كم يبدو هذا جنوناً».

«يبدو جنوناً حقاً»، قالت شيلي. «لا سبب لعدم الصراحة بشأن ذلك. لكن وجودهم هنا أمر لطيف حقاً. أنا لا أمانِع».

دوّى الرعد في الخارج. نظرَ جوني حوله. رأت شيلي ذلك وابتسمت قليلاً. كان روجر قد ذهب ليفتِّش عن لوح لعبة الكريبج في خزانة غرفة الطعام.

«إنه مجرّد أمر عابر»، قالت. «رعد بسيط وبعض رذاذ المطر».

«نعم»، قال جوني.

وقَّعت رسالتها بخط مريح، ثم طوتها وأغلقتها وعنونتها وختمتها. «لقد شهدتَ أمراً ما حقاً، أليس كذلك يا جوني؟».

«نعم».

«حالة إغماء وجيزة جداً»، قالت. «ربما ناتجة عن نقص غذائي. أنت نحيل جداً يا جوني. ربما كانت هلوسة، أليس كذلك؟».

«لا، لا أعتقد».

دوّى الرعد مرة أخرى في الخارج، لكن من بعيد.

«أنا فقط مسرورة مثلك ببقائه في المنزل. لا أصدِّق علم التنجيم وقراءة الكفّ والاستبصار وكل تلك الأمور، لكن... أنا فقط مسرورة مثلك ببقائه في المنزل. إنه صوصنا الوحيد... صوص كبير جداً الآن، أظن أنك تقول هذا لنفسك، لكن من السهل تذكّره يركب دوَّامة خيل الأولاد الصغيرة في منتزه البلدة في بنطلونه القصير. من السهل جداً، ربما. ولطيف أن يكون المرء قادراً على مشاركة... الشَعيرة الأخيرة من مرحلة صِبّاه معه».

«لطيف أنك تشعرين هكذا»، قال جوني. خشي فجأة أن يجد نفسه على وشك البكاء. في الأشهر الستة أو الثمانية الأخيرة بدا له أن سيطرته العاطفية انزلَقت بعدة درجات.

«كنتَ مفيداً لتشاك. لا أعني مجرّد تعليمه القراءة، بل بطرق كثيرة».

«أحبّ تشاك».

«نعم»، قالت بهدوء. «أعرف ذلك».

عاد روجر حاملاً لوح لعبة الكريبج وراديو ترانزستور مولّفاً عند محطة WMTQ، وهي محطة كلاسيكية تبث من أعلى جبل واشنطن.

«ترياق صغير من إلتون جون، أروسميث، فوغات، والآخرين»، قال. «ما رأيك بدولار لكل جولة يا جوني؟».

«هذا ممتاز».

جلَس روجر وهو يفرك يديه. «آه، ستعود إلى منزلك فقيراً»، قال.

5

لعِبا الكريبج ومرَّت الأمسية. بين كل جولة وأخرى، يذهب أحدهما إلى الطابق السفلي ويتأكد أن لا أحد قرَّر الرقص على طاولة البليادرو أو خرجَ ليُقيم حفلةً صغيرةً خاصةً به. «لا أحد سيُخصب أي شخص آخر في هذه الحفلة إذا استطعتُ منع ذلك»، قال روجر.

كانت شيلي قد ذهبَت إلى غرفة الجلوس لتقرأ. ومرة كل ساعة، تتوقف الموسيقى على المحطة الإذاعية ويُبثّ موجز أخبار ويشرد انتباه جوني قليلاً. لكن لم يُذكَر شيء عن الكاثي في سومرزوورث ـ ليس عند الثامنة أو التاسعة أو العاشرة.

بعد موجز أخبار الساعة العاشرة، قال روجر: «هل تستعد لتتملّص من توقّعك يا جوني؟».

«لا».

كانت توقّعات الطقس تشير إلى أمطار رعدية متفرّقة وإلى أن الجو سيصفو بعد منتصف الليل.

صدحت البصمة الصوتية الصريحة لفرقة كيسي والصنشاين عبر الأرضية.

«بدأت الحفلة تصبح صاخبةً»، علَّق جوني.

«تباً لذلك»، قال روجر مبتسماً. «بدأت الحفلة تصبح ثملةً. سبايدر بارميلو مُغمى عليه في الزاوية وأحدهم يستخدمه كطاولة لشراب الشعير. آه، سيستيقظون في الصباح برؤوس تدوّي، عليك أن تصدِّق ذلك. أتذكَّر في حفلة تخرّجي...».

«وردنا الآن من غرفة التحرير»، قال الراديو.

جوني، الذي كان يخلط الأوراق، أوقعها في كل أنحاء الأرض.

«اهدأ، هذا على الأرجح مجرّد شيء عن عملية الخطف تلك في فلوريدا».

«لا أعتقد»، قال جوني.

قال المُذيع: «يبدو في هذه اللحظة أن أسوأ حريق في تاريخ نيو هامبشاير أودى بحياة أكثر من خمسة وسبعين شاباً وشابةً في البلدة الحدودية سومرزوورث، نيو هامبشاير. اندلع الحريق في مطعم - استراحة يدعى الكاثي كان يضم حفلة تخرّج. وقد أخبَر رئيس مركز الإطفاء في سومرزوورث ميلتون هوڤي المراسِلين الصحفيين أنه ليس لديهم شكوك بأن الحريق متعمّدٌ؛ بل يعتقدون أن الحريق نتجَ بكل تأكيد عن البرق».

بدا وجه روجر تشاتسْوورث شاحباً كلياً. جلس منتصباً على كرسي مطبخه، وعيناه ثابتتان على نقطة في مكان ما فوق رأس جوني، ويداه مسنودتان بشكل غير مُحكم على الطاولة. علت من تحتهما أصوات الثرثرة والضحك، ممزوجةً الآن بصوت بروس سبرينغستين.

دخلت شيلي الغرفة. نقلت نظرها من زوجها إلى جوني ثم إلى زوجها مرة أخرى. «ما الأمر؟ هل من سوء؟».

«اصمتي»، قال روجر.

«... لا يزال مشتعلاً، وقال هوڤي إن العدد النهائي للموتى لن يُعرَف على الأرجح قبل الصباح الباكر. المعروف أن أكثر من ثلاثين شخصاً، أغلبهم طلاب متخرّجون من ثانوية دورهام، نُقلوا إلى المستشفيات في المناطق المحيطة ليُعالجوا من آثار الحروق. وفرَّ أربعون شخصاً، أغلبهم طلاب متخرّجون أيضاً، من النوافذ الصغيرة للحمّام في الجهة الخلفية للاستراحة، لكن من الواضح أن الآخرين علقوا في حشود مكدَّسة مميتة عند...».

«*هل هذا الكاثي؟*»، صرَخت شيلي تشاتسْوورث. «*هل الحريق في ذلك المكان؟*».

«نعم»، قال روجر. بدا هادئاً بشكل مُوحِش. «نعم، ذلك المكان».

ساد صمت وجيز في الطابق السفلي، تلاه دويّ خُطى متسارعة على الدرجات. فُتح باب المطبخ ودخَل تشاك يبحث عن أمه.

«ماما؟ ما الأمر؟ هل من سوء؟».

«يبدو أننا نَدين لك بحياة ابننا»، قال روجر بنفس ذلك الصوت الهادئ بشكل مُوحِش. لم ير جوني وجهاً بهذا البياض أبداً. وقد بدا له روجر مثل دمية شمع شنيعة حيّة.

«*احترَق؟*»، كان صوت تشاك مشكِّكاً. بدأ الآخرون يحتشدون خلفه على الدرجات الآن، يهمسون بأصوات منخفضة، أصوات مرتعبة. «هل تقول إنه احترَق *بالكامل*؟».

لم يُجبه أحدٌ. ثم فجأة، من مكان خلفه، بدأت پاتي ستراكان تتكلّم بصوت هستيري مرتفع. «الذنب ذنبه، ذاك الرجل هناك! هو جَعَله يحصل! أشعلَ فيه النار بذهنه، تماماً مثلما جرى في ذلك الكتاب *كاري*. أيها المجرم! أيها القاتل! أنت...».

استدار روجر نحوها. «*اصمتي!*»، زأر بها.

انهارت پاتي في شهقات جامحة.

«احترَق؟»، كرَّر تشاك. بدا أنه يسأل نفسه الآن، مستفسِراً إن كانت هذه هي الكلمة الصحيحة.

«روجر؟»، همَست شيلي. «روجر؟ حبيبي؟».

ازدادت التمتمات على الدرجات، وفي غرفة اللعب تحت، مثل أوراق أشجار تحت الأقدام. أُطفئ جهاز الستيريو. همسَت الأصوات.

هل مايك هناك؟ شانون ذهَبت، أليس كذلك؟ هل أنت متأكد؟ نعم، كنتُ جاهزاً للذهاب عندما اتصل بي تشاك. كانت أمي هناك عندما فزِع ذلك الرجل وقالت إنها شَعَرت كما لو أن إوزةً تسير على قبرها، وطلبت مني أن آتي إلى هنا بدلاً من الذهاب إلى هناك. هل كايسي هناك؟ هل راي هناك؟ هل مورين أونتيلو هناك؟ يا إلهي، هل كانت هناك؟ هل...

نهض روجر ببطء واستدار. «أقترح»، قال، «أن نجد الأشخاص الأقل ثمالةً هنا ليقودوننا كلنا إلى المستشفى. سيحتاجون إلى متبرِّعين بالدم».

بقي جوني جامداً مثل صخرة. وجَد نفسه يتساءل إن كان سيتمكن من التحرّك مرة أخرى. دوّى الرعد في الخارج. وبعده مباشرةً كما لو أنه تصفيق داخلي، سمِع صوت أمه المُحتضَرة:

أدِّ واجبك يا جون.

الفصل الرابع والعشرون

12 أغسطس 1977

عزيزي جونـي،

لم يكن عثوري عليك صعباً جداً - أظن أحياناً أنك إذا كنتَ تملك ما يكفي من مال، يمكنك إيجاد أي شخص في هذا البلد، وأنا لديَّ المال. ربما أخاطر بامتعاضك مني عندما أتكلَّم بهذه الصراحة، لكن تشاك وشيلي وأنا نَدين لك بالكثير لكي نصارحك بأقل من الحقيقة. المال يشتري الكثير، لكن لا يمكنه أن يرشو البرق. لقد وجَدوا اثنَي عشر فتى لا يزالون عند مدخل حمّام الرجال خارج المطعم، الحمّام حيث كانت النافذة مغلقة بالمسامير. لم يصل الحريق إلى هناك لكن الدخان وصل، ومات كل الاثنَي عشر اختناقاً. لم أقدر أن أُخرج ذلك من ذهني لأن تشاك كان يمكن أن يكون أحد أولئك الفتيان. لذا «تعقَّبتُ أثرك»، على حدّ تعبيرك في رسالتك. وللسبب نفسه، لا يمكنني أن أتركك وشأنك مثلما طلبتَ. على الأقل ليس إلى أن يعود الشيك المرفق بهذه الرسالة مُلغى مع تجبيرك على جهته الخلفية.

ستلاحظ أنه شيك أصغر بكثير من الشيك الذي تلقيتَه منذ حوالي شهر. فقد تواصَلتُ مع قسم الحسابات في مركز ماين الشرقية الطبي وسدَّدتُ فواتيرك الاستشفائية غير المدفوعة بقيمته. أنت حر تماماً بهذه الطريقة يا جوني. هذا ما يمكنني فعله، وقد فعلتُه - وبمتعة كبيرة أيضاً.

تحتجّ بأنه لا يمكنك قبول المال. أقول إنه يمكنك قبوله وستقبله يا جونـي. ستقبله. لقد تتبَّعتُ أثرك إلى فورت لودردايل، وإذا رحلتَ عن هناك، سأتتبَّع أثرك إلى حيث تذهب، حتى لو قرَّرتَ الإقامة في النيبال. اعتبرنـي نذلاً لن ينفكّ عنك إن شئتَ؛ أنا أعتبر نفسي «كلب صيد السماوات». لا أريد مطاردتك يا جوني. أتذكَّرك تُخبرني في ذلك اليوم بألا أضحّي بابني. كدتُ أضحّي به. وماذا بشأن الآخرين؟ واحد وثمانون ميتاً، وثلاثون مشوَّهون ومحترقون بشكل رهيب. أتذكَّر تشاك يقول

إنه يمكننا ربما تدبير قصةٍ ما، اختلاق عذرٍ واهٍ أو شيء مماثل، وأتذكّر نفسي أقول بكل صلاح الغبي التام، «لن أفعل ذلك يا تشاك. لا تلحّ عليَّ». حسناً، كان يمكنني فعل شيء. هذا ما يقضّ مضجعي. كان يمكنني أن أعطي ذلك الجزّار كاريك 3,000$ ليدفع أجور مساعديه ويُغلق أبوابه لتلك الليلة. وهذا كان ليعني حوالي 37$ للحياة الواحدة. لذا صدِّقني عندما أقول إنني لا أريد مطاردتك؛ أنا مشغول حقاً في مطاردة نفسي ولا أريد إضاعة الوقت. أعتقد أنني سأواصل فعل ذلك لعدد لا بأس به من السنوات القادمة. إنني أدفع ثمن رفضي تصديق أي شيء لا يمكنني لمسه بإحدى حواسي الخمس. ولا تصدِّق رجاءً أن تسديدي الفواتير وتقديمي هذا الشيك هو مجرّد رشوة لضميري. لا يستطيع المال أن يرشو البرق، ولا يستطيع أن يشتري خاتمةً للأحلام المزعجة أيضاً. المال لتشاك، رغم أنه لا يعرف شيئاً عنه.

خذ الشيك وسأتركك بسلام. هذا وعد. أرسله إلى اليونيسف، إن شئتَ، أو أعطه إلى مأوى للكلاب البوليسية اليتيمة، أو بذّره كله على الأحصنة القزمة. لا يهمّني. خذه فحسب.

يؤسفني أنك شَعَرتَ بحاجة ماسّة لترحل بهذه العجلة، لكنني أعتقد أنني أفهمك. كلنا نأمل أن نراك قريباً. سيسافر تشاك إلى إعدادية ستوفنغتون في 4 سبتمبر.

جوني، خذ الشيك. رجاءً.

مع تحياتي،

روجر تشاتسْوورث

1 سبتمبر 1977

عزيزي جوني،

هل ستصدِّق أنني لن أتغاضى عن هذا الأمر؟ رجاءً. خذ الشيك.

مع تحياتي،

روجر

10 سبتمبر 1977

عزيزي جوني،

سُررتُ وتشارلي كثيراً من معرفة مكانك، وشعرتُ بارتياح كبير من تلقي رسالة منك بدت بطبيعتك تماماً. لكن هناك شيئاً واحداً أزعجني كثيراً يا بُنيّ. اتصلتُ بالطبيب سام وايزاك وقرأتُ له ذلك الجزء من رسالتك عن ارتفاع وتيرة صُداعاتك. ينصحك بزيارة طبيبٍ يا جوني، دون أي تأخير. يخشى أن تكون جلطةٌ قد تشكّلت حول نسيج الندبة القديمة. لذا فإن هذا يُقلقني، ويُقلق سام أيضاً. لم تبدُ صحتك جيدة أبداً منذ أن خرَجت من الغيبوبة يا جوني، وعندما رأيتُك لآخر مرة في أوائل يونيو، شعرتُ أنك تبدو مُتعَبا جداً. لم يقل سام ذلك، لكنني أعرف أن ما يريدك أن تفعله حقاً هو أن تستقلّ طائرةً من فينيكس وتعود إلى المنزل وتدعه يكشف عليك. طبعاً لا يمكنك أن تتحجَّج بالفقر الآن!

اتصل روجر تشاتسْوورث مرتين، وأُخبِره بما أقدر عليه. أعتقد أنه صادق عندما يقول إنه ليس مالاً لإراحة الضمير أو مكافأةً على إنقاذك حياة ابنه. أعتقد أن أمك كانت لتقول إن الرجل يعذِّب نفسه بالطريقة الوحيدة التي يعرفها. على أي حال، لقد أخذتَه، وآمل أنك لم تكن جدياً عندما قلتَ إنك فعلتَ ذلك فقط لكي «تتخلَّص منه». أعتقد أن لديك عزيمة كبيرة لكي تفعل أي شيء لسبب مماثل.

الآن، قول هذا صعب جداً عليَّ، لكنني سأبذل قُصارى جهدي. رجاءً عُد إلى المنزل يا جوني. لقد زالت الشهرة الإعلامية مرة أخرى - يمكنني أن أسمعك تقول، 'آه كلام فارغ، لن تزول مرة أخرى أبداً، ليس بعد هذا'، وأظنك محقاً بطريقة ما، لكنك مخطئ أيضاً. قال السيد تشاتسْوورث عبر الهاتف، 'إذا تكلَّمتَ معه، حاول أن تُفهِمه أن أي نفساني في التاريخ ما عدا نوستراداموس لم يحظَ باهتمام العامة لأكثر من تسعة أيام'. أنا أقلق جداً عليك يا بُنيّ. أقلق من أن تلوم نفسك على الموتى بدلاً من أن تهنئ نفسك على الأحياء، على الذين أنقذتَ حياتهم، على الذين كانوا في منزل عائلة تشاتسْوورث تلك الليلة. أقلق عليك ومشتاق إليك أيضاً. 'مشتاق إليك مثل اشتياق الدجاجة لفراخها'، على حد تعبير جدَّتك. لذا رجاءً عُد إلى المنزل في أقرب وقت ممكن.

أبوك

ملاحظة: إنني أرسل القصاصات عن الحريق وعن دورك فيه. جمَّعَتها تشارلي. مثلما سترى، كنتَ محقّاً في تكهّن أن «جميع المتواجدين في حفلة المَرجة تلك سيدلون بدلوهم للصحف». أظن أن هذه القصاصات قد تزعجك أكثر، وفي تلك الحالة، ارمها في سلة النفايات. لكن فكرة تشارلي هي أنك قد تلقي نظرة عليها وتقول، «هذا لم يكن سيئاً مثلما ظننتُ، يمكنني مواجهة ذلك». آمل أن تكون فكرتها صائبة.

أبوك

29 سبتمبر 1977

عزيزي جوني،

حصلتُ على عنوانك من أبي. كيف حال الصحراء الأميركية الكبرى. هل رأيتَ أي هنود حمر (ها - ها)؟ أنا في إعدادية ستوفنغتون. هذا المكان ليس صعباً جداً. إنني آخذ ست عشرة ساعة من الحصص. الكيمياء المتقدمة مادتي المفضَّلة رغم أنها سهلة حقاً بعد المقرّر التعليمي في مركز الخدمات الإنسانية. لطالما شعرتُ أن أستاذنا هناك، العجوز فارنهام الجَسور، كان ليكون سعيداً أكثر حقاً في صنع أسلحة دمار شامل وتفجير العالم. في حصة الإنكليزية، سنقرأ ثلاثة أشياء تأليف ج. د. سالينغر خلال هذه الأسابيع الأربعة الأولى، «الحارس في حقل الشوفان» و«فراني وزُوي» و«ارفعوا عالياً عوارض السقف أيها النجّارين». يعجبني كثيراً. أخبَرنا أستاذنا أنه لا يزال حيّاً ويعيش في نيو هامبشاير لكنه توقف عن التأليف. هذا يُدهِشني. لماذا يتخلّى أحدهم عن موهبةٍ معطاءةٍ؟ آه حسناً. فريق كُرة القدم الأوروبية هنا رهيب حقاً لكنني أتعلَّم أن أحبّ كُرة القدم الأوروبية. يقول المدرِّب إن كُرة القدم الأوروبية هي كُرة قدم الأذكياء وكُرة القدم الأميركية هي كُرة قدم الأغبياء. لا يمكنني أن أحدِّد بعد إن كان محقّاً أم غيوراً فحسب.

أتساءل إن كنتَ تمانع من إعطائي عنوانك لبعض الأشخاص الذين كانوا في حفلة تخرّجنا. يريدون مراسلتك وشكرك. أحدهم والدة پاتي ستراكان، ستتذكَّرها، إنها تلك التي بهدلت نفسها عندما أُغمي على «ابنتها الغالية» في حفلة المَرجة بعد ظهر ذلك اليوم. تعتقد الآن أنك شخص لا بأس به. بالمناسبة، لم أعد أواعد پاتي، فأنا لستُ من أنصار المغازلة البعيدة المسافة في «عمري الطري» (ها - ها)، وپاتي ذاهبة إلى ڤاسّار، مثلما توقعتَ على الأرجح. لقد تعرَّفتُ على صبية جميلة هنا.

حسناً، راسلني عندما تكون قادراً يا صاح. أشعر من أبي كما لو أنك «منزعج» حقاً لسبب أجهله بما أنه يبدو لي أنك فعلتَ كل ما بوسعك لتجعل الأمور تسير على ما يرام. إنه مخطئ، أليس كذلك يا جوني؟ أنت حقاً لستَ منزعجاً، أليس كذلك؟ راسلني رجاءً وأخبِرني أنك بخير، فأنا أقلق عليك. هذا مضحك، أليس كذلك، ألفرد إ. نيومان الأصلي قلق عليك، لكنني قلق فعلاً.

عندما تراسلني، أخبِرني لماذا هولدن كولفيلد مكتئب دائماً.

تشاك

ملاحظة: الفتاة الجميلة تدعى ستيفاني وايمان، وقد حوَّلتُها من قبل إلى 'شيء خبيث جاء من هنا'. تحبّ أيضاً فرقة موسيقى بانك روك تدعى فرقة الرامونز، يجب أن تسمعهم، إنهم مُضحكون.

تشاك

17 أكتوبر 1977

عزيزي جوني،

حسناً، هذا أفضل، تبدو لي بخير. ضحِكتُ من كل قلبي من خبر عملك لدى دائرة الأشغال العامة في فينيكس. لا أشعر بأي تعاطف تجاه ضربات الشمس التي أُصبتَ بها بعد أربع مباريات مرتدياً زيّ نمر ستوفنغتون. أظن أن المدرِّب محقّ، فكُرة القدم الأميركية هي كُرة قدم الأغبياء، على الأقل في هذا المكان. سجلنا هو 1-3 وفي المباراة التي فزنا فيها سجَّلتُ ثلاثة أهداف، مسرِّعاً أنفاس ذاتي الغبية وفاقداً وعيي. أرعبتُ ستيفاني كثيراً (ها - ها).

انتظَرتُ أن أراسلك إلى أن يتسنّى لي الإجابة على سؤالك عن رأي والديَّ بغريغ ستيلسون بعد أن تبوّأ منصبه الآن. زرتُ منزل والديَّ في عطلة نهاية الأسبوع الفائتة هذه، وسأُخبِرك كل ما يمكنني إخبارك به. سألتُ أبي أولاً وقال، «هل لا يزال جوني مهتماً بذلك الرجل؟»، قلتُ، «إنه يُظهِر ذوقه السيئ جداً بطلبه رأيك». فذهب إلى أمي وقال لها، «أترين، المدرسة الإعدادية تحوِّله إلى متذاكٍ. هذا ما توقّعتُه».

حسناً، خلاصة الأمر أن معظم الناس متفاجئون جداً من أداء ستيلسون الجيد. يقول أبي ما يلي: «إذا طُلب من الناس في دائرة كل عضو في الكونغرس إعطاء علامة على أداء نائبهم بعد 10 أشهر، فسينال ستيلسون علامة جيد جداً من أغلبهم، زائد علامة ممتاز على عمله على قانون كارتر للطاقة وعلى عمله على قانونه الشخصي بشأن الحد الأقصى لفاتورة وقود التدفئة. وعلامة ممتاز أيضاً على الجهد». طلبَ مني أبي أن أُخبرك أنه ربما كان مخطئاً باعتباره ستيلسون مغفَّل القرية.

تعليقات أخرى من أشخاص تكلَّمتُ معهم عندما كنتُ في المنزل: يعجبهم هنا أنه لا يرتدي بذلة رسمية. السيدة جارفيس التي تدير محل الخردوات تقول إنها تعتقد أن ستيلسون ليس خائفاً من «المصالح الكبرى». هنري بيرك، الذي يدير «الدلو» - ذلك المطعم الإيطالي في وسط المدينة - يقول إنه يعتقد أن ستيلسون قام «بعمل جيد لعين مضاعف». معظم تعليقات الآخرين مشابهة. يقارنون ما فعله ستيلسون بما لم يفعله كارتر، وقد خاب أمل معظمهم منه حقاً ويصفعون أنفسهم لتصويتهم له. سألتُ بعضهم إن كانوا قلقين من استمرار تواجد نادي الفرسان الحديديين حوله ومن استمرار عمل صاني إيليمان كأحد معاوني ستيلسون. لم يبدُ أحدٌ منهم منزعجاً جداً. الرجل الذي يدير متجر الأسطوانات الموسيقية عبَّر لي عن رأيه كالتالي: «إذا كان بمقدور توم هايدن أن يصبح مستقيماً وبمقدور إلدريدج كليف أن يصبح متخشّعاً، لماذا لا يحقّ لبعض الدرّاجين الانضمام إلى المؤسسة؟ سامِح وانسَ».

ها قد حصلتَ على الجواب على سؤالك. كنتُ لأكتب المزيد، لكن حصة التدريب على كُرة القدم أوشكت أن تبدأ. يُفترَض بنا في عطلة نهاية الأسبوع هذه أن نُهزم هزيمة نكراء على يد باري وايلدكاتس. آمل فقط أن أصمد هذا الموسم. اعتنِ بنفسك يا صاح.

تشاك

من نيويورك تايمز، 4 مارس 1978:

مقتل عميل في مكتب التحقيقات الفدرالي في أوكلاهوما

خاص بالتايمز - إدغار لانكته، 37، مخضرم في مكتب التحقيقات الفدرالي منذ عشر سنوات، قُتلَ على ما يبدو ليلة أمس في مرأب سيارات في أوكلاهوما سيتي. تقول الشرطة إن قنبلة ديناميت موصولة بجهاز إشعال سيارته انفجرت عندما أدار السيد لانكته المفتاح. الاغتيال على

طريقة العصابات مماثل في الأسلوب لجريمة قتل المراسِل الصحفي التحقيقي دونْ بولز في أريزونا منذ سنتين، لكن مدير مكتب التحقيقات الفدرالي ويليام وبستر لن يخمِّن بشأن وجود رابط محتمل. كما أن السيد وبستر لن يؤكِّد ولن ينفي أن السيد لانكته كان يحقِّق في صفقات عقارية غامضة وعلاقات ممكنة بسياسيين محليين.

يبدو أن هناك بعض الغموض بشأن المهمة الموكلة إلى السيد لانكته، وقد ادّعى مصدرٌ في وزارة العدل أن السيد لانكته لم يكن أبداً يحقِّق في صفقات عقارية احتيالية محتملة بل في مسألة أمن قومي.

انضم السيد لانكته إلى مكتب التحقيقات الفدرالي في العام 1968 و...

الفصل الخامس والعشرون

1

ازداد عدد المفكرات في جارور مكتب جوني من أربعة إلى خمسة، وإلى سبعة في خريف 1978. في خريف 1978، بين وفاة الزعيمين الأكبرين بتتابع سريع، أصبح غريغ ستيلسون حديث الأخبار الوطنية.

فقد أُعيد انتخابه إلى مجلس النواب بأغلبية ساحقة، وبمَيل الدولة نحو التحفّظ على الاقتراح 13، أسَّس حزب *أميركا الآن*. أكثر شيء مُجفِل هو أن عدة نواب تخلّوا عن مكانتهم في حزبهم الأصلي و«تجنَّدوا» لديه، مثلما يحبّ غريغ أن يقول. يحمل معظمهم معتقدات متشابهة جداً، وهذا أمر عرفه جوني كمتحرِّر ظاهرياً في المسائل الداخلية ومعتدل إلى مُحافِظ جداً في مسائل السياسة الخارجية. لم يكن أي واحد منهم قد صوّت مع كارتر على معاهدات قناة بنما. وعندما تنزَع المظهر الخادع المتحرِّر في المسائل الداخلية، يتبيَّن أنهم مُحافِظون جداً أيضاً. أراد حزب *أميركا الآن* إثارة متاعب سيئة لكبار مدمني المخدرات، أرادوا من المدن أن تهلك أو تنجو من تلقاء نفسها («لا داعي لأن يضطر مُزارع ألبان مكافِح إلى تمويل برامج الميثادون في مدينة نيويورك بضرائبه»، صرَّح غريغ)، أرادوا اتخاذ إجراءات صارمة على تقديمات الرعاية الاجتماعية لبائعات الهوى، القوّادين، المتشرّدين، والأشخاص الملطَّخة سجلاتهم العدلية بجناية، أرادوا أن تُدفَع كلفة الإصلاحات الضريبية الشاملة بتخفيض الخدمات الاجتماعية. كل هذه الأمور أشبه بأغنية قديمة، لكن حزب غريغ *أميركا الآن* قدَّمها بلحنٍ جديدٍ جميلٍ.

انضم إليه سبعة أعضاء من الكونغرس قبل سنة الانتخابات وعضوان من مجلس الشيوخ. أُعيد انتخاب ستة من أعضاء الكونغرس وعضوا مجلس الشيوخ. من بين أولئك التسعة، ثمانية كانوا

جمهوريين تراجعت شعبيتهم إلى حدود الزوال. تبديلهم انتمائهم الحزبي وبالتالي إعادة انتخابهم، على حدّ قول أحد المازحين، اعتُبر خدعة أفضل من خُدع أبرع لاعبي الخفّة.

كان البعض يقول من قبل إن غريغ ستيلسون قد يكون قوة لا يُستهان بها، ولن تحتاج إلى سنوات عديدة لكي تظهر على الساحة. لم يكن قادراً على إرسال كل تلوّث العالم إلى المشتري وحلقات زُحل، لكنه نجَح في إخراج اثنين من الأوغاد على الأقل - أحدهما عضو في الكونغرس كان يجمع ثروة على حساب الآخرين بأن كان الشريك الصامت في نظام رشاوى في مرأب سيارات، والآخر معاون رئاسي مولع بمقاصف المثليين جنسياً. أظهَرَ قانون الحد الأقصى لفاتورة وقود التدفئة حكمةً وجرأةً، وأظهَرَت متابعته الحثيثة له من اللجنة إلى التصويت النهائي فطنةً متواضعةً لفتى ريفيّ. سيكون العام 1980 مُبكراً جداً لغريغ، و1984 قد يكون مغرياً جداً لكي يمكن مقاومته، لكن إذا تمكّن من البقاء هادئاً حتى العام 1988، إذا تابَع بناء قاعدته ورياح التغيير لم تتبدّل جذرياً كفاية لتفجِّر حزبه الحديث النشأة، فإن أي شيء يمكن أن يحصل. لقد تبعثر الجمهوريون إلى شظايا متشاجِرة، وبافتراض أن مونديل أو جيري براون أو حتى هاورد بايكر قد يخلف كارتر في الرئاسة، مَن سيخلفه عندها؟ حتى العام 1992 قد لا يكون متأخراً جداً له. فهو شابّ نسبياً. نعم، 1992 بدا مناسباً تقريباً...

هناك عدة رسوم كاريكاتورية سياسية في مفكرات جوني، وكلها تُظهِر ابتسامة ستيلسون المائلة المُعدية، ويرتدي خوذة عامل البناء فيها كلها. أحدها بريشة أوليفنت يُظهِر غريغ يدحرج برميل نفط مطبوعاً عليه الحد الأقصى للسعر في الرِواق الرئيسي لمجلس النواب والخوذة مائلة إلى الخلف على رأسه، وعلى مسافة أمامه يقف جيمي كارتر يحكّ رأسه ويبدو مُحتاراً؛ لم يكن ينظر في اتجاه غريغ أبداً وهذا أوحى أنه سيُدهَس. وقال نص التعليق: ابتعد عن طريقي يا جيمي!

الخوذة. الخوذة أزعجت جوني أكثر من أي شيء آخر. للجمهوريين فيلهم، وللديموقراطيين حمارهم، ولغريغ ستيلسون خوذة عامل البناء. بدا أحياناً في أحلام جوني أن ستيلسون يرتدي خوذة سائق درّاجة نارية. وكانت أحياناً خوذة على شكل دلو فحم.

2

يحتفظ بالقصاصات التي أرسلها له أبوه بخصوص حريق الكاثي في مفكرة منفصلة. وقد تفحّصها مراراً وتكراراً، رغم أنه فعل ذلك لأسباب لا يستطيع سام أو روجر أو حتى أبوه تخيّلها.

«نفساني يتوقَّع حريقاً. ‹كانت ابنتي لتموت أيضاً›، صرَّحت والدةٌ شاكرةٌ دامِعةٌ» (الوالدة الشاكرة الدامِعة كانت والدة پاتي ستراكان). *النفساني الذي حلَّ لغز جرائم قتل كاسل روك توقَّع الحريق الخاطف*. «وصل عدد قتلى النُزُل إلى 90. يقول الوالد إن جوني سميث غادر نيو إنغلاند، ويرفض أن يُفصِح عن السبب». صور له. صور لأبيه. صور ذلك الحطام القديم على الطريق 6 في كليفز ميلز، في الأيام الخوالي عندما كانت سارة براكنَل حبيبته. الآن سارة امرأة، والدة لطفلين، وفي رسالته الأخيرة قال هيرب إنها اكتسبت بضع شعرات رمادية. بدا له من المستحيل تصديق أنه هو نفسه في الحادية والثلاثين. مستحيل، لكن حقيقي.

حول كل تلك القصاصات كانت تعليقاته الشخصية، جهوده المؤلمة ليستوعب ما حصل لمرة واحدة وإلى الأبد. لا أحد منهم فهِم الأهمية الحقيقية للحريق، مضامينه على المسألة الأهم بكثير وهي ما يجب فعله بشأن غريغ ستيلسون.

لقد كتبَ: «عليَّ أن أفعل شيئاً بشأن ستيلسون. عليَّ. كنتُ محقّاً بشأن الكاثي، وسأكون محقّاً بشأن هذا. ليس لديَّ أي شكّ على الإطلاق. سيصبح الرئيس وسيبدأ حرباً - أو يسبّب اندلاع حربٍ عبر سوء إدارة بسيطة لمنصبه، وهذا يُفضي إلى الشيء نفسه».

«السؤال هو: كم *قاسية هي التدابير التي يجب اتخاذها؟*».

«خذ الكاثي كحالة اختبارية. تكاد تكون علامة أُرسلَت لي، يا للهول لقد بدأتُ أتكلّم مثل أمي، لكن ها هي. حسناً، لقد *عرَفتُ* أنه سيندلع حريق وأن أشخاصاً سيموتون. هل كان ذلك كافياً لإنقاذهم؟ الجواب: لم يكن كافياً لإنقاذهم *كلهم*، لأن *الناس يصدِّقون فعلاً بعد الحادثة فقط*. الذين أتوا إلى منزل تشاتسْوورث بدلاً من الذهاب إلى الكاثي أُنقذوا، لكن من المهم تذكُّر أن روجر تشاتسْوورث لم يُقم الحفلة لأنه صدَّق توقّعي. كان صريحاً جداً بشأن ذلك. بل أقام الحفلة لأنه اعتقَد أن ذلك سيريح لي بالي. كان... يسايرني. وقد صدَّق *بعد* الحادثة. والدة پاتي ستراكان صدَّقت بعد الحادثة. بعد - بعد - بعد. وقتها كان الأوان قد فات بالنسبة للقتلى والمحروقين».

«لذا، السؤال 2: هل كان بإمكاني تغيير النتيجة؟».

«نعم. كان بإمكاني اقتحام واجهة المكان بسيارةٍ. أو كان بإمكاني حرق المكان بنفسي بعد ظهر ذلك اليوم».

«السؤال 3: ما كانت نتائج هذين الخيارين عليَّ؟».

«السَجن، على الأرجح. لو اعتمدتُ خيار السيارة ثم أصابها البرق لاحقاً تلك الليلة، أظن أنه سيكون بمقدوري المحاججة... لا، لن ينفع ذلك. قد يتقبَّل عامة الناس فكرة امتلاك قدرة نفسانية، لكن القانون لن يتقبَّل ذلك بكل تأكيد. أعتقد الآن أنه إذا عاد بي الزمن إلى الوراء، فسأفعل أحد تلك الأشياء ولن أهتمّ بالعواقب. هل يُعقَل أنني ربما لم أصدِّق توقّعي بالكامل؟».

«مسألة ستيلسون مشابهة بشكل رهيب في كل النواحي، ما عدا، الحمد لله، أنه لديَّ الكثير من الوقت المسبق».

«إذاً فقد عدتُ إلى المربع الأول. لا أريد أن يصبح غريغ ستيلسون الرئيس. كيف يمكنني تغيير تلك النتيجة؟».

«1. أعود إلى نيو هامبشاير و'أتجنَّد'، على حدّ تعبيره. أحاول رمي بضعة مفاتيح ربط منزلقة الفكّ على حزب *أميركا الآن*. أحاول أن أخرِّب أعماله. هناك قذارة كافية تحت السجادة. ربما يمكنني إخراج بعضها إلى النور».

«2. أوظِّف شخصاً لإلقاء القذارة عليه. بقي معي ما يكفي من مال روجر لأوظِّف شخصاً بارعاً. من جهة أخرى، انتابني شعور بأن لانكته كان بارعاً جداً. لكن لانكته مات».

«3. أجرحه أو أشلّه. مثلما قام آرثر بريمر بشلّ والاس، أو مثلما قام مَن يكن بشلّ لاري فلينت».

«4. أقتله. أغتاله».

«بعضٌ من العوائق الآن. الخيار الأول ليس كافياً بالتأكيد. قد لا أتمكن من إنجاز أي شيء بنّاء أكثر من إلحاق هزيمة قاسية بنفسي، على غرار هانتر تومسون عندما كان يقوم بأبحاث لكتابه الأول، الذي كان عن حرّاس الجحيم. وحتى أسوأ، قد يكون إيليمان ذاك يعرف شكلي، بسبب ما حصل في تجمهُر تريمبول. ألَيس تدبيراً قياسياً تقريباً الاحتفاظ بملف عن كل شخص يمكن أن يشكّل خطراً على رجالك؟ لن أتفاجأ إن اكتشفتُ أن لدى ستيلسون موظفاً وظيفته الوحيدة تحديث الملفات باستمرار عن الأشخاص الغريبين والمجانين. وأنا منهم بالتأكيد».

«ثم هناك الخيار الثاني. لنفترض أن كل القذارة ظهرت من قبل! إذا كان ستيلسون قد صاغ مسبقاً أقصى طموحاته السياسية - وكل تصرّفاته تبدو أنها تشير في ذلك المنحى - ربما يكون قد نظَّف سجّله من قبل. وشيء آخر: القذارة تحت السجادة وسخة فقط بالقدر الذي تريده الصحافة،

والصحافة تحبّ ستيلسون. فهو يرعاها. لو كنتُ في روايةٍ، أظن أنني كنتُ لأصبح محققاً خاصاً و'أجد أدلةً تدينه'، لكن الحقيقة الحزينة هي أنني لن أعرف من أين أبدأ. يمكنك المجادلة بأن قدرتي على 'قراءة' الأشخاص، على إيجاد الأشياء الضائعة (على حد تعبير سام) ستعطيني دفعةً. إذا استطعتُ معرفة شيء عن لانكته فإن ذلك سيُحدِث الأثر المطلوب. لكن ألا يُعقَل أن يكون ستيلسون قد فوَّض كل تلك الأمور إلى صاني إيليمان؟ ولا يمكنني أن أكون متأكداً حتى، رغم شكوكي، أن إدغار لانكته كان لا يزال يراقب ستيلسون عندما قُتل. من الممكن أن أُوقِع صاني إيليمان وأبقى غير قادر على النيل من ستيلسون».

«بالإجمال، البديل الثاني *ليس مؤكَّداً بما فيه الكفاية*. المخاطر هائلة، لدرجة أنني حتى لا أجرؤ على ترك نفسي أفكِّر بـ ‹الصورة الكبيرة› كثيراً. هذا يسبّب لي صُداعاً حادّاً كل مرة».

«حتى إنني فكَّرتُ، في لحظاتي الرعناء، بمحاولة جعله يُدمن على المخدرات على غرار الدور الذي مثَّله جين هاكمان في فيلم *الوصلة الفرنسية II*، أو دفعه إلى الجنون عبر حَقن عقار هلوسة في شرابه الغازيّ أو مهما يكن صنف الشراب الذي يتناوله. لكن كل ذلك مجرّد تخيّلات في الأفلام البوليسية. هُراء غوردون لِيدي. المشاكل كبيرة لدرجة أن هذا 'الخيار' لا يحتمل حتى أن أناقشه مع نفسي. ربما يمكنني خطفه. ففي النهاية، الرجل مجرّد نائب أميركي. لن أعرف أين سأجد الهيرويين أو المورفين، لكن يمكنني الحصول على كمية كبيرة من عقار الهلوسة من لاري ماكنوتن هنا في دائرة الأشغال العامة العزيزة في فينيكس. لديه حبوب لكل غاية. لكن لنفترض (إذا كنا مستعدين افتراض المذكور أعلاه) أنه استمتع برحلته (رحلاته)؟».

«إطلاق النار عليه وشلّه؟ ربما يمكنني وربما لا يمكنني فعل ذلك. أظن أنه يمكنني فعل ذلك في الظروف المناسبة - مثل التجمهُر في تريمبول. لنفترض أنني فعلتُ ذلك. بعد ما حصل في لوريل، لم يعد جورج والاس قوة سياسية كبيرة أبداً حقاً. من جهة أخرى، خاض روزفلت حملته الانتخابية عن كرسيه ذي العجلات وحتى استغلّ ذلك لصالحه».

«هذا لا يترك لي غير الاغتيال، المخاطرة الكبرى. هذا هو البديل الوحيد غير القابل للجدل. لا يمكنك الترشّح للرئاسة إذا كنتَ جثةً».

«إذا كان بإمكاني ضغط الزناد».

«وإذا كان بإمكاني، ما ستكون النتائج بالنسبة لي؟».

«على حد قول بوب ديلان، ‘حبيبتي، هل عليكِ سؤالي هذا؟’».

كانت هناك ملاحظات وتدوينات عديدة أخرى، لكن الملاحظة الوحيدة المهمة الأخرى حقاً أُحيطت بإطار أنيق: «لنفترض أن القتل الصريح تبيَّن أنه البديل الوحيد؟ ولنفترض أنه تبيَّن أنه بإمكاني ضغط الزناد؟ لا يزال القتل عملاً خاطئاً. القتل عمل خاطئ. القتل عمل خاطئ. قد يكون هناك حلّ. الحمد لله أن هناك سنوات بعد».

3

لكن لجوني، لم تكن هناك سنوات.

ففي أوائل ديسمبر 1978، وبُعيد قتل عضو كونغرس آخر، ليو راين من كاليفورنيا، بإطلاق النار عليه في مهبِط أدغال في الدولة الأميركية الجنوبية غايانا، اكتشَف جوني سميث أن الوقت كاد ينفد لديه.

الفصل السادس والعشرون

1

عند 2:30 بعد ظهر 26 ديسمبر 1978، خدَمَ باد بريسكوت شاباً طويلاً يبدو مُتعَباً ذا شعر رمادي وعينين مُحتقِنتين بالدم بشكل سيئ. كان باد أحد ثلاثة باعة يعملون في متجر البضائع الرياضية في الشارع الرابع في فينيكس بعد يومٍ على احتفال الشتاء، ومعظم العمليات كانت عمليات تبديل - لكن هذا الشخص زبونٌ يدفع.

قال إنه يريد شراء بندقية جيدة، خفيفة الوزن، يدوية السبطانة. عرض عليه باد عدة بنادق. اليوم الذي يلي احتفال الشتاء يوم بطيء في قسم الأسلحة؛ فعندما يتلقى الرجال سلاحاً هديةً على احتفال الشتاء، قلّة منهم فقط يريدون تبديله بشيء آخر.

تفحَّص ذلك الشابّ كل البنادق بعناية واستقرّ أخيراً على بندقية ريمنغتون 700 عيار 243، وهي بندقية لطيفة جداً ذات ارتداد خفيف ومسار مسطَّح. وقَّع دفتر البنادق باسم جون سميث وفكَّر باد في سرّه، *إذا لم أر أبداً من قبل اسماً مستعاراً في حياتي، فهذا واحدٌ*. دفعَ «جون سميث» نقداً - أخرجَ أوراق العشرينات من محفظة كانت منتفخةً بها - وأخذ البندقية عن المنضدة. أخبَره باد، بقصد حثّه قليلاً، أنه يستطيع حرق أحرفه الأولى على المقبض بدون كلفة إضافية. اكتفى «جون سميث» بهزّ رأسه.

عندما غادر «سميث» المتجر، لاحَظ باد أنه يعرُج بشكل ملحوظ. لن تكون هناك أي صعوبة أبداً في التعرّف على هذا الشابّ مرة أخرى، فكَّر في سرّه، ليس بهذه المشية العرجاء وتلك الندبات الممتدّة إلى أعلى وأسفل عنقه.

2

عند 10:30 صباح 27 ديسمبر، دخلَ رجل نحيل يعرج إلى شركة فينيكس للوازم المكتبية واقترب من بائع هناك يدعى دِينْ كلاي. قال دِينْ لاحقاً إنه لاحَظ ما تسمّيه أمه دائماً «بقعة نار» في إحدى عينَي الرجل. قال الزبون إنه يريد شراء حقيبة أوراق كبيرة، واختار في نهاية المطاف حقيبة جلدية جميلة ذات جودة عالية سعرها 149.95$. واستحقّ الرجل ذو المشية العرجاء الحصول على الحسم النقدي بدفعه بأوراق عشرينات جديدة. لم تستغرق العملية بأكملها، من النظر إلى الدفعْ؛ أكثر من عشر دقائق. خرَج الرجل من المتجر، واستدار يميناً نحو وسط المدينة، ولم يره دِينْ كلاي مرة أخرى أبداً إلى أن رأى صورته في صحيفة صن فينيكس.

3

في وقت متأخر من بعد ظهر نفس ذلك اليوم، اقترب رجل طويل ذو شعر رمادي من نافذة بونيتا ألڤاريز في محطة فينيكس أمتراك واستفسَر عن الرحلة من فينيكس إلى نيويورك بالقطار. أظهرت له بونيتا المحطات. تبَعها بإصبعه ثم دوَّنها كلها بعناية. سأل بوني ألڤاريز إن كان بإمكانها أن تحجز له تذكرة على رحلة 3 يناير. رقَّصت بوني أصابعها على وحدة تحكّم كمبيوترها وقالت إنه يمكنها.

«إذاً لما لا...»، بدأ الرجل الطويل يقول ثم تلعثَم. وَضَع يده على رأسه.

«هل أنت بخير يا سيدي؟».

«ألعاب نارية»، قال الرجل الطويل. أخبَرت الشرطة لاحقاً أنها متأكدة تماماً أن هذا ما قاله. *ألعاب نارية*.

«سيدي؟ هل أنت بخير؟».

«صُداع»، قال. «اعذريني». حاوَل أن يبتسم، لكن الجهد لم يحسِّن كثيراً وجهه المرهق اليافع - العجوز.

«هل تريد بعض الأسبرين؟ لديّ منها».

«لا، شكراً. سيزول».

حجزت التذاكر وأخبَرته أنه سيصل محطة غراند سنترال في نيويورك في 6 يناير، عند منتصف بعد الظهر.

«كم ثمنها؟».

أخبَرته وأضافت: «هل ستدفع نقداً أم بالبطاقة يا سيد سميث؟».

«نقداً»، قال وأخرجَ المال من محفظته فوراً - حفنة كاملة من أوراق العشرينات والعشرات.

عدّتها، وأعطته الباقي مع إيصاله وتذاكره. «يغادر قطارك عند 10:30 صباحاً يا سيد سميث»، قالت. «رجاءً كُن هنا جاهزاً لتستقلّ القطار عند 10:10».

«حسناً»، قال. «شكراً».

ابتسمت له بوني الابتسامة المحترفة العريضة، لكن السيد سميث كان قد بدأ يهمّ بالانصراف من قبل. كان وجهه شاحباً جداً، وبدا لبوني كأنه رجل يعاني من ألم كبير.

كانت متأكدةً تماماً أنه قال *ألعاب نارية*.

4

إلتون كاري قاطع تذاكر على متن قطار أمتراك المسافر من فينيكس إلى سولت لايك. ظهَرَ الرجل الطويل تمام الساعة 10:00 صباح 2 يناير، وساعَده إلتون على صعود الدرجات وركوب العربة لأنه كان يعرُج بشكل سيئ جداً. أتى حاملاً في يده حقيبة سفر قديمة من قماش الطرطان عليها آثار خدوش وحافاتها بالية، وحاملاً في اليد الأخرى حقيبة أوراق جلدية جديدة. كان يحمل حقيبة الأوراق كما لو أنها ثقيلة جداً.

«هل يمكنني مساعدتك بها يا سيدي؟»، سأل إلتون وهو يقصد حقيبة الأوراق، لكن الراكب سلَّمه حقيبة السفر، مع تذكرته.

«لا، سآخذ التذكرة بعدما ننطلق يا سيدي».

«حسناً. شكراً».

رجل مهذّب جداً، أخبَر إلتون كاري عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي الذين استجوبوه لاحقاً. وكريم في البقشيش.

5

كان 6 يناير 1979 يوماً رمادياً مظلماً في نيويورك - الثلج هدَّد لكنه لم يتساقط. رُكنَت سيارة أجرة جورج كليمنتز أمام فندق بيلتمور، على الجهة الأخرى لشارع محطة غراند سنترال.

فُتح الباب وركب رجل ذو شعر رمادي يتحرّك بحذر وببعض الألم. وَضَع حقيبة سفر وحقيبة أوراق بجانبه على المقعد، أغلق الباب، ثم أسندَ رأسه إلى الخلف على مقعده وأغمض عينيه للحظة، كما لو أنه مُتعَب جداً.

«إلى أين سنذهب يا صديقي؟»، سأل جورج.

بحث الراكب عن قصاصة ورق. «محطة پورت أوثوريتي»، قال.

انطلق جورج. «تبدو أبيض قليلاً حول الخياشيم يا صديقي. بدا أخ زوجتي مثلك عندما كان يتعرَّض لنوبات من حصاة مرارته. هل لديك حصى في المرارة؟».

«لا».

«يقول أخ زوجتي إن حصى المرارة أسوأ ألم يمكن أن يشعر به المرء. ما عدا حصى الكُلى ربما. هل تعرف ماذا قلتُ له؟ قلتُ له إنه كذّاب كبير. آندي، قلتُ، أنت شخص رائع، أحبّك، لكنك كذّاب كبير. هل أُصبتَ يوماً بالسرطان يا آندي؟ قلتُ. سألته، لعِلمك، إن أُصيب بالسرطان يوماً. أعني، الجميع يعرفون أن السرطان هو الأسوأ». ألقى جورج نظرة مطوَّلة في مرآته للرؤية الخلفية. «إنني أسألك بصدق يا صديقي... هل أنت بخير؟ لأنك تبدو بصراحة وكأن الموت يخيّم عليك».

ردَّ الراكب، «أنا بخير. كنتُ... أفكِّر بسيارة أجرة أخرى ركبتُها منذ عدة سنوات».

«آه، صح»، قال جورج بحكمة، تماماً كما لو أنه عرَف عما كان الرجل يتكلَّم. حسناً، نيويورك مليئة بالمجانين، لا شكّ في ذلك. وبعد هذا الصمت القصير للتفكير، أكملَ يتكلَّم عن أخ زوجته.

6

«ماما، هل هذا الرجل مريض؟».

«صه».

«أجل، لكن هل هو مريض؟».

«داني، الزم الصمت».

ابتسمت للرجل الجالس على الجهة المقابلة في الحافلة، ابتسامة اعتذارية تقول الأطفال يقولون أي شيء أليس كذلك، لكن بدا أن الرجل لم يسمع. بل بدا المسكين مريضاً حقاً. داني في الرابعة من عمره فقط، لكنه محق في ذلك. كان الرجل ينظر بسأم إلى الثلج الذي بدأ يتساقط بُعيد اجتيازهم حدود ولاية كونّكتيكت. كان شاحباً جداً، نحيلاً جداً، وهناك ندبة فرانكشتاين بشعة تمتدّ من فوق ياقة معطفه إلى تحت فكّه. بدت كما لو أن شخصاً حاوَل فصل رأسه عن جسمه في الماضي غير البعيد كثيراً - حاوَل وكاد ينجح.

الحافلة في طريقها إلى پورتسموث، نيو هامبشاير، وسيصلون عند 9:30 هذه الليلة إذا لم يتسبَّب الثلج بإبطاء الأمور كثيراً. كانت جولي براون وابنها في طريقهما لرؤية حماة جولي، وكالعادة العجوز السافلة ستدلِّل داني وتُفسده - ولم يكن داني يمانع هكذا أمر.

«أريد أن أذهب وأراه».

«لا يا داني».

«أريد رؤية إن كان مريضاً».

«لا!».

«بلى، لكن ماذا لو كان يُحتضَر يا ماما؟». توهَّجت عينا داني إيجابياً لهذا الاحتمال الخلاّب. «ربما يموت الآن!».

«داني، اصمت».

«يا سيد!»، صاح داني. «هل تموت أو شيء من هذا القبيل؟».

«داني، *اصمت!*»، هسهَست جولي وقد تجمَّر خدّاها من الإحراج.

بدأ داني يبكي عندها، ليس بكاءً حقيقياً بل ذلك النحيب المزعج الذي يقول «لا يمكنني أن أفعل ما أريد» والذي لطالما جَعَلها تريد إمساكه وقرص ذراعيه إلى أن يصبح لديه شيء ليبكي بسببه *حقاً*. في أوقات كهذه، وأثناء ركوب الحافلة مساءً في عاصفة ثلجية كريهة أخرى ونحيب ابنها بجانبها، تمنّت لو أن أمها عقَّمتها قبل عدة سنوات من بلوغها سنّ الرشد.

في تلك اللحظة بالذات أدار الرجل الجالس على الجهة المقابلة في الحافلة رأسه وابتسم لها - ابتسامة مُتعَبة متألمة، لكن ابتسامة عذبة أيضاً. رأت أن عينيه مُحتقِنتان بالدم بشكل رهيب، كما لو أنه كان يبكي. حاوَلت أن تبتسم له بدورها، لكنها شَعَرت أن ذلك زائف وغير سهل على شفتيها. تلك العين اليسرى الحمراء - والندبة الممتدة حتى عنقه - جَعَلت ذلك النصف من وجهه يبدو شريراً وبغيضاً.

أمَلت ألا يكون الرجل الجالس على الجهة المقابلة في الحافلة سيبقى حتى نهاية الرحلة في بورتسموث، لكن تبيَّن لها أنه ذاهب إلى هناك فعلاً. لمحَته في محطة القطار عندما استولى غضب داني على الفتى بينما كان يقهقه بسعادة على ذراعيها. رأته يعرج نحو أبواب المحطة حاملاً حقيبة سفر بالية في يد وحقيبة أوراق جديدة في اليد الأخرى. وشَعَرت للحظة واحدة فقط بقشعريرة فظيعة في ظهرها. كانت أسوأ من مشية عرجاء حقاً - كانت أشبه بتطوّح متهوّر. لكن كان هناك شيء شرِس فيه، أخبَرت شرطة ولاية نيو هامبشاير لاحقاً. كان كما لو أنه عرَف تماماً إلى أين هو ذاهب ولا شيء سيمنعه من الوصول إلى هناك.

ثم أُغمي عليه في الظلمة ولم تعد تراه.

7

تيمسدايل، نيو هامبشاير بلدة صغيرة غرب دورهام، داخل الدائرة الانتخابية الثالثة للكونغرس. ما يُبقيها حيّة هو أصغر مصانع تشاتسْوورث، الذي يجثم هناك مثل غول من الطوب الملطَّخ بالسخام على حافة نهر تيمسدايل. والسبب الوحيد لشهرتها المتواضعة (وفقاً لغرفة التجارة المحلية) هو أنها كانت أول بلدة في نيو هامبشاير تركّب أعمدة إنارة كهربائية.

ذات مساء في أوائل يناير، دخلَ شابٌّ ذو شعر رمادي قبل أوانه ومشية عرجاء إلى مقصف تيمسدايل، وهو المكان الوحيد في البلدة الذي يقدِّم شراب شعير للزبائن. كان دِكْ أودونيل، المالك، يخدم عند المشرب. المكان فارغ تقريباً لأنه منتصف الأسبوع وهناك رياح شمالية أخرى تتحضَّر للهبوب. وقد تكدَّست خمسة أو ثمانية سنتيمترات من الثلج هناك من قبل، والمزيد في طريقه إليهم.

خبطَ الرجل ذو المشية العرجاء جزمته أرضاً ليُسقط ما علق عليها من ثلج، ودخلَ المقصف، وطلبَ شراب شعير. قدَّم له أودونيل كوباً. شرب الرجل كوبَين آخرين، وقد أخذ وقتاً طويلاً لكي يُنهيهما وهو يشاهد التلفزيون فوق المشرب. ألوانه سيئة، بدأت تسوء منذ شهرين الآن، وبدا فونزي كأنه غُول روماني مُسنّ. لا يستطيع أودونيل أن يتذكَّر أنه رأى هذا الشابّ من قبل.

«أتريد كوباً آخر؟»، سأل أودونيل وهو يعود إلى المشرب بعد أن خدم العجوزين في الزاوية.

«واحد آخر لن يضرّ»، قال الشابّ. أشار إلى بقعة فوق التلفزيون. «أظن أنك التقيتَ به».

كانت صورة مكبَّرة مؤطَّرة لرسم كاريكاتوري سياسي يُظهِر غريغ ستيلسون، وقد أمال خوذة عامل البناء على رأسه إلى الخلف، يرمي رجلاً في بذلة رسمية عن درج الكابيتول. الرجل في البذلة الرسمية هو لويس كوين، عضو الكونغرس الذي قُبض عليه بتهمة تلقي رشاوى في فضيحة مرأب السيارات منذ حوالي أربعة عشر شهراً. كان الرسم الكاريكاتوري معنوناً «اطردوا الفاسدين»، وموقَّعاً بخربشة يد في الزاوية: *إلى دِكْ أودونيل، الذي يقدِّم أفضل مقصف لعين في الدائرة الثالثة! واصل رسمها يا دِكْ - غريغ ستيلسون.*

«بالتأكيد التقيتُ به»، قال أودونيل. «ألقى خطبةً هنا عندما ترشَّح للمجلس آخر مرة. علَّق لافتات في كل أرجاء البلدة، تعالَ إلى المقصف عند الثانية بعد ظهر السبت وتناول كوب شراب على حساب غريغ. كان ذلك أكثر يوم مُربح لي في كل حياتي في هذا المقصف. كان يُفترَض أن يتناول الناس كوباً واحداً فقط على حسابه، لكنه انتهى بتفريغ كل خزّانات الشراب لديَّ. لا يمكنني تحقيق أفضل من ذلك، أليس كذلك؟».

«يبدو أنك تعتبره رجلاً رائعاً».

«أجل، هذا صحيح»، قال أودونيل. «وسأشعر برغبة قوية أن أغرز قبضتي العارية في وجه أي شخص يقول عكس ذلك».

«حسناً، لن أجرّبك». وضع الشابّ ثلاثة أرباع. «تناول كوباً على حسابي».

«حسناً، موافق. لا مانع عندي. شكراً يا سيد...؟».

«اسمي جوني سميث».

«سعيد بلقائك يا جوني. ديكي أودونيل، هذا أنا». صبَّ لنفسه كوب شراب شعير من الحنفية. «أجل، غريغ أفاد هذا الجزء من نيو هامبشاير كثيراً. وهناك أشخاص كُثر يخافون الاعتراف بذلك، لكنني لستُ واحداً منهم. سأقول ذلك بصوتٍ عالٍ. يوماً ما يستحق غريغ ستيلسون أن يكون الرئيس».

«تعتقد ذلك؟».

«أجل»، قال أودونيل وهو يعود إلى المشرب. «نيو هامبشاير ليست كبيرة كفاية لغريغ. إنه سياسي رائع، وصدور هذا الكلام مني يُعدّ شيئاً مميزاً. كنتُ أظن أن الطاقم بأكمله مجرّد مجموعة محتالين ونصّابين. لا أزال أظن ذلك، لكن غريغ استثناءٌ للقاعدة. إنه شخص أمين. لو أخبَرتني منذ خمس سنوات أنني سأقول شيئاً كهذا، لكنتُ ضحكتُ عليك. من المرجَّح أكثر أن تجدني أقرأ الشِعر من أن تراني أجد أي شيء جيد في أي سياسي. لكنه، تباً، رجل حقيقي».

قال جوني، «معظم أولئك الأشخاص يريدون أن يكونوا أصدقاءك أثناء ترشّحهم إلى المجلس، لكن عندما يفوزون، لا يعودون يعرفونك حتى موعد الانتخابات القادمة. أنا من ماين، والمرة الوحيدة التي راسلتُ فيها إد مَسكي، هل تعرف على ماذا حصلتُ؟ على رسالة نموذجية!».

«آه، هذا بولندي»، قال أودونيل. «ماذا تتوقع من بولندي؟ اسمع، غريغ يزور الدائرة كل نهاية أسبوع لعينة! هل يبدو لك هذا الآن أنه نسي أصدقاءه حتى موعد الانتخابات القادمة؟».

«كل نهاية أسبوع؟»، قال جوني ورَشَف شراب شعيره. «أين؟ تريمبول؟ ريدجواي؟ البلدات الكبيرة؟».

«لديه نظام»، قال أودونيل بالنبرة المبجَّلة لرجلٍ لم يتمكّن في حياته كلها من التوصّل إلى نبرة مبجَّلة خاصة به. «خمس عشرة بلدة، من الأماكن الكبيرة مثل العاصمة نزولاً إلى القرى الصغيرة أمثال تيمسدايل وكُورتر نوتش. يزور واحدةً كل أسبوع إلى أن يُنهي اللائحة كلها ثم يعاود من أعلى اللائحة مرة أخرى. هل تعرف كم حجم كُورتر نوتش؟ سكانها ثمانمئة نسمة فقط. لذا ما

رأيك برجلٍ يأخذ عطلة نهاية أسبوع من واشنطن ويأتي إلى كُورتر نوتش لتتجمَّد رجلاه في قاعة اجتماعات باردة؟ هل يبدو لك هذا أنه نسي أصدقاءه حتى موعد الانتخابات القادمة؟».

«لا، لا»، قال جوني بصدق. «ماذا يفعل؟ يصافح الناس فقط؟».

«لا، لديه قاعة في كل بلدة. يحجزها ليوم السبت بأكمله. يصل إلى هناك حوالي العاشرة صباحاً، ويستطيع الناس القدوم والتكلّم معه. لإطلاعه على أفكارهم، وما شابه. إذا كانت لديهم أسئلة، يُجيب عليها. وإذا لم يكن بإمكانه الإجابة عليها، يعود إلى واشنطن ويجد الجواب!». نظرَ إلى جوني نظرة انتصار.

«متى جاء إلى تيمسدايل لآخر مرة؟».

«منذ شهرين»، قال أودونيل. ذهَب إلى صندوق الدفع وفتَّش في كومة أوراق بجانبه. عاد ومعه قصاصة مطوية الطرف وضعها على المشرب بجانب جوني.

«إليك اللائحة. فقط ألقِ نظرة عليها وأخبرني رأيك».

كانت القصاصة من صحيفة ريدجواي، وقد أصبحت قديمة نوعاً ما الآن. المقال بعنوان *ستيلسون* يُعلِن عن «*مركز الآراء*». بدت الفقرة الأولى فيه كأنها أُخذَت من ملف ستيلسون الصحفي. تحتها لائحة بالبلدات التي سيقضي فيها غريغ عطل نهاية أسبوعه، والتواريخ المقترحة. لن يزور تيمسدايل مرة أخرى قبل منتصف مارس.

«أعتقد أنها تبدو جيدة جداً»، قال جوني.

«نعم، أعتقد ذلك. أشخاص كُثر يعتقدون ذلك».

«وفق هذه القصاصة فقد زار كُورتر نوتش نهاية الأسبوع الفائت».

«هذا صحيح»، قال أودونيل وضحِك. «كُورتر نوتش العزيزة. هل تريد كوب شراب شعير آخر يا جوني؟».

«فقط إذا كنتَ ستشاركني كوباً أنتَ أيضاً»، قال جوني ووضع دولارين على المشرب.

«حسناً، لا يهمّني إن شاركتُك».

وضعت إحدى زبونتين بدينتين مالاً في صندوق الموسيقى وبدأت تامي واينَت تغني، بصوتها الذي بدا قديماً ومُتعَباً وغير سعيد أن يكون هنا، «سانِدي رجلك».

«أيها الحقير!»، نعَقت الأخرى. «هل سمعت يوماً عن وجود خدمة في هذا المكان؟».

«أطبقي فمك!»، صاح بها.

«تباً لك»، صاحت وقوقأت.

«اللعنة يا كلاريس، أخبَرتُك عن الشتم في مقصفي! أخبَرتُك...».

«آه أقلع عن هذا ودعنا نتناول بعض شراب الشعير».

«أكره هاتين العجوزتين الحقيرتين»، تمتم أودونيل لجوني. «مجرّد عجوزتين مثليتين مسترجِلتين مدمنتَي شراب. إنهما هنا منذ مليون سنة، ولن أتفاجأ إن عاشتا لتبصقا على قبري. العالم مثير للسخرية أحياناً».

«نعم، صحيح».

«عذراً، سأعود حالاً. عندي نادلة، لكنها تأتي فقط أيام الجمعة والسبت في الشتاء».

ملأ أودونيل كوبَين كبيرين بشراب شعير وأخذهما إلى الطاولة. قال شيئاً لهما، ورَدَّت كلاريس «*تباً لك!*» وقوقأت مرة أخرى. كان المقصف مليئاً بأشباح شطائر برغر ميتة. غنّت تامي واينَت عبر فرقعة الفشار للأسطوانة القديمة. وأطلقت المشعاعات سخونة خفيفة في الغرفة وراح الثلج في الخارج يتشاجر بجفاف مع الزجاج. فَرَك جوني صدغَيه. لقد زار هذا المقصف من قبل، في مئة بلدة صغيرة أخرى. رأسه يؤلِمه. عندما صافح أودونيل، عرَف أن الساقي يملك كلباً مهجَّناً عجوزاً ضخماً درَّبه أن يهجم عندما يأمره بذلك. كان حلمه الكبير أن يقتحم سارقٌ منزله ذات ليلة وسيكون عندها قادراً قانونياً على إفلات ذلك الكلب العجوز الضخم عليه، وسيرتاح العالم من أحد الهيبّيين اللعينين المنحرفين المدمنين.

آه كم يؤلِمه رأسه.

عاد أودونيل وهو يمسح يديه على مئزره. أنهت تامي واينَت وصلتها واستُبدلَت بـ ريد سوفاين وأغنيته تيدي بير.

«شكراً مرة أخرى على شراب الشعير»، قال أودونيل وملأ كوبَين.

«من دواعي سروري»، قال جوني وهو لا يزال يدرس القصاصة. «كُورتر نوتش الأسبوع الفائت، جاكسون عطلة نهاية الأسبوع القادمة. لم أسمع بها من قبل. لا شكّ أنها بلدة صغيرة جداً، أليس كذلك؟».

«مجرّد قرية صغيرة»، وافَقه أودونيل. «كان عندهم منتجع تزلّج في الماضي، لكنه أفلس. البطالة كبيرة في تلك الأنحاء. يُنتجون بعض لُباب الخشب وبعض المحاصيل الزراعية. لكنه يذهب إلى هناك. يتكلَّم معهم. يستمع إلى تذمّرهم. من أي منطقة في ماين أنت يا جوني؟».

«لويستون»، كذَب جوني. قالت القصاصة إن غريغ ستيلسون سيقابل الأشخاص المهتمين في دار البلدية.

«أظنك تأذيتَ من التزلّج، أليس كذلك؟».

«لا، أذيتُ رِجلي منذ مدة طويلة. لم أعد أتزلّج بعد الآن. مجرّد عابر سبيل. شكراً على سماحك لي برؤية هذه». أعاد له جوني القصاصة. «إنها مثيرة للاهتمام جداً».

أعاد أودونيل حفظها بعناية مع أوراقه الأخرى. لديه مقصف فارغ، وكلب في المنزل سيهجم عند أمره بذلك، وغريغ ستيلسون. لقد أتى غريغ إلى مقصفه.

وجَد جوني نفسه يتمنّى فجأة أن يموت. إذا كانت هذه الموهبة هدية من السماوات، فالسماوات فقدت عقلها ويجب إيقافها. إذا أرادت السماوات أن يموت غريغ ستيلسون، فلماذا لم تُنزله عبر قناة الولادة والحبل السُرّي ملفوف حول عنقه؟ أو تخنقه بقطعة لحم؟ أو تصعقه بالكهرباء بينما يغيِّر المحطة الإذاعية؟ أو تُغرِقه في حوض السباحة؟ لماذا يجب على السماوات توكيل جوني سميث بتنفيذ هذا العمل القذر؟ ليست مسؤوليته أن يُنقذ العالم، فهذه وظيفة المضطربين نفسياً وفقط المضطربون نفسياً سيتجرّأون على محاولة تنفيذ ذلك. قرَّر فجأة أنه سيدع غريغ ستيلسون يعيش ولن يُعير السماوات أي اهتمام.

«هل أنت بخير يا جوني؟»، سأل أودونيل.

«ماذا؟ آه نعم، بالتأكيد».

«بدَوتَ مضحكاً نوعاً ما للحظةٍ».

تشاك تشاتسْوورث يقول: *إذا لم أفعل ذلك، أخشى أن تطاردني أشباح كل أولئك الأشخاص الذين سيقتلهم إلى قبري.*

«أظن أن ذهني شرَدَ»، قال جوني. «أريدك أن تعرف أنه سرّني جداً تناول الشراب معك».

«حسناً، الشعور متبادل»، قال أودونيل وهو يبدو مسروراً. «أتمنّى أن يشعر مثلك عدد أكبر من الأشخاص المارّين من هنا. يمرّون من هنا متوجِّهين إلى منتجعات التزلّج. إلى الأماكن الكبيرة. يصرفون أموالهم هناك. لو اعتقَدتُ أنهم سيتوقفون هنا، كنتُ أصلحتُ هذا المكان مثلما يروق لهم. مُلصقات إعلانية لسويسرا وكولورادو. موقد. أحمِّل صندوق الموسيقى بأسطوانات روك أند رول بدلاً من تلك الموسيقى التافهة. هذا... سيسرّني فعل هذا». هزَّ كتفيه. «لستُ شريراً، تباً».

«بالطبع لا»، قال جوني وهو ينهض عن الكرسي ويفكِّر بالكلب المدرَّب أن يهجم، والسارق الهيبّي المدمن المنتظَر.

«حسناً، أخبِر أصدقاءك أنني هنا»، قال أودونيل.

«بالتأكيد»، قال جوني.

«يا دِكْ!»، صاحت إحدى الزبونتين البدينتين. «هل سمعت يوماً عن خدمةٍ مع ابتسامةٍ في هذا المكان؟».

«لماذا لا تخرسين أيتها الحقيرة؟»، صاح بها أودونيل بغضب.

«*تباً لك!*»، صاحت كلاريس وقوقأت.

خرجَ جوني بهدوء إلى العاصفة المتهيئة.

8

كان يقيم في الهوليداي إن في پورتسموث. عندما عاد ذلك المساء، أخبَر موظف الاستقبال أن يحضّر له الفاتورة عند الصباح.

في غرفته، جلَس إلى مكتب الكتابة غير الشخصي في الهوليداي إن، وأخرجَ كل القرطاسية، وأمسك قلم الهوليداي إنّ. رأسه ينبض، لكن هناك رسائل يجب كتابتها. تمرُّده الوجيز جداً - إن كان

هذا ما يمكن وصف ما جرى له ـ مرَّ. ومهمته غير المُنجَزة مع غريغ ستيلسون لا تزال تنتظر.

لقد أصبحتُ مجنوناً، فكَّر في سرّه. *هذا ما حصل لي حقاً. لقد فقدتُ عقلي كلياً*. يمكنه رؤية عناوين الصحف الآن. «مضطرب نفسياً يُطلق النار على نائب نيو هامبشاير. مجنون يغتال ستيلسون. وابل من الرصاص يصرع نائباً أميركياً في نيو هامبشاير». وستحظى *نظرة داخلية*، بالطبع، على أسعد أيامها. «الذي نصَّب نفسه ‹عرّافاً› يقتل ستيلسون، 12 طبيباً نفسياً مشهوراً يُخبِروننا لماذا فعل سميث ذلك». مع عمود جانبي بقلم ذلك الرجل ديس، ربما، يُخبرنا فيه كيف هدَّده جوني أنه سيُحضِر بندقية صيده و«يطلق النار عليَّ كمتعدٍّ على ممتلكات الغير».

مجنون.

لقد سُدِّدَت ديون المستشفى، لكن هذا سيترك لائحة جديدة من الاتهامات ضده، وسيكون على أبيه تسديدها. سيمضي وزوجته الجديدة أياماً كثيرةً محط أنظار الناس لرداءة سمعته. سيتلقون رسائل كره. ستُجرى مقابلات مع جميع الذين عرفهم في حياته ـ عائلة تشاتسْوورث، سام، المأمور جورج بانرمان. سارة؟ حسناً، ربما لن يتمادوا كثيراً حتى حدود سارة. ففي النهاية، الأمر ليس كما لو أنه كان يخطِّط لاغتيال الرئيس. على الأقل، ليس بعد. *هناك أشخاص كُثر يخافون الاعتراف بذلك، لكنني لستُ واحداً منهم. سأقول ذلك بصوتٍ عالٍ. يوماً ما يستحق غريغ ستيلسون أن يكون الرئيس*.

فَرَك جوني صدغَيه. جاءه الصُداع كأمواج منخفضة بطيئة، وكل هذا لم يكن يكتب له رسائله. سحبَ أول ورقة من القرطاسية نحوه، أمسك القلم، وكَتَب *والدي العزيز*. في الخارج، طرقَ الثلج على النافذة بذلك الصوت الرملي الجاف الذي يعني أن المسألة خطيرة. بدأ القلم يتحرَّك على الورق أخيراً، ببطء أولاً، ثم ازدادت سرعته.

الفصل السابع والعشرون

1

صعد جوني درجات خشبية جُرفَ الثلج عنها ورُشَّ ملح عليها. اجتاز باباً مزدوجاً إلى بهو مزدانة جدرانه بعيّنات اقتراع وبلاغات عن اجتماع خاص للبلدة سيُعقَد هنا في جاكسون في الثالث من فبراير. كان هناك بلاغ أيضاً عن الزيارة الوشيكة لغريغ ستيلسون وصورة له، بخوذته المائلة إلى الخلف على رأسه، وابتسامته الحادّة المائلة التي تقول «نحن أذكياء بالنسبة لهم، أليس كذلك يا صاح؟». على يمين الباب الأخضر الذي يؤدّي إلى قاعة الاجتماعات نفسها، رأى جوني لافتةً لم يتوقعها، وبقي يفكِّر فيها ملياً بصمت لعدة ثوانٍ، وأنفاسه تنفث بياضاً من شفتيه. «امتحانات السائقين اليوم»، قالت تلك اللافتة المعلَّقة على حاملة خشبية. «جهّزوا أوراقكم».

فتَح الباب، دخَل التوهُّج الذهولي للحرارة التي يقذفها موقد الخشب الكبير، ورأى شرطياً يجلس وراء مكتب مرتدياً معطف تزلّج مفكوكاً سحّابه. هناك أوراق مبعثرة على مكتبه، وهناك أيضاً أداة لفحص الحدّة البصرية.

رفع الشرطي نظره إلى جوني، وشعَر بانقباض في أمعائه.

«هل يمكنني مساعدتك يا سيدي؟».

أشار جوني إلى الكاميرا المعلَّقة حول عنقه. «حسناً، كنتُ أتساءل إن كان بإمكاني إلقاء نظرة على المكان»، قال. «أنا في مهمة لمجلة اليانكي. نريد نشر مقال عن هندسة دُور البلدية في ماين ونيو هامبشاير وفيرمونت. التقاط الكثير من الصور».

«تفضَّل»، قال الشرطي. «زوجتي تقرأ اليانكي طوال الوقت. تساعدني على النوم».

ابتسم جوني. «تميل هندسة نيو إنغلاند نحو... حسناً، الوحشة».

«الوحشة»، كرَّر الشرطي بارتياب، ثم صرف ذلك من ذهنه. «التالي من فضلكم».

اقترب شابٌّ من مكتب الشرطي وسلَّمه ورقة امتحان فأخذها الشرطي وقال، «انظر إلى الشاشة رجاءً، وعرِّف لافتات وإشارات المرور التي سأعرضها عليك».

راح الشابّ يحدِّق بالشاشة. وضع الشرطي مفتاح إجابة على ورقة امتحان الشابّ. سار جوني في الرِواق المركزي لدار بلدية جاكسون والتقط صورةً للمنبر الأمامي.

«لافتة توقّف»، قال الشابّ من خلفه. «اللافتة التالية هي لافتة أعطِ الأفضلية... والتالية هي لافتة معلومات مرور... ممنوع الانعطاف إلى اليمين، ممنوع الانعطاف إلى اليسار، مثل...».

لم يتوقع رؤية شرطي في دار البلدية؛ حتى إنه لم يتكبَّد عناء شراء فيلم للكاميرا التي يستخدمها كذريعة. لكن الوقت تأخر كثيراً الآن لكي يتراجع على أي حال. اليوم الجمعة، وسيكون ستيلسون هنا غداً إذا سارت الأمور بالطريقة التي يُفترَض بها أن تسير. سيردّ على أسئلةٍ سكان جاكسون الطيبين ويستمع إلى اقتراحاتهم. ستكون هناك حاشية معتدلة الحجم معه. معاوِنان، مستشاران ـ وعدة أشخاص آخرين، شباب في بذلات متّزنة وسترات رياضية كانوا يرتدون سراويل جينز ويركبون درّاجات نارية منذ وقت ليس ببعيد. لا يزال غريغ ستيلسون من المقتنعين بقوة بضرورة استخدام حرّاس شخصيين. كانوا يحملون عُصي بليياردو مقصَّر طولها في تجمهُر تريمبول. هل يحملون مسدَّسات الآن؟ هل من الصعب على نائب أميركي الحصول على رخصة لحمل سلاح مخبأ؟ لا يعتقد جوني ذلك. يمكنه الاتكال على فرصة جيدة واحدة فقط؛ عليه أن يستفيد منها إلى أقصى الحدود. لذا من المهم أن يتفقَّد المكان، أن يحاول تقرير إن كان يمكنه القضاء على ستيلسون هنا أو أنه من الأفضل أن ينتظر في مرأب السيارات فاتحاً النافذة ومُسنداً البندقية على حُضنه.

لذا أتى وها هو هنا، يتفقَّد المكان بينما يُجري شرطيٌّ امتحانات رخص القيادة على بُعد أقل من تسعة أمتار.

رأى لوحة على يساره فالتقط جوني صورتها بالكاميرا الخالية من أي فيلم ـ بالله عليه لماذا لم يأخذ دقيقتين أخريين ويشتري فيلماً؟ اللوحة مليئة بثرثرات بلدة صغيرة بشأن عشاء يخنة حبوب، مسرحية قادمة في الثانوية، معلومات عن رُخص تربية الكلاب، وبالطبع، المزيد عن غريغ. قالت

بطاقة ملف إن رئيس بلدية جاكسون يبحث عن شخص بارع في الاختزال، ودرَس جوني هذا كما لو أنه ذو أهمية كبيرة له بينما راح ذهنه يعمل بسرعة عالية.

بالطبع إذا بدت جاكسون مستحيلة - أو حتى غير مأمونة - يمكنه الانتظار إلى الأسبوع القادم، حيث سيقوم ستيلسون بكل هذا الروتين مرة أخرى في بلدة أپسون. أو الأسبوع الذي يليه، في تريمبول. أو الأسبوع الذي يلي ذلك. أو ينسى الأمر بأكمله.

يجب أن يتم هذا الأسبوع. يجب أن يتم غداً.

التقط صورةً لموقد الخشب الكبير في الزاوية، ثم ألقى نظرة سريعة إلى أعلى. هناك شرفة في الأعلى. لا - ليست شرفة بحدّ ذاتها، بل أشبه بمنصة مشاهدة ذات درابزين عالٍ حتى الخصر وألواح خشبية عريضة مطلية بالأبيض منحوتة فيها فتحات ماسيّة وزخارف صغيرة. سيكون ممكناً جداً أن يربض رجلٌ خلف ذلك الدرابزين وينظر عبر إحدى تلك الفتحات. وفي اللحظة المناسبة، يمكنه أن ينهض فحسب و -

«ما نوع هذه الكاميرا؟».

نظرَ جوني حوله متأكداً أنه الشرطي. سيطلب الشرطي رؤية كاميراه الخالية من فيلم - ثم سيريد رؤية هويته - ثم سينتهي كل شيء.

لكنه لم يكن الشرطي. كان الشابّ الذي كان يُجري اختبار رخصة قيادته. إنه في حوالي الثانية والعشرين من عمره، ذو شعر طويل وعينين صادقتين لطيفتين، ويرتدي معطفاً من جلد الغزال وسروال جينز باهتاً.

«نيكون»، قال جوني.

«كاميرا جيدة يا رجل. أنا مهووس حقيقي بالتصوير. منذ متى تعمل في اليانكي؟».

«حسناً، أنا صحفي مستقل»، قال جوني. «أُنجز مهاماً لهم، وأحياناً لصالح كاونتري جورنال، وأحياناً لصالح داونايست، وهكذا».

«لا شيء على نطاق الوطن مثل مجلة بيبول أو لايف؟».

«لا. على الأقل ليس بعد».

«أي رقم بؤرة تستخدم هنا؟».

ما هو رقم البؤرة اللعين هذا؟

هزَّ جوني كتفيه. «أتّكل على أذني في الأغلب».

«تقصد على عينك»، قال الشابّ مبتسماً.

«هذا صحيح، على عيني». *انصرف يا فتى، انصرف رجاءً.*

«أنا مهتم بالعمل الحر أيضاً»، قال الشابّ وابتسم. «حلمي الكبير هو أن ألتقط صورةً ذات يوم مثل صورة رفع العلم في إيوو جيما».

«سمِعتُ أن تلك الصورة كانت مدبَّرة»، قال جوني.

«حسناً، ربما. ربما. لكنها صورة كلاسيكية. أو مثلاً صورة أول صحن طائر يأتي إلى الأرض؟ أودّ ذلك حقاً. على أي حال، لديَّ محفظة أشياء أخذتُها هنا. مَن الجهة التي تعرفها في اليانكي؟».

بدأ جوني يعرق الآن. «في الواقع، هم الذين اتصَلوا بي لهذه المهمة»، قال. «كانت...».

«سيد كلوسون، يمكنك أن تقترب الآن»، قال الشرطي بنبرة ضجرة. «أريد أن أستعرض معك تلك الأجوبة».

«آه، صوت سيده»، قال كلوسون. أراك لاحقاً يا رجل». أسرعَ بالابتعاد وزفرَ جوني أنفاسه في تنهيدةٍ صامتةٍ. حان وقت الخروج، وبسرعة.

التقطَ بضع «صور» أخرى فقط لكي لا تبدو مهمته هزيمةً مطلقةً، لكنه بالكاد كان يُدرك إلى ماذا كان ينظر عبر العدسة. ثم رحلَ.

نسيَ الشابّ في السترة الجلدية - كلوسون - كل شيء عنه. يبدو أنه رسَب الجزء الخطيّ من امتحانه. كان يتجادل بحدّة مع الشرطي الذي اكتفى بهزّ رأسه.

توقف جوني للحظة عند مدخَل دار البلدية. على يساره غرفة تعليق المعاطف. وعلى يمينه باب مُغلق. جرَّب فتحه ووجده غير مقفَل. سلالم ضيقة تقود صعوداً إلى العتمة. ستكون المكاتب الفعلية هناك، بالطبع. ومنصة المشاهدة.

2

كان يُقيم في جاكسون هاوس. إنه فندق صغير لطيف في الشارع الرئيسي تم ترميمه بعناية، وبكلفة باهظة على الأرجح، لكن المكان سيعيد تلك التكاليف، هذا ما فكَّر به المالكون بلا شك، بسبب منتجع التزلّج الجبلي الجديد في جاكسون. لكن المنتجع أفلسَ والفندق الصغير اللطيف بالكاد قادر على الصمود الآن. كان موظف النوبة الليلية يكبو فوق كوب قهوة عندما خرَج جوني عند الرابعة فجر السبت حاملاً حقيبة الأوراق في يده اليسرى.

نام قليلاً ليلة أمس، حيث انزلق في كَبوَة قصيرة خفيفة بعد منتصف الليل. حلَم. إنه العام 1970 مرة أخرى. وزمن الكرنفال. وَقَف وسارة أمام عجلة الحظ وانتابه مرة أخرى ذلك الشعور بامتلاك قوة هائلة مجنونة. يمكنه أن يشمّ رائحة مطاط يحترق في منخرَيه.

«هيا»، قال صوتٌ لطيفٌ خلفه، «أحبّ رؤية هذا الرجل يتلقى هزيمة». استدار وكان فرانك دود، مرتدياً معطفه الواقي من المطر الأسود، وعنقه مذبوح من الوريد إلى الوريد في ابتسامة حمراء عريضة، وعيناه تتلألآن بحيوية ميتة. استدار إلى الكشك خائفاً - لكن صاحب الكشك الآن هو غريغ ستيلسون، يبتسم له عن دراية، وخوذته الصفراء مُرجعَة بغرور على جمجمته. «يا هو - يا هو - يا هو»، أنشَد ستيلسون بصوت عميق ورنّان ومُنذِر بالسوء. «ضعه حيث تريده يا صاح. ما رأيك؟ هل تريد تجربة المستحيل؟».

نعم، أراد تجربة المستحيل. لكن بعدما حرَّك ستيلسون العجلة، رأى أن الدائرة الخارجية كلها أصبحت خضراء. كل رقم هو صفر مزدوج. كل رقم هو رقم الكشك.

استيقظ مرتعشاً وأمضى بقية الليل ينظر إلى الظلمة خارج النافذة المحاطة بالصقيع. زال الصُداع الذي أصابه منذ أن وصل إلى جاكسون البارحة، تاركاً إياه يشعر بضعف لكن برباطة جأش. جلَس واضعاً يديه في حُضنه. لم يتذكَّر غريغ ستيلسون؛ بل تذكَّر الماضي. تذكَّر أمه تضع ضمادة لاصقة على ركبة مكشوطة؛ تذكَّر المرة التي مزَّق فيها الكلب الجهة الخلفية لفستان الجَدّة نيللي الصيفي السخيف وكيف ضحِك وكيف صفعته ڤيرا صفعةً قويةً وجرحت جبهته بالحجر الذي في خاتم زواجها؛ تذكَّر أباه يعلّمه كيف يضع الطُعم في خُطاف صنارة الصيد ويقول له، *هذا لا يؤذي الديدان يا جوني... على الأقل، لا أعتقد أنه يؤذيها*. تذكَّر أباه يهديه سكين جيب على احتفال

الشتاء عندما كان في السابعة من عمره ويقول بنبرة جديةً جداً، إنني أثق بك يا جوني. عادت له كل تلك الذكريات في فيضٍ كبيرٍ.

خرج الآن إلى برد الصباح القارس، وراح حذاؤه يُصدر صريراً على المسار المجروف في الثلج. ورسمت أنفاسه خطوطاً في الهواء أمامه. القمر هابط لكن النجوم منتشرة في السماء السوداء بوفرة حمقاء، علبة مجوهرات السماوات، هكذا كانت ڤيرا تسمّيها دائماً. إنك تنظر إلى علبة مجوهرات السماوات يا جوني.

نزَل الشارع الرئيسي، وتوقَف أمام مكتب بريد جاكسون الصغير جداً وأخرج الرسائل من جيب معطفه بارتباك. رسائل إلى أبيه، إلى سارة، إلى سام وايزاك، إلى بانرمان. وضع حقيبة الأوراق بين قدمَيه، وفتح صندوق البريد الواقف أمام مبنى الطوب الصغير الأنيق، وبعد لحظة تردّد قصيرة، رماها فيه. استطاع سماعها تقع داخله. إنها بالتأكيد أولى الرسائل التي تُرسَل بالبريد في جاكسون هذا اليوم الجديد، وجعله الصوت يشعر بإحساس غريب من النهائية. لقد أُرسلَت الرسائل بالبريد، لا مجال لإيقافها الآن.

حملَ الحقيبة مرة أخرى وابتعد. الصوت الوحيد في الأرجاء هو صرير حذائه على الثلج. أشار ميزان الحرارة الكبير المعلَّق فوق باب مصرف الإدخار لولاية الغرانيت أن الحرارة ناقص 16 درجة، والهواء يعبق بذلك الشعور بالصمت المطبَق الذي تنفرد به صباحات نيو هامبشاير الباردة. لا شيء تحرَّك. قارعة الطريق خالية. الزجاج الأمامي للسيارات المركونة مغطى بالكامل بطبقة من الصقيع. النوافذ داكنة، الستائر مغلقة. بدا كل ذلك لجوني مُرعِباً بطريقة أو بأخرى وفي الوقت نفسه مبجَّلاً. حارَب ذلك الشعور. المهمة التي هو بصدد إنجازها ليست مبجَّلة.

اجتاز شارع جاسبر وها هو دار البلدية، يقف أبيض وبهيّاً بقساوة خلف طبقات الثلج المتلألئ.

ماذا ستفعل إذا كان الباب الأمامي مُقفلاً أيها الذكي؟

حسناً، سيجد طريقة لحل تلك المعضلة إذا لزم الأمر. نظرَ جوني حوله، لكنه لم ير أحداً. لو كان الرئيس قادماً لحضور أحد اجتماعات بلدته المشهورة، لكان كل شيء اختلف طبعاً. كان سيُحظَر الاقتراب من المكان منذ الليلة السابقة، وسينتشر الرجال في الداخل من قبل. لكن هذا مجرّد نائب أميركي، واحدٌ من أكثر من أربعمئة نائب، ليس شخصاً ذا شأن كبير. ليس شخصاً ذا شأن كبير بعد.

صعِد جوني الدرجات وجرَّب فتح الباب. استدارت المسكة بسهولة ودخل المدخَل البارد وأغلق الباب خلفه. بدأ الصُداع يعود الآن، يدوّي إلى جانب النبضات الثقيلة المتواصلة لقلبه. وضع حقيبته أرضاً ودلَّك صدغَيه بأصابعه المكسوة بقفّاز.

سمع صرخةً خافتةً مفاجئةً. كان باب خزانة المعاطف يُفتَح، ببطء شديد، ثم بدأ شيء أبيض يسقط من الظلال نحوه.

بالكاد استطاع جوني كبت صرخته. اعتقَد للحظة أنه جسم يسقط من الخزانة مثل شيء مأخوذ من فيلم عفاريت. لكنه كان مجرّد لافتة كرتونية ثقيلة تقول *الرجاء تنظيم الأوراق قبل القدوم إلى الامتحان*.

أعادها إلى مكانها ثم استدار إلى المدخَل الذي يؤدي إلى السلالم.

هذا الباب مُقفل الآن.

انحنى ليُلقي نظرة أفضل عليه في التوهُّج الأبيض المعتم لعمود الإنارة الذي دخل ضوؤه عبر النافذة الوحيدة. كان قفلاً نابضياً، وشَعَر أنه قد يتمكن من فتحه بشمّاعةٍ. وجَد واحدةً في خزانة المعاطف وعقفَ عنقها بالفجوة التي بين الباب والعضادة. أدخلها في القفل وبدأ يحرّكها بارتباك. أصبح رأسه يدوّي بشراسة الآن. سمِع أخيراً المزلاج يرتدّ إلى الخلف عندما التقطه السلك. فتَح الباب. حملَ حقيبة أوراقه ودخلَ وهو لا يزال يُمسك الشمّاعة. أغلق الباب خلفه وسمِعه يُقفَل مرة أخرى. صعِد الدرجات الضيقة، التي راحت تُصدر صريراً وتأوهات تحت ضغط وزنه.

وجدَ عند أعلى الدرجات رواقاً قصيراً مع عدة أبواب على جانبيه. مشى في الرواق، متجاوزاً *مدير البلدة وأعضاء البلدية ومقيِّم الضريبة وحمّام الرجال وعرّاف الفقراء وحمّام السيدات*.

رأى باباً لا يحمل أي لافتة في النهاية. لم يكن مقفلاً وخرج منه إلى منصة المشاهدة التي تعلو الجهة الخلفية لقاعة الاجتماعات، التي انبسطت تحته في بحر مجنون من الظلال. أغلَق الباب خلفه وارتعَش قليلاً من الضجة الخفيفة للأصداء في القاعة الفارغة. كما تردَّد صدى وقع قدمَيه أيضاً بينما سار إلى اليمين على طول منصة المشاهدة، ثم استدار يساراً. أصبح يسير الآن على الجهة اليمنى للقاعة، على ارتفاع حوالي سبعة أمتار فوق الأرضية. توقَّف عند نقطة فوق موقد الخشب ومباشرة مقابل المنصة التي سيقف عليها ستيلسون بعد حوالي خمس ساعات ونصف.

جلَس متصالب الرِجلين واستراح لبرهة. حاوَل أن يسيطر على صُداعه ببعض التنفّس العميق. لم يكن موقد الخشب يعمل وشَعَر بالبرد حوله ثم في كل أنحاء جسمه. اختبار تمهيدي للكَفَن.

عندما بدأ يشعر بتحسّن طفيف، ضغطَ مزلاجَي حقيبة الأوراق. تردَّد صدى النقرة المزدوجة مثلما حصل مع وقع قدمَيه سابقاً، وهذه المرة كان صوت ردّ زناد المسدَّسات إلى الوراء.

العدالة الغربية، فكَّر في سرّه بدون أي سبب على الإطلاق. فهذا ما قاله النائب العام عندما وجدت هيئة المحلّفين كلودين لونغت مذنبة بقتل حبيبها. *عرَفت معنى العدالة الغربية.*

أخفَض جوني نظره إلى الحقيبة وفركَ عينيه. ازدوجَ بصره للحظة ثم عاد حادّاً مرة أخرى. تراءت له صورة من الخشب الذي يجلس عليه. صورة قديمة جداً؛ لو كانت صورة فوتوغرافية، لكان البني الداكن طاغياً عليها. رجال يقفون هنا ويدّخنون سيجاراً، يتكلمون ويضحكون وينتظرون بدء اجتماع البلدة. هل هو العام 1920؟ 1902؟ هناك شيء شبحيّ في المسألة جَعَله يشعر بالانزعاج. كان أحدهم يتكلَّم عن سعر الشراب الاسكتلندي وينظِّف أنفه بعود تخليل فضي و

(وقبل سنتين سمَّم زوجته).

ارتعَش جوني. مهما تكن تلك الصورة فإن ذلك لا يهمّ. كانت صورة رجلٍ مات منذ زمن طويل الآن.

لمَعت البندقية عليه.

عندما يفعل الرجال ذلك في زمن الحرب، يقلّدونهم ميداليات، فكَّر في سرّه.

بدأ يجمِّع البندقية. تردَّد صدى كل نقرة، لمرة واحدة فقط وبوقار، صوت ردّ زناد مسدَّس إلى الوراء.

لقَّم الريمنغتون بخمس رصاصات.

وَضَعَها على رُكبتَيه.

وانتظَر.

حلَّ الفجر ببطء. كبا جوني قليلاً، لكنه يشعر ببرد قارس الآن لكي يستطيع أن يغفو أكثر من مجرّد كبوة. راحت أحلام سطحية خفيفة تطرد النوم البسيط الذي استطاع أن يحلّ عليه.

استيقظ بالكامل بُعيد السابعة. فقد فُتح الباب في الأسفل بقوة، واضطر أن يعضّ لسانه ليمنع نفسه من الصراخ، *مَن هناك؟*

إنه الوصيّ. وَضَع جوني عينه في إحدى الفجوات الماسيّة الشكل في الدرابزين ورأى رجلاً قوي البنية ملتحفاً معطفاً سميكاً أزرق سماوي. كان يسير في وسط الرِواق حاملاً عدداً من قِطع الحَطَب، ويهمهم لحن «وادي النهر الأحمر». أفلَت الأخشاب في صندوق الحَطَب مُحدثاً دوّياً قوياً ثم اختفى تحت جوني. بعد ثانية سمِع الزعيق الخفيف لباب حجرة احتراق الموقد وهو يُفتَح.

انتبه جوني فجأة لسُحُب البخار التي كان يُنتِجها كلما زَفَر. ماذا لو رفع الوصيّ نظره؟ هل سيكون قادراً على رؤيتها؟

حاوَل أن يُبطئ سرعة تنفّسه، لكن ذلك زاد من حدّة ألم رأسه وازدوجَ بصره بشكل مخيف.

سمِع الآن صوت تجعيد بعض الأوراق، ثم إشعال عود ثقاب. رائحة كبريت خفيفة في الهواء البارد. تابع الوصيّ يهمهم لحن «وادي النهر الأحمر»، ثم شرَعَ يغني بصوت صاخب وناشز: «عن هذا الوادي يقولون إنك راحل... سنشتاق لعينيك الساطعتين وابتسامتك العذبةةةة...».

الآن صوت فرقعة مختلفة. نيران.

«نلتَ جزاءك أيها الأبله»، قال الوصيّ من تحت جوني مباشرة، ثم سمِع صوت باب حجرة الاحتراق يُغلق بقوة مرة أخرى. ضغَط جوني يديه على فمه كضمادة وقد ملأته ضحكة انتحارية فجأة. رأى نفسه يقف على أرضية منصة المشاهدة، نحيلاً وأبيض مثل أي شبح يحترم نفسه. رأى نفسه يبسط ذراعيه كجناحين وأصابعه كمخالب ويصرخ بنبرة مجوَّفة: «نلتَ جزاءك *أنت* أيها الأبله».

حبسَ الضحكة خلف يديه. راح رأسه يدوّي مثل حبّة طماطم مليئة بدم حارّ يتوسَّع. ارتعش بصره وغشي بجنون. أراد فجأة وبقوة أن يبتعد عن صورة الرجل الذي كان ينظّف أنفه بعود تخليل فضي، لكنه لم يجرؤ على إحداث أي صوت. يا للهول، ماذا لم احتاج أن يعطس؟

فجأة، ومن دون سابق إنذار، ملأ زعيقٌ متذبذبٌ فظيعٌ القاعة راح يحفر في أذنَي جوني مثل مسامير فضية رفيعة، وأخذ يتزايد ويجعل رأسه يهتزّ. فتَح فمه ليصرخ -

زالَ.

«آه، أيها الحقير»، قال الوصيّ بنبرة تحادثية.

نظرَ جوني عبر الفجوة الماسيّة ورأى الوصيّ يقف خلف المنصة ويعبث بالميكروفون الذي تلوّى سلكه كالأفعى إلى مضخِّم محمول صغير. نزلَ الوصيّ الدرجات القليلة من المنصة إلى الأرضية وأبعدَ المضخِّم عن الميكروفون، ثم راح يعبث بأزراره. عاد إلى الميكروفون وأعاد تشغيله. صدرَ نحيب استرجاعيّ آخر أخفّ هذه المرة، ثم زالَ كلياً. ضغَط جوني يديه بقوة على جبهته وراح يفركها ذهاباً وإياباً.

طرقَ الوصيّ على الميكروفون بإبهامه، وملأ الصوت الغرفة الفارغة الكبيرة. بدا كأنه قبضة تقرع على غطاء تابوت. ثم صوته، الذي لا يزال ناشزاً، لكنه مضخَّم الآن إلى حدود الشناعة، صوت مارد يطرق في رأس جوني: «*عن هذا الواديييي يقولونك إنك راحل*...».

توقفْ، أراد جوني أن يقول صارخاً. *آه، توقفْ رجاءً، إنني أُصاب بالجنون، ألا يمكنك أن تتوقف؟*

انتهى الغناء *بطقطقة أصابع* صاخبة مضخَّمة! وقال الوصيّ بصوته الطبيعي، «نلتَ جزاءك أيها الحقير».

خرَج من خط بصر جوني مرة أخرى. سُمِع صوت تمزيق ورق والفرقعة المنخفضة لأغصان تُكسَر. ثم عاود الوصيّ الظهور وهو يصفِّر حاملاً كومة كبيرة من الكتيّبات. بدأ يوزّعها على المقاعد متباعدةً مسافات قصيرة عن بعضها البعض.

عندما أنهى الوصيّ تلك المهمة، زرَّر معطفه وغادر القاعة. أُغلق الباب بصوت أجوف خلفه. نظرَ جوني إلى ساعته. إنها 7:45. بدأ دار البلدية يسخَن قليلاً. جلَس وانتظَر. لا يزال الصُداع سيئاً جداً، لكن الغريب هو أن تحمّله أصبح أسهل من ذي قبل. كل ما كان عليه فعله هو إخبار نفسه أنه لن يضطر أن يتحمّله لفترة طويلة.

4

فُتحَت الأبواب مرة أخرى تمام الساعة التاسعة، مما أجفله من غفوته. انقبضت يداه بقوة على البندقية ثم استرختا. وَضَع عينه في الثقب الماسيّ الشكل. أربعة رجال هذه المرة. أحدهم الوصيّ، وقد رفعَ ياقة معطفه عند عنقه. كان الثلاثة الآخرون يرتدون معاطف طويلة تحتها بذلات. شَعَر جوني بنبضات قلبه تتسارع. أحدهم صاني إيليمان. شعره مقصوص قصيراً الآن ومصفَّف بأناقة، لكن العينين الخضراوين اللامعتين لم تتغيَّرا.

«كل شيء جاهز؟»، سأل.

«تحقّق بنفسك»، قال الوصيّ.

«لا تستاء أيها العمّ»، ردَّ أحد الآخرين. كانوا يسيرون إلى مقدمة القاعة. شغَّل أحدهم المضخِّم ثم أطفأه مرة أخرى، راضياً.

«الناس في هذه الأرجاء يتصرّفون كما لو أنه الإمبراطور الدموي»، قال الوصيّ متذمِّراً.

«إنه كذلك، إنه كذلك»، قال الرجل الثالث - شَعَر جوني أنه يعرفه أيضاً من تجمهُر تريمبول. «ألم تكتشف هذا بعد أيها الجَدّ؟».

«هل صعدتَ إلى الطابق العلوي؟»، سأل إيليمان الوصيّ، واقشعرَّ بدن جوني.

«باب السُلَّم مُقفل»، ردَّ الوصيّ. «كالعادة. هززتُه تأكيداً».

شكرَ جوني القفل النابضي على الباب بصمتٍ.

«يجب أن تتحقَّق منه»، قال إيليمان.

ضحِك الوصيّ ضحكة ساخطة. «لا أعرف عنكم يا سادة»، قال. «مَن تتوقعون؟ شبح الأوبرا؟».

«هيا يا صاني»، قال الرجل الذي شَعَر جوني أنه تعرَّف عليه. «لا أحد في الأعلى، بالكاد لدينا وقت لبعض القهوة إذا هرعنا إلى ذلك المطعم عند الناصية».

«تلك ليست قهوة»، قال صاني. «مجرّد وحل لعين. فقط اصعد إلى الطابق العلوي أولاً وتأكد من عدم وجود أحد هناك يا موتشي. سنتبع الإرشادات حرفياً».

لعَق جوني شفتيه وتمسّك بالبندقية. جالَ بنظره يميناً ويساراً على منصة المشاهدة الضيقة. تنتهي إلى يمينه عند جدار فارغ، وتعود إلى يساره إلى سلسلة المكاتب. لا فرق في الاتجاهين. إذا تحرَّك، سيسمعونه. عندما يكون دار البلدية فارغاً هكذا فإنه يخدم كمضخِّم طبيعي. إنه في مأزق.

سمِع وقع أقدام تحته. ثم سمِع الباب بين القاعة والمدخَل يُفتَح ويُغلَق. انتظَر جوني مجمَّداً وعاجزاً. تحته مباشرة يقف الوصيّ والرجلان الآخران يتكلَّمون، لكنه لم يسمع أي شيء مما قالوه. استدار رأسه على عنقه مثل محرِّك بطيء وراح يحدِّق على طول منصة المشاهدة بانتظار ظهور الرجل الذي سمّاه صاني إيليمان موتشي. سيتحوَّل تعبيره الضجِر فجأة إلى صدمة وعدم تصديق، وسيقول: *يا صاني، يوجد شابّ هنا!*

يمكنه الآن سماع الصوت المكتوم لقدمَي موتشي على الدرجات. حاوَل أن يفكِّر في شيء، أي شيء. لم ينجح. سيكتشفون وجوده بعد أقل من دقيقة الآن، ولم تكن لديه أي فكرة عن كيفية منع ذلك. مهما فعلَ فإن فرصته الوحيدة على شفير الزوال.

بدأت الأبواب تُفتَح وتُغلَق، وصوت كل باب يقترب أكثر ويصبح مكتوماً أقل. سالت قطرة عرق من جبهة جوني وجعلت ساق سرواله الجينز داكنةً أكثر. يمكنه أن يتذكَّر كل باب اجتازه في طريقه إلى هنا. لقد تحقَّق موتشي من باب مدير *البلدة وأعضاء البلدية ومقيِّم الضريبة*. والآن يفتح باب حمّام الرجال، والآن يلقي نظرة سريعة على مكتب *عرّاف الفقراء*، والآن حمّام *السيدات*. الباب التالي سيكون الباب الذي يؤدّي إلى منصة المشاهدة.

فُتحَ.

سمِع صوت وقع قدمَين مع اقتراب موتشي من درابزين منصة المشاهدة القصيرة التي تمتدّ على طول الجهة الخلفية للقاعة. «راضٍ الآن يا صاني؟».

«كل شيء يبدو سليماً؟».

«يشبه مكبّ نفايات لعين»، أجاب موتشي، وصدحت رشقة ضحك من الأسفل.

«حسناً، انزل ودعنا نذهب لتناول القهوة»، قال الرجل الثالث. المدهش أن هذا كان كل شيء. أُغلق الباب. تراجعت الخُطى في القاعة، ثم نزولاً على الدرجات إلى الطابق الأول.

تخدَّر جوني وللحظة سبح كل شيء بعيداً عنه في ظلال رمادية. إغلاق باب المدخَل بعدما خرَجوا لتناول القهوة أيقظه من حالة الخدر جزئياً.

أصدرَ الوصيّ حكمه في الأسفل: «مجموعة حقيرين». ثم غادر هو أيضاً، وطوال الدقائق العشرين التالية تقريباً، بقي جوني لوحده.

5

حوالي 9:30 صباحاً، بدأ سكان جاكسون يتوافدون إلى دار بلديتهم. أول الواصلين كان ثلاثة عجائز يرتدين ملابس سوداء رسمية، ويثرثرن معاً مثل طيور عَقعَق. راقَبهن جوني يخترن مقاعد قريبة من الموقد - خارج مجال بصره بشكل كلي تقريباً - ويأخذن الكتيّبات التي تُركَت على المقاعد. بدا له أن الكتيّبات ممتلئة بصور لامعة لغريغ ستيلسون.

«أحبّ هذا الرجل»، قالت إحدى الثلاثة. «حصلتُ على توقيعه الشخصي ثلاث مرات وسأحصل عليه مرة أخرى اليوم، أنا أكيدة».

كان هذا كل ما قلنه عن غريغ ستيلسون. وأكملت السيدات يناقشن الاجتماع الوشيك يوم الأحد في الدار الميثودية.

انتقل جوني، المتواجد فوق الموقد مباشرة تقريباً، من بارد جداً إلى حارّ جداً. كان قد استغَلّ فترة الركود القصيرة بين رحيل رجال أمن ستيلسون ووصول طلائع سكان البلدة لكي يخلع سترته وقميصه الخارجي. بقي يمسح العرق عن وجهه بمنديل، وتلطَّخ الكتّان بالدم والعرق على حد سواء. شَعَر بعينه السيئة تنفض مرة أخرى، وبقي بصره يتغشّى ضارباً إلى الحُمرة باستمرار.

فُتح الباب في الأسفل، وسمِع الخبطات القوية لرجالٍ ينفضون الثلج عن أنفسهم، ثم سار أربعة رجال يرتدون سترات صوفية ذات مربعات في الرِواق وجلسوا في الصف الأمامي. انطلق أحدهم في إخبار الثلاثة الآخرين نكتة فرنسية فوراً.

وصلت شابة في حوالي الثالثة والعشرين مع ابنها، الذي بدا في حوالي الرابعة. كان الفتى يرتدي بذلة زرقاء للدرّاجات الثلجية عليها علامات صفراء ساطعة، وأراد أن يعرف إن كان يمكنه التكلّم في الميكروفون.

«لا يا عزيزي»، قالت المرأة وجلسا خلف الرجال. بدأ الفتى فوراً يركل المقعد الذي أمامه، وألقى أحد الرجال نظرة سريعة إلى الخلف.

«شون، توقف عن ذلك»، قالت.

إنها العاشرة والرُبع الآن. كان الباب يُفتَح ويُغلَق بانتظام متواصل، ورجالٌ ونساءٌ من كافة الأصناف والمِهن والأعمار يملأون القاعة. همهمات الأحادث تملأ المكان، ويحيطها شعور بالتوقّع غير قابل للتعريف. لم يأتوا إلى هنا ليمتحنوا ممثلهم المنتخَب حسب الأصول؛ بل ينتظرون ظهور نجم أصلي في مجتمعهم الصغير. عرَف جوني أن معظم الجلسات ذات الطابع «التقِ مرشّحك» و«التقِ ممثّلك» تحضرها حفنة مُعانِدين في قاعات الاجتماعات الفارغة تقريباً. خلال انتخابات 1976، جذبت مناظرةٌ بين بيل كوهين من ماين وبين منافسه، لايتون كُوني، ستة وعشرين شخصاً، دون احتساب الصحافة. كانت المناقشات تمويهية كثيراً، شهادة ذاتية للتلويح بها عندما يحين وقت الانتخابات مرة أخرى. كان يمكن عقد معظمها في خزانة معتدلة الحجم. لكن بحلول الساعة 10 صباحاً، كان كل مقعد في دار البلدية مشغولاً، وهناك حوالي عشرين أو ثلاثين واقفاً في الخلف. كلما فُتح الباب، تنقبض يدا جوني على البندقية. وكان لا يزال غير واثق أنه يستطيع فعل ذلك، مهما تكن الحصيلة.

مرَّت خمس دقائق، مرَّت عشر دقائق. بدأ جوني يعتقد أن شيئاً أخَّر ستيلسون، أو ربما لن يأتي أبداً. والشعور الذي انتابه خلسةً كان شعور ارتياح.

ثم فُتح الباب مرة أخرى ونادى صوتٌ من صميم القلب: «مرحباً! كيف حالكِ يا جاكسون، نيو هامبشاير؟».

همسٌ جافلٌ مسرورٌ. وصرخَ أحدهم بانتشاء، «غريغ! كيف حالكَ؟».

«أنا في غاية السرور»، ردَّ ستيلسون فوراً، «كيف حالكَ أنتَ؟».

تصاعدت موجة تصفيق إلى دويّ استحسان بسرعة.

«حسناً، حسناً!»، صرَخ غريغ فوق الدويّ. واجتاز الرِواق نحو المنصة بسرعة وهو يصافح الحاضرين.

راقَبه جوني من خلال ثقبه. كان ستيلسون يرتدي معطفاً سميكاً من الجلد غير المدبوغ ذا ياقة من جلد الخروف، وقد استبدل الخوذة اليوم بقبعة تزلّج صوفية ذات شُرّابة حمراء ساطعة. توقف مؤقتاً عند مقدمة الرِواق ولوَّح لرجال الصحافة الثلاثة أو الأربعة الحاضرين. لمعت أضواء الكاميرات والتقط التصفيق أنفاسه هازّاً الروافد الخشبية للقاعة.

وعرَف جوني سميث فجأة أنها فرصته الوحيدة الآن.

المشاعر التي انتابته عن غريغ ستيلسون في تجمهُر تريمبول غمرته مرة أخرى فجأة بوضوح أكيد وفظيع. بدا له أنه يسمع صوتاً خشبياً مملاً داخل رأسه المتألم المعذَّب، أمران قادمان معاً بقوة فظيعة في لحظة واحدة. ربما هو صوت المصير. من السهل جداً أن يؤخِّر تنفيذ العملية، أن يدع ستيلسون يتكلَّم ويتكلَّم. من السهل جداً أن يتركه، أن يجلس هنا واضعاً رأسه بين يديه، أن ينتظر رحيل الحشود، أن ينتظر عودة الوصيّ ليفكّك نظام الأصوات ويلملم النفايات، وهو يكذب على نفسه طوال الوقت بأنه سيكون هناك أسبوع آخر في بلدة أخرى.

الفرصة المناسبة الآن، بشكل لا يقبل الجدل، وأصبح لكل إنسان على كوكب الأرض فجأة دورٌ في ما يحصل في هذا الكوخ المنعزل.

ذلك الصوت المكتوم في رأسه، مثل أقطاب مصير تلتقي ببعضها.

بدأ ستيلسون يصعد الدرجات إلى المنصة. الناحية خلفه خالية مكشوفة. والرجال الثلاثة في معاطفهم الطويلة المفتوحة يتسكّعون عند الجدار البعيد.

نهض جوني.

6

بدا أن كل شيء يحصل بالحركة البطيئة.

شَعَر بتشنّجات في رِجلَيه من كثرة الجلوس لفترة طويلة. وطقطقت رُكبتاه مثل مفرقعات نارية لم تنفجر. بدا له أن الوقت توقّف، واستمر التصفيق بدون انقطاع رغم أن رؤوساً كانت تستدير وأعناقاً تتمطَّط؛ صَرَخ أحدهم في خضمّ التصفيق ومع ذلك بقي مستمراً؛ لقد صَرَخ أحدهم لأن هناك رجلاً على منصة المشاهدة والرجل يحمل بندقية وهذا شيءٌ رأوه كلهم على التلفزيون، هذه حالةٌ

ذات عناصر كلاسيكية كلهم أدركوها. كانت هذه الحالة، بطريقتها الخاصة، أميركيةً بنفس مقدار أميركية *عالم ديزني المدهش*. السياسي والرجل المتواجد في مكان مرتفع شاهراً سلاحاً.

استدار غريغ ستيلسون نحوه، وتمطَّط عنقه الثخين، تجعَّد في ثنياتٍ. تمايَلت كُرة الصوف الحمراء التي عند أعلى قبعة تزلّجه.

وَضَع جوني البندقية على كتفه. بدا له أنها تعوم هناك وشَعَر باللطمة بينما جلست مكانها بجانب المِفصَل. تذكَّر اصطياد حجلٍ مع أبيه في صغره. كانا قد ذهبا لصيد الغزلان لكن المرة الوحيدة التي رأى فيها جوني واحداً في حياته لم يكن قادراً على ضغط الزناد؛ أصابته حمى الطَّرَد. كان ذلك سراً مُخزياً مثل الاستمناء، ولم يُخبر أي شخص أبداً.

سُمعَت صرخة أخرى. أمسكت إحدى العجائز فمها ورأى جوني فاكهة اصطناعية مبعثرة عند الحافة العريضة لقبعتها السوداء. استدارت وجوهٌ إليه في الأعلى، دوائر بيضاء كبيرة. أفواهٌ فاغرةٌ، دوائر سوداء صغيرة. أشار الفتى الصغير ذو بذلة الدرّاجات الثلجية بإصبعه، وحاولت أمه تغطيته لحمايته. أصبح ستيلسون في المِهداف فجأة وتذكَّر جوني نقْف زر أمان البندقية. على الجهة المقابلة راح الرجال في المعاطف الطويلة يمدّون أيديهم إلى داخل ستراتهم وصاني إيليمان، بعينيه الخضراوين الملتهِبتين، يصيح: «*انبطح! غريغ، انبطح!*».

لكن ستيلسون حدَّق إلى الأعلى نحو منصة المشاهدة وللمرة الثانية التقت عيناهما في نوع مثالي من الفهم، وانبطح ستيلسون فقط في نفس لحظة إطلاق جوني النار. ملأ زئير البندقية الصاخب المكان، وأطاحت الرصاصة بزاويةٍ كاملةٍ تقريباً من المنصة نازعةً كل الطلاء عنها وكاشفةً الخشب الساطع العاري. تطايرت شظايا. ارتطمت إحداها بالميكروفون، ودوّى نحيبٌ شنيعٌ آخر من التغذية الاسترجاعية انتهى فجأة في أزيز حَلْقي معتدل.

لقَّم جوني خرطوشة أخرى في البندقية وأطلق النار مرة أخرى. ثقبت الرصاصة هذه المرة فجوةً في سجاد المنبر المليء بالغبار.

بدأ الحَشد يتدافع بذعر مثل ماشيةٍ. وهرع الجميع إلى الرِواق الوسطي. الأشخاص الذين كانوا يقفون في الجهة الخلفية هربوا بسهولة، لكن عندها تشكَّل ازدحام متراص من الرجال والنساء الصارِخين الشاتمين عند المدخَل المزدوج.

سُمِعَ دويّ فرقعات من الجهة الأخرى للقاعة، وفجأة تشظّى جزء من درابزين منصة المشاهدة أمام عينَي جوني. صَرَخ شيءٌ في أذنه بعد ثانيةٍ، ثم نقفَ إصبعٌ غير مرئي ياقة قميصه. كان ثلاثتهم من الجهة الأخرى يُشهرون مسدَّسات، ولأن جوني موجود في الأعلى على منصة المشاهدة، كان مجال إطلاق النار عندهم واضحاً جلياً - لكن جوني شكَّ أنهم سيكترثون لسلامة المتفرّجين الأبرياء على أي حال.

أمسكت إحدى العجائز الثلاثة ذراع موتشي. كانت تبكي وتحاول أن تسأل شيئاً. دفعها بعيداً عنه وثبَّت مسدَّسه بكلتَي يديه. عبقت رائحة البارود الكريهة في القاعة الآن. لقد مرَّت عشرون ثانية تقريباً منذ أن نهض جوني.

«*انبطح! انبطح يا غريغ!*».

لا يزال ستيلسون واقفاً عند حافة المنبر، رابضاً قليلاً، ينظر إلى الأعلى. أنزل جوني البندقية عن كتفه، وللحظة كان ستيلسون في مرمى نيرانه بكل وضوح. لكن عندها حفرت رصاصة مسدَّس أخدوداً في عنقه موقعةً إياه إلى الخلف، وطاشت طلقته في الهواء. تلاشت النافذة عند الجهة المقابلة إلى مطر زجاجيّ رنّان، وتصاعدت صرخات خافتة من الأسفل. راح الدم يتدفّق على كتفه وصدره.

آه، أنت بارع جداً في قتله، فكَّر في سرّه بطريقة هستيرية، واندفع إلى الدرابزين مرة أخرى. لقَّم خرطوشة أخرى وأسند البندقية على كتفه من جديد. بدا ستيلسون يتحرّك الآن واندفَع ينزل الدرجات إلى مستوى الأرضية ثم ألقى نظرة سريعة أخرى نحو جوني في الأعلى.

أزَّت رصاصة أخرى قرب صدغه. أنا أنزف بغزارة، فكَّر في سرّه. *هيا*. *هيا*. *أنهِ هذه المسألة*.

انفكّ الاختناق عند المدخَل، وبدأ الناس يخرجون الآن. تصاعدت نفخة دخان من فوهة أحد المسدَّسات عند الجهة المقابلة، وسُمع دويّ، والإصبع غير المرئي الذي نقفَ ياقته منذ بضع ثوانٍ رسَمَ الآن خط نار قرب رأس جوني. لا يهمّ. لا شيء يهمّ سوى القضاء على ستيلسون. أنزل البندقية عن كتفه مرة أخرى.

اجعل هذه الواحدة نافعة -

تحرَّك ستيلسون بسرعة جيدة بالنسبة لرجلٍ ضخمٍ. كانت الشابة الداكنة الشعر التي لاحَظها جوني سابقاً قد وصلت إلى منتصف الرِواق الوسطي وهي تحمل ابنها الباكي على ذراعيها ولا

تزال تحاول حمايته بجسمها. وما فعله ستيلسون وقتها صعقَ جوني لدرجة أنه كاد يفلت البندقية أرضاً. لقد انتزَع الفتى من ذراعَي أمه، وانعطف فجأة نحو منصة المشاهدة محتمياً بجسم الفتى أمامه. لم يعد غريغ ستيلسون في مرمى نظره، بل شكل صغير يتلوّى في

(المَرشح المَرشح الأزرق تقليمات صفراء تقليمات نمر).

بذلة زرقاء داكنة للدرّاجات الثلجية ذات أشرطة صفراء ساطعة.

فغر فاه جوني. هذا ستيلسون على حقيقته. النمر. *لكنه خلف المَرشح الآن.*

ما معنى هذا؟ صَرَخ جوني، لكن لم يخرج أي صوت من شفتيه.

صَرَخت الأم بصوت حاد عندها؛ لكن جوني سمِع كل ذلك في مكان ما من قبل. «*ماتّ! أعطني إياه! ماتّ! أعطني إياه أيها الوغد!*».

راح رأس جوني يتورَّم باكتئاب، يتوسَّع مثل مثانة، وبدأ كل شيء يتلاشى. السطوع الوحيد الباقي كان حول المِهداف المسنَّن، المِهداف يقبع الآن مباشرة فوق صدر تلك البذلة الزرقاء للدرّاجات الثلجية.

هيا افعلها، آه بالله عليك يجب أن تفعلها وإلا فسيهرب -

والآن - ربما فقط بصره الضبابي هو الذي جَعَلها تبدو هكذا - بدأت البذلة الزرقاء للدرّاجات الثلجية تنبسط، لونها يشطف لون البصر الذي يشبه لون بيضة أبو الحنّاء الفاتحة، الأصفر الداكن يتمدَّد، يتقلَّم، إلى أن بدأ كل شيء يضيع فيه.

(خلف المَرشح. نعم، إنه خلف المَرشح، لكن ما معنى هذا؟ هل يعني أنه في مأمن أو فقط بعيد عن متناولي؟ ما معـ...).

لمعَ وميض دافئ في مكان ما في الأسفل واختفى. فسَّره جزءٌ مُبهم من ذهن جوني على أنه ضوء كاميرا.

دفَع ستيلسون المرأة بعيداً عنه واندفع نحو الباب وقد تقلَّصت عيناه إلى شقَّين رفيعين. أمسك الفتى المتلوّي بقوة من عنقه ومنفرج ساقيه.

لا أستطيع. آه سامحيني أيتها السماوات، لا أستطيع.

أصابته رصاصتان أخرتان عندها، واحدة في الصدر دفعته إلى الخلف نحو الجدار وارتدّ عنه، والثانية في الجهة اليسرى لبطنه جعلته يدور ويرتطم بدرابزين منصة المشاهدة. بالكاد أدرك أنه فقَدَ البندقية. ارتطمت بأرضية منصة المشاهدة وأفرغت رصاصتها في الجدار. ثم ارتطم فخذاه بالدرابزين وبدأ يهوي. استدار دار البلدية مرتين أمام عينيه ثم سُمِعَ صوت تحطّم عندما ارتطم بمقعدَين كاسراً ظهره ورِجلَيه.

فتَح فمه ليصرخ، لكن ما خرج منه كان سيلاً كبيراً من الدم. قبعَ على البقايا المشظّاة للمقعدَين اللذين ارتطم بهما وفكَّر في سرّه: *انتهى الأمر. لقد أخفقتُ. ضيَّعتُ الفرصة.*

أمسكته أيدٍ غير لطيفة. كانت تُديره. إيليمان، موتشي، والرجل الآخر أيضاً. إيليمان هو الذي أداره.

اقترب ستيلسون ودفع موتشي جانباً.

«لا تهتمّوا بهذا الرجل»، قال بحدّة. «جِدوا السافل الذي التقط تلك الصورة. حطِّموا له الكاميرا».

رحل موتشي والرجل الآخر. على مقربة منهم كانت المرأة ذات الشعر الداكن تصرخ: «... *خلف ولدٍ، اختبأ خلف ولدٍ وسأُخبِر الجميع...*».

«أسكِتها يا صاني»، قال ستيلسون.

«بالتأكيد»، قال صاني وابتعد عن ستيلسون.

ركعَ ستيلسون على رُكبتَيه فوق جوني. «هل نعرف بعضنا البعض يا صاح؟ لا فائدة من الكذب. لقد حظيتَ بفرصتك».

همَس جوني، «كنا نعرف بعضنا البعض».

«خلال تجمهُر تريمبول، أليس كذلك؟».

أومأ جوني برأسه.

نهض ستيلسون فجأة، وبآخر نقطة من قوته مدَّ جوني يده وأمسك كاحله. حصل ذلك لثانية فقط؛ فقد حرَّر ستيلسون نفسه بسهولة. لكنها كانت مدة كافية.

كل شيء تغيَّر.

بدأ الناس يقتربون منه الآن، لكنه لم ير سوى أقدام وأرجل، لا وجوه. لا يهمّ. *كل شيء تغيَّر.*

بدأ يبكي قليلاً. لمسْ ستيلسون هذه المرة كان أشبه بلمس فراغ. بطارية ميتة. شجرة ساقطة. منزل فارغ. رفوف كتب عارية. زجاجات شراب عنب جاهزة لتكون شمعدانات شموع.

تلاشت. ابتعدت. بدأت الأقدام والأرجل حوله تضمحل وتصبح ضبابية. سمِع أصواتهم، التمتمة الحماسية للأفكار، لكن ليس الكلمات. فقط أصوات الكلمات، وحتى تلك كانت تتلاشى، تضمحل إلى همهمة مرتفعة عذبة.

نظَر خلفه ورأى الرواق الذي انبثق منه منذ فترة طويلة. لقد خرج من ذلك الرواق إلى هذا المكان المشيمي الساطع. لكن أمه كانت حيّة عندها وأبوه هناك، يناديه باسمه، إلى أن اخترَقه نحوهما. الوقت الآن متوفر فقط للعودة. الوقت مناسب الآن للعودة.

لقد فعلتُها. بطريقة أو بأخرى فعلتُها. لا أفهم كيف، لكنني فعلتُها.

ترك نفسه ينجرف نحو ذلك الرواق ذي جدران الكْروم الداكنة وهو لا يعرف إن كان هناك شيء عند طرفه البعيد أم لا، مسرور لتركه الوقت يُظهِر له ذلك. تلاشت الهمهمة العذبة للأصوات. تلاشى السطوع الضبابي. لكنه لا يزال هو نفسه - جوني سميث - سليماً.

ادخل الرواق، فكَّر في سرّه. هيا.

فكَّر أنه إذا استطاع دخول ذلك الرواق، فسيكون قادراً على السير.

القسم الثالث
رسائل من المنطقة الميتة

1

بورتسموث، نيو هامبشاير

23 يناير 1979

والدي العزيز،

هذه رسالة فظيعة لكي أكتبها، وسأحاول الاختصار قدر الإمكان. عندما تستلمها، أظن أنني سأكون ميتاً على الأرجح. لقد حصل لي شيء مريع، وأعتقد الآن أنه ربما بدأ منذ وقت طويل قبل حادث السيارة والغيبوبة. أنت تعرف بالطبع عن مسألة القدرة النفسانية، وقد تتذكَّر أمي تُقسم وهي على فِراش الموت أن السماوات شاءت أن تكون بهذه الطريقة، أن لدى السماوات شيئاً لكي أفعله. طلبتْ مني ألا أهرب منه، وقد وعَدتُها بعدم الهرب منه - دون أن أقصد ذلك جدياً، لكنني أردتُ أن أطمئن لها بالها. يبدو الآن أنها كانت محقّة، وهذا أمر مُضحك. لا أزال لا أصدِّق أنّ هذه مشيئة السماوات، وأنها تخطِّط لنا مصيرنا وتكلّفنا بأعمال صغيرة لكي نقوم بها، كما لو أننا كشّافون يفوزون بشارات جدارة في النزهة العظيمة للحياة. لكنني لا أصدِّق أيضاً أن كل الأشياء التي حصلت لي حصلت بمحض الصدفة.

في صيف 1976 يا أبي، ذهَبتُ إلى تجمهُر انتخابي لغريغ ستيلسون في تريمبول، وهي تقع في الدائرة الثالثة لنيو هامبشاير. قد تتذكَّر أن ذلك كان أول ترشّح له. في طريقه إلى منبر الخطابة، صافح الكثير من الأيدي، ومنها يدي. هذا هو الجزء الذي قد تجد صعوبة في تصديقه رغم أنك رأيتَ قدرتي أثناء عملها. تراءت لي إحدى «ومضاتي»، لكنها لم تكن ومضةً يا أبي. كانت رؤيا، إما بالمعنى الغيبيّ للكلمة أو شيء مشابه جداً. الغريب في الأمر هو أنها لم تكن واضحة جليّة مثل بعض «الرؤى» الأخرى التي تراءت لي - كان هناك توهُّج أزرق محيِّر فوق كل شيء لم أره أبداً من قبل - لكنه كان قوياً بشكل لا يُصدَّق. رأيتُ غريغ ستيلسون رئيساً للولايات المتحدة. لا يمكنني القول متى سيحصل ذلك في المستقبل، ما عدا أنه فقَدَ معظم شعره. تخميني أنه سيحصل بعد أربع

عشرة سنة، أو ربما ثماني عشرة سنة كحد أقصى. الآن، قدرتي هي على الرؤية وليس على التفسير، وفي هذه الحالة قدرتي على الرؤية أعاقها ذلك المَرشح الأزرق المضحك، لكنني رأيتُ ما يكفي. إذا أصبح ستيلسون الرئيس، سيجعل الوضع الدولي أسوأ رغم أنه مريع جداً أصلاً. إذا أصبح ستيلسون الرئيس، سيتسبّب باندلاع حرب نووية عالمية. أظن أن شرارة تلك الحرب ستندلع في جنوب أفريقيا. وأظن أيضاً أن تلك الحرب الدموية القصيرة المدة لن تقتصر على رمي دولتين أو ثلاث دول بعض الرؤوس الحربية، بل ربما ما يصل إلى عشرين دولة - زائد جماعات إرهابية.

أبي، أعرف كم يبدو لك هذا جنوناً. يبدو جنوناً لي. لكن ليس لديَّ أي شك في صحته، ولا أشعر بإلحاح لألتفت إلى الوراء وأحاول أن أشكِّك بهذا الشيء لأحوِّله إلى شيء أقل حقيقية وعجلة مما هو عليه في الواقع. لم تعرف أبداً - لا أحد عرَف - لكنني لم أهرب من عائلة تشاتسوورث بسبب ذلك الحريق في المطعم. أظن أنني كنتُ أهرب من غريغ ستيلسون والشيء الذي يُفترَض بي أن أفعله. مثل فارّ من وجه العدالة يختبئ في كهف. فكَّرتُ أنه يمكنني أن أنتظر فحسب وأرى ما يحصل. أنتظر وأرى إن كانت الشروط المسبقة لهكذا حدث مستقبلي رهيب ستبدأ بالحصول فعلاً. كنتُ بقيتُ أنتظر حتى الآن على الأرجح، لكن في خريف العام الماضي بدأت الصُداعات تزداد سوءاً، ووقع حادثٌ مع طاقم عمّال الطرقات الذين كنتُ أعمل معهم. أظن أن كيث سترانغ، مراقب العمّال، سيتذكَّر أن...

2

مقتطفات من الشهادة المقدَّمة أمام ما تسمّى «لجنة ستيلسون» التي ترأَّسها ويليام كوهين سيناتور ماين. المحقِّق هو السيد نورمان د. فيرايزر، كبير المستشارين القانونيين في اللجنة. الشاهد هو السيد كيث سترانغ، المقيم في 1421 بولفار الصحراء، فينيكس، أريزونا.

تاريخ الشهادة: 17 أغسطس 1979.

فيرايزر: وفي هذا الوقت، كان جون سميث يعمل لدى دائرة الأشغال العامة في فينيكس، أليس كذلك؟

سترانغ: نعم سيدي.

ف: هذا كان في أوائل ديسمبر 1978.

س: نعم سيدي.

ف: وهل حصل شيء في 7 ديسمبر تتذكَّره بشكل خاص؟ شيء يتعلق بجون سميث؟

س: نعم سيدي. حصل شيء بالتأكيد.

ف: أخبِر اللجنة عنه، لو سمحت.

س: حسناً، اضطررتُ أن أعود إلى مجمَّع المركبات لأُحضِر برميلين من الطلاء البرتقالي سعة الواحد منهما أربعون غالوناً. كنا نخطِّط الطرقات. كان جوني - أقصد جون سميث - يضع علامات ممرات جديدة على جادة روزمونت في اليوم الذي تتكلَّم عنه. حسناً، عدتُ إلى الجادة عند حوالي الرابعة والربع - قبل حوالي خمس وأربعين دقيقة من وقت انتهاء دوام العمل - وجاء إليَّ ذلك الرجل هيرمان جويلين الذي كنتم تتكلَّمون عنه من قبل وقال لي، «من الأفضل أن تتفقَّد جوني يا كيث. هناك خطب أصاب جوني. حاوَلتُ التكلم معه وتصرَّف كما لو أنه لم يسمع. كاد يدهسني. من الأفضل أن تُعدِل أمره». هذا ما قاله. لذا قلتُ، «ما مشكلته يا هيرمي؟»، فأجابني هيرمي، «تحقّق من الأمر بنفسك، هناك شيء غريب في هذا الرجل». لذا قدتُ على الطريق، وفي البدء كان كل شيء على ما يرام، ثم - يا للهول!

ف: ماذا رأيتَ؟

س: تقصد قبل أن أرى جوني.

ف: نعم، هذا صحيح.

س: الخط الذي كان يضعه بدأ يُمَسّ بالجنون. قليلاً فقط في البداية - اهتزاز هنا وهناك، فقاعة صغيرة - لم يكن مستقيماً تماماً. ولطالما كان جوني أفضل مخطِّط في الطاقم كله. ثم بدأ يصبح سيئاً حقاً. بدأ يسير عشوائياً في كل أرجاء الطريق في حلقات ودوَّامات كبيرة. وبدا في بعض الأماكن كما لو أنه دار في دوائر بضع مرات. ولحوالي مئة متر وضع الخط عند حافة الطريق.

ف: ماذا فعلتَ؟

س: أوقَفتُه. أقصد، أوقَفتُه في نهاية المطاف. سحبتُه إلى جانب آلة التخطيط ورحتُ أصيح عليه. لا شكّ أنني صحتُ ست مرات. بدا كأنه لم يسمع. ثم انقضَّ بذلك الشيء نحوي وأحدَثَ انبعاجاً كبيراً في جانب السيارة التي كنتُ أقودها. مُلكية دائرة الطرقات العامة أيضاً. لذا ضغطتُ البوق

وصحتُ به مرة أخرى، وبدا أن هذا وصل إليه. بدَّل إلى وضعية القيادة المحايدة ونظر إليَّ من فوق. سألتُه بالله عليك ماذا كنتُ تعتقد أنك فاعل.

ف: وماذا كان جوابه؟

س: قال مرحباً. فقط لا غير. «مرحباً كيث». كما لو أن كل شيء على ما يرام.

ف: وماذا كان جوابك؟

س: كان جوابي بذيئاً جداً. فقدتُ صوابي. وجوني يقف هناك ببرود وينظر من حوله مُمسكاً بآلة التخطيط كما لو أنه سيسقط إذا أفلتها. عندها أدرَكتُ كم يبدو مريضاً. لطالما كان نحيلاً، لكنه بدا وقتها أبيض كالورقة، وكانت جوانب فمه... متدلية إلى أسفل. بدا في البدء أنه لم يكن حتى يفهم ما كنتُ أقوله. ثم نظرَ حوله ورأى شكل الخط - على كل أرجاء الطريق.

ف: وماذا قال؟

س: قال إنه آسف. ثم ترنَّح نوعاً ما ووضع يده على وجهه. لذا سألتُه ما خطبه وقال... آه، الكثير من الأمور المشوَّشة. لا شيء مفهوم.

كوهين: سيد سترانغ، اللجنة مهتمة جداً *بأي شيء* قاله السيد سميث قد يلقي ضوءاً على هذه المسألة. هل يمكنك أن تتذكَّر ماذا قال؟

س: قال في البدء إنه لا يوجد أي خطب ما عدا أن الآلة تعبق برائحة عجلات مطاطية. عجلات مشتعلة. ثم قال، «ستنفجر تلك البطارية إذا حاولتَ تشغيل الآلة بوصلها ببطارية أخرى». وشيء مثل، «عندي بطاطا في صدري وجهازا الراديو موضوعان في الشمس. لذا كل شيء على ذوق الأشجار». هذا أفضل ما يمكنني تذكُّره. ومثلما قلتُ، كان كل كلامه مشوَّشاً ومجنوناً.

ف: ماذا حصل بعدها؟

س: بدأ يسقط. لذا أمسَكتُه من كتفه ويده - التي كان يضعها على وجهه - فنُزعت عنه. ورأيتُ أن عينه اليمنى مليئةٌ بالدم. ثم أُغمي عليه.

ف: لكنه قال شيئاً آخر قبل أن يُغمى عليه، أليس كذلك؟

س: نعم سيدي، قال.

ف: ماذا قال؟

س: قال، «سنقلق بشأن ستيلسون لاحقاً يا أبي، إنه في المنطقة الميتة الآن».

ف: هل أنت متأكد أن هذا ما قاله؟

س: نعم سيدي. لن أنسى ذلك أبداً.

3

... وعندما استيقَظتُ كنتُ في حظيرة المعدّات الصغيرة في قاعدة روزمونت درايف. قال كيث إنه من الأفضل أن أذهب لرؤية طبيب فوراً، وألا أعود إلى العمل إلى أن أفعل ذلك. كنتُ خائفاً يا أبي، لكنني أظن ليس للأسباب التي اعتقَدها كيث. على أي حال، أخذتُ موعداً لرؤية طبيب أمراض عصبية ذكرَه لي سام وايزاك في رسالة كتَبها في أوائل نوفمبر. فأنا قد راسلتُ سام لأُخبره أنني أخشى أن أقود سيارة لأنني أتعرَّض لبعض حالات ازدواج البصر. وكتَب سام فوراً ليُخبرني أن عليَّ الذهاب إلى طبيب يدعى ڤان - قال إنه يعتبر العوارض مخيفة جداً، لكنه لن يسمح لنفسه بأن يُجري تشخيصاً عن بُعد.

لم أذهب فوراً. أظن أن ذهن المرء يمكن أن يخونه بقوة، وبقيتُ أقول لنفسي - حتى وقوع الحادث مع آلة تخطيط الطريق - إنها مجرّد مرحلة أمرّ بها وإنني سأتحسَّن. أظن أنني لم أرغب التفكير بالبديل فحسب. لكن حادث تخطيط الطريق كان عنيفاً. لذا ذهَبتُ، لأنني بدأتُ أخاف - ليس على نفسي فقط، بل بسبب ما عرَفتُه.

لذا ذهَبتُ لرؤية ذلك الطبيب ڤان، وأجرى لي فحوصاً، ثم أطلعني على الحقيقة بكل صراحة. تبيَّن لي أن الوقت المتبقي لي لم يكن بالقدر الذي كنتُ أظنه، لأنني...

4

مقتطفات من الشهادة المقدَّمة أمام ما تسمّى «لجنة ستيلسون» التي ترأّسها ويليام كوهين سيناتور ماين. المحقِّق هو السيد نورمان د. فيرايزر، كبير المستشارين القانونيين في اللجنة. الشاهد هو الطبيب كوينتن م. ڤان، المقيم في 17 باركلاند درايف، فينيكس، أريزونا.

تاريخ الشهادة: 22 أغسطس 1979.

فيرايزر: بعد انتهاء فحوصك واكتمال تشخيصك، رأيتَ جون سميث في مكتبك، أليس كذلك؟

ڤان: نعم. كان اجتماعاً صعباً. هكذا اجتماعات صعبة دائماً.

في: هل يمكنك أن تعطينا زبدة ما دار بينكما؟

ڤا: نعم. في هذه الظروف غير الاعتيادية، أظن أنه يمكن تجاوز سرية العلاقة بين الطبيب ومريضه. بدأتُ بالإشارة إلى سميث أنه مرَّ بتجربة مخيفة بشكل رهيب. وافَقني الرأي. كانت عينه اليمنى لا تزال مُحتقِنة بالدم جداً، لكنها أفضل. لقد تمزَّقت شُعَيرة صغيرة لديه. إذا أمكنني الاستعانة بالمخطط...

(مادة محذوفة ومكثّفة في هذه النقطة).

في: وبعد شرح كل هذا للسيد سميث؟

ڤا: طلب مني خلاصة القول. هذا كان تعبيره؛ «خلاصة القول». لقد أثار إعجابي بهدوئه وشجاعته.

في: وما كانت خلاصة القول أيها الطبيب ڤان؟

ڤا: آه؟ اعتقَدتُ أنها أصبحت واضحة الآن. لدى جون سميث ورم متقدِّم جداً في الفصّ الجداري للدماغ.

(فوضى بين الحاضرين؛ فترة استراحة قصيرة).

في: آسف أيها الطبيب لهذه المقاطعة. أودّ تذكير الحاضرين أن هذه اللجنة تعقد جلسة استقصائية رسمية وليست سيركاً. أريد الهدوء وإلا فسأطلب من الرقيب إخلاء القاعة.

ڤا: لا بأس يا سيد فيرايزر.

في: شكراً أيها الطبيب. هل يمكنك أن تُخبِر اللجنة عن ردّة فعل سميث تجاه هذا الخبر؟

ڤا: كان هادئاً. هادئاً إلى حد مذهِل. أظن أنه كان قد أجرى تشخيصاً خاصاً به وصدفَ أن تطابق تشخيصه مع تشخيصي. لكنه قال إنه خائف جداً. وسألني كم من الوقت لديه ليعيش.

في: وماذا أخبرتَه؟

ڤا: قلتُ إن هكذا سؤال في هكذا لحظة بلا معنى، لأن كل الخيارات لا تزال أمامنا. أخبَرتُه أنه بحاجة إلى عملية. يجب أن أشير إلى أنني في ذلك الوقت لم أكن أعرف عن غيبوبته وشفائه المدهش - العجائبي تقريباً - منها.

في: وماذا كان جوابه؟

ڤا: قال إنه لن يجري أي عملية. كان هادئاً لكن صارماً جداً. لا عملية. قلتُ إنني آمل أن يعيد التفكير لأن رفض هكذا عملية سيكون أشبه بتوقيع أمر إعدامه.

في: هل ردَّ سميث على هذا؟

ڤا: طلب مني أن أعطيه أفضل تقدير ممكن عن الوقت الذي يمكنه أن يعيشه من دون هكذا عملية.

في: وهل أعطيته رأيك؟

ڤا: أعطيتُه تقديراً تقريبياً، نعم. أخبَرتُه أن للأورام أنماط نمو غريبة جداً، وأنني عرفتُ مرضى همدت أورامهم لسنتين، لكن هكذا همود نادرٌ جداً. أخبَرتُه أنه من دون عملية يمكنه أن يتوقع إلى حد معقول أن يعيش من ثمانية أشهر إلى عشرين شهراً.

في: لكنه ومع ذلك بقي يرفض العملية، أليس كذلك؟

ڤا: نعم، هذا صحيح.

في: هل حصل شيء غير اعتيادي لسميث أثناء مغادرته؟

ڤا: يمكنني أن أقول أنه كان شيئاً غريباً جداً.

في: أخبِر اللجنة عنه لو سمحت.

ڤا: لمَستُ كتفه، أظن بهدف إيقافه. لم أكن راغباً أن أراه يغادر في تلك الظروف، تفهمون قصدي. وشَعَرتُ بشيء قادم منه عندما فعلتُ ذلك... كان إحساساً يشبه صدمة كهربائية، لكنه كان إحساساً غريباً بالاستنزاف والوهِن أيضاً. كما لو أنه يسحب شيئاً مني. أعترف لكم أن هذا الوصف غير موضوعي جداً، لكنه يأتي من رجل خبير في فن وحِرفة المراقبة المحترفة. لم يكن شعوراً لطيفاً، أؤكّد لكم. ثم... رفعتُ يدي عنه... واقترَح عليَّ أن أتصل بزوجتي لأن فراولة أذى نفسه جدياً.

في: فراولة؟

ڤا: نعم، هذا ما قاله. أخ زوجتي... يدعى فراولي ريتشاردز. كان ابني الأصغر يناديه دائماً العمّ فراولة عندما كان صغيراً جداً. بالمناسبة، لم أتذكَّر ذلك الربط إلا لاحقاً. ذلك المساء اقترَحتُ على زوجتي أن تتصل بأخيها، الذي يعيش في بلدة غُوس لايك، نيويورك.

في: وهل اتصلَت به؟

ڤا: نعم. أجريا دردشة لطيفة جداً.

في: وهل كان السيد ريتشاردز - أخ زوجتك - بخير؟

ڤا: نعم، بخير. لكن الأسبوع التالي وَقَع عن سُلَّم بينما كان يطلي منزله وكسرَ ظهره.

في: أيها الطبيب ڤان، هل تصدِّق أن جون سميث رأى حصول ذلك؟ هل تصدِّق أنه يملك قدرة على الاستبصار بشأن أخ زوجتك؟

ڤا: لا أعرف. لكنني أصدِّق... أن ربما هذا ما يملكه.

في: شكراً أيها الطبيب...

ڤا: هل يمكنني أن أقول شيئاً آخر؟

في: بالطبع.

ڤا: إذا كان مُصاباً بهكذا لعنة - نعم، سأعتبرها لعنةً - آمل أن ترحم السماوات روح ذلك الرجل المعذَّبة.

5

... وأعرف يا أبي أن الناس سيقولون إنني فعلتُ ما أنوي أن أفعلُه بسبب الورم، لكن لا تصدِّقهم. هذا ليس صحيحاً. الورم هو فقط الحادث وقد أدركني أخيراً، الحادث الذي أصدِّق الآن أنه لم يتوقف أبداً عن الوقوع. الورم موجود في نفس المنطقة التي تأذّت في الاصطدام، نفس المنطقة التي أصدِّق الآن أنها تعرَّضت لرضّة على الأرجح عندما كنتُ ولداً وسقطتُ ذات يوم بينما كنتُ أتزلّج على بركة رانأراوند. حصلَ ذلك عندما تراءت لي أولى «ومضاتي»، رغم أنه لا يمكنني أن أتذكَّر الآن أيضاً ما كانت تلك الومضة بالتحديد. وتراءت لي ومضة أخرى قُبيل الحادث، في معرض إستي. اسأل سارة عنها؛ أنا متأكد أنها تتذكَّرها. الورم موجود في تلك المنطقة التي سمَّيتُها دائماً «المنطقة الميتة». وذلك تبيَّن أنه صحيح، أليس كذلك؟ صحيح بكل المرارة أيضاً. السماوات... المصير... القدر... مهما تكن التسمية التي تريد أن تستخدمها، يبدو أن يداً هادئةً وغير قابلة للجدل تمتدّ لتعيد التوازن إلى الأمور. ربما كان يُفترَض بي أن أموت في حادث السيارة ذاك، أو حتى قبله في ذلك اليوم على بركة رانأراوند. وأصدِّق أنه عندما أُنهي ما عليَّ إنهاءه، سيعود التوازن مرة أخرى.

أحبك يا أبي. أسوأ ما في الأمر، إلى جانب اليقين أن السلاح هو الوسيلة الوحيدة للخروج من هذه الورطة الفظيعة التي أجد نفسي فيها، هو معرفة أنني سأتركك لتتحمَّل الحزن والكراهية من أولئك الذين لا يملكون أي سبب يجعلهم لا يصدِّقون أن ستيلسون رجلٌ صالحٌ...

6

مقتطفات من الشهادة المقدَّمة أمام ما تسمّى «لجنة ستيلسون» التي ترأّسها ويليام كوهين سيناتور ماين. المحقِّق هو السيد ألبرت رنفرو، نائب المستشار القانوني في اللجنة. الشاهد هو الطبيب ساموبل وايزاك، المقيم في 26 هارلو كورت، بانغور، ماين.

تاريخ الشهادة: 23 أغسطس 1979.

رنفرو: نحن نقترب الآن من لحظة رفع الجلسة أيها الطبيب وايزاك، ونيابة عن اللجنة، أودّ أن أشكرك على الساعات الأربعة الأخيرة لشهادتك الطويلة. لقد أوضحتَ لنا أموراً كثيرةً في القضية.

وايزاك: لا شكر على واجب.

ر: لديَّ سؤال أخير لك أيها الطبيب وايزاك، سؤال يبدو لي ذا أهمية قصوى تقريباً؛ إنه عن مسألة طرحها جون سميث نفسه في رسالته إلى أبيه التي شُمِلَت في مجموعة الأدلة. السؤال هو...

و: لا.

ر: عفواً؟

و: إنك تستعد لتسألني إن كان ورم جوني هو الذي ضغطَ الزناد ذلك اليوم في نيو هامبشاير، أليس كذلك؟

ر: إن جاز التعبير، أفترض...

و: الجواب لا. كان جوني سميث إنساناً عاقلاً منطقياً حتى آخر حياته. الرسالة إلى أبيه تُظهِر ذلك؛ رسالته إلى سارة هازليت تُظهِر ذلك أيضاً. كان رجلاً يمتلك طاقة فظيعة - ربما لعنة، مثلما وصفها زميلي الدكتور ڤان - لكنه لم يكن معتوهاً ولا يتصرَّف بناءً على أوهام ناتجة عن ضغط في الجمجمة - إذا كان هكذا شيء ممكن حتى.

ر: لكن أليس صحيحاً أن تشارلز وِيتمان، الملقَّب «قنّاص برج تكساس»، كان...

و: نعم، نعم، كان لديه ورم. وكذلك طيّار طائرة إيسترن إيرلاينز التي تحطَّمت في فلوريدا قبل بضع سنوات. ولم يُقترَح أبداً أن الورم عاملٌ مسرِّعٌ في الحالتين. وسألفت نظرك إلى أن أشخاصاً آخرين سيئي السمعة - ريتشارد سْپَك الملقَّب «ابن سام»، وأدولف هتلر - لم يحتاجا إلى أورام في الدماغ لكي يتصرّفا بأسلوب قاتل. أو فرانك دود، القاتل الذي كشفه جوني نفسه في بلدة كاسل روك. مهما وجدت هذه اللجنة أن تصرُّف جوني قد يكون مضلَّلاً إلا أنه تصرُّف رجل عاقل. رجل يعاني من ألم ذهني هائل، ربما - لكنه رجل عاقل.

7

... وأهم شيء هو ألا تصدِّق أنني فعلتُ هذا من دون تفكير معمَّق ومؤلم. إذا كان قتله يمكن أن يضمن لي أن الجنس البشري سيكسب أربع سنوات أخرى، أو سنتين أخريين، أو حتى ثمانية

أشهر أخرى ليعيد التفكير بسلوكه وتصرّفاته، فإن ذلك يستحق المخاطرة. هذا خطأ، لكن قد يتبيَّن أنه صحيح. لا أعرف. لكنني لن ألعب دور هاملت بعد الآن. أعرف مدى خطورة ستيلسون.

أبي، أحبك كثيراً. صدِّق هذا.

ابنك،

جوني

8

مقتطفات من الشهادة المقدَّمة أمام ما تسمّى «لجنة ستيلسون» التي ترأّسها ويليام كوهين سيناتور ماين. المحقِّق هو السيد ألبرت رنفرو، نائب المستشار القانوني في اللجنة. الشاهد هو السيد ستيوارت كلوسون، المقيم في طريق بلاكستراب في جاكسون، نيو هامبشاير.

رنفرو: وتقول إنك صدفتَ وأخذتَ كاميراتك معك يا سيد كلوسون؟

كلوسون: نعم! في طريق خروجي من الباب. حتى إنني كدتُ ألا أذهب ذلك اليوم، رغم أن غريغ ستيلسون يعجبني - حسناً، كان يعجبني قبل كل ذلك، على أي حال. بدا لي دار البلدية مجرّد مكان مُضجِر، عذراً على التعبير».

ر: بسبب امتحان رخصة قيادتك.

ك: صحيح. الرسوب في ذلك الامتحان كان مجرّد مشكلة هائلة لي. لكنني قلتُ تباً له في النهاية. والتقطتُ الصورة. رائع! التقطتُها. أظن أن تلك الصورة ستجعلني غنياً. تماماً مثل صورة رفع العلم على إيوو جيما.

ر: آمل ألا تعتبر أن الحدث كله كان مُعدّاً لمصلحتك أيها الشابّ.

ك: آه، لا! على الإطلاق! قصدتُ فقط... حسناً... لا أعرف ماذا قصدتُ. لكنه حصَل أمامي مباشرة، و... لا أعرف. يا إلهي، شعرتُ بسرور عارم أنني أحضرتُ الكاميرا معي، هذا كل شيء.

ر: التقطتَ الصورة فحسب عندما أمسكَ ستيلسون الولد؟

ك: ماتّ روبسون، نعم سيدي.

ر: وهذه نسخة مكبَّرة لتلك الصورة الفوتوغرافية؟

ك: هذه صورتي، نعم.

ر: وبعد أن التقطتَها، ماذا حصل؟

ك: ركض صوبي اثنان من أولئك الحمقى وهما يصيحان «أعطنا الكاميرا يا ولد! أفلتها». شيء من هذا القبيل.

ر: ورحتَ تركض.

ك: هل ركضتُ؟ يا إلهي، أظن أنني ركضتُ. طارَداني حتى مرأب البلدة تقريباً. كاد أحدهما يُمسكني، لكنه انزلَق على الجليد ووقع.

كوهين: أيها الشابّ، أودّ أن أشير إلى أنك فزتَ في أهم سباق ركض في حياتك عندما سَبَقت ذانك البلطجيين.

ك: شكراً سيدي. ما فعله ستيلسون ذلك اليوم... ربما كان يجب أن تكونوا هناك، لكن... إمساك ولد صغير أمامك للاحتماء به هو عمل خسيس جداً. أنا أكيد أن سكان نيو هامبشاير لن ينتخبوا ذلك الرجل حتى لوظيفة صائد كلاب شاردة. حتى لوظيفة...

ر: شكراً يا سيد كلوسون. يمكنك الانصراف.

9

أكتوبر مرة أخرى.

بقيت سارة تتجنَّب هذه الرحلة لفترة طويلة جداً، لكن حان وقتها الآن ولم يعد بإمكانها تأجيلها. شَعَرت بذلك. ترَكت الولدَين مع السيدة أبلاناپ - لديهما خادمة الآن، وسيارتان بدلاً من البينتو الحمراء الصغيرة؛ فدخلْ والت قارَبَ الثلاثين ألف دولار في السنة - وأتت بمفردها إلى پاونال في اللهيب الحارق لأواخر الخريف.

رَكَنت جانباً عند حافة طريق ريفي ضيق جداً، خرَجت، واجتازت إلى المقبرة الصغيرة الموجودة على الجهة الأخرى. أعلنت لوحة صغيرة ملطَّخة على أحد الأعمدة الحجرية أنه مدفن عائلة بيرش. كان محاطاً بجدار صخري غير متماسك، والأرضية مُعتنى بها جيداً. بقيت بضعة أعلام باهتة من يوم الشهداء منذ خمسة أشهر. ستُطمَر بالثلج قريباً.

سارت ببطء، والنسيم يرفرف حاشية تنورتها الخضراء الداكنة. هنا أجيال من عائلة بودن؛ هنا عائلة كاملة من آل مارستن؛ هنا أفراد من عائلة پيلزبَري يعودون إلى العام 1750 مجمَّعين حول نصب تذكاري رخامي كبير.

وبالقرب من الجدار الخلفي، وجَدت حجراً جديداً نسبياً محفوراً عليه جون سميث فقط. ركَعت سارة بجانبه، تردَّدت، ثم لمسته. تركت رؤوس أصابعها تتزحلق بتبصّر فوق سطحه المصقول.

10

23 يناير 1979

عزيزتي سارة،

كتبتُ رسالة مهمة جداً إلى أبي للتو، واحتجتُ إلى حوالي ساعة ونصف لأُنهيها. لم تعد لديَّ الطاقة لأكرِّر ذلك الجهد، لذا سأقترح عليك أن تتصلي به حالما تستلمين هذه الرسالة. هيا اتصلي به الآن يا سارة قبل أن تُكملي القراءة.

لذا المرجَّح أنك أصبحتِ تعرفين الآن. أردتُ فقط إخبارك أنني كنتُ أفكِّر كثيراً مؤخراً بموعدنا في معرض إستي. إذا حاولتُ أن أتكهّن بالأمرَين اللذين تتذكَّريهما عنه، فسأقول إنهما الحظ الكبير الذي أصابني مع عجلة الحظ (هل تتذكَّرين الولد الذي بقي يقول «أحبّ رؤية هذا الرجل يتلقى هزيمة»؟)، والقناع الذي ارتديتُه لأمزح معك. كان يُفترَض به أن يكون نكتة مضحكة جداً، لكنكِ غضبتِ وكاد موعدنا يذهَب أدراج الرياح. ربما لو حصل ذلك، لما كنتُ هنا الآن ولكان سائق سيارة الأجرة تلك لا يزال حياً. من جهة أخرى، ربما لما كان أي شيء مهم تغيَّر في المستقبل، ولكنتُ تعرَّضتُ لحادث مؤلم مماثل بعد أسبوع أو شهر أو سنة.

لقد حظينا بفرصتنا وظَهرت على أحد أرقام الكشك - أظن الصفر المزدوج. لكنني أردتُك أن تعرفي أنني أفكِّر فيك يا سارة. بالنسبة لي لم تكن هناك حقاً أي فتاة غيرك، وتلك الليلة كانت أفضل ليلة لنا ...

11

«مرحباً يا جوني»، همسَت، وهبَّت الرياح بلطف بين الأشجار التي احترقت والتهبت؛ تطايرت ورقة حمراء في السماء الزرقاء الساطعة وحطَّت على شعرها دون أن تلحظها. «أنا هنا. لقد أتيتُ أخيراً».

كان التحدّث بصوتٍ عالٍ ليبدو خطأ أيضاً؛ وقد قالت ذات مرة إن التحدّث مع ميت في مقبرةٍ أمر يقوم به شخص مجنون. لكن المشاعر فاجأتها الآن، مشاعر ذات قوة وحدّة جعلت حنجرتها تؤلمها ويداها تُطبقان على بعضهما فجأة. لا بأس من التكلّم معه، ربما؛ ففي النهاية، مرَّت تسع سنوات، وهذه نهاية العلاقة. بعد هذا لن يكون هناك سوى والت والولدَين وابتسامات كثيرة عن أحد الكراسي خلف منصة زوجها أثناء إلقائه الخِطابات؛ ابتسامات لا تنتهي من الخلف ومقال عَرَضيّ في ملحق الأحد، إذا حلَّقت مسيرة والت السياسية مثلما يتوقع بهدوء. كان المستقبل يصبح رمادياً قليلاً أكثر في شعرها كل سنة، ولن يصبح بلا حمّالة صدر أبداً بسبب الإرتخاء، وسيصبح يقظاً أكثر بشأن الماكياج؛ سيصبح المستقبل عبارة عن حصص تمارين في النادي في بانغور ورحلات تسوّق وأخذ دينيه إلى الصف المدرسي الأول وجانيس إلى روضة الأطفال؛ سيصبح المستقبل حفلات ليلة رأس السنة وقبعات مضحكة بينما تتدحرَج حياتها إلى عقد الثمانينيات المطبوع بقصص الخيال العلمي وإلى الحالة الغريبة والمجهولة تقريباً - الكهولة.

لم ترَ معارض مقاطعة في مستقبلها.

بدأت طلائع الدموع البطيئة الحارة تنهمر. «آه يا جوني»، قالت. «كان يُفترَض أن يكون كل شيء مختلفاً، أليس كذلك؟ لم يكن يُفترَض به أن تنتهي الأمور هكذا».

أخفَضت رأسها، وراحت حنجرتها تعمل بشكل مؤلم - وبدون أي نتيجة. انهمرت الدموع على أي حال، وانكسر ضوء الشمس الساطع إلى مواشير أضواء. الرياح، التي كانت قد بدت دافئة جداً وصيفية حارة، بدت الآن باردة مثل فبراير على خدّيها الرطبين.

«هذا ليس عدلاً!»، صاحت بصمت مدافن عائلات بودن ومارستن وپيلزبَري، بجماعة المستمعين الموتى الذين لم يشهدوا على شيء تقريباً سوى أن الحياة سريعة والموت هو الموت. «يا إلهي، هذا ليس عدلاً!».

وتلك كانت اللحظة التي لمست فيها اليد عنقها.

12

... وتلك الليلة كانت أفضل ليلة لنا، رغم أنني لا أزال أجد صعوبة في بعض الأوقات بتصديق أن العام 1970 مرَّ أصلاً والاضطرابات في الجامعات وأن نيكسون الرئيس، لا حاسبات جيب، لا مسجِّلات فيديو منزلية، لا بروس سبرينغستين أو فِرق بانك روك أيضاً. وأشعر في أوقات أخرى أن ذلك الزمن على مرمى حجر فقط، وأنّه يمكنني لمسه تقريباً، أنه إذا استطعتُ وضع ذراعيَّ حولك أو لمس خدِّك أو الجهة الخلفية لعنقك، يمكنني أن أحملك بعيداً معي إلى مستقبلٍ مختلفٍ خالٍ من الألم أو الظلمة أو الخيارات المرّة.

حسناً، كلنا نفعل ما نقدر عليه، ويجب أن يكون جيداً بما فيه الكفاية... وإذا لم يكن جيداً بما فيه الكفاية، يجب أن يفي بالغرض. آمل فقط أن تفكِّري فيَّ قدر ما تستطيعين يا عزيزتي سارة. كل تحياتي،

وكل حبّي،

جوني

13

أخذت نَفَساً عميقاً، قوَّمت ظهرها، وشخصت عيناها. «جوني...؟».

لقد زال.

مهما يكن ما تريد قوله فقد زال. وَقَفت واستدارت وبالطبع لم يكن هناك شيء. لكن يمكنها رؤيته واقفاً هناك، حاشراً يديه عميقاً في جيوبه، وتلك الابتسامة الصفراء المريحة على وجهه اللطيف، يتكئ باسترخاء وضمور على نصب تذكاري أو قائمة حجرية لإحدى البوابات أو ربما

مجرّد شجرة احمرَّت بحريق الخريف المُحتضَر. لا مشكلة كبيرة يا سارة - ألا تزالين تتعاطين ذلك الكوكايين الخبيث؟

لا شيء هناك سوى جوني؛ في مكان قريب، وربما في كل مكان.

كلنا نفعل ما نقدر عليه، ويجب أن يكون جيداً بما فيه الكفاية... وإذا لم يكن جيداً بما فيه الكفاية، يجب أن يفي بالغرض. لا شيء يضيع أبداً يا سارة. لا شيء لا يمكن العثور عليه.

«جوني القديم نفسه»، همَست وخرَجت من المقبرة واجتازت الطريق. توقفت للحظة، والتفتت إلى الوراء. عصفَت رياح أكتوبر الدافئة بشدة وبدا لها أن أطيافاً رائعةً من الأضواء والظلال مرَّت على العالم. أصدرت أوراق الأشجار حفيفها سراً.

ركبت سارة سيارتها وابتعدت.